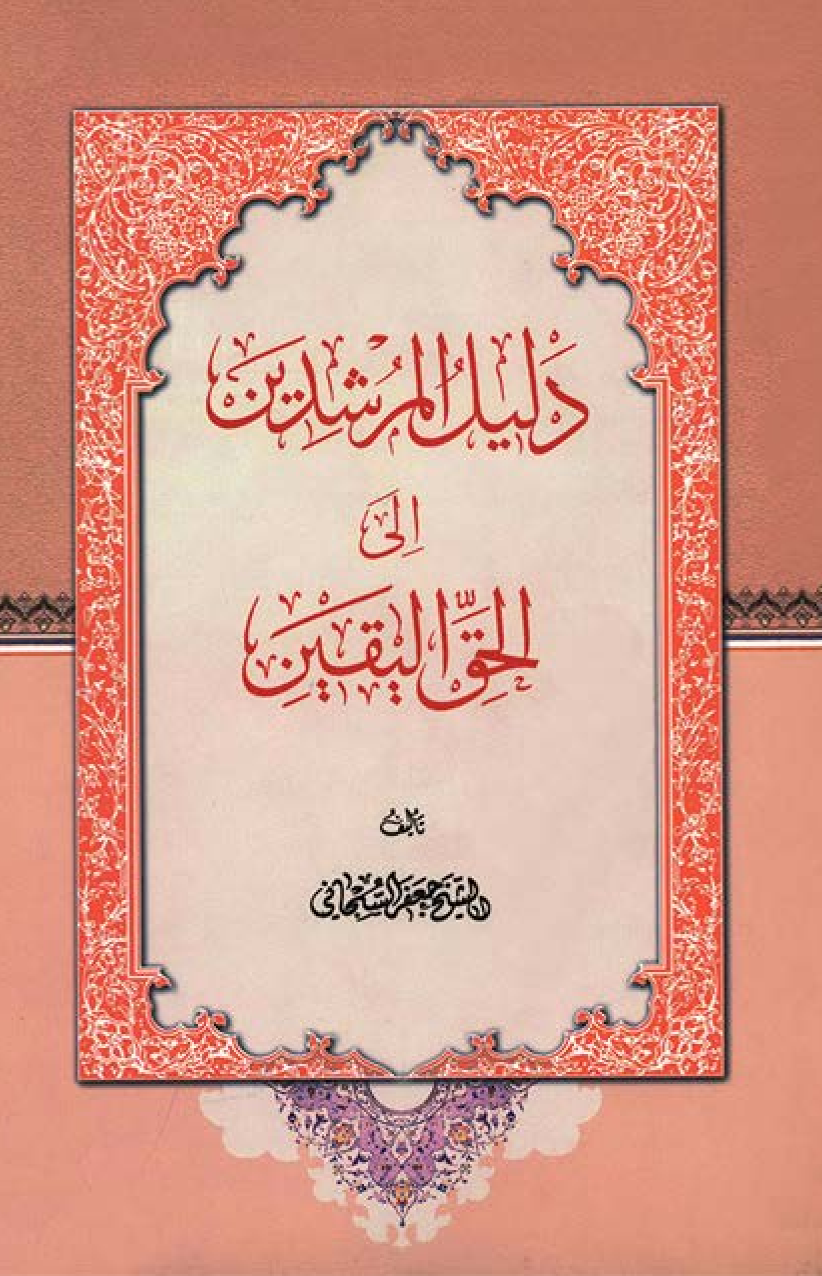

دليل المرشدين
الى
الحق اليقين
تأليف
الشيخ جعفر السبحاني

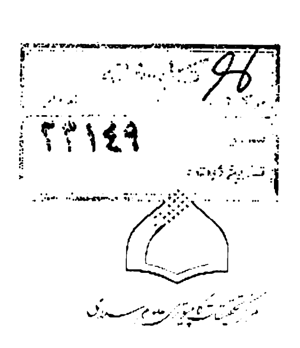
# دليل المرشدين

# الى

# الحق اليقين

دراسة موضوعية لأهم المسائل الأُصولية والفرعية، تنبثق من معطيات الكتاب والسنّة، وتصبّ في خدمة الهدف المقدّس: الوحدة والوئام بين المسلمين

تأليف: آية الله السبحاني






﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَ أَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾

الأنبياء: ٩٢

سبحاني تبريزي، جعفر، ١٣٠٨ ـ
دليل المرشدين إلى الحق اليقين: دراسة موضوعيّة لأهمّ المسائل الأصوليّة والفرعية، تنبثق من معطيات الكتاب والسنّة و... / تأليف: جعفر السبحاني ــ تهران: مشعر، ١٤٢٨ق = ١٣٨٦.
٥٦٣ص.

ISBN 964-7635-91-5

فهرستنويسى بر اساس اطلاعات فيپا.
عربى.
كتابنامه: ص. [٥١٩] ـ ٥٤٣؛ همچنين به صورت زيرنويس.
١. شيعه ــ دفاعيه‌ها و ردّيه‌ها. الف. عنوان.
BP٢١٢/٥/ ٢د٨س    ٢٩٧/٤١٧
كتابخانه ملّى ايران    ٢٠٠٤٥ـ٨٤م

## دليل المرشدين إلى الحقّ اليقين

○ تأليف: ........................ آية الله جعفر السبحاني
○ الناشر: ................................ دار مشعر
○ المطبعة: ............................ دار الحديث ـ قم
○ الصف والإخراج الفنّي: .......... مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام
○ الطبعة: ......................... الأولى ـ ١٤٢٨هـ ق.
○ الكمّية: ............................. ٢٠٠٠ نسخة
○ السعر: .............................. ٢٠٠٠ تومان



شابک ٥-٩١-٧٦٣٥-٩٦٤    ISBN 964-7635-91-5

مراكز التوزيع:
طهران: الهاتف: ٦٤٥١٢٠٠٣-٠٢١ / قم: الهاتف: ٧٧٤٦٥٣٢-٠٢٥١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الّذي لا تدركه العيون بمشاهدة الْعِيَانِ ، ولكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان، قريب من الأشياء غير ملابس، بعيد منها غير مباين.

والصلاة والسلام على من أصطفاه الله من الأوّلين والآخرين محمد وآله الأئمة الطيبين الطاهرين، صلاة دائمة لا نهاية لها ولا ختام.

أمّا بعدُ فالحج عمل رمزي لكثير من العبادات الّتي وردت في الشريعة واقترنت بظروف خاصة، وهو بمفرده مظهر لها ومجسّد لكثير منها، حيث نجدُ فيه الأعمال المعبّرةَ عن جانبه العبادي، أعني: النية، والطهارة من الحدث والخبث، والصلاة، والصوم، والطواف بالبيت، والذبح لله، وإطعام القانع والمعتر من اللحوم، والاعتكاف الّذي يجسده الوقوف في المشاعر، ورجم الشيطان عدو الإنسان الأوّل الّذي يوسوس في صدره.

وللحّج ـ في الوقت نفسه ـ عطاءات في المجال الاجتماعي، إذ يوفّر فرصة سانحة للتفاهم وتوثيق العلاقات بين الأفراد والشعوب على اختلاف ألوانهم وقومياتهم ومذاهبهم، كما يتيح للمفكّرين والعلماء في شتى الحقول إمكانية اللقاء لتبادل الأفكار ووجهات النظر بشأن القضايا

الّتي تهمّ الأُمّة الإسلامية، ودراسة المشاكل والمعوّقات الّتي تعترض سبل تقدّمهم ونهضتهم، وإلى ذلك أشار سبحانه بقوله: ﴿جَعَلَ اللهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ﴾.[1]

وفي كلّ موسم من مواسم الحج، يتشرّف بزيارة الحرم المكي والنبوي أعداد غفيرة من أتباع مدرسة أهل البيتعليهم السلام ويلتقون باخوانهم في شتّى المواقف والمشاهد، وهم جميعاً أغصان شجرة واحدة ـ شجرة التوحيد والإسلام ـ، يوحّدون الله تبارك وتعالى ، ويؤمنون بأنبيائه ورسله، وباليوم الآخر، ويصلون ويصومون ويزكّون ويحجّون بيته الحرام ويأتون بفرائض الحج وسننه.

وفي خلال تلك اللقاءات تُثار أسئلة حول الشيعة وأُصولها وفروعها، بهدف التعرف على جذور المذهب وواقعه وأهدافه.

وهذا ما يدعو مرشدي قوافل الحج إلى أن يكونوا على أتمّ الاستعداد للإجابة الصحيحة والكاملة عن الأسئلة المطروحة، وتحليل الشبهات العالقة في أذهان أخوانهم والإجابة عنها.

ولأجل تنمية القدرات العلمية وتسديد مواهب المرشدين وقابليّاتهم قامت معاونية شؤون التعليم والبحوث الإسلامية التابعة لممثّلية الولي الفقيه لشؤون الحج والزيارة ، بنشر هذا الكتاب بينهم وبين سائر

---

١ . المائدة: ٩٧ .

المؤمنين الواعين المرافقين للحجاج الكرام على أمل أن يكون خطوة مباركة على طريق توحيد الكلمة وتعزيز الوحدة، إذ تتجلّى في طيات هذا الكتاب آفاق الوحدة الإسلامية، مُثبِتاً بوضوح أنّ ما يجمع المسلمين أكثر ممّا يفرّقهم ويشتّتهم.

والكتاب يُعدّ من آثار عالم كبير كرّس عمره في تحقيق معالم الدين والأحكام الشرعية والمسائل العقائدية وخدم الإسلام والمسلمين بقلمه وبنانه ولسانه وبيانه، ألا وهو سماحة الشيخ آية الله جعفر السبحاني «حفظه الله تعالى».

ونحن إذ ندعو الله له بطول العمر ودوام التوفيق لخدمة الدين، نرجو من مرشدي قوافل الحج الاهتمام بمحتويات هذا السفر القيّم والتمعّن فيه وقراءته بدقّة.

والله ولي التوفيق

*معاونية*

*شؤون التعليم والبحوث الإسلامية*

*ممثلية الولي الفقيه لشؤون الحج والزيارة*

*١٠ / شعبان المعظم ١٤٢٦ هـ*


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين محمد وآله الطاهرين.

لا يشك ذو مسكة أنّ المسلمين في هذا العصر بأمسّ الحاجة إلى توحيد الكلمة وتقريب الخطى من الأزمنة السابقة. إذ إنّنا نعيش في وقت عصيب تحالفت فيه قوى الكفر والاستعمار على محق الإسلام ومحاصرة المسلمين بمختلف الأساليب.

وهذا ما يدعو المسلمين إلى التآلف والتكاتف ونبذ عوامل التفرقة والتشتّت.

وقد حثّ سبحانه في العديد من الآيات على التآزر والتلاحم والاعتصام بحبل الله ؛ قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَ لاَ تَفَرَّقُوا وَ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾[1].

كما حذّر سبحانه من التفرّق والتشتّت مخاطباً نبيّه الكريم بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَ كَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾[2].

---

١. آل عمران: ١٠٣.     ٢. الانعام: ١٥٩.

وانطلاقاً من هذه الآيات يجب على كلّ مثقف وكاتب مسلم أن يسلك في محاضراته ومقالاته وكتاباته سبيل الوحدة، ويتحرّز عمّا يوجب العداء والبغضاء.

إنّ عناصر الوحدة ـ ولله الحمد ـ بين الشيعة وسائر الفرق الإسلامية كثيرة لا تحصى. ولذا يجدر بنا جميعاً التمسّك بالأُصول المتّفق عليها والإغماض عن عناصر الفرقة، غير أنّ هذا الإغماض لا يعني أبداً إيقاف البحث الموضوعي والدراسة المنطقية في هذه المجالات، فإنّ ممارستهما على ضوء الكتاب والسنّة والعقل وبأسلوب لا يخلّ بنظام الوحدة، أمر مهمّ في تجلية الحقائق وتنمية الوعي لدى المسلمين .

وتحقيقاً لهذه الأهداف قمنا بتأليف هذا الكتاب على ضوء المصادر الصحيحة في المسائل الّتي اتّفق فيها المسلمون (كما في مباحث التوحيد والنبوة والمعاد) وما اختلفوا فيه من المسائل الفرعية العملية.

ومن يطالع هذا الكتاب يجد أنّ الغاية منه إنّما هي توضيح الحق وإبرازه، وإماطة اللثام عن وجه الحقيقة، دون أن يرافق ذلك هدف أو غاية أُخرى.

والله من وراء القصد

جعفر السبحاني

قم ـ مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام

غرة شعبان ١٤٢٦ هـ

# الفصل الأوّل

## في الشيعة والتشيّع

١. الشيعة لغة واصطلاحاً.

٢. لفظ الشيعة في القرآن والسنّة.

٣. نشوء المذهب الشيعي .

أ. ما هو السبب لانحياز الشيعة عن مدرسة الخلفاء.

ب. روّاد التشيّع في صدر الإسلام .

٤. افتراضات وهمية حول نشوء الشيعة بعد عهد الرسول.

٥. الشيعة الإمامية والخلافات السائدة بينهم وبين غيرهم من طوائف الشيعة.

٦. دور الشيعة في بناء صرح الحضارة الإسلامية وعطاؤهم للإسلام والمسلمين.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

# في الشيعة والتشيّع

**ا. الشيعة لغة واصطلاحاً:**

الشيعة في اللغة هم أتباع الرجل وأنصاره، جمعها: شيع وأشياع، ويقال: شايعه كما يقال والاه.[1]

وقال ابن فارس: للشيعة أصلان (أي معنيان جَذْريّان) يدلّ أحدهما على معاضدة ومساعفة والآخر على بثٍ وإشادة، فالأوّل قولهم: شيّع فلانٌ فلاناً عند شخوصه.[2]

إلى غير ذلك من الكلمات لأصحاب المعاجم المشيرة إلى معنى واحد.

فصارت النتيجة: انّ الشيعة هم الجماعةالتابعة لرئيس لهم تجمعهم فكرة واحدة يتعاونون ويتعاضدون في ظلّها.

هذا هو المعنى اللغوي للشيعة، والمهم في المقام هو الثاني، أعني: مصطلح العلماء.

تطلق الشيعة ويراد بها :

---

١ . لسان العرب: ٨ / ١٨٨، مادة «شيّع».

٢ . مقاييس اللغة: ٣ / ٢٣٥، مادة «شيّع».

١. من يحبُّ علياً وأولاده باعتبار أنّهم أهل بيت النبي ﷺ الذين فرض الله مودتهم في كتابه العزيز، قال سبحانه: ﴿قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى﴾[1].

والشيعة بهذا المعنى تطلق على عامّة المسلمين سوى النواصب الذين نصبوا لعلي وأهل بيته العداءَ.

وترجع جذور تلك الفكرة إلى عصر معاوية حيث سنّ سبّ علي على المنابر، وباستثناء هؤلاء، فإنّ كلّ المسلمين يحترمون ويحبُّون أهل بيت رسول الله ﷺ ويصلّون عليهم صباحاً ومساءً، فهذا هو الإمام الشافعي يقول:

يا أهل بيت رسول الله حبكم ... فرض من الله في القرآن أنزله
كفاكم من عظيم الفخر أنّكم ... من لم يصل عليكم لا صلاة له [2]

٢ ـ مَن يفضّل علياً على عثمان أو على الخلفاء عامّة مع اعتقاده بأنّه رابع الخلفاء، وإنّما يقدّمه لاستفاضة مناقبه وفضائله عن الرسول الأعظم، والّتي دوّنها أصحاب الحديث في صحاحهم ومسانيدهم، وهي تُلزم الإنسان الاعتقاد بأنّه أفضل الصحابة، وعلى ذلك معتزلة بغداد وقليل من أهل الحديث، وعلى ذلك الاصطلاح جرىٰ أكثر من كتب في الرجال والتراجم والمقالات حيث يصفون قليلاً من الصحابة وكثيراً من التابعين

---

١. الشورى: ٢٣.

٢. الصواعق المحرقة: ١٤٨، الطبعة ٣، ١٣٨٥ هـ.

بأنّه يتشيّع، أو أنّه شيعي، وربّما يعدّونه من أسباب الجرح، وأنّ تقدّم الخلفاء على عليّ أصل من أُصول الدين لا يجوز تجاوزه، مع أنّ الإمامة من الفروع عند أهل السنّة فكيف درجات الخلفاء ورتبهم؟!

وربّما يختلط الأمر على من ليس له إلمام بالاصطلاح، فلا يفرّق بينهما، وأكثر من يستعمل هذا الاصطلاح هو الذهبي في «ميزان الاعتدال» و«سير أعلام النبلاء» فيصف بعض التابعين و المحدّثين بالتشيّع ملمّحاً بذلك إلى ضعفهم، وقد رُمي أبو عبداللّه الحاكم النيسابوري بالتشيّع كمعتزلة بغداد، والمقصود تفضيلهم عليّاً على سائر الخلفاء لا أنّه الإمام المنصوص بالخلافة.

٣ ـ مَن يشايع عليّاً وأولاده باعتبار أنّهم خلفاء الرسول ﷺ وأئمّة الناس من بعده، نصبهم لهذا المقام بأمر من اللّه سبحانه، وذكر أسماءهم وخصوصيّاتهم. والشيعة بهذا المعنى هو المقصود في المقام، وقد اشتهر بأنّ عليّاً هو الوصي حتّى صار من ألقابه، وذكره الشعراء بهذا العنوان في قصائدهم.[1]

وقد أكّد الإمام علي عليه السلام هذا المعنى في بعض خطبه:

«لا يقاس بآل محمّد من هذه الأُمّة أحد، ولا يسوّى بهم من جرت

---

١. خطب الإمام أبو محمّد الحسن السبط حين قتل أميرالمؤمنين خطبته الغرّاء فقال: «أنا ابن النبي، وأنا ابن الوصي». أخرجه الحاكم في مستدركه: ١ / ١٧٢؛ وقد ذكر ابن أبي الحديد أشعاراً وأراجيز تتضمّن توصيف الإمام بالوصاية عن الصحابة والتابعين، لاحظ شرح النهج: ١ / ١٤٣ ـ ١٥٠ باب ما ورد في وصاية عليّ من الشعر.

نعمتهم عليه أبداً؛ هم أساس الدين، وعماد اليقين، إليهم يفيء الغالي، وبهم يلحق التالي، ولهم خصائص حق الولاية، وفيهم الوصيّة والوراثة...».[١]

ومجمل القول: إنّ هذا اللفظ يشمل كلّ من قال: إنّ قيادة الأُمّة لعليّ بعد الرسولﷺ وأنّه يقوم مقامه في كل ما يمتُّ إليه بصلة سوى النبوة ونزول الوحي عليه. كلّ ذلك بتنصيص من الرسول ﷺ، وعلى ذلك فالمقوّم للتشيّع وركنه الركين هو القول بالوصاية والقيادة بجميع شؤونها للإمامعليه السلام، فالتشيّع هو الاعتقاد بذلك، وأمّا ما سوى ذلك فليس مقوّماً لمفهوم التشيّع ولا يدور عليه إطلاق الشيعة .

لا شك أنّ للشيعة آراءً كلامية خاصّة في مجالي الأُصول والفروع، ربّما يشاركون غيرهم فيها وربّما يخالفونهم، ولكنّها ليست من سماتهم وأعرافهم وإنّما هي أُصول وأحكام دعاهم الدليل إلى تبنّيها من الكتاب والسنّة والعقل .

## ٢. لفظ الشيعة في القرآن والسنّة

قد استعمل لفظ الشيعة في القرآن الكريم بمعنى التابع للأنبياء والشخصيات الكبيرة، قال سبحانه: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾[٢].

---

١ . نهج البلاغة: الخطبة الثانية .

٢ . القصص: ١٥ .

وقال تعالى: ﴿وَ إِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لإِبْرَاهِيمَ * إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[١].

كما استعمل هذا اللفظ بمعنى البث والتفرقة والخلاف، قال سبحانه: ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَ كَانُوا شِيَعاً﴾[٢].

فإذا استعمل بمعنى التبعية فهو يشير إلى الجانب الإيجابي له، كما في قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلاَنِ هَـذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَ هَـذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾.[٣]

وأمّا لو استعمل بمعنى البث والتفرقة فهو يشير إلى الجانب السلبي له، كما في قوله تعالى: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَ يُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾[٤].

وأمّا في السنّة الشريفة فلا شكّ أنّ النبي ﷺ بما أنّه عربي صميم فهو يستعمل هذا اللفظ في معناه الحقيقي وهو التابع، وقد وصف ﷺ أتباع علي عليه السلام بالشيعة في حالة حياته عندما نزل قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾[٥]، فقد روى المحدّثون والمفسرون روايات مستفيضة عن الرسول الأعظم ﷺ أنّه وصف جماعة كانوا يوالون علياً ويشايعونه، بأنّهم خير البرية. وإليك بعض ما ورد من هذه الأحاديث :

---

١ . الصافات: ٨٣ ـ ٨٤.
٢ . الروم: ٣٢.
٣ . القصص: ١٥.
٤ . الأنعام: ٦٥.
٥ . البينة: ٧.

١. أخرج ابن مردويه عن عائشة، قالت: قلت: يا رسول الله مَن أكرم الخلق على الله؟ قال: «يا عائشة أما تقرئين: ﴿إِنَّ الَّذِين آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيرُ البَرِيَّةِ﴾».[١]

٢ ـ أخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال: كنّا عند النبيّ ﷺ فأقبل عليّ فقال النبيّ: «والذي نفسي بيده إنّ هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة»، ونزلت: ﴿إِنَّ الَّذِين آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيرُ البَرِيَّةِ﴾ فكان أصحاب النبيّ إذا أقبل عليّ قالوا: جاء خير البريّة.[٢]

٣ ـ أخرج ابن عدي وابن عساكر عن أبي سعيد مرفوعاً: «عليّ خير البريّة».[٣]

٤ ـ وأخرج ابن عدي عن ابن عبّاس قال: لمّا نزلت: ﴿إِنَّ الَّذِين آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيرُ البَرِيَّةِ﴾ قال رسول الله ﷺ لعليّ: «هو أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيّين».[٤]

٥ ـ أخرج ابن مردويه عن عليّ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «ألم تسمع قول الله: ﴿إِنَّ الَّذِين آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيرُ البَرِيَّةِ﴾ أنت وشيعتك، موعدي وموعدكم الحوض إذا جاءت الأُمم للحساب تدعون غرّاً محجّلين».[٥]

هذه نبذة ممّا روي عن الرسول ﷺ في إطلاقه لفظ الشيعة على مَن

---

١. الدر المنثور: ٦ / ٥٨٩؛ تفسير الآية السابعة من سورة البيّنة.

٢ و ٣ و ٤ و ٥. الدر المنثور: ٦ / ٥٨٩.

يشايعون علياً عليه السلام، ومن أراد التفصيل فليرجع إلى المصادر التالية:

١. تفسير الطبري الجزء الأخير (تفسير سورة البيّنة).

٢. الدر المنثور ج ٦ ص ٥٨٩ (تفسير سورة البيّنة).

وهذه النصوص المتضافرة الغنيّة عن ملاحظة أسانيدها تعرب عن كون علي عليه السلام متميزاً بين أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنّ له شيعة وأتباعاً، ولهم مواصفات وسمات كانوا مشهورين بها في حياة النبي وبعدها .

### ٣. نشوء المذهب الشيعي

إنّ التشيّع ليس مسلكاً كلامياً كالاعتزال حتّى نبحث عن مبدأ نشوئه وعلل وجوده، ولا هو وليد حادثة من الحوادث كالخوارج، بل أنّ التشيّع عبارة عن الاعتقاد باستمرار القيادة الإسلامية في قالب الوصاية لعلي وعترته، وهذا هو نفس التشيّع وروحه وأصله؛ وأمّا سائرما يعتقده الشيعة من أُصول وفروع فليست دخيلة في صدق التشيّع ثبوتاً ونفياً، فالذي يقوم به صرح التشيّع هو ما ذكرنا من استمرار القيادة الإسلامية في قالب الوصاية لعلي عليه السلام.

وهذه الفكرة قد غرست بيد النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أيّام حياته وتبنّاها جمع من المهاجرين والأنصار في عصره صلى الله عليه وآله وسلم وبقوا عليها بعد حياته، واقتدى بهم جمع آخرمن التابعين لهم بإحسان، وتواصل الاعتقاد بهذا الأصل من العصور الماضية إلى زماننا الحالي .

وعلى هذا فليس للتشيّع تاريخ غير تاريخ الإسلام، وليس له مبدأ ظهور غير مبدأ ظهور الإسلام نفسه، وفي الحقيقة إنّ الإسلام والتشيّع وجهان لعُملةٍ واحدةٍ، أو وَجهان لحقيقة واحدةٍ، وتوأمان وُلدا في زمن واحد.

والدليل على ذلك ـ على نحو الإجمال والإيجاز، إذ قد فصّلناه في محلّه ـ الأُمور التالية:

### أ. الإشادة بفضائل علي ﷺ

لقد تحدّث النبي ﷺ أيّام حياته عن فضائل الإمام علي ومناقبه، وكذا عن قيادته وزعامته للأُمّة الإسلامية من بعده مراراً وفي مناسبات مختلفة، يشهد على ذلك التاريخ المدوّن. وكان هذا النوع من الإشادة سبباً في التفاف فريق من الصحابة حول الإمام علي ﷺ في حياة النبي الأكرم ﷺ، وجعلوا يتبعونه ويقتدون به بما أنّه المثل الأعلى للفضائل العالية والمناقب الحسنة .

### ب. حديث بدء الدعوة (الدار)

بعث الرسول الأكرم ﷺ لهداية الناس من الوثنية إلى الوحدانية، فأخذ بالدعوة سراً ونشر دعوته خفاءً عدة سنوات إلى أن نزل قوله سبحانه: ﴿وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[١] وعند ذلك جمع النبي وجوه بني هاشم

---

١. الشعراء: ٢١٤.

وشخصياتهم فعرض عليهم نبوته وقال: «فأيّكم يؤمن بي ويؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم». فلم يقم إلّا عليّ، ثمّ كرّر دعوته ثانية وثالثة، ففي كل مرّة يحجم القوم عن تلبية دعوته ويقوم علي ويعلن استعداده لمؤازرة النبي ﷺ، فعند ذلك قال ﷺ: «إنّ هذا أخي ووصيّي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا» .[١]

## ج. حديث المنزلة

روى أصحاب السّير والحديث أنّ رسول الله ﷺ خرج إلى غزوة تبوك وخرج الناس معه فقال له علي: أخرج معك؟ فقال ﷺ: «لا» فبكى علي، فقال له رسول الله ﷺ: «أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي، إنّه لا ينبغي أن أذهب إلّا وأنت خليفتي».[٢] والاستثناء يدلّ على ثبوت كلّ ما لهارون من المناصب لعلي سوى النبوة.

## د. إعلان البراءة من المشركين

لمّا نزلت آيات من سورة التوبة ورفع الأمان فيها عن المشركين علّم النبي ﷺ أبا بكر تلك الآيات ووجّهه صوب مكّة يرافقه أربعون رجلاً، ليتلوها على مسامع الناس يوم عيد الأضحى، إلّا أنّ جبرائيل عليه السلام نزل على النبي ﷺ وقال: «إنّه لايؤدّي عنك إلّا أنت أو رجل منك» ممّا جعل

---

١ . راجع مسند أحمد: ١ / ١١١ ؛ تاريخ الطبري: ٢ / ٦٢ ـ ٦٣ ؛ الكامل في التاريخ: ٢ / ٤٠ ـ ٤١. إلى غير ذلك من المصادر المتضافرة.

٢ . صحيح البخاري: ج ٥، باب فضائل أصحاب النبي، باب مناقب علي، ص ٢٤ .

النبي ﷺ أن يطلب من الإمام علي عليه السلام القيام بهذه المهمة، فقال له: «إلحق أبا بكر فخذ الآيات من يده وامض بها إلى مكّة وانبذ بها عهد المشركين إليهم». أي إقرأ على الناس الوافدين إلى منى من شتى أنحاء الجزيرة العربية آيات براءة. [١]

### هـ. مشاركة علي في المباهلة

لمّا امتنع نصارى نجران من إعطاء الجزية اتّفقوا مع النبي ﷺ على المباهلة فنزل قوله سبحانه على إنجازها قال: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾[٢]، فدعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: «اللهم هؤلاء أهلي» ولم يشارك غيرهم في تلك الساعة الخطيرة ولم يعدل بهم إلى غيرهم، وكأنّه لم يكن على أديم الأرض من له الجدارة التامة للتأمين على دعاء الرسول ﷺ غيرهم.

### و. حديث الغدير:

إنّ هذا الحديث من الأحاديث المتواترة الّتي رواها الصحابة والتابعون في كلّ عصر وجيل، ولسنا بصدد ذكر مصادره وبيان تواتره، بل بصدد أنّ تلك الحادثة المهمة في تاريخ الإسلام وقول النبي الأكرم ﷺ

---

١ . تفسير الطبري: ١٠ / ٤٧؛ وتفسير الدر المنثور: ٤ / ١٢٢ وغير ذلك .

٢ . آل عمران: ٦٠ .

فيها وهو على أحداج الإبل: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه» أدّت إلى التفاف عدد من المهاجرين والأنصار حول علي عليه السلام بما أنّه محور الهداية والقيادة بعد النبي صلى الله عليه وآله. وهذا هو حسان بن ثابت شاعر عهد الرسالة قد أفرغ قول النبي صلى الله عليه وآله في شعره. فقال:

وقال له قم يا علي فإنّني رضيتك من بعدي إماماً وهاديا

**حصيلة البحث**

هذه الأحداث المهمة في حياة علي عليه السلام تعرب عن أنّ النبي صلى الله عليه وآله يعرف علياً بأنّه الإنسان الصالح للقيادة الحكيمة بعد رحيله، وأنّ له مواهب وقابليات ليست لغيره .

ولذا فقد تابعه عدة من المهاجرين والأنصار خاصّة من الذين لم يكن في قلوبهم غيض أو ضغن عليه وعرفوا هؤلاء بشيعة علي.

فعلى هذا يكون التشيّع هو نفس الإسلام ووجهاً آخر له يرمز إلى أصل إسلامي، وهو أنّ القيادة الحكيمة والهداية العلمية مرتكزتان في علي بتنصيب من النبي صلى الله عليه وآله، فمن فهم ذلك ووعاه شايع علياً وتابعه، وعرفوا بشيعة علي في عصر النبي صلى الله عليه وآله، فبقوا على هذه العقيدة بعد رحيله، وتبعهم على ذلك جموع من التابعين وتابعيهم إلى يومنا هذا .

وقد صرح بهذا جماعة من المؤلّفين يقول النوبختي: الشيعة هم أتباع علي بن أبي طالب عليه السلام المسمّون بشيعة علي عليه السلام في زمان النبي صلى الله عليه وآله وبعده،

معروفون بانقطاعهم إليه والقول بإمامته .[١]

وقال أبو الحسن الأشعري: وإنّما قيل لهم (شيعة) لأنّهم شايعوا عليّاً، ويقدّمونه على سائر أصحاب رسول الله ﷺ.[٢]

وقال الشهرستاني: الشيعة هم الذين شايَعوا عليّاً على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافتِهِ نصّاً ووصيّة.[٣]

إنّ التفاف عدّة من المهاجرين والأنصار ـ الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ـ حول علي ؑ بعد سماع هذه الروايات الحاثّة، واشتهار طائفة في عصر الرسالة بشيعة علي، نتيجة تلك المواصفات في حق علي ؑ، أمر طبيعي وليس بغريب جعل الإسلام والتشيّع، توأمان تولّدا معاً، وسيبقيان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

بقي هنا أمران جديران بالبحث والدراسة، وهما:

١. انحياز روّاد النص (الشيعة) عن غيرهم.

٢. روّاد التشيع في صدر الإسلام .

وإليك دراسة الأمرين:

---

١ . فرق الشيعة: ١٧ .

٢. مقالات الإسلاميين: ١ / ٦٥ .

٣. الملل والنحل: ١ / ١٣١ .

### ا. انحياز روّاد النصّ (الشيعة) عن غيرهم

قد ظهر ممّا سبق: انّ الرسول ﷺ هو الّذي بذر بذرة التشيع وغرس نواته الأُولى في حال حياته ورباها بقوله وفعله وعرّف علياً عليه السلام بفضائله ومناقبه، فصار ذلك سبباً لالتفاف جماعة من الصحابة حول علي عليه السلام. ولمّا التحق الرسول الأكرم ﷺ بالرفيق الأعلى صار المسلمون على طائفتين :

**الأُولى:** هم الجماعة الذين بقوا على ما كانوا عليه في عهد الرسول الأكرم ﷺ في اعتقادهم أنّ منصب القيادة الإسلامية الحكيمة منحصر في علي عليه السلام في المجالين السياسي والعلمي، وقد احتجّوا بذلك على الآخرين بحديث الغدير وغيره، وهم الذين سمّوا بالشيعة والموالين لعلي وأهل بيته، وقد بقوا على ذلك ولم يؤثر على عقيدتهم انتزاع الخلافة من أهل بيت النبي ﷺ إلى غيرهم .

**الطائفة الثانية:** وهم الذين رجّحوا المصالح المزعومة على تنصيص النبي ﷺ، فحصل لهم اجتماع في سقيفة بني ساعدة والذي عقده الأنصار بأنفسهم دون أن يطلعوا المهاجرين، لأنّهم كانوا مشغولين بتجهيز النبي ﷺ، وبعد أن اطّلع عمر وأبو بكر باجتماع الأنصار هناك لتعيين الخليفة قال عمر لأبي بكر: انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار لنرى ماهم عليه، فدخلا ومعهما بعض المهاجرين كأبي عبيدة بن الجراح، وكان خطيب الأنصار ونقيبهم سعد بن عبادة يخطب ويحثّ الأنصار على الأخذ

بمقاليد الخلافة بحجة أنّهم آووا النبي الأكرم ﷺ عندما أخرجه قومه، وضحّوا في سبيل دعوته بكلّ غالٍ ونفيس .

فلمّا أتمّ كلامه ابتدأ أبو بكر بالكلام فاستند إلى أن اللائق بالخلافة هم قوم النبي وقبيلته، بحجّة أنهم أوسط العرب داراً وأحسنهم أحساباً، ولم يكتف بذلك حتّى أخذ بيد عمر بن الخطاب وأبي عبيدة بن الجراح ورشّحهما للبيعة .

## وقفة مع احتجاجات القوم

كان اللازم على الحاضرين في السقيفة **أوّلاً**: تقديم النص على القيم القبَليّة آخذين بقوله سبحانه: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ**﴾[1]، ولكن القوم كانوا معتادين على تقديم المصالح على النصّ، وليس هذه أوّل قارورة تكسر، بل كان للتقديم هذا جذور في حياة النبي ﷺ تبعته حوادث كثيرة ربما تناهز ستين مورداً قد قدّموا فيها المصالح على النص.

وثانياً: لو افترضنا أنّهم رأوا أنّ مصالح الإسلام في تناسي النص كان لزاماً عليهم أن يتفحّصوا عن أعلم القوم بالكتاب والسنّة وأكثرهم دراية بهما، وأقواهم وأخشنهم في ذات الله، وأسبقهم إلى الإيمان والإسلام. كما هو الوارد عن الكتاب والسنّة، قال سبحانه: ﴿**الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ**

---

١ . الأحزاب: ٣٦ .

أَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَ آتَوُا الزَّكَاةَ وَ أَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَ نَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَ للهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴾[1].

قال الإمام علي عليه السلام: «أيّها الناس إنّ أحقّ الناس بهذا الأمر أقواهم عليه وأعلمهم بأمر الله».[2]

وقال الإمام السبط الطاهر الحسين بن علي عليه السلام: «فما الإمام إلّا الحاكم بالكتاب، الدائن بدين الحق، القائم بالقسط، الحابس نفسه على ذات الله».[3]

وأين هذه الملاكات والضوابط ممّا جاء في احتجاجات المهاجرين والأنصار؟!

## حصيلة مناقشات السقيفة

كان النزاع بين الطائفتين محتدماً على قدم وساق، إلى أن قال عمر بن الخطاب لأبي بكر: ابسط يدك يا أبا بكر، فبسط يده فبايعه، ثم بايعه المهاجرون الثلاثة الحاضرون هناك، فصار ذلك ذريعة لئن يبايعه رئيس قبيلة الأوس خوفاً من أن يكون النجاح لسعد بن عبادة رئيس قبيلة الخزرج، وقد اكتفى المهاجرون بهذا المقدار من البيعة فخرجوا من السقيفة داعين الناس لبيعة أبي بكر.

---

١. الحج: ٤١.

٢. نهج البلاغة: الخطبة رقم ١٧٣.

٣. روضة الواعظين: ٢٠٦.

إنّ دراسة ما جرى في السقيفة ـ من الضرب والشتم ـ وتحليل الأحداث المريرة الّتي جرت بعدها يُحوجنا إلى تأليف كتاب مفرد لسنا بصدده الآن .

ونقتصر في بيانها بكلمة عمر بن الخطاب الّذي رفع الستر عمّا جرى فيها بعد حُقَب من الزمن وقال:

كانت بيعة أبي بكر فلتة كفلتة الجاهلية وقى الله المسلمين شرّها ـ أو قال ـ كانت بيعة أبي بكر فلتة فتمّت، وانها قد كانت كذلك إلّا أنّ الله قد وقى شرّها ـ فمن بايع رجلاً عن غير مشورة من المسلمين فإنّه لا بيعة له .[1]

## ٢. روّاد التشيع في صدر الإسلام

قد عرفت أنّ العنصر المقوّم للتشيع هو الاعتقاد بأنّ القيادة الإسلامية الحكيمة في حقلي التعليم والسياسة منحصرة في علي وأهل بيته، وهذا هو الأصل الجامع بين الشيعة، وهذا الأصل يمثل العمود الفقري بين سائر المسائل الأُصولية، ولأجل أن نتعرف على روّاد التشيع والمتمسكين بهذا المبدأ نذكر أسماء عدد من الصحابة من الشيعة من بني هاشم وغيرهم:

١ ـ عبد الله بن عبّاس.

٢ ـ الفضل بن العبّاس.

٣ ـ عبيد الله بن العبّاس.

٤ ـ قثم بن العبّاس.

١. السيرة النبوية: ٢ / ٦٥٨؛ تاريخ الطبري: ٢ / ٤٤٦ .

٥ ـ عبد الرحمن بن العبّاس. ٦ ـ تمام بن العبّاس.

٧ ـ عقيل بن أبي طالب. ٨ ـ أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب.

٩ ـ نوفل بن الحرث. ١٠ ـ عبد الله بن جعفر بن أبي طالب.

١١ ـ عون بن جعفر. ١٢ ـ محمّد بن جعفر.

١٣ ـ ربيعة بن الحرث بن عبد المطّلب. ١٤ ـ الطفيل بن الحرث.

١٥ ـ المغيرة بن نوفل بن الحارث. ١٦ ـ عبدالله بن الحرث بن نوفل.

١٧ ـ عبدالله بن أبي سفيان بن الحرث. ١٨ ـ العبّاس بن ربيعة بن الحرث.

١٩ ـ العبّاس بن عتبة بن أبي لهب. ٢٠ ـ عبدالمطّلب بن ربيعة بن الحرث.

٢١ ـ جعفر بن أبي سفيان بن الحرث.

هؤلاء من مشاهير بني هاشم، وأمّا غيرهم فإليك أسماء طائفة منهم:

٢٢ ـ سلمان الفارسي المحمّدي. ٢٣ ـ المقداد بن الأسود الكندي.

٢٤ ـ أبو ذرّ الغفاري. ٢٥ ـ عمّار بن ياسر.

٢٦ ـ حذيفة بن اليمان. ٢٧ ـ خزيمة بن ثابت.

٢٨ ـ أبو أيوب الأنصاري، مضيّف النبيّ ﷺ.

٢٩ ـ أبو الهيثم مالك بن التيهان.

٣٠ ـ أُبيّ بن كعب. ٣١ ـ سعد بن عبادة.

٣٢ ـ قيس بن سعد بن عبادة. ٣٣ ـ عديّ بن حاتم.

٣٤ ـ عبادة بن الصامت.
٣٥ ـ بلال بن رباح الحبشي.
٣٦ ـ أبو رافع مولى رسول الله.
٣٧ ـ هاشم بن عتبة.
٣٨ ـ عثمان بن حنيف.
٣٩ ـ سهل بن حنيف.
٤٠ ـ حكيم بن جبلة العبدي.
٤١ ـ خالد بن سعيد بن العاص.
٤٢ ـ ابن الحصيب الأسلمي.
٤٣ ـ هند بن أبي هالة التميمي.
٤٤ ـ جعدة بن هبيرة.
٤٥ ـ حجر بن عديّ الكندي.
٤٦ ـ عمرو بن الحمق الخزاعي.
٤٧ ـ جابر بن عبد الله الأنصاري.
٤٨ ـ محمّد بن أبي بكر.
٤٩ ـ أبان بن سعيد بن العاص.
٥٠ ـ زيد بن صوحان العبدي.

هؤلاء خمسون صحابياً من الطبقة الأُولى للشيعة، فمن أراد التفصيل والوقوف على حياتهم وتشيّعهم فليرجع إلى الكتب المؤلّفة في الرجال، ولكن بعين مفتوحة وبصيرة نافذة.

وفي الختام نورد ما ذكره محمّد كرد عليّ في كتابه «خطط الشام» قال: عرف جماعة من كبار الصحابة بموالاة عليّ في عصر رسول اللهﷺ مثل سلمان الفارسي القائل: بايعنا رسول الله على النصح للمسلمين والائتمام بعليّ بن أبي‌طالب والموالاة له.

ومثل أبي سعيد الخدري الذي يقول: أُمر الناس بخمس فعملوا

بأربع وتركوا واحدة، ولمّا سئل عن الأربع، قال: الصلاة، والزكاة، وصوم شهر رمضان، والحجّ.

قيل: فما الواحدة التي تركوها؟

قال: ولاية عليّ بن أبي طالب.

قيل له: وإنّها لمفروضة معهنّ؟

قال: نعم هي مفروضة معهنّ.

ومثل أبي ذر الغفاري، وعمّار بن ياسر، وحذيفة بن اليمان، وذي الشهادتين خزيمة بن ثابت، وأبي أيّوب الأنصاري، وخالد بن سعيد، وقيس بن سعد بن عبادة.[1]

## ٤. افتراضات وهمية حول نشوء الشيعة

قد تعرّفت على أنّ نشوء مذهب التشيع ليس وليد نتيجة الجدل الكلامي ولم يكن من نتاج السياسات الزمنية، وإنّما نشأ بنشوء الإسلام، لأنّ الباذر الأوّل للتشيّع هو ذاته رسول الإسلام محمد ﷺ، إذ إنّ التشيّع والإسلام هما وجهان لعملة واحدة، إلّا أنّ جماعةمن المؤرّخين وكتّاب المقالات صوّروا أنّ التشيّع أمر حادث وطارئ على المجتمع الإسلامي، فأخذوا يُفتشون عن مبدئه ومصدره، وسوف نتناول بعض الافتراضات المهمة ونناقشها ونجيب عنها واحداً بعد الآخر.

---

١. خطط الشام: ٥ / ٢٥١.

### الافتراض الأوّل:

## التشيّع صنيع عبد الله بن سبأ

لنقرأ ما كتبه الطبري حول هذا الوهم المصطنع:

قال: «إنّ يهودياً باسم عبد الله بن سبأ المكنّى بابن السوداء في صنعاء أظهر الإسلام في عصر عثمان، واندسّ بين المسلمين، وأخذ يتنقّل في حواضرهم وعواصم بلادهم: الشام، والكوفة، والبصرة، ومصر، مبشّراً بأنّ للنبيّ الأكرم رجعة كما أنّ لعيسى بن مريم رجعة، وأنّ عليّاً هو وصي محمّدﷺ كما كان لكلّ نبيّ وصي، وأنّ عليّاً خاتم الأوصياء كما أنّ محمّداً خاتم الأنبياء، وأنّ عثمان غاصب حقّ هذا الوصيّ وظالمه، فيجب مناهضته لإرجاع الحقّ إلى أهله».

«إنّ عبد الله بن سبأ بثّ في البلاد الإسلامية دعاته، وأشار عليهم أن يظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والطعن في الأُمراء، فمال إليه وتبعه على ذلك جماعات من المسلمين، فيهم الصحابي الكبير والتابعي الصالح من أمثال أبي ذر، وعمّار بن ياسر، ومحمّد بن حذيفة، وعبد الرحمن بن عديس، ومحمّد بن أبي بكر، وصعصعة بن صوحان العبدي، ومالك الأشتر، إلى غيرهم من أبرار المسلمين وأخيارهم، فكانت السبئية تثير الناس على ولاتهم، تنفيذاً لخطّة زعيمها، وتضع كتباً في عيوب

الأمراء وترسل إلى غير مصرهم من الأمصار. فنتج عن ذلك قيام جماعات من المسلمين ـ بتحريض السبئيين ـ وقدومهم إلى المدينة وحصرهم عثمان في داره، حتّى قتل فيها، كلّ ذلك كان بقيادة السبئيّين ومباشرتهم».

«إنّ المسلمين بعد ما بايعوا عليّاً، ونكث طلحة والزبير بيعته وخرجا إلى البصرة، رأى السبئيّون أنّ رؤساء الجيشين أخذوا يتفاهمون، وأنّه إنّ تمّ ذلك سيؤخذون بدم عثمان، فاجتمعوا ليلاً وقرّروا أنّ يندسّوا بين الجيشين ويثيروا الحرب بكرة دون علم غيرهم، وأنّهم استطاعوا أنّ ينفّذوا هذا القرار الخطير في غلس الليل قبل أن يتنبه الجيشان المتقاتلان، فناوش المندسّون من السياسيين في جيش عليّ من كان بأزائهم من جيش البصرة، ففزع الجيشان وفزع رؤساؤهما، وظنّ كلّ بخصمه شرّاً، ثمّ إنّ حرب البصرة وقعت بهذا الطريق، دون أن يكون لرؤساء الجيشين رأي أو علم».[1]

إلى هنا انتهت قصة السبئية الّتي يذكرها الطبري في تاريخه في أحداث سنوات ٣٠ ـ ٣٦ للهجرة، وقد أخذ ذلك مَن جاء بعده من المؤرخين وكتاب المقالات كحقيقة راهنة، وبنوا عليها ما بنوا من الأفكار والآراء، فصارت الشيعة وليدة السبئية في زعم هؤلاء عبر القرون والأجيال، ولا حاجة لنا في ذكر أسماء من اتّخذ قصة الطبري مسنداً لادّعائه.

هذا حال من كتب عن الشيعة من المسلمين، وأمّا المستشرقون

---

١. تاريخ الطبري: ٣ / ٣٧٨.

المتطفّلون على موائد المسلمين فقد اتّبعوا تلك الفرضية الخاطئة في بحوثهم.

## نظر المحقّقين في الفرضية

١. ما سرده الطبري من قصة ـ مع الغض عمّا في سندها من مجاهيل ـ أشبه بالأساطير والخرافات، إذ كيف يصح لإنسان أن يصدّق أنّ يهودياً جاء من صنعاء وأسلم في عصر عثمان، واستطاع أن يُغري كبار الصحابة والتابعين، ويخدعهم ويطوف بين البلاد واستطاع أن يكوّن خلايا ضد عثمان ويستقدمهم إلى المدينة ويؤلّبهم على الخلافة الإسلامية، فيهاجموا داره ويقتلوه، بمرأى ومسمع من الصحابة العدول ومن تبعهم بأحسان، هذا شيء لا يحتمله العقل وإن وطّن نفسه على قبول العجائب والغرائب!!

إنّ هذه القصة تمسّ كرامة المسلمين والصحابة والتابعين وتصوّرهم أُمّة ساذجة يغترون بفكر يهودي ماكر متظاهر بالإسلام دون أن يعرفوه، وفيهم السادة والقادة والعلماء والمفكّرون!!

٢. انّ القراءة الموضوعية لسيرة عثمان بن عفان ومعاوية بن أبي سفيان تثبت أنّهما لا يسمحان للمعارضين بالتحرك في البلاد الإسلامية وبثّ الدعاية ضدهم، والشاهد على ذلك:

أ. لما خالف أبو ذر عثمان بن عفان نفاه من المدينة إلى الربذة، لاعتراضه عليه في تقسيم الفيء وبيت المال على أبناء عمومته.

ب. ضرب عثمان عمّار بن ياسر حتّى انفتق له فتقاً في بطنه

وكسر عمّاله ضلعاً من أضلاعه.[١]

إلى غير ذلك من الأحداث الّتي جرت على المعارضين المخالفين للخلافة الذين نفوا من عقر دارهم.

فلماذا لم يتعامل معه، بالأسلوب الّذي تعامل به مع الآخرين.

يقول العلاّمة الأميني: لو كان ابن سبأ بلغ هذا المبلغ من إلقاح الفتن، وشقّ عصا المسلمين، وقد علم به وبعيثه أُمراء الأُمّة وساستها في البلاد، وانتهى أمره إلى خليفة الوقت، فلماذا لم يقع عليه الطلب؟ ولم يبلغه القبض عليه، والأخذ بتلكم الجنايات الخطرة، والتأديب بالضرب والإهانة، والزجّ إلى أعماق السجون؟ ولا آل أمره إلى الإعدام المريح للأُمّة من شرّه وفساده كما وقع ذلك كلّه على الصلحاء الأبرار الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر؟ وهتاف القرآن الكريم يرنُّ في مسامع الملأ الديني: ﴿إِنَّما جَزَاءُ الَّذِينَ يُحارِبُونَ الله وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أو تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوا مِنَ الأَرضِ ذَلِك لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٢] فهلا اجتاح الخليفة جرثومة تلك القلاقل بقتله؟ وهل كان تجهّمه وغلظته قصراً على الأبرار من أُمّة محمّد ﷺ ففعل بهم ما فعل ؟!![٣]

---

١. الاستيعاب: ٢ / ٤٢٢.

٢. المائدة: ٣٣.

٣. الغدير: ٩ / ٢١٩ ـ ٢٢٠.

٣. ان رواية الطبري نقلت عن أشخاص لا يصحّ الاحتجاج بهم، وإليك من ورد في سند هذه القصة:

أ. السري: ان السري الّذي يروي عنه الطبري مردّد بين رجلين:

١. السري بن إسماعيل الهمداني الّذي كذّبه يحيى بن سعيد وضعّفه غير واحد من الحفاظ.[1]

٢. السري بن عاصم بن سهل الهمداني الّذي أدرك الطبري شطراً من حياته، كذبه غير واحد من علماء الرجال وعدّوه من الوضّاعين .[2]

ب. شعيب والمراد به شعيب بن إبراهيم الكوفي المجهول، قال ابن عدي: ليس بالمعروف، وقال الذهبي: راوية كتب سيف عنه، فيه جهالة .[3]

ج. سيف بن عمر: وهذا هو رأس الفتنة ـ قال ابن حِبّان: كان سيف بن عمر يروي الموضوعات عن الأثبات، وقال: قالوا: انّه كان يضع الحديث، واتّهم بالزندقة.[4] إلى غير ذلك من الكلمات الكاشفة عن سوء سريرته وفساد عقيدته وعدم اكتراثه عن الوضع والكذب.

فإذا كان هذا هو حال السند، فكيف نعتمد في تحليل نشوء طائفة كبيرة من طوائف المسلمين تشكّل خمسهم أو ربعهم على تلك الرواية مع أنّ هذا هو حال سندها، فالاعتماد عليها خداع وضلال .

---

١ . ميزان الاعتدال: ٢ / ١١٧ .

٢ . ميزان الاعتدال: ٢ / ١١٧ ؛ لسان الميزان: ٣ / ١٢ .

٣ . ميزان الاعتدال: ٢ / ٢٧٥ ؛ لسان الميزان: ٢ / ١٤٥ .

٤ . ميزان الاعتدال: ١ / ٤٣٨ ؛ تهذيب التهذيب: ٤ / ٢٩٥.

## عبد الله بن سبأ اسطورة تاريخية

إلى الآن قد فرضنا أنّ لعبد الله بن سبأ وجوداً خارجياً يحلم بإفساد الأمر على المسلمين، والّذي ننكره هو نجاح رجل يهودي ماكر متظاهر بالإسلام إلى هذه الدرجة من القوة بحيث يستطيع أن يفسد الأمر على الخلافة ويبث دعاته في الأمصار ويكاتب الآخرين حتّى ينتهي الأمر إلى قتل الخليفة، وبالتالي إلى تقابل الجيشين في البصرة وإفساده الأمر عليهم، واختراع مذهب باسم الشيعة و...

والآن نعود إلى حقيقة أُخرى كشف عنها المحقّقون المعاصرون، وهي أنّ الشواهد والقرآئن تشهد بأنّ مثل عبد الله بن سبأ مثل مجنون بني عامر وبني هلال، وأمثال هؤلاء الرجال والأبطال كلّها أحاديث خرافية قصّها القصّاصون وأرباب السمر والمجون كي تأنس بها ربّات الحجال وأبناء الترف والنعمة، وأمّا على أرض الواقع فلا وجود لها، وهذه الحقيقة هي الّتي انتهى إليها الدكتور طه حسين في كتابه «الفتنة الكبرى» وقد تبعه غير واحد من المستشرقين، ومن أراد أن يقف على ما حقّقه هؤلاء الأكابر حول عبد الله بن سبأ فليرجع إلى المصادر المذكورة في الهامش[1].

---

١ . أ. أصل الشيعة وأصولها لكاشف الغطاء ص ٧٣ .

ب. الفتنة الكبرى لطه حسين ص ١٣٤، فصل ابن سبأ.

ج. الغدير : ٩ / ٢٢٠.

د. عبد الله بن سبأ للسيد مرتضى العسكري.

هـ. نظرية الإمامة للدكتور أحمد محمود صبحي: ٣٧.

**الافتراض الثاني:**

## التشيع فارسي المبدأ أو الصبغة

وهنا تطرح فرضية ثانية اخترعها المستشرقون لنشوء الشيعة في المجتمع الإسلامي، وهؤلاء كغيرهم من الباحثين اعتقدوا بأنّ التشيع ظاهرة حدثت بعد رحيل النبي الأكرم ﷺ، فأخذوا يفتشون عن علّتها وسبب حدوثها حتّى انتهوا إلى أنّ التشيع فارسي المبدأ أو الصبغة .

وهذه الفرضية اخترعها المستشرق «دوزي» وحاصلها: أنّ للمذهب الشيعي نزعة فارسية لأنّ العرب كانوا يدينون بالحرية، والفرس يدينون بالملك والوراثة ولا يعرفون معنى الانتخاب، ولمّا انتقل النبي ﷺ إلى دار البقاء ولم يترك ولداً قالوا عليٌ أولى بالخلافة من بعده.

وبتعبير موجز: أنّ الانسجام الفكري بين الفرس والشيعة ـ أعني: كون الخلافة أمراً وراثياً ـ دليل على أنّ التشيّع وليد الفرس.

وهذه الفرضية أشبه بالفرضية السابقة من الضعف حيث إنّها دعوى بلا برهان، بل هي دعوى تكذّبها الشواهد الكثيرة الدالّة على أنّ التشيّع عربي المبدأ؛ وهي:

**أوّلاً:** إنّ التشيّع حسب ما عرفت ظهر في عصر النبي الأكرم ﷺ وهو

الّذي سمّي أتباع علي ﷺ بالشيعة، وكانوا متواجدين في عصر النبي وبعده، إلى زمن لم يدخل أحد من الفرس سوى سلمان، في الإسلام.

إنّ رواد التشيع في عصر الرسول ﷺ والوصي ﷺ كانوا كلّهم عرباً، ولم يكن بينهم أي فارسي سوى سلمان المحمدي.

ثانياً: كان لأبي الحسن الإمام علي بن أبي طالب ﷺ أيام خلافته ثلاثة حروب، هي: حرب الجمل، وصفين والنهروان؛ وكان جيشه كلّه عرباً أقحاحاً بين عدنانيّ وقحطانيّ، فقد انضم إلى جيشه زرافات من قريش والأوس والخزرج، ومن قبائل مذحج وهمدان وطي وكندة وتميم، ومضر، وكان زعماء جيشه من رؤوس هذه القبائل، كهاشم المرقال، ومالك الأشتر، وصعصعة بن صوحان وأخوه زيد، وقيس بن سعد بن عبادة، وعبد الله بن عباس، ومحمّد بن أبي بكر، وحجر بن عدي، وعدي بن حاتم، وأضرابهم. وبهذا الجيش وبأُولئك الزعماء فتح أمير المؤمنين البصرة، وحارب القاسطين ـ معاوية وجنوده ـ يوم صفّين، وبهم قضى على المارقين.

فأين الفرس في ذلك الجيش وأُولئك القادة كي نحتمل أنّهم كانوا الحجر الأساس للتشيّع؟! ثمّ إنّ الفرس لم يكونوا الوحيدين ممّن اعتنقوا هذا المذهب دون غيرهم، بل اعتنقه الأتراك والهنود وغيرهم من غير العرب.

وقد شهد بما ذكرنا لفيف من المحقّقين من المستشرقين

وغيرهم، ونقتصر على ذكر قول واحد منهم:

قال المستشرق فلهوزن: كان جميع سكان العراق في عهد معاوية خصوصاً أهل الكوفة شيعة ولم يقتصر هذا على الأفراد، بل شمل القبائل ورؤوساء العرب.[1]

وثالثاً: انّ الإسلام كان ينتشر بين الفرس بالمعنى الّذي كان ينتشر به في سائر الشعوب، ولم يكن بلد إيران معروفاً بالتشيّع إلى أن انتقل قسم من الأشعريين الشيعة إلى قم وكاشان، فبذروا التشيّع، وكان ذلك في أواخر القرن الأوّل مع أنّ الفرس دخلوا في الإسلام في عهد الخليفة الثاني أي من سنة ١٧ هـ، وهذا يعني أنّه قد انقضى عشرات الأعوام ولم يكن عندهم أثر من التشيّع.

يقول السيد الأمين: إنّ الفرس الذين دخلوا الإسلام لم يكونوا شيعة في أوّل الأمر إلّا القليل، وجلّ علماء السنّة وأجلاؤهم من الفرس كالبخاري والترمذي والنسائي وابن ماجة والحاكم النيسابوري وهكذا غيرهم ممّن أتوا في الطبقة التالية.[2]

نعم ربّما يستدلّ على أنّ التشيع فارسي المبدأ في اتفاقهما في أنّ الخلافة أمراً وراثياً في منطق الشيعة والفرس، حيث كان الأمر كذلك في عهد ملوك بني ساسان وغيرهم، ولكن ذلك ذريعة باطلة حيث إنّ الخلافة

---

١. الخوارج والشيعة: ٢٤١ ـ ٢٤٨.

٢. أعيان الشيعة: ١ / ٣٣، الطبعة الخامسة.

عند الشيعةليست وراثية، بل هي أمر تنصيصي، غاية الأمر أنّ الله سبحانه جعل نور الإمامة في بيوت خاصة ينصّ كلّ إمام على إمامة إمام آخر بعده.

والّذي يقرّب ذلك أنّه سبحانه تبارك وتعالى جعل النبوة في ورثة إبراهيم فكان يتوارث نبيّ نبياً ووصيّ وصياً، قال سبحانه: ﴿وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وَ إِبْرَاهِيمَ وَ جَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَ الْكِتَابَ﴾[1]. فلماذا لا تكون الإمامة في التوارث كالنبوة في ذرية إبراهيم عليه السلام؟!

رابعاً: مَن قرأ تاريخ الفرس وحياة علمائهم ودخولهم في التسنّن والتشيّع يقف على أنّ التسنّن كان هو السائد عليهم إلى أوائل القرن العاشر حتّى غلب عليهم التشيّع في العصر الصفوي.

نعم كانت الري وقم وكاشان معقل الشيعة، وهذه المدن بالنسبة إلى سائر البلاد الفارسية صغيرة جداً.

قال بروكلمان: إنّ الشاه الصفوي إسماعيل لمّا انتصر على ألوند توجه نحو تبريز فأعلمه علماء الشيعة في تبريز أن ثلثي سكان المدينة ـ الذين يبلغ عددهم ثلاثمائة ألف ـ من السنّة.[2]

هذه بعض الفروض الّتي افترضها عدة من الباحثين الذين فرضوا التشيع أمراً عارضاً على جسم الأمّة الإسلامية وذهبوا إلى افتراض علل لنشوئه، وأمّا نحن فقد ذكرنا أنّ جوهر التشيّع ليس له إلّا أصل واحد، وهو

---

١. الحديد: ٢٦.

٢. تاريخ المذاهب الإسلامية: ١ / ١٤٠.

كون القيادة بعد النبي ﷺ في مجالي العلم والسياسة لعلي عليه السلام ثم للأوصياء من بعده، فالتشيّع كالإسلام حجازي المولد والمنشأ اعتنقه العرب فترة طويلة ثم انتشر شيئاً فشيئاً بين الأُمة الإسلامية .

وأمّا سائر الافتراضات فليس لها قيمة حتّى نتطرق إلى مناقشتها.

## ٥. الشيعة الإمامية والخلافات السائدة بينهم وبين غيرهم من طوائف الشيعة:

كانت الشيعة بعد رحلة النبي الأكرم ﷺ كتلة واحدة يشايعون علياً وأهل بيته إلى أن وقعت رزية الطف واستشهد الإمام الحسين عليه السلام بيد الطغمة الغاشمة من بني أُمية فظهرت فرقة الكيسانية وهم القائلون بإمامة محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب، ثم تبعتها فرق أُخرى في الظهور حسب تطورات الأحداث مثل الزيدية أتباع زيد بن علي، والمغيرية، والمحمدية، والناووسية، والإسماعيلية، والسميطية، والفطحية، والواقفية، والخطّابية، والنصيرية، والمفوضة.

هذه فرق الشيعة الّتي ذكرها أصحاب المقالات والفرق، وقد انقرضت أكثرها وبادت وتشتّت آراؤها وطويت في سجل التاريخ ولم يبق منها إلّا ثلاث، هي: الإمامية، والزيدية، والإسماعيلية .

وعليه نسلّط الضوء بصورة مختصرة على فرقتي الزيدية والإسماعيلية والفارق الجوهري بينها وبين الشيعة الإمامية.

## الزيدية والإسماعيلية

الزيدية والإسماعيلية من فرق الشيعة كالإمامية، وقد اتّفقت الشيعة بطوائفها الثلاث على أنّ الرسول ﷺ أوصى لعلي بالوصاية والخلافة، وأمر بالتمسّك بالثقلين، وأنّه لا يعدل بهما إلى غيرهما.

والنقطة الفارقة الشاخصة الّتي تميّز المذهب الزيدي عن المذهب الإمامي هو القول باختصاص الوصاية عند الزيدية لعلي والحسنين عليهم السلام دون باقي الأئمة، بل الزعامة بعدهم لكل هاشمي عالم خارج بالسيف يدعو إلى إمامة نفسه، ولكن الإمامية يسوقون النصّ على اثني عشر خليفة، أوّلهم علي وآخرهم القائم المهدي عليه السلام.

ويقرب منهم الإسماعيلية فهم يسوقون النصّ بالإمامة إلى الإمام جعفر الصادق عليه السلام وبعده إلى ابنه اسماعيل ثمّ تستمر الإمامة في رأيهم في أولاد هؤلاء.

ثمّ إنّ لكلّ من الزيدية والإسماعيلية فرقاً تمتاز كلّ عن الآخر بآراء وأُصول، تطلب من محالّها.

## ٦. دور الشيعة في بناء الحضارة الإسلامية

للشيعة الإمامية دور في بناء صرح الحضارة الإسلامية الكبرى يتمثّل في تأسيس العلوم الإسلامية، فبرز منهم طلائع العلوم اللغوية والشرعية

كتفسير القرآن الكريم وعلم الحديث والفقه والرجال، كما طلع منهم عباقرة كذلك في العلوم الطبيعية كالجغرافيا والتاريخ والطب والكيمياء والرياضيات والهندسة وغيرها. والتاريخ حافل بأعلامهم ولهم في هذه المجالات جهود مشكورة، ومؤلّفاتهم مشهورة ذائعة تقرأ على رؤوس الأشهاد.

إن هذه الجهود الكبرى ـ الّتي بذلت في سبيل العلوم والثقافة وابتدأت من القرن الهجري الأوّل وحتّى هذا اليوم، وأسست من أجلها الحوزات والمدارس والجامعات والمعاهد العديدة ـ تمّت على أيدي علماء الشيعة، ورجالهم الذين لم يفتأوا لحظة واحدة عن تقديم الخدمة للعالم البشري والحضارة الإسلامية والإنسانية.

إنّ كتب المعاجم والتراجم حافلة بذكر جهابذة الشيعة في المجالات المختلفة من غير فرق بين الفقه وأُصوله والقرآن والحديث وعلومهما واللغة والأدب، كما أنّ لهم دور في تأسيس المعاهد والجامعات في شرق العالم الإسلامي وغربه.

ومن أراد التفصيل فعليه أن يقرأ تاريخ الشيعة والحضارة الإسلامية.

# الفصل الثاني

## الأُصول الاعتقادية

١. التوحيد الذاتي
٢. التوحيد في الصفات
٣. التوحيد في الخالقية
٤. التوحيد في الربوبية
٥. التوحيد في الحاكمية
٦. التوحيد في العبادة
٧. صفات الذات وصفات الفعل
٨. صفاته الثبوتية والسلبية
٩. صفاته الخبرية
١٠. القضاء والقدر
١١. الإنسان موجود مختار
١٢. ضرورة النبوة العامّة وصفات الأنبياء
١٣. النبوة الخاصة
١٤. المعاد والقيامة
١٥. المسائل الكلامية الّتي تفردت بها الإمامية


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

# الأُصول الاعتقادية

الشيعة الإمامية شاركت سائر الفرق الإسلامية في أُصول عامّة وربّما امتازت عن سائر الفرق ببعض الأُمور ونشير إلى رؤوس تلك الأُصول :

## ١. التوحيد الذاتي

إنّ التوحيد هو الحبل الّذي يتمسك به عامة المسلمين، بل سائر الشرائع السماوية.

للتوحيد الذاتي معنيان:

**الأوّل:** أنّ الله واحد لا مثيل له ولا نظير ولا شبيه ولا عديل.

**الثاني:** انّ الذات الإلهية ذات بسيطة لا كثرة فيها ولا تركيب، فقوله سبحانه: ﴿وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[1] إشارة إلى المعنى الأوّل، وأمّا قوله سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾[2] فهو إشارة إلى المعنى الثاني .

---

١ . التوحيد: ٤ .

٢ . التوحيد : ١ .

### ٢. التوحيد في الصفات

لا شكّ أنّ الله سبحانه وتعالى يوصف بصفات تحكي عن وجود كمال في ذاته، فيقال: إنّه عالم قادر حي.

كما أنّ الإنسان يوصف أيضاً بهذه الصفات فهو أيضاً ـ بإذن الله ـ عالم قادر حي، ولكن يختلف وصفه سبحانه بها مع وصف غيره بها من جهتين :

**الأُولى:** انّ هذه الصفات (العلم والقدرة والحياة) مختلفة مفهوماً ولكنّها متّحدة في الله سبحانه وجوداً وتحقّقاً، فليس حيثية العلم في ذاته غير حيثية القدرة، وكلاهما غير حيثية الحياة فذاته سبحانه كلّها علم، وقدرة، وحياة.

وهذا بخلاف الإنسان فإنّ مفاهيمها فيه مختلفة، كما أنّ واقعياتها فيه أيضاً كذلك، فإنّ واقع الشعور (العلم) في الإنسان غير واقع القدرة وكلاهما غير واقع الحياة.

فخرجنا بالنتيجة التالية: أنّ صفاته سبحانه بعضها متحد مع البعض، وليس هناك بين الصفات تغاير وتباين في الوجود.

**الثانية:** كما أنّه لا اختلاف بين واقعيات الصفات فهكذا لا اختلاف بين الصفات والذات فصفاته سبحانه عين ذاته لا زائدة عليها، بخلاف الإنسان فإنّ صفاته زائدة عليه، إذ كان موجوداً ولم يكن عالماً ولا قادراً وإنّما اكتسب العلم والقدرة.

### ٣. التوحيد في الخالقية

يراد من التوحيد في الخالقية أنّ صحيفة الوجود برمّتها مخلوقة لله سبحانه، قال تعالى: ﴿قُلِ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَ هُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾[١].

والمراد من حصر الخالقية في الله سبحانه هو الخالقية المستقلة الأصلية الّتي لا يعتمد الخالق في فعلها على غيره، فالخالقية بهذا المعنى من أوصافه سبحانه.

نعم الخالقية الظلّيّة المعتمدة على مشيئة الله سبحانه من شؤون غيره، ولذلك نرى أنّه سبحانه يصف نفسه بأنّه أحسن الخالقين، قال تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ مصرحاً بوجود خوالق غيره لكنّه أحسنهم.

وما ذلك إلّا لأنّ خالقيته ذاتية غير مكتسبة بخلاف غيره.

ومن هنا نرى أنّ المسيح يُسند الخلقة إلى نفسه ويقول: ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللهِ﴾[٢].

ومن هنا يجب أن نعترف بأنّ حصر الخالقية في الله سبحانه لا يعني إنكار السنن بين الظواهر الطبيعية، لأنّ العلّية والمعلولية في أجزاء عالم

---

١. الرعد: ١٦.

٢. آل عمران: ٤٩.

المادة لا تعني استقلال العلّة في العليّة والإيجاد، وإنّما تعني أنّه سبحانه أجرى في عالم المادة قانون العلّية والمعلولية وهو وراؤها، فكلّ من الشمس والهواء يؤثر في نبات الأرض كما أنّ الماء مؤثر في نموه لكن وجود المؤثر وتأثيره كلها بإذن الله سبحانه، والجميع من مظاهر سنن الله في الكون، ولقد ضل من فسّر التوحيد بالخالقية بإنكار العلل والروابط المادية بين أجزاء العالم فجعل الدين منكراً للعلم ومقابلاً له .

## ٤. التوحيد في الربوبية

قد كان التوحيد في الخالقية مورد اتفاق بين أغلب المشركين وإنّما كانوا يختلفون عن الموحّدين بالتوحيد في الربوبية، فمشركو عصر النبي إبراهيم الخليل ﷺ كانوا يعتقدون بوحدة خالق الكون، إلّا أنّهم كانوا يعتقدون خطأً بأنّ النجوم والكواكب هي الأرباب والمدبّرات لهذا الكون، وقد تركّزت مناظرة إبراهيم لهم على هذه المسألة كما يتّضح ذلك من بيان القرآن الكريم حيث ركزّ البحث على ربوبية الأجرام السماوية.[١]

وكذا في عهد النبي يوسف ﷺ الّذي كان يعيش بعد عصر النبي إبراهيم الخليل ﷺ، فإنّ الشرك كان في مسألة الربوبية حيث كانوا يتصورون أنّ الله بعد أن خلق الكون فوّض أمر تدبيره وإدارته إلى الآخرين. ولذلك ركّز يوسف في هدايتهم على التوحيد في الربوبية حيث قال: ﴿أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾[٢].

---

١ . راجع سورة الإنعام الآيات: ٧٦ ـ ٧٨. ٢ . يوسف: ٣٩ .

ويدلّ على التوحيد الربوبي هو أنّ تدبير عالم الخلق في مجال الإنسان والكون، لا ينفصل عن مسألة الخلق، وليس التدبير شيئاً غير عملية الخلق. فإذا كان خالق الكون والإنسان واحداً، كان مدبّرهما بالطبع والبداهة واحداً كذلك، لوضوح العلاقة الكاملة بين عملية التدبير وعملية الخلق للعالم.

ولهذا فإن الله تعالى عندما يصف نفسه بكونه خالق الأشياء يصفها في ذات الوقت بأنّه مدبّرها، قال تعالى: ﴿ اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾[١].

### ٥. التوحيد في الحاكمية

كما أنّ لصحيفة التكوين مدبراً حقيقياً واحداً وهو الله تبارك وتعالى، فهكذا لصحيفة التشريع حاكم واحد وهو الله سبحانه، فهو الحاكم وبالتالي هو المقنن والمطاع بالذات، وليس لغيره حق الحكومة ولا التشريع ولا الإطاعة إلّا بإذنه سبحانه، يقول الله تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ للهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾[٢]، وقال: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿وَ مَا

---

١. الرعد: ٢.

٢. يوسف: ٤٠.

٣. النساء: ٨٠.

أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ﴾[١] .

وبالجملة فعامة الشؤون الّتي ترجع إلى الحكومة والتشريع والإطاعة كلّها ثابتة لله تعالى بالذات، وانّما تثبت لغيره بأمره وإذنه .

### ٦. التوحيد في العبادة

إنّ التوحيدَ في العبادة هو الأصل المشترك والقاعدة المتفق عليها بين جميع الشرائع السماوية.

وبكلمة واحدة: إنّ الهدف الأسمىٰ من بَعث الأنبياء والرُّسُل الإلهيّين هو التذكير بهذا الأصل كما يقول سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنا في كلّ أُمَّةٍ رَسُولاً أنِ اعْبُدُوا اللهَ واجْتَنِبُوا الطاغوتَ﴾[٢].

إنّ جميع المسلمين يعترفون في صلواتهم اليومية بهذا الأصل ويقولون: ﴿إِيّاكَ نَعْبُدُ﴾[٣].

وعلى هذا الأساس فإنّ وجوبَ عبادة الله وحده، والاجتناب عن عبادة غيره أمرٌ مسلَّمٌ لا كلامَ فيه، ولا يخالف أحد في هذه القاعدة الكلية أبداً، وإنّما الكلام هو في أنّ بعض الأعمال والممارَسات هل هي مصداق لعبادة غير الله أم لا؟ وللوصُول إلى القولِ الفصلِ في هذا المجال يجب

---

١ . النساء: ٦٤ .

٢. النحل : ٣٦.

٣. الفاتحة : ٥ .

تحديد مفهوم العبادة تحديداً دقيقاً، وتعريفها تعريفاً منطقياً، بغية تمييز ما يدخل تحت هذا العنوان ويكون عبادة، ممّا لا يكون كذلك، بل يُؤتى به من باب التعظيم والتكريم.

وسيوافيك ملاك العبادة في الفصل الثالث .

## ٧. صفات الذات وصفات الفعل

تنقسم صفات الله سبحانه إلى قسمين:

ذاتي وفعلي .

والمراد من الأوّل ما توصف به الذات بما هي هي، ككونه عالماً قادراً.

والمراد من الثاني ما توصف به الذات بملاحظة صدور فعل منه كالخالقية والرازقية وما شابه ذلك من الصفات الّتي تنتزع من مقام الفعل ويوصف بها سبحانه بعد ملاحظة ما صدر منه من الأفعال. فبما انّه خلق العالم فهو خالق، أو رزق الناس فهو رازق، وهكذا.

## ٨. صفاته الثبوتية والسلبية

تنقسم صفات الله سبحانه إلى صفات ثبوتية وصفات سلبية، والمراد بالأُولى الصفات الّتي تحكي عن الكمال كما مرّ من كونه عالماً وقادراً.

والمراد من الصفات السلبية هو تنزيه ذات الله تعالى عن الصفات الّتي تحكي عن الحاجة والنقص والفقر.

وبتعبير آخر: ان لله سبحانه صفات جمال وصفات جلال، فالأُولى تحكي عن كمال الذات فتوصف بها، والأُخرى تحكي عن النقص فتسلب عنها. وعلى ضوء هذا فالله سبحانه ليس بجسم ولا جسماني ولا محلاً لشيء ولا حالاً في شيء، لأنّ هذه الصفات تلازم النقص والحاجة كما إذا كان حالاً، أو أنّها مستلزمة للتركيب كما إذا كان محلاً.

وللمحقّقين من علماء الإمامية بحوث دقيقة حول صفات الجمال والجلال جديرة بالمراجعة.

### ٩. صفاته الخبرية

المراد من الصفات الخبرية هي الصفات الّتي وردت في آيات القرآن الكريم أو السنّة الشريفة ولم يكن لها مستند سوى النقل مثل:

١. يد الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[١].

٢. وجه الله، قال تعالى: ﴿وَ للهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ فَأَيْنَ مَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ إِنَّ اللهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[٢].

٣. عين الله، قال تعالى: ﴿وَ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَ وَحْيِنَا﴾[٣].

---

١. الفتح: ١٠.

٢. البقرة: ١١٥.

٣. هود: ٣٧.

٤. الإستواء على العرش، قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[١].

إنّ مفردات الآيات المذكورة تحكي عن كون الله سبحانه وتعالى جسماً أو جسمانياً، هذا من جانب ومن جانب آخر دلّت الآيات المحكمات على تنزيهه عن ذلك، كما في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيء﴾[٢]، كما دلّت البراهين العقلية على ذلك أيضاً، وعلى ضوء ذلك فتحقيق المراد من هذه الصفات رهن دراسة عامّة الآيات والإمعان في القرائن الموجودة في خصوص هذه الألفاظ والخروج بنتيجة قطعية، ولذلك ذهب أهل التنزيه بعد هذه الدراسة إلى أنّها كنايات واستعارات ومجازات، والتفصيل في محله.

**١٠. القضاء والقدر**

إنّ الاعتقاد بالقضاء والقدر من العقائد الإسلامية الّتي وردت في الكتاب والسنّة ولكن لابد من تفسيرهما بشكل لا ينتج الجبر وسلب الاختيار عن الإنسان، أمّا القدر فهو عبارة عن تقدير وجود الشيء وهندسته، فالله سبحانه خلق كلّ شيء بقدر خاص، قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[٣].

---

١. طه: ٥.

٢. الشورى: ٧.

٣. القمر: ٤٩.

وأمّا القضاء فهو وصول الفعل إلى مرحلة القطعية والحتمية، وفي الوقت نفسه إنّ لارادة الإنسان واختياره دوراً في بلوغ الفعل إلى مرتبة القضاء، فالإنسان باختياره فعلاً من الأفعال يكون سبباً للقضاء عليه بالحتم.

## ١١. الإنسان موجود مختار

مهما تجاهل الإنسان من أمر فلا يمكن له أن يتجاهل أنّه إنسان مختار في الأخذ بأحد طرفي الفعل بقدرة مفاضة من الله سبحانه، فـفعله مستند إلى الله سبحانه من جهة وفي الوقت نفسه مستند إليه من جهة أُخرى .

أمّا الأوّل فلأنّه يعمل بالقدرة المفاضة عليه، وأمّا الثاني فهو باختياره ينتخب أحد الأمرين، ولذلك ورد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام قولهم: «لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين الأمرين».

## ١٢. ضرورة النبوّة العامّة

اختار الله الحكيم رجالاً صالحين لهداية الإنسان وإسعاده، وهؤلاء هم الأنبياء والرسل الذين جرى فيض الهداية بواسطتهم من الله سبحانه على عباده.

ثم إنّ بعث الأنبياء أمر لازم في وصول الإنسان إلى الكمال الّذي خُلق له، فإنّ عقله وإن كان مؤثراً أو مفيداً في سلوكه طريق الكمال إلّا أنّه غير كافٍ لذلك.

إنّ اختلاف الرؤى والنظريات البشرية في الأخلاق والاقتصاد والعلاقات الاجتماعية وغير ذلك من مناحي الحياة خير دليل على قصوره عن إدراك الصحيح من هذه المسائل، قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ... ﴾[1].

## صفات الأنبياء

إنّ لوسائط الفيض صفاتٍ تميزهم عن غيرهم، وأهمّها العصمة في المراحل الثلاثة:

أ. العصمة في مرحلة تلقّي الوحي وإبلاغه.

ب. العصمة عن المعصية والذنب.

ج. العصمة عن الخطأ في الأمور الفردية والاجتماعية.

وللزوم العصمة في هذه المراحل الثلاث براهين عقلية ونقلية مذكورة في محلّها.

## ١٣. النبوة الخاصّة

والمراد من النبوّة الخاصة هو نبوة رسول الإسلام محمد بن عبد الله ﷺ الّذي هو خاتم الرسل والنبيين وكتابه خاتم الكتب، ورسالته خاتمة

---

١. البقرة: ٢١٣.

الرسالات، والقرآن معجزته الخالدة إلى يوم القيامة، وقد خصّه سبحانه بهذه المعجزة، لأنّ الشريعة الخالدة رهن الدليل الخالد، ولذلك أرسله بكتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وتحدّى به الأنس والجن إلى يوم القيامة، وقال: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[١].

### ١٤. المعاد والقيامة

اتّفقت جميع الشرائع السماوية على أنّه سبحانه يحيي الناس بعد موتهم يوم القيامة ليجزيهم بما عملوا.

والاعتقاد بالقيامة من أركان الإيمان في الإسلام، يقول سبحانه: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَ أَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ﴾[٢].

وليس الموت نهاية للحياة، بل هو انتقال من نشأة إلى أُخرى ومن حياة قصيرة إلى حياة خالدة.

وللمحقّقين من العلماء الكرام حول المعاد وأدلّته القرآنية والعقلية وعالم البرزخ، ودرجات الجنة ودركات الجحيم بحوثاً مفصّلة، فمن أراد فليرجع إليها.

هذه هي الأُصول الكلية للشيعة الإمامية الّتي تشارك فيها عامة المسلمين ذكرناها موجزة.

---

١. الإسراء: ٨٨.

٢. المؤمنون: ١١٥.

## ١٥. المسائل الكلامية: الّتي تفرّدت بها الإمامية

إنّ للشيعة الإمامية آراء خاصة في مسائل كلامية لا تشكّل العمود الفقري للتشيّع، فإنّ جوهر التشيّع أمر واحد، وهو أنّ المرجع السياسي والعلمي بعد رحيل الرسول الأكرم ﷺ هو أهل بيته، وأنّ سفينة النجاة هم علي وأولاده كما قال: «ألا إنّ مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح في قومه من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق» .[1]

وأمّا سائر ما تتفرّد به الشيعة فكلّها مباحث كلامية، مثلاً الشيعة تفارق المعتزلة في أُصول عشرة كما أنّها تفارق الأشاعرة في أُصول ستة، وبما أنّه ليس للمعتزلة دور في المجتمع الإسلامي المعاصر نشير إلى رؤوس الفوارق الكلامية المهمّة بينهم وبين الأشاعرة:

١. اتّفقت الإمامية على أنّ صفاته سبحانه غير ذاته مفهوماً عين ذاته مصداقاً، خلافاً للأشاعرة الذين قالوا بأنّها قديمة غير أنّها لازمة زائدة .

٢. أفعال العباد عند الإمامية صادرة عن العباد حقيقة بلا مجاز وتوسّع، فالإنسان هو الآكل والضارب والصائم والمصلّي، خلافاً للأشاعرة حيث إنّ أفعال العباد عندهم مخلوقة لله سبحانه فليس للإنسان فيها صنع ولا دور سوى كونه محلاً لفعل الله .

---

١ . مستدرك الحاكم: ٣ / ٣٥١.

٣. رؤية الله سبحانه في الآخرة أمرمحال لاستلزامها التجسيم والجهة خلافاً للأشاعرة.

٤. كلامه سبحانه فعله، وهو حادث لا قديم، خلافاً للأشاعرة، فهو عندهم قديم، لأنّ الكلام عندهم أمر نفسي قائم بالذات.

٥. التحسين والتقبيح العقليان ممّا اعترف بهما الإمامية وأنّ العقل قادر على أن يدرك حسن بعض الأفعال وقبحها خلافاً للاشاعرة.

فإنّ كلّ إنسان ـ مهما كان دينه ومسلكه، وأينما حلّ في بقعة من بقاع الأرض ـ يدرك بنفسه حُسن العدل وقبح الظلم، وكذلك يدرك حسن الوفاء بالعهد، وقبح نقضه، وحسن مقابلة «الإحسان بالإحسان» وقبح مقابلة «الإحسان بالإساءة».

والقرآن الكريم يؤيد تلك المقدرة للإنسان، ولذلك يحتكم إلى العقل ويدعو إلى تحكيمه أكثر من مرة في حسن الأمور وقبحها قائلاً: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[١]، وقال سبحانه: ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾[٢].

٦. ويتفرع على هذا الأصل وصفه سبحانه بالعدل. وانّه لايظلم قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾[٣].

---

١. القلم: ٣٤ ـ ٣٥.

٢. الرحمن: ٦٠.

٣. النساء: ٤٠.

لأنّ الظلم نابع من أحد عوامل ثلاثة:

١. جهل الفاعل بقبح الظلم.

٢. حاجة الفاعل إلى الظلم مع علمه بقبحه.

٣. كون فاعل الظلم غير حكيم.

ولا سبيل لأي واحد من هذه العوامل إلى ذاته سبحانه .

وبما أن أكثر البراهين الكلامية ـ خصوصاً فيما يرجع إلى النبوة والإمامة والمعاد ـ مبني على إدراك العقل محاسن الأفعال ومساوئها، فلذلك احتلت هذه المسألة مكانة كبرى في أبحاث العقائد .

وهذه الخصائص بما أنّها بحوث كلامية تختص بالعلماء والباحثين ولا تعمّ عامّة المسلمين، فعلى علماء الإسلام أن لا يتّخذوها ذريعة للتفرقة والدعوة إلى الطائفية.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

# الفصل الثالث

## ملاك التوحيد والشرك في العبادة

١. الاستعانة بغير الله سبحانه

٢. طلب الشفاعة من المأذونين بها، وفيها أُمور:

أ . حقيقة الشفاعة ومعناها.

ب . دراسة الآيات المثبتة والنافية للشفاعة.

ج . حدود الشفاعة. د . ثمرة الشفاعة ونتيجتها.

هـ . طلب الشفاعة من النبي والأولياء المأذونين بها.

٣. النذر للأولياء

٤. التبرك بآثار الأولياء

٥. زيارة القبور

٦. البناء على القبور

٧. بناء المساجد على القبور والصلاة فيها

٨. البكاء على الميت

٩. التوسل بالنبي ﷺ والأولياء بأصنافه


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

# ملاك التوحيد والشرك في العبادة

قد تعرفت أنّ للتوحيد مراتب، وبأزائها توجد للشرك ألوان مختلفة، والّذي نركز عليه البحث هنا هو التوحيد في العبادة الّذي يقابله الشرك فيها، وقد تقدّم في الفصل السابق انّ التوحيد في العبادة أمر متّفق عليه بين الشرائع السماوية، ولو كان هناك اختلاف فإنّما هو في تطبيق الضابطة على بعض الموارد. ولأجل القضاء الصحيح في تلك الموارد الّتي تضاربت فيها الآراء أخيراً يجب تعريف العبادة تعريفاً منطقياً جامعاً للأفراد ومانعاً للأغيار، ولولا هذا لما أمكن حسم النزاع في تلك المواضع، فعلينا بيان الضابطة المستفادة من الكتاب والسنّة فنقول:

يظهر من أهل اللغة أن العبادة هي الخضوع والتذلّل [1].

يلاحظ عليه: هذا النوع من التعريف تعريف لها بالأعم، لأنّ العبادة مختصّة بالله سبحانه، فلو كانت العبادة بمعنى الخضوع تلزم ممنوعية الخضوع أمام الغير على وجه الإطلاق وخروج الخاضع من عداد الموحّدين مع أنّه سبحانه يحكي خضوع الملائكة لآدم وخضوع يعقوب وأبنائه ليوسف خضوعاً ليس فوقه خضوع، ويمدح خضوع الملائكة لآدم

---

١ . لاحظ لسان العرب، مفردات الراغب، القاموس المحيط، مادة «عبد».

ويُندِّد بتمرد إبليس عن السجود له. يقول سبحانه: ﴿فَسَجَدَ الْمَلاَئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾[١]، ويقول تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَ خَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾[٢].

ويقول: في آية ثالثة مخاطباً إبليس : ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾[٣]، ولمّا اعتذر إبليس بقوله: ﴿قَالَ لَمْ أَكُنْ لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾[٤]، خاطبه سبحانه بقوله: ﴿فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾[٥].

كلّ ذلك يدلّنا على أنّ الخضوع المجرد ـ سواء أكان باللفظ والبيان، أو بالفعل والعمل ـ ليس عبادة، فلابد لحلّ المعضلة من بيان الضابطة الكلية للعبادة حتّى يتميّز الخضوع المتّسم بالعبادة عن غيره والبيان الّذي يأتي تفصيله يتلخّص في كلمة واحدة، وهي:

أنّ العبادة تتحقّق بأمرين:

أ. الخضوع بالبيان والعمل.

ب. الاعتقاد بإلوهية المخضوع له وربوبيّته، وأنّ مصير الخاضع كلّه

---

١. الحجر: ٣٠.

٢. يوسف: ١٠٠.

٣. الحجر: ٣٢.

٤. الحجر: ٣٣.

٥. الحجر: ٣٤.

أو بعضه آجلاً أو عاجلاً بيده، سواء أكان الاعتقاد المذكور صحيحاً كما في حقّه سبحانه، أم باطلاً كما في عبادة غيره.

فلو تجرّد الخضوع عن ذلك الاعتقاد لما صار عبادة، وسيوافيك أنّ عامّة الموحّدين والمشركين يحملون في عبادتهم اعتقاداً خاصاً بالنسبة إلى المخضوع له، سواء أكان هو الله سبحانه أم كانت الآلهة المدعاة، وإليك البيان.

إنّ جميع أقسام العبادات صحيحها وباطلها تتمتّع بأمرين :

١. الخضوع للمعبود، سواء أكان مستحقاً له كاللّه سبحانه، أم غير مستحق له كالأصنام والأوثان أو الأجرام السماوية من النجم والقمر والشمس والأرواح والمثل النورية المجردة، فالعبادة في جميع تلك المراحل تتمتع بالخضوع وهو عمل قائم بالجوارح كالرأس واليد وغيرهما، فالعابد يخضع بجلّ جوارحه أو بشيء منها أمام المعبود وهذا أمر لاسترة فيه.

٢. الاعتقاد الخاص بالمعبود الذي يكون مبدأً للخضوع الظاهري.

فالواجب علينا التعرف على ذلك الاعتقاد الموجود في جميع الموارد :

أمّا الموحدون الذين يعبدون اللّه تبارك و تعالى، فخضوعهم نابع عن اعتقادهم بأنّه خالق للكون والإنسان، والمدبر للعالم الذي بيده كلّ شيء في الدنيا والآخرة، وليس هناك أي خالق ومدبر ومالك لمصالح العباد

ومصائرهم في العاجل والآجل سواه.

أمّا العاجل فيعتقدون أنّ الخلق والتدبير والإحياء والإماتة و إنزال المطر والخصب و الجدب وكلّ ما يعدّظاهرة طبيعية من فعله سبحانه لا من فعل غيره الذي لا يملك أي تأثير في مصير الإنسان.

أمّا الآجل فيعتقدون أنّ الشفاعة ومغفرة الذنوب وغيرهما من الأُمور الأُخروية بيده تعالى.

وعلى ضوء ذلك فالعبادة هي الخضوع النابع عن الاعتقاد بخالقيته ومدبريته وكون أزمّة الأُمور ومصير الإنسان في الدنيا والآخرة بيده.

هذا حال الموحّدين، وأمّا المشركون في عصر الرسالة وقبله وبعده فخضوعهم لمعبوداتهم كان نابعاً عن نفس ذلك الاعتقاد فكانوا معتقدين بربوبيتها وكون مصير العابد بأيديها .

يظهر من بعض الآيات انّ العرب في العصر الجاهلي كانوا موحّدين في الخالقية، قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ العَلِيم﴾ [١] ولكنّهم في الوقت نفسه كانوا مشركين في التدبير الذي نعبّر عنه بالربوبية، فكانوا يعتقدون بأرباب، مكان الرب الواحد، ولكلّ رب شأن في عالم الكون.

وتتجلّى عقيدة الطائفتين بالإمعان في الآيات التالية:

---

١. الزخرف: ٩.

١. انّ الموحّد يرىٰ انّ العزة بيد اللّٰه سبحانه، ومنطقه قوله سبحانه: ﴿فلِلّه الْعِزَّةُ جَميعاً﴾.[١]

ولكن المشرك في عصر الرسالة كان يرىٰ أنّ العزة بيد الأصنام والأوثان، كما يحكي عن عقيدته قوله سبحانه: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللّٰهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزّاً﴾.[٢]

٢. انّ الموحّد يرى أنّ النصر بيد اللّٰه تبارك و تعالىٰ، ويردّد علىٰ لسانه قوله سبحانه: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلّا مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ الْعَزِيزِ الحَكيم﴾.[٣]

ولكن المشرك في عصر الرسالة كان يعتقد بأنّ النصر بيد الآلهة والأرباب المزيّفة، قال سبحانه: ﴿وَاتّخذوا مِنْ دُونِ اللّٰهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ﴾.[٤]

٣. انّ الموحّد يؤمن بأنّ أمر التدبير بيد اللّٰه، قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللّٰهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْث﴾[٥]، كما أنّ بيده الجدب والخصب قال سبحانه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخوفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَراتِ وَبَشِّر الصّابِرينَ﴾.[٦]

---

١. فاطر: ١٠.
٢. مريم: ٨١.
٣. آل عمران: ١٢٦.
٤. يس: ٧٤.
٥. لقمان: ٣٤.
٦. البقرة: ١٥٥.

ولكن المشرك كان يستمطر بالأنواء، بل يستمطر بالأصنام.

يقول ابن هشام في سيرته: كان عمرو بن لُحَيّ أوّل من أدخل الوثنية إلىٰ مكة وضواحيها، فقد رأىٰ في مآرب من أرض البلقاء من بقاع الشام أُناساً يعبدون الأوثان وعندما سألهم عمّا يفعلون قائلاً: ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدونها؟

قالوا: هذه أصنام نعبدها فنستمطرها فتُمطرنا، ونستنصرها فتنصرنا، فقال لهم: أفلا تعطونني منها صنماً فأسير به إلىٰ أرض العرب فيعبدوه؟

وهكذا استحسن طريقتهم واصطحب معه إلىٰ مكة صنماً كبيراً يقال له «هبل» ووضعه علىٰ سطح الكعبة المشرّفة ودعا الناس إلىٰ عبادته.[١]

٤. إنّ الموحّد يرىٰ أنّ غفران الذنوب والشفاعة بيده سبحانه، فليس هناك غافر للذنوب إلّا اللّه سبحانه ولا شفيع إلّا بإذنه، يقول سبحانه: ﴿فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللّهُ﴾[٢]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ للّهِ الشَّفاعةُ جَميعاً لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَالأَرْضِ﴾[٣]، وقال سبحانه: ﴿وَلاَ يَمْلِكُ الَّذينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفاعَةَ﴾.[٤]

وأمّا المشرك فكان يعتقد بأنّ الشفاعة بيد الآلهة والأرباب المزيّفة،

---

١. انظر السيرة النبوية: ١ / ٧٦ـ٧٧.

٢. آل عمران: ١٣٥.

٣. الزمر: ٤٤.

٤. الزخرف: ٨٦.

والشاهد عليه انّ الآيات الماضية نزلت رداً على عقيدة المشركين حيث كانوا يعتقدون بأنّهم مالكون مقام الشفاعة، ولأجل ذلك يؤكّد على نفي تلك العقيدة في آيات أُخرى، ويقول: ﴿لاَ يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمٰنِ عَهْداً﴾[١]، وقال: ﴿وَلاَ تَنْفَعُ الشَّفاعَةُ عِنْدَهُ إِلّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾[٢]، وقال: ﴿وَلاَ يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلّا مَنْ شَهِدَ بِالحَقِّ﴾.[٣]

كما يرى أنّ مغفرة الذنوب بيد الآلهة، والشاهد على ذلك وصفه سبحانه نفسه بأنّه ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ﴾.[٤]

## خلاصة القول

إنّ أيَّ خضوع وتذلّل أو سؤال ينبع من الاعتقاد بأنّ المخضوع إله أو ربّ ، وانّ بيده مصير العابد يعد عبادة له، فلو خضع لأجله سبحانه فهو عبادة لله ولو خضع لغيره يكون عبادة لغيره ويكون صاحبه مشركاً .

ويقابل ذلك، القول والفعل والخضوع غير النابع من هذا الاعتقاد.

فخضوع أحد أمام موجود وتكريمه ـ مبالغاً في ذلك ـ من دون أن ينبع من الاعتقاد بالوهيته، ولا ربوبيته، لا يكون شركاً ولا عبادة لهذا الموجود، وإن كان من الممكن أن يكون حراماً، مثل سجود العاشق

---

١. مريم: ٨٧.

٢. سبأ: ٢٣.

٣. الزخرف: ٨٦.

٤. راجع سورة غافر: ٣.

لمعشوقته أو المرأة لزوجها، فإنّه وإن كان حراماً في الشريعة الإسلامية لكنّه ليس عبادة، بل أنّ حرمته كانت لسبب آخر، فالعبادة والتحريم شيئان مختلفان.

وبذلك تستطيع أن تقيّم التعاريف المختلفة للعبادة لأكثر المفسرين عند تفسيرهم لقوله سبحانه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ لا سيّما ما ذكره صاحب تفسير «المنار»، فلاحظ .

ثم إنّك إذا وقفت على تعريف العبادة وتمييزها عن غيرها تستطيع القضاء البات في الأُمور الّتي اتخذت ذريعة لاتّهام فاعليها بالشرك زعماً بأنها عبادة وأنّ القائمين بها يعبدون غير الله تعالى. ولأجل إيضاح الحال نتعرض لدراسة هذه المواضيع بالتفصيل.

## ١

# الاستعانة بغير الله سبحانه

إنّ الموحّد كما أنّه لا يعبد إلّا الله سبحانه كذلك فهو لا يستعين في حياته الدينوية والأخروية إلّا به، ولذلك نرى أنّه سبحانه يعطف التوحيد في الاستعانة على التوحيد في العبادة، ويأمر المسلم أن يقول كلّ يوم وليلة في صلواته الخمس: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، فالتفريق بين العبادة والاستعانة بتحريم الأُولى للغير مطلقاً وتجويز الاستعانة بغيره على خلاف نص القرآن الكريم، فالمسلم لا يعبد إلّا الله ولا يستعين إلّا به. هذا من جانب.

ومن جانب آخر أنّ العقلاء عامّة ـ موحّدين وغير موحّدين ـ والأنبياء والأولياء كانوا ـ ومازالوا ـ يستعينون في حياتهم ومعاشرتهم بغيره سبحانه، حتّى أنّه سبحانه يأمر بالاستعانة بالغير في غير واحد من آياته الكريمة حيث يقول: ﴿وَ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَ الصَّلاَةِ﴾[1].

كما يحكي عن ذي القرنين أنّه استعان بمن كان في أرض يأجوج

---

١ـ البقرة: ٤٥.

ومأجوج وقال على لسانه: ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ [١].

كما أنّه سبحانه يأمر المسلمين بنصر من طلب الاستعانة بهم وقال: ﴿وَ إِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾ [٢].

وعندئذ فما هوالعلاج بين هاتين الطائفتين، فمن جانب يحصر الاستعانة والنصر بالله سبحانه، ومن جانب آخر يأمر بالاستعانة بغيره .

كلّ ذلك يتطلب دراسة حقيقة الاستعانة المختصة بالله سبحانه الّتي لا يجوز طلبها من غيره، وتمييزها عن الاستعانة بغيره سبحانه والّتي تدور عليها رحى الحياة، وإليك البيان.

إنّ الاستعانة بغير الله يمكن أن تتحقّق بصورتين:

١. أن نستعين بعامل ـ سواء كان طبيعياً أم غير طبيعي ـ مع الاعتقاد بأنّ عمله مستند إلى الله، بمعنى أنّه قادر على أن يعين العباد ويزيل مشاكلهم بقدرته المكتسبة من الله وإذنه.

وهذا النوع من الاستعانة ـ في الحقيقة ـ لا ينفك عن الاستعانة بالله ذاته، لأنّه ينطوي على الاعتراف بأنّه هو الذي منح تلك العوامل ذلك الأثر وأذن به وإن شاء سلبها وجرّدها منه.

فإذا استعان الزارع بعوامل طبيعية كالشمس والماء وحرث الأرض، فقد استعان بالله ـ في الحقيقة ـ لأنّه تعالى هو الذي منح هذه العوامل،

---

١. الكهف: ٩٥.

٢. الأنفال: ٧٢.

القدرة على إنماء ما أودع في بطن الأرض من بذر ومن ثم إنباته والوصول به إلى حد الكمال.

٢. وإذا استعان بإنسان أو عامل طبيعي أو غير طبيعي مع الاعتقاد بأنّه مستقل في وجوده، أو في فعله عن اللّه فلا شك أنّ ذاك الاعتقاد يصير شركاً والاستعانة معه عبادة.

فإذا استعان زارع بالعوامل المذكورة وهو يعتقد بأنّها مستقلّة في تأثيرها، أو أنّها مستقلة في وجودها، ومادتها كما في فعلها وقدرتها فالاعتقاد شرك والطلب عبادة.

من هذا البيان اتّضح هدف صنفين من الآيات وردا في مسألة الاستعانة:

الصنف الأوّل: يحصر الاستعانة باللّه فقط ويعتبره الناصر والمعين الوحيد دون سواه.

والصنف الثاني: يدعونا إلى سلسلة من الأُمور المعينة غير اللّه ويعتبرها ناصرة ومعينة إلى جانب اللّه.

ولا تعارض ولا خلاف بين الصنفين إذا وقفنا على موقف كلّ منهما فالصنف الحاصر للاستعانة بالله سبحانه ناظر إلى أنّ في صحيفة الوجود مؤثراً تاماً، ومستقلاً واحداً غير معتمد على غيره لا في وجوده ولا في فعله وهو اللّه سبحانه .

والصنّف المجيز للاستعانة بالغير ناظر إلى أنّ في الكون عوامل

مفتقرة ـ في وجودها وفعلها ـ إلى الله سبحانه، وهي تؤدّي ما تؤدّي بإذنه ومشيئته وقدرته، ولو لم يعط تلك العوامل ما أعطاها الله من القدرة، ولم تجر مشيئته على الاستمداد منها لما كانت لها أية قدرة على شيء.

فالمعين الحقيقي في كلّ المراحل ـ على هذا النحو تماماً ـ هو الله فلا يمكن الاستعانة بأحد باعتباره معيناً مستقلاً، إلّا الله، فلهذه الجهة حصرت مثل هذه الاستعانة بالله وحده، ولكن هذا لا يمنع بتاتاً من الاستعانة بغير الله باعتباره غير مستقل (أي باعتباره معيناً بالاعتماد على القدرة الإلهية)، ومعلوم أنّ استعانة ـ كهذه ـ لا تنافي حصر الاستعانة بالله سبحانه لسببين:

أوّلاً: إنّ الاستعانة المخصوصة بالله هي غير الاستعانة بالعوامل الأُخرى، فالاستعانة المخصوصة بالله هي: ما تكون باعتقاد أنّه قادر على إعانتنا بالذات، وبدون الاعتماد على غيرها؛ في حين أنّ الاستعانة بغير الله سبحانه إنّما هي على نحو آخر، أي مع الاعتقاد بأنّ المستعان قادر على الإعانة مستنداً على القدرة الإلهية، لا بالذات، وبنحو الاستقلال، فإذا كانت الاستعانة ـ على النحو الأوّل ـ خاصة بالله تعالى، فإنّ ذلك لا يدلّ على أنّ الاستعانة بصورتها الثانية مخصوصة به أيضاً.

ثانياً: أنّ استعانة ـ كهذه ـ غير منفكّة عن الاستعانة بالله، بل هي عين الاستعانة به تعالى، وليس في نظر الموحّد (الذي يرى أنّ الكون كلّه من فعل الله وقائماً به) مناص من هذا.

# ٢

## طلب الشفاعة من المأذونين بها

هل طلب الشفاعة من المأذونين بها عبادة لهم، ومناف للتوحيد، أو هو طلب دعاء منهم؟ وتحقيق ذلك رهن بيان الأُمور التالية:

١. حقيقة الشفاعة ومعناها.

٢. دراسة الآيات المثبتة والنافية للشفاعة.

٣. حدود الشفاعة.

٤. آثار الشفاعة ونتيجتها.

٥. طلب الشفاعة من النبي والأولياء المأذونين بها.

وإليك دراسة هذه الأُمور واحداً بعد الآخر:

**الأوّل: حقيقة الشفاعة ومعناها**

الشفاعة عبارة عن وصول رحمتهُ سبحانه ومغفرته وفيضه إلى عباده عن طريق أوليائه وصفوة عباده، وليس هذا بأمرٍ غريب؛ فكما أنّ الهداية الإلهية التي هي من فيوضه سبحانه، تصل إلى عباده في هذه الدنيا عن طريق أنبيائه وكتبه، فهكذا تصل مغفرته سبحانه وتعالى إلى المذنبين والعصاة يوم القيامة من عباده عن ذلك الطريق.

ولا يبعد في أن يصل غفرانه سبحانه إلى عباده يوم القيامة عن طريق خِيرة عباده، فإنّ الله سبحانه قد جعل دعاءهم في الحياة الدنيوية سبباً، ونصّ بذلك في بعض آياته، فنرى أنّ أبناء يعقوب لمّا عادوا خاضعين، رجعوا إلى أبيهم، وقالوا له: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾[1]، فأجابهم يعقوب ﷺ بقوله: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[2].

ولم يقتصر الأمر على يعقوب فحسب، بل كان النبي الأكرم ﷺ ممّن يستجاب دعاؤه أيضاً في حق العصاة، قال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾[3]. وهذه الآيات ونظائرها ممّا لم نذكرها، مثل قوله: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾[4]، تدلّ على أنّ مغفرته سبحانه قد تصل إلى عباده بتوسيط واسطة كالأنبياء، وقد تصل بلا واسطة.

وتتّضح هذه الحقيقة إذا وقفنا على أنّ الدعاء بقول مطلق ـ وبخاصة دعاء الصالحين ـ من المؤثرات الواقعة في سلسلة نظام العلة والمعلول، ولا تنحصر العلة في العلل الواقعة في إطار الحس فإنّ في الكون مؤثرات خارجة عن إحساسنا وحواسنا، بل قد تكون بعيدة حتى عن تفكيرنا،

---

١. يوسف: ٩٧.

٢. يوسف: ٩٨.

٣. النساء: ٦٤.

٤. التوبة: ١٠٣.

يقول سبحانه: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقاً* وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطاً* وَالسَّابِحَاتِ سَبْحاً* فَالسَّابِقَاتِ سَبْقاً* فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْراً﴾[1].

فما المراد من هذه المدبّرات؟ أهي مختصة بالمدبّرات الطبيعية المادية، أو المراد هو الأعم منها ؟ فقد روي عن علي عليه السلام تفسيرها بالملائكة الأقوياء الذين عهد الله إليهم تدبير الكون والحياة بإذنه سبحانه، فكما أنّ هذه المدبّرات يجب الإيمان بها وإن لم تعلم كيفية تدبيرها وحقيقة تأثيرها، فكذلك الدعاء يجب الإيمان بتأثيره في جلب المغفرة، ودفع العذاب وإن لم تعلم كيفية تأثيره.

إنّ الاعتقاد بشفاعة الأولياء ليس إلّا نوعاً من الرجاء في رحمة الله، والأمل في عفوه ولطفه، وقد فتح الإسلام نوافذ الأمل والرجاء أمام العاصي النادم، ليعود إلى ربه، ويواصل مسيرة تكامله في ثقة وطمأنينة.

ومن هذه النوافذ: التوبة والإنابة والاستغفار، ومنها: الشفاعة للمذنبين، الشفاعة التي تنالهم وفق معايير وردت في الكتاب والسنّة، الشفاعة التي يبعث الأمل فيها بصيصاً من الرجاء في نفوس العصاة، ويمنع من قنوطهم ويأسهم، ويبعث فيهم روح العمل والنشاط.

وهذا لا يعني تمهيد الطريق للعصاة، وتسهيل الخلاف لهم برجاء الشفاعة، لما للشفاعة من شروط وقيود، وليست مطلقة ومرسلة شاملة لكلّ العصاة، بل هي عملية زرع الأمل والرجاء في النفوس، مادام الأصل هو

---

١. النازعات: ١ ـ ٥.

العمل والإتيان بالواجبات واجتناب المحرمات.

**الثاني: دراسة الآيات النافية والمثبتة للشفاعة**

أجمع علماء الأُمة الإسلامية على ثبوت الشفاعة يوم القيامة للنبي الأعظم ﷺ ومَن يأذن له سبحانه بالشفاعة، وهذا ممّا لا ينكره إلّا المعاند أو الجاهل بالقرآن الكريم والمفاهيم الإسلامية.

إلّا أنّ الآيات الواردة في الشفاعة بين نافية ومثبتة، إذ ربّما يتمسّك بالقسم الأوّل لنفي الشفاعة غفلة عن مرماها. وإليك دراسة هذه الآيات وتفسيرها، فنقول: إنّ الآيات الواردة على أصناف:

**الصنف الأوّل: ماينفي الشفاعة**

ورد في الذكر الحكيم آية واحدة تنفي في ظاهرها الشفاعة على الإطلاق، وهي قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَ بَيْعٌ فِيهِ وَ لاَ خُلَّةٌ وَ لاَ شَفَاعَةٌ وَ الْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[1].

ولكن الإمعان في ذيل الآية يثبت بأنّ المنفي هو نفي الشفاعة في حقّ الكافرين بدليل ذيل الآية ﴿وَ الْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، أضف إلى ذلك أنّه سبحانه أثبت في الآية التالية وجود الشفاعة بإذنه وقال: ﴿من ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾[2].

---

١. البقرة: ٢٥٤.
٢. البقرة: ٢٥٥.

**الصنف الثاني: ما ينفي الشفاعة الّتي تعتقدها اليهود للشفاعة**

قال سبحانه: ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَ أَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ * وَ اتَّقُوا يَوْمًا لاَ تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَ لاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَ لاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَ لاَ هُمْ يُنْصَرُونَ﴾[1].

ووحدة السياق تقضي بأن الهدف من نفي الشفاعة هو نفي الشفاعة الخاطئة، الّتي كانت تعتقدها اليهود في تلك الفترة، وهو الاعتقاد بالشفاعة دون أن يشترطوا في الشفيع والمشفوع له شرطاً معيناً، وأين ذلك من الشفاعة المحدودة؟!

**الصنف الثالث: ما ينفي صلاحية الأصنام للشفاعة**

إنّ عرب الجاهلية كانوا يعبدون الأصنام لاعتقادهم بشفاعتها عند الله، والآيات في هذا المعنى كثيرة نقتصر على واحدة: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لاَ يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَ لاَ يَعْقِلُونَ﴾[2].

**الصنف الرابع: ما يخص الشفاعة بالله سبحانه وأنّه لا يشاركه فيها غيره**

يقول سبحانه: ﴿قُلْ للهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[3].

---

١. البقرة: ٤٧ ـ ٤٨.

٢. الزمر: ٤٣.

٣. الزمر: ٤٤.

ومن المعلوم أنّه سبحانه لا يشفع لأحد عند أحد، فإنّه فوق كل شيء وذلّ كل شيء لديه، فمعنى قوله: ﴿قُلْ للهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ هو انّه سبحانه مالك لمقام الشفاعة لا يشفع أحد لأحد إلّا بإذنه، فيكون رفضاً لعقيدة المشركين الّتي أُشير إليها في قوله سبحانه: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ شُفَعَاءَ﴾، وعقيدة اليهود والنصارى المعتقدين بالشفاعة المطلقة من دون شرط في الشفيع والمشفوع له. فيكون مفاد الآية هو أنّ المالك لمقام الشفاعة والمسيطر عليها هو الله سبحانه وغيره لايملكون منها شيئاً، وهذا لا ينافي أن يكون هناك عباد مأذونون يشفعون لمن ارتضاه سبحانه، وهذا ما يأتي في الصنف الآتي.

**الصنف الخامس: الشفاعة المأذونة من الله سبحانه**

هناك آيات تدلّ بوضوح على أنّه سبحانه يأذن لعدّة بالشفاعة، وأمّا مَن هؤلاء فلا يذكر القرآن الكريم منهم شيئاً، يقول سبحانه:

١. ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾[1].

٢. ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾[2].

٣. ﴿لاَ يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾[3].

---

١. البقرة: ٢٥٥.

٢. يونس: ٣.

٣. مريم: ٨٧.

وبذلك بان الفرق بين الشفاعة المرفوضة والشفاعة المأذونة.

فالشفاعة المطلقة ـ أعني: الشفاعة بلا إذنه سبحانه أو شفاعة الأصنام والأوثان ـ شفاعة مرفوضة، وأمّا شفاعة غيرهم ممّن أذن له الرحمن واتّخذ عند الرحمن عهداً فهي شفاعة مقبولة.

## شروط الشفيع

رفض القرآن الكريم شفاعة الأصنام الّتي كان العرب يعبدونها كذباً وزوراً، وقد صرح بأنّها عاجزة عن الدفاع عن نفسها فكيف تكون قادرة على الشفاعة في حق عبّادها؟! فشفاعة هؤلاء والشفاعة المطلقة الّتي يتبنّاها أهل الكتاب هو الهدف للآيات النافية، وأمّا الشفاعة المقبولة فهي عبارة عن شفاعة فئة خاصة من عباد الله الذين تقبل شفاعتهم عند الله بشروط خاصة، وقد وردت أسماء الشفعاء وشروط الشفاعة في المشفوع له في الروايات الإسلامية.

إنّ أهل الكتاب وأخصّ بالذكر اليهود كانوا يعتقدون بالشفاعة المطلقة، من دون وجود شرط في المشفوع له، فالمطيع والعاصي يوم القيامة يدخلان الجنة بشفاعة أنبيائهم وأوليائهم، وذلك لوجود عقائد فاسدة بينهم. ومنها:

١. فكرة الشعب المختار كما يحكي سبحانه عنهم في قوله: ﴿وَ قَالَتِ الْيَهُودُ وَ النَّصَارىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَ أَحِبَّاؤُهُ﴾.[1]

٢. انّهم لايعذبون إلّا أياماً معدودات: ﴿وَ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا

---

١. المائدة: ١٨.

مَعْدُودَةً﴾[١]، إلى غير ذلك من العقائد الفاسدة الّتي صارت أرضية للاعتقاد بالشفاعة المطلقة الحرة خصوصاً في حق المشفوع له، مع أنّ القرآن الكريم ينفي الشفاعة في حق من قطع علاقته الإيمانية بالله سبحانه فلم يؤمن به أو بوحدانيته أو بقيامته وأفسد في الأرض وظلم عباده كما قطع علاقته الروحية مع الشفيع فهؤلاء لا يتمتعون بشيء من الشفاعة، يقول سبحانه:

١. ﴿نَسُوا اللهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾[٢].

٢. ﴿قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَ كَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾[٣].

٣. ﴿فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾[٤].

**الصنف السادس: تسمية بعض المأذونين بالشفاعة**

جاء في بعض الآيات بعض المأذونين بالشفاعة نذكر منها آية واحدة:

قال سبحانه: ﴿وَ كَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لاَ تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يَرْضَى﴾[٥].

---

١. البقرة: ٨٠.

٢. الحشر: ١٩.

٣. طه: ١٢٦.

٤. الاعراف: ٥١.

٥. النجم: ٢٦.

وبدراسة الروايات الواردة في الشفاعةفي كتب الفريقين يتّضح أنّ الشفاعة المحدودة المأذونة أحد المفاهيم الأصيلة في الذكر الحكيم والروايات الشريفة.

**الثالث: حدود الشفاعة**

قد تعرفت على أنّ الشفاعة المطلقة المجردة عن كلّ قيد وشرط هي الشفاعة الّتي تبنّتها اليهود والنصارى والمشركون، وأمّا الشفاعة الّتي أمضاها القرآن الكريم فهي الشفاعة المشروطة بشرائط خاصة في الشفيع أوّلاً، والمشفوع له ثانياً، ومورد الشفاعة ثالثاً.

أمّا الشفيع فمهما كان له من المكان والمرتبة عند الله سبحانه فلا يشفع إلّا بعد أن يأذن الله ويرضى، وقد دلّت الآيات السالفة الذكر على هذا الشرط.

وأمّا المشفوع له فيشترط فيه أن يوطّد صلته بالله تعالى بالإيمان به وبوحدانيته وإيمانه بأنبيائه ورسله وكتبه، ولا يكون من الذين تلطّخت أيديهم بالجريمة وأوغلوا في المعاصي والذنوب والخطايا.

وقد وردت هذه الشروط والحدود في روايات الفريقين الّتي لا يمكننا ذكر عشرها، ونقتصر هنا بذكر قليل من كثير.

١. قال رسول الله ﷺ: «إنّ أقربكم مني غداً وأوجبكم عليّ شفاعة أصدقكم لساناً، وآداكم لأمانته، وأحسنكم خلقاً، وأقربكم من الناس».[1]

---

١. تيسير المطالب، للسيد يحيى الزيدي: ١ / ٤٤٢.

٢. قال الإمام الصادق ﷺ: «يا معشر الشيعة فلا تعودون وتتكلمون على شفاعتنا، فو الله لا ينال شفاعتنا إذا ركب هذا (الزنا) حتّى يصيبه ألم العذاب ويرى هول جهنم».[١]

٣. قال الإمام موسى الكاظم ﷺ: «لمّا حضرت أبي جعفر بن محمد ﷺ الوفاة قال لي: يا بني أنّه لا ينال شفاعتنا من استخف بالصلاة».[٢]

وأمّا مورد الشفاعة، فالشرك والإلحاد لا تقبل فيهما الشفاعة لقوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[٣].

ومن أراد التفصيل فليرجع إلى الروايات.

**الرابع: ثمرة الشفاعة**

هل انّ نتيجة الشفاعة هي حطّ ذنوب المذنب والعفو عن العاصي أو هي زيادة الثواب ورفع الدرجات للمطيعين.

وقد ذهب جمهور المسلمين إلى الأوّل، وذهب إلى الثاني قسم من متكلّمي المعتزلة.

ويدلّ على قول الجمهور أن الشفاعة ليست من المفاهيم الّتي ابتكرها الإسلام واستعملها، بل كان مفهومها رائجاً بين المشركين واليهود

---

١. الكافي: ٥ / ٤٦٩.

٢. الكافي: ٣ / ٢٧٠.

٣. النساء: ٤٨ و ١١٦.

والنصارى من أهل الكتاب، فالمفهوم الرائج للشفاعة قبل الإسلام هو الّذي طرحه القرآن الكريم.

فالشفاعة المقبولة هي نفس الشفاعة الرائجة قبل نزول القرآن ولكن تحت شروط وحدود.

ويدلّ على ذلك ما رواه الفريقين عن النبي الأكرم ﷺ أنّه قال: «ادّخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أُمّتي»[١].

**الخامس: طلب الشفاعة من النبي والأولياء المأذونين بها**

المفهوم الواضح للشفاعة لدى العامّة هو دعاء الشفيع وطلبه من الله غفرانَ ذنوب عباده، إذا كانوا أهلاً لها. فإذاً يرجع طلب الشفاعة من الشفيع إلى طلب الدعاء منه لتلك الغاية، وهل ترىٰ في طلب الدعاء من الأخ المؤمن إشكالاً ؟! فضلاً عن النبي الأكرم ﷺ، الذي يُستجاب دعاؤه ولا يُردّ بنص الذكر الحكيم[٢].

والذي يوضح أنّ شفاعة النبي عبارة عن دعائه في حقّ المشفوع له، ما رواه مسلم في «صحيحه» عن النبي الأكرم ﷺ أنّه قال: «ما من ميّت يُصلّي عليه أُمّة من المسلمين يبلغون مائة كلّهم يشفعون له إلّا شُفّعوا فيه»[٣].

---

١. سنن ابن ماجة: ٢ / ١٤٤١، وغيره.

٢. النساء: ٦٤، المنافقون: ٥.

٣. صحيح مسلم ٤: ٥٣، ط. مصر، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده.

وفسّر الشارح قوله ﷺ: «يشفعون له» بقوله: أي يدعون له، كما فسّر قوله ﷺ: «إلّا شُفّعوا فيه» بقوله: أي قبلت شفاعتهم.

وروي أيضاً عن عبد الله بن عباس أنّه قال: سمعت رسول الله يقول: «ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إلّا شفّعهم الله فيه».[١] أي قبلت شفاعتهم في حق ذلك الميت فيغفر له.

فإذا كان مرجع الاستشفاع من الصالحين إلى طلب الدعاء، فكل من يطلب من النبي الشفاعة لا يقصد منه إلّا المعنى الشائع[٢].

فعندما كان النبي الأكرم ﷺ حيّاً في دار هجرته، كان طلبُ أصحابِه الدعاءَ منه، راجعاً إلى طلب الشفاعة منه والاختلاف في الاسم لا في الواقع والحقيقة.

وبعد انتقاله من الدنيا إلى عالم البرزخ، يرجع طلب الشفاعة منه أيضاً إلى طلب الدعاء منه لا غير.

فلو أنّ أعرابياً جاء إلى مسجده فطلب منه أن يستغفر له، فقد طلب منه الشفاعة عند الله. ولو جاء ذاك الرجل بعد رحيله، وقال له: يا أيّها النبي، استغفر لي عند الله. أو قال: اشفع لي عند الله، فالجميع بمعنى واحدٍ لبّاً

---

١. المصدر نفسه.

٢. لو كان للشفاعة معنى آخر من التصرف التكويني في قلوب المذنبين، وتصفيتهم في البرزخ، ومواقف القيامة فهو أمر عقلي لا يتوجّه إليه إلّا الأوحدي من الناس.

وحقيقةً، وإنّما يختلفان صورةً وظاهراً. فالإذعان بصحّة أحدِهما، والشك في صحّة الآخر كالتفكيك بين المتلازمين.

إلى هنا تبيّن أنّ طلب الشفاعة يرجع إلى طلب الدعاء من الشفيع، وهو أمر مطلوب في الشرع من غير فرق بين طلبه من الشفيع في حال حياته أو مماته، فهو لا يخرج عن حد طلب الدعاء، وأمّا كونه ناجعاً أو لا، فهو أمر آخر ليس هنا مقام بيانه.

والذي يحقّق هذا الأمر هو صدور مثله من السلف الصالح في العصور المتقدمة، وإليك نزراً منه:

## السلف وطلب الشفاعة من النبي الأكرم ﷺ

١ ـ الأحاديث الإسلامية وسيرة المسلمين تكشفان عن جواز هذا الطلب، ووجوده في زمن النبي ﷺ؛ فقد روى الترمذي في «صحيحه» عن أنس قوله: سألت النبي أن يشفع لي يوم القيامة، فقال: «أنا فاعل»، قال: قلت: يا رسول الله فأنّى أطلبك؟ فقال: «اطلبني أوّل ما تطلبني على الصراط»[1].

فالسائل يطلب من النبي الأعظم، الشفاعة دون أن يخطر بباله أنّ هذا الطلب يصطدم مع أُصول العقيدة.

٢ ـ هذا سواد بن قارب، أحد أصحاب النبي ﷺ يقول مخاطباً إيّاه:

١ . صحيح الترمذي: ٤ / ٦٢١، كتاب صفة القيامة، الباب ٩.

فكــن لي شــفيعاً يــوم لا ذو شفاعة

بمغن فـتيلاً عـن سـواد بـن قـارب[١]

٣ـ روى أصحاب السير والتاريخ، أنّ رجلاً من قبيلة حمير عرف أنّه سيولد في أرض مكة نبي الإسلام الأعظم ﷺ، ولما خاف أن لا يدركه، كتب رسالة وسلّمها لأحد أقاربه حتى يسلّمها إلى النبي ﷺ حينما يبعث، وممّا جاء في تلك الرسالة قوله: «وإن لم أدرك فاشفع لي يوم القيامة ولا تنسني» ولمّا وصلت الرسالة إلى يد النبي ﷺ قال: «مرحباً بتُبّع الأخ الصالح».[٢] فإنّ وصف النبيﷺ لطالب الشفاعة بالأخ الصالح، أوضح دليل على أنّه أمر لا يتعارض وأُصول العقيدة.

٤ ـ وروى المفيد عن ابن عباس أنّ أمير المؤمنين ؑ لمّا غسّل النبي ﷺ وكفّنه كشف عن وجهه وقال: «بأبي أنت وأُمّي طبتَ حيّاً وطبت ميتاً... اذكرنا عند ربك»[٣].

وروى الشريف الرضي في «نهج البلاغة»: أنّ عليّاً ؑ قال عندما ولي غسل رسول الله ﷺ: «بأبي أنت وأُمّي اذكرنا عند ربك واجعلنا من بالك»[٤].

---

١. الإصابة: ٢ / ٩٥، الترجمة ٣٥٧٦، وقد ذكر طرق روايته البالغة إلى ست، وراجع أيضاً الروض الأنف: ١ / ١٣٩؛ بلوغ الإرب: ٣ / ٢٩٩؛ عيون الأثر: ١ / ٧٢.

٢. مناقب ابن شهر آشوب: ١ / ١٢؛ السيرة الحلبية: ٢ / ٨٨.

٣. مجالس المفيد، المجلس الثاني عشر: ص ١٠٣.

٤. نهج البلاغة: الخطبة ٢٣٥.

٥ ـ روي أنّه لمّا توفي النبي ﷺ أقبل أبوبكر فكشف عن وجهه ثم أكبّ عليه فقبّله وقال: «بأبي أنت وأُمّي طبت حياً وميتاً اذكرنا يا محمد عند ربّك ولنكن من بالك»[1].

وهذا استشفاع بالنبي ﷺ في الحياة الدنيا بعد موته.

إنّ العرب تستعمل جملة: «اذكرني عند ربك» في طلب الشفاعة، وقد ورد ذلك في قصة النبي يوسف ؑ حيث طلب من صاحبه في السجن ـ ساقي الملك ـ وقال ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾[2].

٦ ـ وختاماً نذكر ما ذكره الدكتور عبد الملك السعدي في كتابه «البدعة في مفهومها الإسلامي الدقيق» قال: أمّا طلب الشفاعة من رسول الله ﷺ بصورة عامّة وبدون قيد بعد أذان أو غيره فقد ورد في السنّة، حيث قد طلبها منه بعض الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ دون نكير من رسول الله ﷺ. والأحاديث الواردة بهذا الخصوص وبمواضع ومناسبات عديدة كثيرة جداً نذكر منها:

عن مصعب الأسلمي قال: انطلق غلام منّا فأتى النبي ﷺ وقال: إنّي سائلك سؤالاً، قال: «وما هو ؟» قال: أسألك أن تجعلني ممّن تشفع له يوم القيامة، قال: «من أمرك هذا ؟» أو «من علّمك هذا ؟» أو «من دلّك على هذا ؟» قال: ما أمرني به أحد إلّا نفسي، قال: «فإنّك ممّن أشفع له يوم

١ . السيرة الحلبيّة: ٣ / ٤٧٤، ط دار المعرفة، بيروت.

٢ . يوسف: ٤٢.

القيامة». أورده الهيثمي في مجمع الزوائد وقال: رواه الطبراني.

وقد أورد الهيثمي بهذا الموضوع كثيراً من الأحاديث[١]. هذا في حياته ﷺ.

أمّا بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى فهل يصح طلب الشفاعة منه لا سيما أمامَ قبره الشريف وعند السلام عليه ؟

بما أنّه ثبت بما لا يقبل الشك أنّ الأموات يسمعون ويتكلّمون ويدعون في عالم البرزخ وبخاصة هو ﷺ عندما يُسلَّم عليه تردّ إليه روحه الشريفة، فلا موجب للتفرقة في طلب الشفاعة بين حياته قبل انتقاله وبين حياته: الحياة البرزخية بعد انتقاله. ومن ادّعى المنع فعليه بالدليل. والله الموفق[٢].

## شبهتان في المقام

· وقد طرح المانعون من طلب الشفاعة شبهتين، نذكرهما مع ما حولهما من التحليل.

### ١. طلب المشركين الشفاعة من الأصنام

الدليل الثاني الذي تمسّك به القائلون بتحريم طلب الشفاعة من الشفعاء هو:

---

١. مجمع الزوائد: ١٠ / ٣٦٩؛ صحيح مسلم: ١ / ٢٨٩.

٢. البدعة في مفهومها الإسلامي: ص ١٠٥ ـ ١٠٦.

إنّ القرآن الكريم اعتبر علّة شرك الوثنيّين في عصر الرسالة تكمن في طلبهم الشفاعة من أصنامهم وأوثانهم، فقال تعالى:

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـؤُلاءِ شُفَعاؤُنا عِنْدَ اللهِ﴾.[1]

وعلى هذا الأساس يكون طلب الشفاعة من الأنبياء أو الأولياء شركاً شبيه طلب الشفاعة من الأصنام.[2]

ويرد على ذلك:

أوّلاً: أنّ هناك فرقاً جوهرياً بين طلب الشفاعة من الأصنام وطلبها من الأولياء الصالحين، لأنّ طلب المشركين الشفاعة من أصنامهم ينبع من الاعتقاد بأنّ أصنامهم آلهة أو فوّض إليها فعل الإله، والحال أنّ الموحّدين ينطلقون في طلبهم هذا من الاعتقاد بأنّ الشفعاء عباد للّه أخلصوا له العبودية، فتفضّل عليهم سبحانه ووهبهم هذه المنزلة والمقام، فكيف ياترىٰ جاز اعتبار الطلبين يعودان إلى حقيقة مشتركة وجوهر واحد؟!

وثانياً: أنّ المشركين عبدوا الأصنام أوّلاً ثمّ طلبوا منها الشفاعة ثانياً، وهذا ما تحكي عنه الآية المذكورة حيث قال تعالى أوّلاً: ﴿وَيَعبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ ثمّ أردف ذلك بقوله: ﴿وَيَقُولُونَ هؤلاءِ شُفَعاؤُنا﴾، والحال أنّ الموحّدين لا يعبدون إلاّ الله تعالى وحده لا شريك له، نعم بعد الخضوع له

---

١. يوسف: ١٨.

٢. انظر كشف الشبهات: ١٤.

سبحانه والإيمان به، يطلبون الشفاعة من أوليائه الصالحين، انطلاقاً من إذنه سبحانه وتعالى بهذا الفعل.

اتّضح من هذا البيان أنّ عطف عمل المؤمنين على المشركين واعتبارهما أمراً واحداً، عطف لا أساس له من الصحّة، ولا يقوم على أيّ مستند علمي أو دليل برهاني.

## ٢. طلب الشفاعة من الميّت لغو

هذا الدليل هو آخر ما تمسّك به المانعون لطلب الشفاعة من الأولياء والصالحين.

ويرد عليه: أنّا أثبتنا في بحث الحياة البرزخية أنّ الشهداء أحياء عند ربّهم يرزقون، فإذا كان الشهداء أحياءً عند ربّهم فنبيّ الشهداء من باب أولى يكون حيّاً عند ربّه، وحينئذٍ لا يكون طلب الشفاعة منه لغواً، لأنّه حي يرزق يسمع كلامنا ويرى مقامنا بإذنه سبحانه.

وعلى فرض التسليم بأنّ الأنبياء والصالحين والشهداء موتى لا يسمعون كلامنا ولا يرون مقامنا، فحينئذٍ أقصى ما يستلزمه طلب الشفاعة منهم أن يُعد أمراً لغواً، لا أنّه أمرٌ محرم كما يدّعيه أصحاب الفكر الوهابي، والشاهد على ذلك أنّ الغريق يتمسّك بكلّ قشة للنجاة والخلاص، ومن الواضح أنّ عمله هذا لغو لا طائل وراءه، ومع ذلك كلّه لا تجد متعلّماً ـ فضلاً عن العالم ـ يصف الغريق بالشرك أو بارتكاب الحرام.

٣

# النذر للأولياء

النذر عبارة عن إلزام الإنسان نفسه بالقيام بأداء عمل إذا قضيت حاجته، كأن يقول: لله عليّ أن أختم القرآن إذا نجحت في الامتحان، هذا هو النذر الشرعي ويعتبر أن يكون النذر لله سبحانه ولا يجوز لغيره .

وربّما يلتزم في ضمن النذر إهداء ثواب عمله إلى المقربين له كالأب والأمّ أو الأنبياء والأولياء، فيقول: نذرت لله أن أختم القرآن واهدي ثوابه لفلان؛ واللام الداخلة على لفظ الجلالة غير اللام الداخلة على لفظة «فلان»، فاللام الأُولى للغاية أي لغاية التقرب إلى الله سبحانه، واللام الثانية لبيان موضع الانتفاع.

هذا هو المتعارف بين المسلمين ينذرون عملاً لله ثمّ يلتزمون بإهداء ثوابه لأحد أولياء الله وعباده الصالحين.

وربّما يختصرون في العبارة ويقولون : هذه ـ الشاة ـ منذورة للنبي ﷺ ، والمراد هو جهة انتفاعه، والقرآن الكريم مشحون بكلا الاستعمالين .

قال سبحانه حاكياً عن امرأة عمران: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ ما فِي

بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ [١]، فاللام في هذه الآية نظير قولنا: «صليت لله ونذرت لله».

وقال سبحانه: ﴿إِنَّما الصَّدقاتُ لِلْفُقَراءِ وَالْمَساكينِ﴾ [٢]، واللام للفقراء بمعنى الانتفاع،نظير قولنا عند الاختصار: هذا للنبي ﷺ أو للإمام ﷺ وقد مضى انّ سعدَ بن عبادة لما حفر بئراً قال: هذه لأُمّ سعد.

وبذلك ظهر انّه لا مانع من النذر للأولياء والصالحين، على ما عرفت من تفسيره.

ولأجل إيضاح الحال نأتي بكلام بعض المفكّرين وعلماء الإسلام.

يقول الخالدي: إنّ المسألة تدور مدار نيّات الناذرين ، وإنّما الأعمال بالنيّات، فإن كان قصد الناذر الميت نفسه والتقرّب إليه بذلك لم يجز، قولاً واحداً، وإن كان قصده وجه الله تعالى وانتفاع الأحياء ـ بوجه من الوجوه ـ به وثوابه لذلك المنذور له سواء عين وجهاً من وجوه الانتفاع أو أطلق القول فيه، وكان هناك ما يطرد الصبرف فيه في عرف الناس أو أقرباء الميت، أو نحو ذلك ـ ففي هذه الصورة يجب الوفاء بالنذور.[٣]

وقال العزامي في كتاب «فرقان القرآن»: ... ومن استخبر حال من يفعل ذلك من المسلمين، وجدهم لا يقصدون بذبائحهم ونذورهم للأموات ـ من الأنبياء والأولياء ـ إلّاالصدقة عنهم و جعل ثوابها إليهم، وقد

---

١. آل عمران: ٣٥.

٢. التوبة: ٦٠.

٣. صلح الإخوان: للخالدي: ١٠٢ وما بعده.

علموا أنّ إجماع أهل السنّة منعقد على أنّ صدقة الأحياء نافعة للأموات واصلة إليهم، والأحاديث في ذلك صحيحة مشهورة.[١]

أخرج أبو داود عن ميمونة انّ أباها قال لرسول الله ﷺ:

يا رسول الله انّي نذرت إن وُلد لي ذكر أن أنحر على رأس «بُوانة» في عقبة من الثنايا ، عدّة من الغنم.

قال الراوي عنها: لا أعلم إلّا أنّها قالت: خمسين.

فقال رسول الله ﷺ: هل من الأوثان شيء؟

قال: لا.

قال: أوف بما نذرت به للّه.[٢]

تجد انّ النبي ﷺ يؤكّد السؤال عن وجود الأصنام في المكان الذي تذبح فيه الذبائح انّ هذا دليل على أنّ النذر الحرام هو النذر للأصنام حيث جرت عادة أهل الجاهلية على ذلك كما قال تعالى : ﴿...وَما ذبح عَلى النُّصُبِ... ذلِكُمْ فِسْق﴾ .[٣]

وكلّ مَن وقف على أحوال الزائرين للعتبات المقدسة ومراقد أولياء الله الصالحين يجد انّهم ينذرون للّه تعالى ولرضاه، ويذبحون الذبائح باسمه عزّ وجلّ بهدف انتفاع صاحب القبر بثوابها وانتفاع الفقراء بلحومها.

---

١. فرقان القرآن: ١٣٣.

٢. سنن أبي داود: ٢ / ٨١.

٣. المائدة: ٣.

٤

# التبرك بآثار الأولياء

التبرّك لغة مشتق من «البركة» بمعنى الزيادة في النعمة.

وأمّا اصطلاحاً فهو: طلب الموحّدين إفاضة النعم عليهم وزيادة البركة من خلال التبرّك بالذوات الصالحة للنبي الأكرم والصالحين من عباده، أو التبرّك بآثارهم الباقية.

وهذا لا يعني أنّ المتبرّك يسد في وجهه الطرق والأسباب الطبيعية لتحقيق مراده والأمور التي يتوخّاها، بل في الوقت الذي يعتمد فيه الأسباب و العلل الطبيعية، يبقي أمامه باب التبرّك مفتوحاً ليتسنّى له من خلاله نيل الفيض الإلهي النازل من خلال هذا الطريق بالإضافة إلى الفيوضات النازلة من خلال الطرق والأسباب الطبيعية.

ومن المسلّم به أنّه لا توجد علاقة مادية بين آثار الأنبياء عليهم السلام والصالحين، وبين الخيرات التي يجنيها الإنسان من خلال هذا الطريق، ولكن ـ كما قلنا سابقاً ـ انّ الفيوضات الإلهية تارة تفاض على العباد من غير مجاريها الطبيعية حيث تتعلّق الإرادة الإلهية بأن تلبّى حاجات الإنسان المؤمن عن طريق التبرّك بشخص النبي أو الآثار المتبقية منه، وهذه الحقيقة

قد أكّدتها آيات الذكر الحكيم والروايات المتواترة، أضف إلى ذلك أنّه لا يوجد مانع عقلي يمنع عن فاعلية آثار النبي والصالحين في تلبية حاجات الإنسان وإنجاح طلبته.

وهانحن نستعرض بعض الآيات الواردة في هذا الصدد:

### ١. التبرّك بمقام إبراهيم عليه السلام

لقد اعتبر اللّه سبحانه وتعالى بعض الأراضي التي لامست بدن دعاة التوحيد،محلاً للعبادة. فعلى سبيل المثال جعل من مقام إبراهيم عليه السلام مصلّى، حيث قال سبحانه:

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْت مَثَابَة لِلنّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخذِوا مِنْ مَقامِ إِبراهِيمَ مُصلّىٰ﴾.[1]

ولا ريب أنّ الصلاة نفسها لا تختلف من الناحية الجوهرية، سواء أُقيمت في هذا المقام أو سائر نقاط المسجد، وهذا يكشف عن أنّ المقام المذكور قد اكتسب بسبب وجود النبي إبراهيم عليه السلام ميزة أُخرى، فأصبح مكاناً مباركاً، لذلك تجد المصلّي يأتي بصلاته هناك لأجل التبرّك بذلك المكان الطاهر.

وفي موضع آخر من القرآن نجد اللّه سبحانه وتعالى يعتبر «المسعىٰ» ـ و هو المسافة الواقعة بين الصفا والمروة ـ محلاً للعبادة، وما ذلك إلّا لأنّ

---

١. البقرة: ١٢٥.

السيدة الطاهرة والموحّدة «هاجر» قد لامست بقدميها المباركتين هذه الأرض سبعة أشواط بحثاً عن الماء، وليس لذلك الأمر علّة إلّا التبرّك بهذه البقعة المقدّسة التي لامست جزءاً من بدن أُمّ إسماعيل عليه وعليها السلام.

## ٢. قميص يوسف ﷺ وعودة البصر إلى يعقوب

لقد عانى يعقوب ﷺ ألم فراق ولده العزيز يوسف ﷺ ردحاً طويلاً من الزمن، ولقد بكاه طوال تلك المدّة حتّى فقد بصره إلى الدرجة التي وصفه فيها الذكر الحكيم بقوله: ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾.[١]

فشاءت الإرادة الإلهية أن يعود إلى يعقوب بصره عن طريق قميص ولده يوسف ﷺ حيث قال تعالى على لسان يوسف ﷺ: ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً﴾.[٢]

ولا ريب أنّ قميص يوسف ﷺ لا يختلف من الناحية المادية أو من ناحية الشكل عن غيره، ولكن تعلّقت الإرادة الإلهية بأن يصدر الفيض الإلهي إلى عبده يعقوب من خلال هذا الطريق، وقد صرّح القرآن الكريم بهذه الحقيقة حيث قال سبحانه:

﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً﴾.[٣]

---

١. يوسف: ٨٤.

٢. يوسف: ٩٣.

٣. يوسف: ٩٦.

## ٣. تابوت بني إسرائيل والسكينة

لقد وضع موسى ﷺ وفي الأيام الأخيرة من عمره الشريف، الألواح المقدّسة التي تحتوي على شريعته ﷺ، ودرعه وسلاحه وآثاره الأُخرى في صندوق، وجعل الصندوق عند وصيّه «يوشع بن نون»، ومن هنا اكتسب هذا الصندوق أهمية كبرى لدى بني إسرائيل، فكانوا يحملونه معهم أثناء الحروب التي تقع بينهم وبين خصومهم متبرّكين به، ومستنزلين النصر من الله عن طريقه، وكانوا يعيشون حياة عزيزة مادام ذلك الصندوق المبارك بين ظهرانيهم، ولكن لمّا دبّ فيهم الضعف الديني، وقلّ تأثير الوازع الأخلاقي في أوساطهم، تمكّن خصومهم من هزيمتهم والتغلّب عليهم، وتمكّنوا كذلك من نهب ذلك الصندوق المبارك.

ولمّا اختار الله سبحانه ـ بعد فترة من الزمن ـ طالوت ملكاً وقائداً لبني إسرائيل، قال لهم نبيّهم: إنّ آية صدقه وكونه قائداً منصباً من قبله سبحانه هو أن يأتيكم ذلك الصندوق، ولقد أشار الذكر الحكيم إلى ذلك بقوله سبحانه:

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسىٰ وَآلُ هارُونَ تَحْمِلُهُ المَلائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.[1]

---

١ . البقرة: ٢٤٨ .

والإمعان في الآية المباركة يكشف أنّ القرآن الكريم ينقل لنا على لسان نبيه، تبرّك بني إسرائيل بذلك الصندوق ويؤكّد كذلك مدى قيمته وشرفه بحيث تحمله الملائكة، وحينئذٍ نتساءل لو كان هذا العمل مخالفاً لأُصول التوحيد ومتعارضاً معها، فكيف ياترى جاز لذلك النبي أن يلقي إليهم الخبر على نحو البشرى؟!!

**٤. التبرّك بمقام أصحاب الكهف**

حين اكتشف المؤمنون والموحّدون المكان الذي اختفى فيه الفتية«أصحاب الكهف»، أخذوا يتداولون الأمر بينهم ماذا نعمل؟ فكان إطباق الجميع واتّفاقهم على أن يبنوا على قبورهم مسجداً ليكون محلاً للعبادة وللتبرّك بالعبادة إلى جنب تلك الأجساد الطاهرة، ولقد نقل لنا القرآن الكريم هذه الحقيقة بقوله سبحانه:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِداً﴾.[1]

قال المفسّرون: إنّ الهدف من بناء المسجد هو إقامة الصلاة والتبرّك بأجسادهم الطاهرة.

إلى هنا نكتفي بهذه الآيات الأربع، والتي يكشف الإمعان فيها عن حقيقة واضحة وترشدنا إلى أصل علمي وقرآني جليّ، وهو أنّ المشيئة الإلهية قد تعلّقت بأن تفاض نعمه ومواهبه المادية والمعنوية على البشر من

---

١. الكهف: ٢١.

خلال الأسباب الطبيعية، بلا فرق بين الأُمور المادية والمعنوية، فعلى سبيل المثال شاءت الإرادة الإلهية أن تفاض هدايته على البشر عن طريق الأسباب الطبيعية فأرسل لهم الأنبياء مبشّرين ومنذرين.

ولكن في الوقت نفسه قد تتعلّق الإرادة الإلهية بأن يجري فيضه عن طريق الأسباب والطرق والمجاري غير الطبيعية، وما التبرّك إلاّ واحداً من تلك المجاري التي يتمسّك بها الإنسان لاستنزال الفيض الإلهي والنعم الربّانية عليه.

وعلى ضوء ذلك كان المسلمون يتبرّكون بآثار رسول الله ﷺ حيث يتبركون بشعره وبفضل وضوئه وثيابه وآنيته ومسّ جسده الشريف، إلىٰ غير ذلك من آثاره الشريفة التي رواها الأخيار عن الأخيار.

فصارالتبرك بها سنّة الصحابة واقتدىٰ آثارهم من نهج نهجهم من التابعين والصالحين.

قال ابن هشام في الفصل الذي عقده لصلح الحديبية: إنّ قريشاً بعثت عروة بن مسعود الثقفي إلىٰ رسول الله ﷺ فجلس بين يديه، وبعد ما وقف على نية الرسول من خروجه إلىٰ مكة رجع إلىٰ قومه وأخبرهم بما دار بينه و بين الرسول ﷺ، ثمّ قال: إنّ محمّداً لا يتوضّأ إلّا وابتدر أصحابه بماء وضوئه، ولا يسقط من شعره شيء إلّا أخذوه، ثمّ قال: يا معشر قريش لقد رأيت كسرىٰ في ملكه، وقيصر في ملكه، والنجاشي في ملكه، وإنّي والله ما رأيت ملكاً في قومه قط مثل محمد في أصحابه، ولقد

رأيت قوماً لا يسلّمونه لشيء أبداً فرَوْا رأيكم.[١]

وقد ألّف غير واحد من علماء الإسلام ما قام به الصحابة من التبرك بآثار النبي ﷺ نذكر عناوينها :

التبرك بتحنيك الأطفال.

التبرك بالمسح والمس.

التبرك بفضل وضوئه وغسله.

التبرك بسؤر شرابه وطعامه.

إنّ تبرك الصحابة لم يقتصر علىٰ ذلك بل كانوا يتبركون بماء أُدخل فيه يده المباركة، وبماء من الآنية التي شرب منها، وبشعره، وعرقه، وظفره، والقدح الذي شرب منه، وموضع فمه، ومنبره، والدنانير التي أعطاها، وقبره وجرت عادتهم على التبرك به، ووضع الخد عليه والبكاء عنده.

وقد ألف المحقّق العلاّمة محمد طاهر بن عبد القادر كتاباً باسم «تبرك الصحابة»، وهو من علماء مكة المكرمة قال فيه : أجمعت صحابة النبي ﷺ على التبرك بآثار رسول الله والاهتمام في جمعها، وهم الهداة المهديون والقدوة الصالحون فيتبركون بشعره وبفضل وضوئه وعرقه وثيابه وآنيته وبمسّ جسده الشريف، وبغير ذلك ممّا عرف من آثاره الشريفة التي صحّت به الأخبار عن الأخيار.

---

١. السيرة النبوية: ابن هشام: ٢ / ٣١٤، صلح الحديبية.

وقد وقع التبرك ببعض آثاره في عهده وأقرّه ولم ينكر عليه،فدلّ ذلك دلالة قاطعة على مشروعيته، ولو لم يكن مشروعاً لنهىٰ عنه وحذّر منه.

وكما تدلّ الأخبار الصحيحة وإجماع الصحابة علىٰ مشروعيته تدلّ على قوة إيمان المتبركين وشدّة محبتهم وموالاتهم ومتابعتهم للرسول الأعظم ﷺ كقول الشاعر:

أمرّ على الديار ديار ليلى    أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حبّ الديار شغفن قلبي    ولكن حبّ من سكن الديارا[١]

---

١. تبرك الصحابة: ٥٠.

٥

# زيارة القبور

إن زيارة قبور الأنبياء والأولياء تنطوي على آثار تربوية وأخلاقية هامة، لأنّ مشاهدة المقابر التي تضمُّ في طياتها مجموعة كبيرة من رفات الذين عاشوا في هذه الحياة، ثمّ انتقلوا إلى الآخرة، تؤدي إلىٰ الحد من الطمع والحرص على الدنيا، وربما يُغيِّر سلوك الإنسان فيترك الظلم والمنكر ويتوجه إلى الله والآخرة.

لذا يقول الرسول الأعظم ﷺ: «زوروا القبور فانّها تذكّركم بالآخرة».[1]

نعم يستفاد من بعض الأحاديث انّ النبي ﷺ نهىٰ يوماً عن زيارة القبور ثمّ رخّصها، ولعلّ النهي كان لملاك آخر، وهو أنّ أكثر الأموات ـ يومذاك ـ كانوا من المشركين، فنهى النبي ﷺ عن زيارتهم، ولمّا كثر المؤمنون بينهم رخّصها بإذن الله عزّ وجلّ، وقال: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانّها تزهد في الدنيا وتذكر في الآخرة».[2]

---

١. شفاء السقام: ١٠٧.

٢. سنن ابن ماجة: ١١٧/١، باب ما جاء في زيارة القبور.

وقالت عائشة: إنّ رسول الله رخّص في زيارة القبور، وقالت: إنّ النبي ﷺ قال: أمرني ربّي أن آتي البقيع وأستغفر لهم. قلتُ: كيف أقول يا رسول الله ﷺ ؟

قال: قولي: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمؤمنات يرحم الله المستقدمين منّا والمستأخرين، انّا إن شاء الله بكم لاحقون.[١]

وجاء في الصحاح والمسانيد صور الزيارات التي زار بها النبي ﷺ البقيع.

قال مؤلف كتاب «الفقه على المذاهب الأربعة»: زيارة القبور مندوبة للاتعاظ وتذكّر الآخرة وتتأكد يوم الجمعة، وينبغي للزائر الاشتغال بالدعاء والتضرّع، والاعتبار بالموتى، وقراءة القرآن للميت، فإنّ ذلك ينفع الميت على الأصح، وبما ورد أن يقول الزائر عند رؤية القبور: «السّلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون» ولا فرق في الزيارة بين كون المقابر قريبة أو بعيدة[٢] بل يندب السفر لزيارة الموتى خصوصاً مقابر الصالحين.

هذه كلمات فقهاء المذاهب الأربعة حول زيارة القبور.[٣]

---

١. لاحظ صحيح مسلم: ٢ / ٦٤، باب ما يقال عند دخول القبور.

٢. إلّا الحنابلة فقالوا إذا كانت القبور بعيدة فزيارتها مباحة لا مندوبة.

٣. الفقه على المذاهب الأربعة: ١ / ٥٤٠.

## زيارة قبر النبي ﷺ

هذا كلّه حول زيارة قبور المسلمين، وأمّا زيارة قبر النبي وأئـمّة الإسلام والشهداء والصالحين فلا شكّ انّ لزيارتهم نتائج بنّاءة نشير إليها، كما نشير إلى الأحاديث الواردة حول زيارة قبورهم ليكون البحث مرفقاً بالتحليل وجامعاً للدليل.

أمّا التحليل: انّ زيارة مراقد هذه الشخصيات هو نوع من الشكر والتقدير علىٰ تضحياتهم وإعلام للجيل الحاضر بأنّ هذا هو جزاء الذين يسلكون طريق الحقّ والهدى، والفضيلة والدفاع عن المبدأ والعقيدة، وهذا لا يدفعنا إلىٰ زيارة قبورهم فحسب، بل إلى إبقاء ذكرياتهم حية ساخنة، والمحافظة على آثارهم وإقامة المهرجانات ، في ذكرىٰ مواليدهم،وعقد المجالس وإلقاء الخطب المفيدة في أيّام التحاقهم بالرفيق الأعلىٰ، وهذا شيء يدركه كلّ ذي مسكة.

ولأجل ذلك ترى أنّ الأُمم الحية يتسابقون في زيارة مدفن رؤسائهم وشخصياتهم الذين ضحُّوا بأنفسهم وأموالهم في سبيل نجاة الشعب، وإنقاذه من مخالب المستعمرين والظالمين، ويقيمون المجالس لإحياء معالمهم، دون أن يخطر ببال أحد انّ هذه الأُمور عبادة لهم، فأين التعظيم للشخصيات من عبادتهم؛ فإنّ التعظيم تقدير لجهودهم، والعبادة تأليههم واتخاذهم أرباباً. أفهل هناك من يخلط بين الأمرين منّا أو من غيرنا؟! كلاّ،

ولا، شريطة الإمعان في مقوّمات العبادة وتعريفها الماضيتين في الفصلين السابقين.

إذا وقفت على الآثار البنّاءة لزيارة مطلق القبور وزيارة قبور الأولياء والصالحين، نذكر خصوص ما ورد من الروايات التي جاء فيها الحث على زيارة قبر النبي الأعظم ﷺ.

أخرج أئمّة المذاهب الأربعة وحفاظها في الصحاح والمسانيد أحاديث جمّة في زيارة قبر النبي ﷺ نذكر شطراً منها:

١. عن عبد الله بن عمر مرفوعاً: من زار قبري وجبت له شفاعتي.

٢. عن عبد الله بن عمر مرفوعاً: من جاءني زائراً لا تحمله إلّا زيارتي كان حقاً عليّ أن أكون له شفيعاً يوم القيامة.

٣. عن عبد الله بن عمر مرفوعاً: من حجّ فزار قبري بعد وفاتي كمن زارني في حياتي.

٤. عن عبد الله بن عمر مرفوعاً: من حجّ البيت ولم يزرني فقد جفاني.

٥. عن عمر مرفوعاً: من زار قبري أو من زارني كنت له شفيعاً أو شهيداً.

٦. عن حاتم بن أبي بلتعة مرفوعاً: من زارني بعد موتي فكأنّما زارني في حياتي.

٧. عن أبي هريرة مرفوعاً: من زارني بعد موتي فكأنّما زارني وأنا حيّ، ومن زارني كنت له شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة.

٨ عن أنس بن مالك مرفوعاً: من زارني في المدينة محتسباً كنت له شفيعاً.

٩. عن أنس بن مالك: من زارني ميتاً فكأنّما زارني حيّاً، ومن زار قبري وجبت له شفاعتي يوم القيامة، وما من أحد من أُمّتي له سعة ثمّ لم يزرني فليس له عذر.

١٠. عن ابن عباس مرفوعاً: من زارني في مماتي كمن زارني في حياتي، ومن زارني حتى ينتهي إلى قبري كنت له يوم القيامة شهيداً، أو قال شفيعاً.

فهذه أحاديث عشرة أخرجها الحفاظ من المحدّثين، وقد جمع أسانيدها وطرقها وصححها تقي الدين السبكي (المتوفّى سنة ٧٥٦هـ) في كتاب شفاء السقام في زيارةخير الأنام، فمن أراد التفصيل فليرجع إليه.[١]

---

١. شفاء السقام في زيارة خير الأنام، الباب الأوّل في الأحاديث الواردة في زيارته؛ ولاحظ أيضاً وفاء الوفا بأحوال دار المصطفى: ٤ / ١٣٣٦.

# ٦

## البناء على القبور

المراد من القبور في العنوان هو قبور الأنبياء والشهداء والأئمّة الأولياء الذين لهم مكانة عالية في قلوب المؤمنين، فهل هو أمر جائز أو لا ؟

وهذه المسألة كالمسألتين السابقتين لا تمت إلى العقيدة الإسلامية بصلة حتىٰ تكون ملاكاً للتوحيد والشرك، وإنّما هي من المسائل الفقهية التي يدور أمرها بين الإباحة والكراهة والاستحباب وغيرها.

ولا يصحّ لمسلم واع أن يتخذ تلك المسألة ذريعة للشرك والتكفير، فكم من مسائل فقهية اختلفت فيها كلمة الفقهاء، ومن حسن الحظ لم يختلف في هذه المسألة فقهاء الأئمة الأربعة ولا فقهاء المذهب الإمامي ودليلهم على جواز البناء علىٰ قبور تلك الشخصيات عبارة عن سيرة المسلمين منذ رحيل النبي ﷺ إلىٰ يومنا هذا.

أ. وارىٰ المسلمون جسد النبي ﷺ في بيته المسقف وحرصوا على بذل المزيد من العناية بحجرته الشريفة بشتى الأساليب، وقد جاء ذكرها في الكتب التي أُلفت في تاريخ المدينة لا سيما كتاب وفاء الوفا للعلاّمة السمهوديّ.[1]

---

١. وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى:٢ / ٤٥٨، الفصل التاسع.

وشيّد البناء الموجود عام ١٢٧٠هـ وهو بحمد الله قائم لم يمسه السوء، وسوف يبقى بفضل الله تبارك وتعالى محفوظاً مصوناً عن الاندثار، فلو كان البناء على القبور أمراً حراماً لدفنه المسلمون في مكان واسع لا سقف فيه.

ب. انّ البناء على القبور كانت سيرة سائدة بين المسلمين من عصر الصحابة إلى يومنا هذا، وهذه هي كتب الرّحّلات تذكر لنا وصف القبور الموجودة في المدينة التي كانت عليها قباب وعلى قبورهم صخرة فيها أسماؤهم ونحن نذكر من ذلك نزراً يسيراً:

١. يقول المسعودي(المتوفّى٤٤٥هـ) حول المشاهد والقباب في البقيع: وعلى قبورهم في هذا الموضع من البقيع، رخامة مكتوب عليها: بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله مبيد الأمم ومحيي الرمم وهذا قبر فاطمة بنت رسول الله ﷺ سيدة نساء العالمين، وقبر الحسن بن علي بن أبي طالب، وعلي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، و محمد بن علي، و جعفر بن محمد.[1]

٢.وذكر السبط ابن الجوزي(المتوفّى عام ٦٥٤هـ) في «تذكرة الخواص» ص ٣١١ نظير ذلك.

٣. كما وصف محمد بن أبي بكر التلمساني المدينة الطيبة وبقيع الغرقد في القرن الرابع بقوله: وقبر الحسن بن علي عن يمينك إذا خرجت

---

١. مروج الذهب ومعادن الجوهر: ٢ / ٢٨٨.

من الدرب ترتفع إليه قليلاً عليه مكتوب هذا قبر الحسن بن علي دفن إلى جنب أُمّه فاطمة عليها السلام.[١]

٤. يقول الحافظ محمد بن محمود بن النجار (المتوفّىٰ عام ٦٤٣ هـ) في «أخبار مدينة الرسول صلى الله عليه وآله»: في قبة كبيرة عالية قديمة البناء في أوّل البقيع، وعليها بابان يفتح أحدهما في كلّ يوم للزيارة رضي اللّه عنهم.[٢]

٥. ويقول ابن جبير الرحالة الطائر الصيت(المتوفّى عام ٦١٤هـ) في رحلته في وصف بقيع الغرقد: يقع في مقابل قبر مالك قبر السلالة الطاهرة إبراهيم بن النبي عليها قبة بيضاء، وعلى اليمين منها تربة ابن عمر ابن الخطاب، وبإزائه قبر عقيل بن أبي طالب عليه السلام وعبد اللّه بن جعفر الطيار عليه السلام، وبإزائهم روضة فيها أزواج النبي صلى الله عليه وآله، وبها روضة صغيرة فيها ثلاثة من أولاد النبي صلى الله عليه وآله ، و روضة العباس بن عبد المطلب والحسن بن علي عليه السلام وهي قبة مرتفعة في الهواء علىٰ مقربة من باب البقيع المذكور وعن يمين الخارج منه، ورأس الحسن إلى رجلي العباس، وقبراهما مرتفعان عن الأرض متسعان مغشيان بألواح ملصقة، أبدع إلصاق، مرصّعة بصفائح الصفر، ومكوكبة بمسامير على أبدع صفة، وأجمل منظر، وعلىٰ هذا الشكل قبر إبراهيم بن النبي صلى الله عليه وآله، ويلي هذه القبة العباسية بيت ينسب لفاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وآله ويعرف ببيت الحزن... وفي آخر البقيع قبر عثمان الشهيد

---

١. مجلة العرب، رقم ٥ ـ ٦، المؤرخة ١٣٩٣ هـ.

٢. أخبار مدينة الرسول، اهتمّ بنشره صالح محمد جمال بمكة المكرمة عام ١٣٦٦ هـ.

المظلوم ذي النورين وعليه قبة صغيرة مختصرة، وعلى مقربة منه مشهد فاطمة ابنة أسد أُمّ عليّ رضي اللّه عنها وعن بنيها.(١)

٦. وروى البلاذري انّه لما ماتت زينب بنت جحش سنة عشرين صلّىٰ عليها عمر، وكان دفنها في يوم صائف، ضرب عمر علىٰ قبرها فسطاطا.(٢)

ولم يكن الهدف من ضربه ذلك الفسطاط تسهيل الأمر لمن يتعاطىٰ دفنها، بل لأجل تسهيله لأهلها حتى يتفيّؤا بظله، ويقرأوا ما يتيسر من القرآن والدعاء.

٧. يقول السمهودي(المتوفّى ٩١١هـ) في وصف بقيع الغرقد: قد ابتنىٰ عليها مشاهد، منها المشهد المنسوب لعقيل بن أبي طالب وأُمّهات المؤمنين،تحوي العباس والحسن بن علي ... وعليهم قبة شامخة في الهواء، قال ابن النجار: ...وهي كبيرة عالية، قديمة البناء، وعليها بابان، يفتح أحدهما في كلّ يوم.وقال المطري: بناها الخليفة الناصر أحمد بن المستضيء... وقبر العباس وقبر الحسن مرتفعان من الأرض متسعان مغشيان بألواح ملصقة أبدع إلصاق، مصحفة بصفائح الصفر، مكوكبة بمسامير علىٰ أبدع صفة وأجمل منظر.(٣)

---

١. رحله ابن جبير، طبع بيروت، دار صادر، وقد زار ابن جبير المدينة المنورة عام ٥٧٨ هـ.

٢. أنساب الأشراف: ١ / ٤٣٦.

٣. وفاء الوفا: ٣ / ٩١٦ ـ ٩٢٩.

إلى غير ذلك من الرحالة الذين زاروا المدينة المنورة ووصفوا تلكم المزارات و المشاهد و القباب المرتفعة ونظر الكل إليها بعين الرضا والمحبة لا بعين السخط والغضب.

وهذا النوع من الاتفاق والإجماع من قبل علماء الإسلام طيلة قرون أقوىٰ شاهد على جواز البناء علىٰ قبور الشخصيات الإسلامية الذين لهم منزلة ومكانة في القلوب.

ولنعم ما يقول العلاّمة العاملي:

مضت القرون وذي القباب مشيدة

والناس بين مؤسس ومجدد

في كلّ عصر فيه أهل الحل والـ

ـعقد الذين بغيرهم لم يعقد

لم ينكروا أبداً على من شادها

شيدت ولا من منكر ومفند

فبسيرة للمسلمين تتابعت

في كل عصر نستدل ونقتدي [1]

---

١. كشف الارتياب: ٣٩٥.

# ٧

## بناء المساجد على القبور والصلاة فيها

إنّ بناء المساجد على القبور أو عندها والصلاة فيها مسألة فقهية فرعية لا تمتُّ إلى العقائد بصلة.

فالمرجع في هذه المسائل هم أئمّة المذاهب وفقهاء الدين يستنبطون حكمه من الكتاب والسنّة، وليس لنا تكفير أو تفسيق واحد من الطرفين إذا قال بالجواز أو بعدمه، وكم من مسألة فقهية اختلفت فيها آراء الفقهاء والمجتهدين، ونحن بدورنا نعرض المسألة على الكتاب والسنّة لنستنبط حكمها من أوثق المصادر الفقهية.

الذكر الحكيم يشرح لنا كيفية عثور الناس على قبور أصحاب الكهف وانّهم ـ بعد العثور ـ اختلفوا في كيفية تكريمهم وإحياء ذكراهم والتبرّك بهم على قولين: فمن قائل: يُبنىٰ على قبورهم بنيان ليُخلّد ذكراهم بين الناس.

إلى قائل آخر: يبنىٰ علىٰ قبورهم مسجداً يصلّىٰ فيه.

وقد حكىٰ سبحانه كلا الاقتراحين من دون تنديد بواحد منهما، قال سبحانه: ﴿وَكَذٰلِكَ أَعْثَرْنا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا انَّ وَعْدَ اللّٰهِ حَقٌّ وَانَّ السّاعَةَ لاٰ رَيْبَ فيها إِذْ يَتَنازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْياناً رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ

قالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً﴾.(١)

قال المفسرون: إنّ الاقتراح الأوّل كان لغير المسلمين ويؤيده قولهم في حقّ أصحاب الكهف:﴿رَبّهم أَعْلَمُ بِهِم﴾ وهو ينمّ عن اهتمام بالغ بحالهم ومكانتهم فحوّلوا أمرهم إلى ربّهم.

وأمّا الاقتراح الثاني فنفس المضمون (اتخاذ قبورهم مسجداً) شاهد على أنّ المقترحين كانوا هم المؤمنين، وما اقترحوا ذلك إلّا للتبرّك بالمكان الذي دفنت فيه أجساد هؤلاء الموحّدين.

والقرآن يذكر ذلك الاقتراح من دون أن يعقب عليه بنقد أو ردّ، وهو يدلّ على كونه مقبولاً عند مُنزل الوحي.

قال الطبري في تفسير الآية: إنّ المبعوث دخل المدينة فجعل يمشي بين ظهري سوقها فيسمع أُناساً كثيرين يحلفون باسم عيسى بن مريم، فزاده فرقاً ورأى أنّه حيران، فقام مُسْنِداً ظهره إلى جدار من جُدُر المدينة، ويقول في نفسه: والله ما أدري ما هذا أمّا عشية أمس فليس على الأرض إنسان يذكر عيسى بن مريم إلّا قتل، وأمّا الغداة فأسمعهم وكلّ إنسان يذكر أمر عيسى لا يخاف، ثمّ قال في نفسه: لعلّ هذه ليست بالمدينة التي أعرف.(٢)

---

١. الكهف: ٢١.

٢. تفسير الطبري: ١٥ / ١٤٥.

## سيرة المسلمين في البناء على قبور الصالحين

إنّ سيرة المسلمين تكشف عن جواز بناء المساجد على قبور الصالحين الذين يُتبرّك بهم ولهم مكانة عالية في قلوبهم، ويدلّ على ذلك الأُمور التالية:

أ. دفن النبي ﷺ في بيته الذي فيه وكان في جوار المسجد النبوي، ولمّا كثر المسلمون وازداد عددهم وضاق المسجد بهم أدخلوا الجانب الشرقي ـ الذي كان فيه بيوت أزواج النبي ﷺ والبيت الذي دفن فيه ـ في المسجد النبوي على نحو يقف المصلون أطراف القبر من الجوانب الأربعة ويحيطون به.

يقول الطبري في حوادث سنة ٨٨: إنّه في شهر ربيع الأوّل من هذه السنة قدم كتاب الوليد على عمر بن عبد العزيز يأمره بهدم المسجد النبوي وإضافة حجر رسول الله ﷺ وأن يوسعه من قبلته وسائر نواحيه، باشتراء الأملاك المحيطة به، فأخبر عمر الفقهاء العشرة وأهل المدينة بذلك، فحبذوا بقاء تلك الحُجُر على حالها ليعتبر بها المسلمون، ويكون أدعى لهم إلى الزهد اقتداءً بنبيهم، فكاتب ابن عبد العزيز الوليد في ذلك، فأرسل إليه يأمره بالخراب، وتنفيذ ما ذكره في كتابه الأوّل، فضجّ بنو هاشم وتباكوا، ولكن عمر نفّذ ما أمره به الوليد، فأدخل الحجرة النبوية (حجرة عائشة) في المسجد، فدخل القبر في المسجد وسائر حجرات أُمّهات المؤمنين وقد

بني عليه سقف مرتفع كما أمر الوليد.[١]

فإذا كان هذا العمل بمرأى ومسمع من فقهاء المدينة العشرة والمسلمين عامة، وفي مقدم التابعين منهم علي بن الحسين زين العابدين وابنه محمد بن علي الباقر عليهما السلام اللّذين لم يشك أحد في زهدهما وعلمهما وعرفانهما. فهو أوضح دليل على جواز إقامة المسجد عند قبور الأنبياء والصالحين والصلاة فيه.

ولم يعترض على هذا العمل كلّ التابعين بما فيهم مالك إمام دار الهجرة وأحد أئمّة المذاهب الأربعة .

ب . يقول السمهودي في حقّ السيدة فاطمة بنت أسد أمّ الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام : فلمّا توفيت خرج رسول اللّه فأمر بقبرها فحفر في موضع المسجد الذي يقال له اليوم قبر فاطمة.[٢]

والعبارة تدلّ على أنّهم بنوا المسجد بعد تدفينها.

وقال في موضع آخر: إنّ مصعب بن عمير وعبد اللّه بن جحش دفنا تحت المسجد الذي بني على قبر حمزة.[٣]

ج. انّ السيدة عائشة قضت حياتها في بيتها وصلّت فيه تمام عمرها، ولم يكن بينها وبين القبر أيّ جدار إلى أن دفن عمر فبني

١. راجع تاريخ الطبري: ٥ / ٢٢٢؛ البداية والنهاية: ٨ / ٦٥.

٢. وفاء الوفا: ٣ / ٨٩٧.

٣. المصدر السابق: ٣ / ٩٢٢.

جدار حال بينها وبين القبور الثلاثة.[١]

د. روى البيهقي انّ فاطمة بنت النبي ﷺ كانت تذهب إلىٰ زيارة قبر عمها حمزة فتبكي وتصلي عنده.[٢]

أخرج الحاكم، عن سليمان بن داود، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن علي بن الحسين عليه السلام، عن أبيه، انّ فاطمة بنت النبي ﷺ: كانت تزور قبر عمها حمزة كلّ جمعة فتصلي وتبكي عنده.

قال الحاكم: وهذا الحديث رواته عن آخرهم ثقات. وأقرّه الذهبي عليه ونقله البيهقي في سننه.[٣]

وهذا يدل علىٰ بناء المسجد علىٰ قبر حمزة في حياة النبي ﷺ والصلاة فيه.

هـ. انّ النبي ﷺ ـ في معراجه الذي بدأ به من المسجد الأقصى ـ نزل في المدينة، وطور سينا وبيت لحم، وصلّى فيها، فقال جبرئيل: صليت في «طيبة» وإليها مهاجرتك، وصلّيت في طور سينا حيث كلّم اللّه موسى، وصلّيت في بيت لحم حيث ولد المسيح.[٤]

هل هناك فرق بين المدفن والمولد، مع أنّ الصلاة في كلٍّ، لغاية

---

١. وفاء الوفا: ٢ / ٥٤١.

٢. السنن الكبرىٰ: ٤ / ٧٨.

٣. مستدرك الحاكم: ١ / ٣٧٧.

٤. الخصائص الكبرىٰ: ١ / ١٥٤.

واحدة وهي التبرّك بالإنسان المثالي الذي مسّ جسده الطاهر، ذلك التراب بداية عمره أو نهايته؟!

وبما انّ الكتاب ـ مضافاً إلى السيرة المستمرة بعد رحيل رسول الله ﷺ إلى يومنا هذا ـ دليل قطعي، يكون محكماً يؤخذ به، وما دلّ على خلافه، يكون متشابهاً، فيرد إلى المحكم ويفسره بفضله.

ربّما يتراءىٰ من بعض الروايات عدم جواز اتّخاذ قبور الأنبياء مساجد.

فروي عن رسول الله ﷺ انّه قال: قاتل الله اليهود اتّخذوا قبور أنبيائهم مساجد.

وفي رواية أُخرى: لعن الله اليهود والنصارى اتّخذوا قبور أنبيائهم مساجد.

وفي رواية ثالثة: ألا وإنّ من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد.[١]

ولنا مع هذه الأحاديث وقفة قصيرة، وذلك لأنّ تاريخ اليهود لا يتفق مع مضامين تلك الروايات، لأنّ سيرتهم قد قامت علىٰ قتل الأنبياء وتشريدهم وإيذائهم إلى غير ذلك من أنواع البلايا التي كانوا يصبّونها علىٰ أنبيائهم.

---

١. للوقوف على مصادر هذه الأحاديث راجع صحيح البخاري: ١١١/٢ كتاب الجنائز؛ سنن النسائي:٨٧١/٢ كتاب الجنائز؛ صحيح مسلم:٦٨/٢، باب النهي عن بناء المساجد على القبور من كتاب المساجد.

ويكفي في ذلك قوله سبحانه: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾.[١]

وقوله سبحانه: ﴿قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.[٢]

وقال سبحانه: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ...﴾.[٣]

أفتزعم انّ أُمّة قتلت أنبياءها في مواطن مختلفة تتحول إلى أُمّة تشيد المساجد على قبور أنبيائها تكريماً وتبجيلاً لهم.

وعلى فرض صدور هذا العمل عن بعضهم، فللحديث محتملات أُخرى غير الصلاة فيها والتبرّك بصاحب القبر، وهي:

أ. اتخاذ القبور قبلة.

ب. السجود على القبور تعظيماً لها بحيث يكون القبر مسجوداً عليه.

ج. السجود لصاحب القبر بحيث يكون هو المسجود له، فالقدر المتيقن هو هذه الصور الثلاث لا بناء المسجد على القبور تبرّكاً بها.

---

١. آل عمران: ١٨١.

٢. آل عمران: ١٨٣.

٣. النساء: ١٥٥.

والشاهد على ذلك انّ الرسول ﷺ حسب بعض الروايات يصف هؤلاء بكونهم شرار الناس .

أخرج مسلم في كتاب المساجد: انّ أُمّ حبيبة وأُمّ سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير لرسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: إنّ أُولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بني على قبره مسجداً، وصوّروا فيه تلك الصور، أُولئك شرار الخلق عند اللّه يوم القيامة.[1]

إنّ وصفهم بشرار الخلق يميط اللثام عن حقيقة عملهم إذ لا يوصف الإنسان بالشر المطلق إلّا إذا كان مشركاً ـ و إن كان في الظاهر من أهل الكتاب ـ قال سبحانه: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوابِّ عِنْدَ اللّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُون﴾.[2]

وقال: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوابِّ عِنْدَ اللّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾.[3]

وهذا يعرب عن أنّ عملهم لم يكن صرفَ بناء المسجد على القبر والصلاة فيه، أو مجرد إقامة الصلاة عند القبور، بل كان عملاً مقروناً بالشرك بألوانه، وهذا كما في اتخاذ القبر مسجوداً له أو مسجوداً عليه أو قبلة يصلى عليه.

قال القرطبي: وروى الأئمّة عن أبي مرثد الغنوي قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: لا تصلّوا إلى القبور، ولا تجلسوا عليها. «لفظ مسلم» أي لا

---

١. صحيح مسلم:٢/٦٦، باب النهي عن بناء المساجد على القبور من كتاب المساجد.

٢. الأنفال: ٢٢.

٣. الأنفال: ٥٥.

تتخذّوها قبلة فتصلّوا عليها أو إليها كما فعل اليهود و النصارىٰ فيؤدي إلى عبادة من فيها.(١)

إنّ الصلاة عند قبر الرسول ﷺ إنّما هو لأجل التبرّك بمن دفن، ولا غروَ فيه وقد أمر سبحانه الحجيج باتخاذ مقام إبراهيم مصلى قال سبحانه: ﴿وَاتَّخِذوا مِنْ مَقامِ إِبْراهيمَ مُصلّىٰ﴾.(٢)

إنّ الصلاة عند قبور الأنبياء كالصلاة عند مقام إبراهيم غير أنّ جسد النبي إبراهيم ﷺ لامس هذا المكان مرّة أو مرات عديدة، ولكن مقام الأنبياء احتضن أجسادهم التي لا تبلى أبداً.

هذا وانّ علماء الإسلام فسروا الروايات الناهية بمثل ما قلناه.

قال البيضاوي: لما كانت اليهود والنصارىٰ يسجدون لقبور الأنبياء تعظيماً لشأنهم ويجعلونها قبلة يتوجهون في الصلاة نحوها، واتّخذوها أوثاناً، لعنهم ومنع المسلمين عن مثل ذلك. فأمّا من اتخذ مسجداً في جوار صالح وقصد التبرّك بالقرب منه لا للتعظيم ولا للتوجه ونحوه، فلا يدخل في الوعيد المذكور.(٣)

وقال السندي شارح سنن النسائي: اتّخذوا قبور أنبيائهم مساجد، أي

---

١. تفسير القرطبي: ١٠ / ٣٨.

٢. البقرة: ١٢٥.

٣. فتح الباري في شرح صحيح البخاري:٥٢٥/١، طبعة دار المعرفة؛ وقريب منه ما في إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري:٤٣٧/٢، باب بناء المسجد على القبور.

قبلة للصلاة ويصلون إليها، أو بنوا مساجد يصلون فيها، ولعلّ وجه الكراهة أنّه قد يفضي إلىٰ عبادة نفس القبر.

إلى أن يقول: يحذر النبي ﷺ أُمّته أن يصنعوا بقبره ما صنع اليهود والنصارىٰ بقبور أنبيائهم من اتخاذ تلك القبور مساجد، إمّا بالسجود إليها تعظيماً لها أو بجعلها قبلة يتوجهون في الصلاة إليها.[1]

١. سنن النسائي: ٢ / ٤١.

# ٨

## البكاء على الميت

الحزن والتأثر عند فقدان الأحبة أمر جُبلت عليه الفطرة الإنسانية فإذا ابتلي بمصاب عزيز من أعزّائه أو فلذة من أفلاذ كبده وأرحامه يحس بحزن شديد يتعقبه ذرف الدموع على وجناته، دون أن يستطيع أن يتمالك حزنه أو بكاءه.

ولا أجد أحداً ينكر هذه الحقيقة إنكار جدٍ وموضوعية ومن الواضح بمكان انّ الإسلام دين الفطرة يجاريها ولا يخالفها.

قال سبحانه: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللّهِ الّتي فَطَرَ النّاسَ عَلَيْها﴾.[1]

ولا يمكن لتشريع عالميّ أن يحرم الحزن والبكاء على فقد الأحبة إذا لم يقترن بشيء يغضب الرب.

ومن حسن الحظ نرى أنّ النبيﷺ والصحابة الكرام والتابعين لهم بإحسان ساروا على وفق الفطرة.

---

١. الروم: ٣٠.

وهذا رسول الله ﷺ يبكي على ولده إبراهيم، ويقول: «العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلّا ما يرضي ربنا، وإنّا بك يا إبراهيم لمحزونون».[١]

روى أصحاب السِّيَر والتاريخ، أنّه لمّا احتضر إبراهيم ابن النبي، جاء ﷺ فوجده في حجر أُمّه، فأخذه ووضعهُ في حجره، وقال: «يا إبراهيم إنّا لن نغني عنك من الله شيئاً ـ ثمّ ذرفت عيناه وقال: ـ إنّا بك يا إبراهيم لمحزونون، تبكي العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الربّ، ولولا أنّه أمرٌ حقٌّ ووعدٌ صدقٌ وأنّها سبيل مأتيّة لحزنّا عليك حزناً شديداً أشدّ من هذا».

ولمّا قال له عبد الرحمان بن عوف: أو لم تكن نهيت عن البكاء؟ أجاب بقوله: «لا، ولكن نهيتُ عن صوتين أحمقين وآخرين: صوت عند مصيبة وخمش وجوه وشقّ جيوب ورنّة شيطان، وصوت عن نغمة لهو، وهذه رحمة، ومن لا يَرحم لا يُرحَم».[٢]

وليس هذا أوّل وآخر بكاء منه ﷺ عند ابتلائه بمصاب أعزّائه، بل كان ﷺ قد بكى على ابنه «طاهر» وقال: «إنّ العين تذرف، وإنّ الدمع يغلب، والقلب يحزن، ولا نعصي الله عزّ وجلّ».[٣]

---

١. سنن أبي داود:١/٥٨؛ سنن ابن ماجة: ١ / ٤٨٢.

٢. السيرة الحلبية: ٣ / ٣٤٨.

٣. مجمع الزوائد للهيثمي: ٣ / ٨.

وقد قام العلاّمة الأميني في موسوعته الكبيرة «الغدير» بجمع موارد كثيرة بكىٰ فيها النبي ﷺ والصحابة والتابعون على موتاهم وأعزّائهم عند افتقادهم، وإليك نصّ ما جاء به ذلك المتتبع الخبير:

وهذا هو ﷺ لمّا أُصيب حمزة ؓ وجاءت صفيّة بنت عبد المطلّب ـ رضي الله عنها ـ تطلبه فحال بينها و بينه الأنصار، فقال ﷺ : دعوها، فجلست عنده فجعلت إذا بكت بكىٰ رسول الله ﷺ وإذا نشجت نَشَجَ، وكانت فاطمة ؑ تبكي، ورسول الله كلّما بكت يبكي، و قال: لن أُصاب بمثلك أبداً.[1]

ولمّا رجع رسول الله ﷺ من أُحد بكت نساء الأنصار على شهدائهن، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: لكن حمزة لا بواكي له، فرجع الأنصار فقالوا لنسائهم: لا تبكين أحداً حتّى تبدأن بحمزة، قال: فذاك فيهم إلى اليوم لا يبكين ميّتاً إلّا بدأن بحمزة.[2]

وهذا هو ﷺ ينعى جعفراً ، وزيد بن حارثة، وعبد الله بن رواحة، وعيناه تذرفان.[3]

وهذا هو ﷺ زار قبر أُمّه وبكىٰ عليها وأبكى من حوله.[4]

---

١. امتاع المقريزي: ص ١٥٤.

٢. مجمع الزوائد: ٦ / ١٢٠.

٣. صحيح البخاري: كتاب المناقب في علامات النبوّة في الإسلام؛ سنن البيهقي: ٤ / ٧٠.

٤. سنن البيهقي: ٤/٧٠؛ تاريخ الخطيب البغدادي: ٧ / ٢٨٩.

وهذا هو ﷺ يقبّل عثمان بن مظعون وهو ميّت ودموعه تسيل على خدّه.[1]

وهذا هو ﷺ يبكي على ابن لبعض بناته، فقال له عبادة بن الصامت: ما هذا يا رسول الله ﷺ؟ قال: «الرحمة التي جعلها الله في بني آدم وإنّما يرحم الله من عباده الرحماء».[2]

وهذه الصدّيقة الطاهرة تبكي على رسول الله ﷺ، وتقول: يا أبتاه من ربّه ما أدناه، يا أبتاه أجاب ربّاً دعاه، يا أبتاه إلى جبرئيل ننعاه، يا أبتاه جنّة الفردوس مأواه.[3]

وهذه هي ﷺ وقفت على قبر أبيها الطاهر، وأخذت قبضة من تراب القبر فوضعتها على عينها وبكت وأنشأت تقول:

ماذا على مَن شمّ تربة أحمد ... أن لا يشمّ مدى الزمان غواليا
صُبّت عليّ مصائبٌ لو أنّها ... صُبّت على الأيّام صِرن لياليا

وهذا أبو بكر بن أبي قحافة يبكي على رسول الله ﷺ ويرثيه بقوله:

يا عين فابكي ولا تسأمي ... وحُقّ البكاء على السيّد

---

١. سنن أبي داود: ٢ / ٦٣؛ سنن ابن ماجة: ١ / ٤٤٥.
٢. سنن أبي داود: ٢ / ٥٨؛ سنن ابن ماجة: ١ / ٤٨١.
٣. صحيح البخاري، باب مرض النبي ووفاته؛ مسند أبي داود: ١٩٧/٢؛ سنن النسائي: ١٣/٤؛ مستدرك الحاكم: ١٦٣/٣؛ تاريخ الخطيب: ٢٦٢/٦.

وهذا حسّان بن ثابت يبكيه ﷺ ويقول:

ظــللت بــها أبكــي الرسـول فأسـعدت

عــيونٌ ومــثلاها مــن الجـفن أسـعد[١]

## تحليل حديث تعذيب الميت ببكاء أهله

نعم ربما يتمسك بالرواية المعروفة من أن الميّت يعذب ببكاء أهله عليه، ويتخذ ذلك ذريعة للمنع عن البكاء الّذي تتطلبه الفطرة الإنسانية وتدفع الإنسان إليه.

ولكن المتمسكين قد غفلوا عن مفاد الحديث وإليك دراسته.

أخرج مسلم في صحيحه عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال:

ذُكر عند عائشة قول ابن عمر: الميت يعذب ببكاء أهله عليه، فقالت: رحم اللّه أبا عبد الرحمن، سمع شيئاً فلم يحفظه إنّما مرّت على رسول اللّه ﷺ جنازة يهودي، وهم يبكون عليه، فقال: أنتم تبكون وانّه ليعذب.[٢]

وأخرج أبو داود في سننه عن عروة عن عبد اللّه بن عمر قال: قال رسول اللّه ﷺ: إنّ الميّت ليعذّب ببكاء أهله عليه، فذكر ذلك لعائشة فقالت ـ وهي تعني ابن عمر ـ: إنّما مرّ النبي ﷺ على قبر يهودي فقال: إنّ

---

١. الغدير: ٦ / ١٦٥.

٢. صحيح مسلم: ٣ / ٤٤، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه من كتاب الصلاة.

صاحب هذا ليُعذَّب وأهله يبكون عليه. ثمّ قرأت ﴿وَلاَ تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخرىٰ﴾.[١]

قال الشافعي: ما روت عائشة عن رسول الله ﷺ أشبه أن يكون محفوظاً عنه ﷺ بدلالة الكتاب والسنّة، فإن قيل : فأين دلالة الكتاب ؟ قيل: في قوله عزّوجلّ: ﴿وَلاَ تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرىٰ...﴾، و ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسانِ إِلّا ما سَعىٰ﴾[٢] وقوله: ﴿فَمَنْ يعْمَل مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَل مِثقالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾[٣]، وقوله : ﴿...لِتُجْزىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِما تَسْعىٰ﴾[٤].

فإن قيل: أين دلالة السنّة؟ قيل: قال رسول اللّه ﷺ لرجل: ابنك هذا؟ قال: نعم، قال: أما أنّه لا يجني عليك ولا تجني عليه.

فأعلم رسول اللّه مثلما أعلم اللّه من أنّ جناية كلّ امرئ عليه، كما أنّ عمله لا لغيره ولا عليه».[٥]

وأخرج مسلم عن ابن عباس:قال رسول اللّه ﷺ : إنّ الميت يعذّب ببكاء أهله عليه، فقال ابن عباس: فلمّا مات عمر ذكرت ذلك لعائشة،

١. سنن أبي داود:٣/١٩٤، برقم ٣١٢٩.

٢. النجم: ٣٩.

٣. الزلزلة: ٧ـ ٨.

٤. طه: ١٥.

٥. اختلاف الحديث بهامش كتاب الأمّ للشافعي: ٧ / ٢٦٧.

فقالت: يرحم اللّٰه عمر، لا واللّٰه ما حدّث رسول اللّٰهﷺ انّ اللّٰه يـعذّب المؤمن ببكاء أحد ولكن قال: إنّ اللّٰه يزيد الكافر عذاباً ببكاء أهله عـليه، قال: وقالت عائشة: حسبكم القرآن :﴿وَلاٰ تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرىٰ﴾ .[1]

وما أخرجه مسلم عن هشام بن عروة هو الحقّ دون ما أخرجه عن ابن عباس، لأنّ تعذيب الكافر ببكاء أهله عليه أيضاً يضاد الذكر الحكيم.

١. صحيح مسلم: ٣ / ٤٣، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه من كتاب الصلاة.

# ٩

# التوسّل بالنبي ﷺ والأولياء بأصنافه

اتّفق المسلمون على جواز التوسّل بدعاء الرسول ﷺ في حال حياته، بل يستحب التوسّل بدعاء المؤمن كذلك، قال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللّهَ وَاسْتَغْفَرَلَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللّهَ تَوّاباً رَحِيماً﴾.[1]

تجد أنّه سبحانه يدعو الظالمين إلى المجيء إلى مجلس الرسول ﷺ كي يستغفر لهم.

وفي آية أُخرى يندد بالمنافقين بأنّهم إذا دعوا إلى المجيء إلى مجلس الرسول ﷺ وطلب المغفرة منه تنكّروا لذلك واعترضوا عليه بليّ الرأس، قال سبحانه: ﴿وَإِذا قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا يَسْتَغْفِر لَكُمْ رَسُولُ اللّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾.[2]

---

١. النساء: ٦٤.

٢. المنافقون: ٥ .

وتاريخ الإسلام حافل بنماذج عديدة من أصناف التوسّل، وإليك بيانها:

## الأوّل: التوسّل بذات النبي ﷺ و قدسيته وشخصيته

وها هنا وثيقة تاريخية ننقلها بنصّها تعرب عن توسّل الصحابة بدعاء النبي ﷺ في حال حياته أوّلاً، وبقدسيته وشخصيته ثانياً، والمقصود من نقلها هو الاستدلال على الأمر الثاني.

روى عثمان بن حنيف أنّه قال: إنّ رجلاً ضريراً أتى النبيفقال: ادعُ اللّه أن يعافيني؟

فقال ﷺ : إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت وهو خير؟

قال: فادعه ، فأمره ﷺ أن يتوضّأ فيحسن وضوءه ويصلي ركعتين ويدعو بهذا الدعاء : «اللّهمّ إنّي أسألك وأتوجه إليك بنبيك نبي الرحمة،يا محمد إنّي أتوجه بك إلى ربّي في حاجتي لتقضى، اللّهمّ شفّعه فيّ».

قال ابن حنيف: فواللّه ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتّى دخل علينا كأن لم يكن به ضرّ.

وهذه الرواية من أصح الروايات، قال الترمذي: هذا حديث حق، حسن صحيح.[١]

وقال ابن ماجة: هذا حديث صحيح.[٢]

---

١. صحيح الترمذي ٥، كتاب الدعوات، الباب ١١٩ برقم ٣٥٧٨.

٢. سنن ابن ماجة: ١ / ٤٤١ برقم ١٣٨٥؛ مسند أحمد: ٤ / ١٣٨؛ إلى غير ذلك.

ويستفاد من الحديث أمران:

الأوّل: جواز التوسّل بدعاء النبي ﷺ، ويدلّ على ذلك قول الضرير: ادعُ اللّه أن يعافيني،وجواب الرسول ﷺ: «إن شئتَ دعوتُ، وإن شئت صبرت وهو خير».

الثاني: انّه يجوز للإنسان الداعي أن يتوسّل بذات النبي ﷺ في ضمن دعائه، وهذا يستفاد من الدعاء الذي علّمه النبي ﷺ للضرير، والإمعان فيه يثبت هذا المعنى، وانّه يجوز لكلّ مسلم في مقام الدعاء أن يتوسل بذات النبي ﷺ ويتوجّه به إلى اللّه.

وإليك الجمل التي تدلّ على هذا النوع من التوسّل:

**١. اللّهمّ إنّي أسألك وأتوجه إليك بنبيّك**

إنّ كلمة «بنبيّك» متعلّقة بفعلين «أسألك» و«أتوجه إليك» والمراد من النبي ﷺ نفسه القدسية وشخصيته الكريمة لا دعاءه.

**٢. محمد نبي الرحمة**

نجد انّه يذكر اسم النبي ﷺ ثمّ يصفه بنبي الرحمة معرباً عن أنّ التوسّل بذات النبي ﷺ بما لها من الكرامة والفضيلة.

**٣. يا محمّد إنّي أتوجّه بك إلى ربّي**

إنّ جملة: «يا محمّد إنّي أتوجّه بك إلى ربّي» تدلّ على أنّ الضرير

حسب تعليم الرسول، اتّخذ النبي ﷺ نفسه وسيلة لدعائه وتوسّل بذاته بما لها من المقام والفضيلة.

نعم لم يكن يدور في خلد الضرير سوى التوسّل بدعائه ولكن الرسول ﷺ علّمه دعاء جاء فيه التوسّل بذات النبي ﷺ وهو في نوعه توسّل ثان، وبذلك وقفنا علىٰ أنّه يستحب للمسلم أن يتوسّل بدعاء الصالحين من الأنبياء والأولياء كما يجوز له في دعائه التوسّل بذواتهم ومقامهم ومنزلتهم.

ويظهر من الأحاديث الشريفة انّ أصحاب النبي ﷺ كانوا يتوسّلون بذات النبي ﷺ في مقام الابتهال والدعاء حتى بعد رحيل النبي ﷺ .

أخرج الطبراني، عن أبي أُمامة بن سهل بن حنيف، عن عمّه عثمان بن حنيف: انّ رجلاً كان يختلف إلىٰ عثمان بن عفان في حاجة له، فكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته، فلقىٰ ابن حنيف فشكا ذلك إليه، فقال له عثمان بن حنيف: ائتِ الميضاة فتوضأ، ثم ائتِ المسجد فصلِ فيه ركعتين، ثمّ قل: «اللّهمّ إنّي أسألك وأتوجه إليك بنبيّنا محمّد ﷺ نبي الرحمة، يا محمد إنّي أتوجه بك إلىٰ ربّي فتقضي لي حاجتي» فتذكر حاجتك ورح حتى أروح معك.

فانطلق الرجل فصنع ما قال له، ثمّ أتىٰ باب عثمان بن عفان، فجاء البواب حتى أخذ بيده فأدخله علىٰ عثمان بن عفان، فأجلسه معه على الطنفسة، فقال: حاجتك؟ فذكر حاجته وقضاها له، ثمّ قال له: ما ذكرت

حاجتك حتى كان الساعة. وقال: ما كانت لك من حاجة فاذكرها.

ثمّ إنّ الرجل خرج من عنده فلقي عثمان بن حنيف، فقال له: جزاك اللّه خيراً ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إليّ حتّى كلّمته فيّ، فقال عثمان بن حنيف: واللّه ما كلّمته، ولكني شهدت رسول اللّه ﷺ وأتاه ضرير فشكا إليه ذهاب بصره، فقال له النبي ﷺ: فتصبر؟ فقال: يا رسول اللّه ليس لي قائد فقد شقّ عليّ.

فقال النبي ﷺ: إئت الميضاة فتوضأ، ثمّ صلّ ركعتين، ثمّ ادع بهذه الدعوات.

قال ابن حنيف: فواللّه ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأنّه لم يكن به ضرّ قط.[1]

***

إنّ سيرة المسلمين في حياة النبي ﷺ وبعدها، استقرت على أنّهم كانوا يتوسّلون بأولياء اللّه والصالحين من عباده، دون أن يدور في خلد أحد منهم بأنّه أمر حرام أو شرك أو بدعة، بل كانوا يرون التوسّل بدعاء الصالحين طريقاً إلى التوسّل بمنزلتهم، وشخصيتهم، فإنّه لو كان لدعاء الرجل الصالح أثر، فإنّما هو لأجل قداسة نفسه وطهارتها، ولولاهما لما استجيبت دعوته، فما معنى الفرق بين التوسّل بدعاء الصالح وبين التوسّل

---

١. المعجم الكبير للحافظ سليمان بن أحمد الطبراني: ٩/٣٠ـ ٣١، باب ما أسند إلى عثمان بن حنيف برقم ٨٣١١؛ والمعجم الصغير له أيضاً: ١/١٨٣ـ ١٨٤.

بشخصه وذاته، حتى يكون الأوّل نفس التوحيد و الآخر عين الشرك أو ذريعة إليه.

إنّ التوسّل بقدسية الصالحين، والمعصومين من الذنب، والمخلصين من عباد اللّٰه لم يكن قط أمراً جديداً بين الصحابة، بل كان ذلك امتداداً للسيرة الموجودة قبل الإسلام، فقد تضافرت الروايات التاريخية على ذلك وإليك البيان:

١. استسقاء عبد المطلب بالنبي ﷺ وهو رضيع:

لقد استسقى عبد المطلب بالنبي ﷺ وهو طفل صغير، حتى قال ابن حجر: إنّ أبا طالب يشير بقوله:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

إلى ما وقع في زمن عبد المطلب حيث استسقى لقريش والنبي ﷺ معه غلام.[١]

٢. استسقاء أبي طالب بالنبي ﷺ :

أخرج ابن عساكر عن ابن عرفلة، قال: قدمت مكة وقريش في قحط .... فقالت قريش: يا أبا طالب أقحط الوادي وأجدب العيال، فهلم فاستسق، فخرج أبو طالب ومعه غلام ـ يعني : النبي ﷺ ـ كأنّه شمس دجى تجلّت عنه سحابة قتماء، وحوله اغيلمة، فأخذه أبو طالب فألصق ظهره بالكعبة،

---

١. فتح الباري: ٣٩٨/٢؛ دلائل النبوة: ١٢٦/٢.

ولاذ باصبعه الغلام وما في السماء قزعة، فأقبل السحاب من هاهنا و من هاهنا واغدودق وانفجر له الوادي وأخصب النادي والبادي، وفي ذلك يقول أبو طالب في قصيدة يمدح بها النبي ﷺ :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل[1]

وقد كان استسقاء أبي طالب بالنبي ﷺ وهو غلام، بل استسقاء عبد المطلب به وهو صبي أمراً معروفاً بين العرب، وكان شعر أبي طالب في هذه الواقعة مما يحفظه أكثر الناس.

ويظهر من الروايات أنّ استسقاء أبي طالب بالنبي ﷺ كان موضع رضاً من رسول الله ﷺ ، فإنّه بعد ما بعث للرسالة استسقى للناس، فجاء المطر وأخصب الوادي فقال النبي ﷺ : «لو كان أبو طالب حيّاً لقرّت عيناه، من ينشدنا قوله؟».

فقام علي عليه السلام وقال: يا رسول الله ﷺ كأنّك أردت قوله:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه

ثمال اليتامى عصمة للأرامل[2]

إنّ التوسل بالأطفال الأبرياء في الاستسقاء أمر ندب إليه الشرع الشريف، فهذا هو الإمام الشافعي يقول : أن يخرج الصبيان، ويتنظفوا

---

١. السيرة الحلبية: ١١٦/١.

٢. إرشاد الساري: ٣٣٨/٢.

للاستسقاء وكبار النساء ومن لا هيئة له منهنّ، ولا أحب خروج ذوات الهيئة ولا آمر بإخراج البهائم.[١]

وما الهدف من إخراج الصبيان والنساء الطاعنات في السن، إلّا استنزال الرحمة بهم وبقداستهم وطهارتهم، وكلّ ذلك يعرب عن أنّ التوسّل بالأبرياء والصلحاء والمعصومين مفتاح استنزال الرحمة، وكأنّ المتوسّل بهم يقول: ربّي و سيدي انّ الصغير معصوم من الذنب،و الكبير الطاعن في السن أسيرك في أرضك، وكلتا الطائفتين أحقّ بالرحمة والمرحمة، فلأجلهم أنزل رحمتك إلينا،حتىٰ تعمّنا في ظلّهم.

فإنّ الساقي ربما يسقي مساحة كبيرة لأجل شجرة واحدة وفي ظلها تسقى الأعشاب غير المفيدة.

وعلىٰ ضوء هذا التحليل يفسر توسّل الخليفة بعمّ الرسول: «العباس بن عبد المطلب» الذي سيمر عليك، وأنّه كان توسّلاً بشخصه وقداسته وصلته بالرسول ﷺ، وتعلم بالتالي أنّ هذا العمل كان امتداداً للسيرة المستمرة، وانّ هذا لا يمت إلى التوسّل بدعاء العباس بصلة.

### ٣. التوسّل بعمّ النبي ﷺ

أخرج البخاري في صحيحه ،عن أنس: «انّ عمر بن الخطاب كان إذا قَحَطوا استسقىٰ بالعباس بن عبد المطلب ؓ فقال: اللّهمّ إنّا كنّا نتوسل

---

١. الأمّ:٢٤٨/١، باب خروج النساء والصبيان في الاستسقاء.

إليك بنبيّنا فتسقينا، وانّا نتوسل إليك بعمّ نبيّنا فاسقنا. قال: فيسقون».[١]

هذا ما نصّ عليه البخاري وهو يدل على أنّ عمر بن الخطاب عند دعائه واستسقائه توسّل بعمّ النبي ﷺ وشخصه وشخصيته وقدسيته وقرابته من النبي ﷺ لا بدعائه. ويدلّ على ذلك:

قول الخليفة عند الدعاء: «اللّهمّ إنّا كنّا نتوسّل إليك بنبيّنا فتسقينا، وانّا نتوسّل إليك بعمّ نبيّنا فاسقنا». وهذا ظاهر في أنّ الخليفة قام بنفسه بالدعاء عند الاستسقاء، وتوسّل بعمّ الرسول وقرابته منه في دعائه.

**الثاني: التوسّل بحقّ النبي ﷺ والأنبياء والصالحين**

وهناك لون آخر من التوسّل وهو التوسّل بحقّ الأنبياء والمرسلين، والمراد الحقّ الذي تفضّل به سبحانه عليهم فجعلهم أصحاب الحقوق، وليس معنى ذلك أنّ للعباد أو للصالحين على الله حقّاً ذاتياً يلزم عليه تعالى الخروج منه، بل الحقّ كلّه لله، وإنّما المراد الحقّ الذي منحه سبحانه لهم تكريماً، وجعلهم أصحاب حقّ على الله، كما قال سبحانه: ﴿وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.[٢]

ويدلّ على ذلك من الروايات ما يلي:

أ. روى أبو سعيد الخدري: قال: قال رسول الله ﷺ: من خرج من

---

١. صحيح البخاري: ٢٧/٢، باب صلاة الاستسقاء، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا من كتاب الصلاة.

٢. الروم: ٤٧.

بيته إلى الصلاة، وقال: «اللّهمّ إنّي أسألك بحقّ السائلين عـليك، وأسـألك بحقّ ممشاي هـذا،فـانّي لم أخـرج أشـراً ولا بـطراً ولا ريـاءً ولا سـمعة، وخرجت اتقاء سُخْطِك وابتغاء مرضاتك، فأسألك أن تعيذني من النار، وأن تغفر لي ذنوبي انّه لا يغفر الذنوب إلّا أنت» أقبل اللّه عليه بوجهه، واستغفر له سبعون ألف ملك.[1]

ب. روى عمر بن الخطاب، قال: قال رسول اللّه ﷺ : «لما اقترف آدم الخطيئة، قال: ربّي أسألك بحقّ محمّد لما غفرت لي، فقال اللّه عزّوجلّ: يا آدم كيف عرفت محمّداً ولم أخلقه؟ قال: لأنّك لما خلقتني بيدك ونفخت فيّ من روحك، رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلّا اللّه، محمّد رسول اللّه، فعلمت أنّك لم تضف إلى اسمك إلّا أحبّ الخلق إليك، فقال اللّه عزّ وجلّ: صدقت يا آدم انّه لأحبّ الخلق إليّ ، وإذ سألتني بحقّه فقد غفرت ولولا محمّد ما خلقتك».[2]

ج. روى الطبراني بسنده عن أنس بن مالك انّه لما ماتت فاطمة بنت أسد حفروا قبرها، فلمّا بلغوا اللحد حفر رسول اللّه بيده وأخرج ترابه بيده، فلمّا فرغ دخل رسول اللّه فاضطجع فيه، وقال: اللّه الذي يحيي ويـميت وهو حي لا يموت اغفر لأُمّي فاطمة بنت أسد ولقّنها حجتها، ووسّع عليها

---

١. سنن ابن ماجة: ٢٥٦/١رقم ٧٧٨، باب المساجد؛ مسند أحمد:٢١/٣.

٢. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي:٤٨٩/٥، دار الكتب العلمية.

مدخلها بحقّ نبيّك والأنبياء الذين من قبلي، فإنّك أرحم الراحمين.[١]

إلى هنا تم البحث عن أقسام التوسّل الثلاثة وعرفت أنّ الجميع يدعمه الكتاب والسنة وتصور انّ التوسل بغيره سبحانه تأليه وعبادة لغيره قد عرفت بطلانه وذلك لوجهين:

**الوجه الأوّل:** لو كان التوسّل بدعاء النبي ﷺ وذاته أو حقّه شركاً يلزم أن يكون كلّ توسّل كذلك حتى التوسّل بالغير في الأمور العادية مع أنّه باطل بالضرورة، لأنّ الجميع من قبيل التوسّل بالأسباب، عادية كانت أو غير عادية، طبيعيةً كانت أو غير طبيعية.

**الوجه الثاني:** قد عرفت في تعريف العبادة انّه الخضوع أمام الغير بما هو إله أو ربّ أو مفوض إليه أموره سبحانه، وليس واحد من هذه القيود متحقّقاً في التوسّل بالأنبياء والصالحين والشهداء، بل يتوسّل بهم بما أنّهم عباد مكرمون يستجاب دعاؤهم عند اللّه سبحانه، أو أنّ لذواتهم وحقوقهم منزلة عند اللّه، فالتوسّل بهم يثير بحار رحمته.

كيف يكون التوسّل بنبي التوحيد ﷺ شركاً مع أنّه يتوسّل به بما أنّه مكافح للشرك ومقوض لدعائمه؟

## الثالث: التوسّل بدعاء النبي ﷺ والصالحين بعد رحيلهم

من أقسام التوسّل الرائجة بين المسلمين هو التوسّل بدعاء

---

١. معجم الطبراني الأوسط: ٣٥٦؛ حلية الأولياء:٣/١٢١؛ مستدرك الحاكم: ٣/١٠٨.

النبي ﷺ أو الصالحين بعد رحيلهم .

ولكنّ ثمة سؤالاً يطرح نفسه وهو:

إنّ التوسل بدعاء الغير إنّما يصحّ إذا كان الغير حيّاً يسمع دعاءك ويستجيب لك ويدعو الله سبحانه لقضاء وطرك ونجاح سؤالك، أمّا إذا كان المستغاث ميتاً انتقل من هذه الدنيا فكيف يصحّ التوسّل بمن انتقل إلىٰ رحمة الله وهو لا يسمع؟

والجواب: انّ الموت ـ حسب ما يوحي إليه القرآن والسنّة النبوية ـ ليس بمعنى فناء الإنسان وانعدامه، بل معناه الانتقال من دار إلى دار وبقاء الحياة بنحو آخر والذي يعبر عنه بالحياة البرزخية. وقد دلّت الآيات الكريمة على أنّ الشهداء في سبيل الله أحياء عند ربهم يرزقون [١]، فما ظنك بنبي الشهداء وأفضل الخليقة.

---

١ . البقرة: ١٥٤، آل عمران: ١٦٩ ـ ١٧١، يس: ٢٠ ـ ٢٩، إلى غير ذلك من الآيات والروايات الدالّة على الحياة البرزخية للمؤمنين والكافرين. والتفصيل في محلّه .

# الفصل الرابع

## القرآن عند الشيعة الإمامية

١ . منزلة القرآن الكريم عند الشيعة الإماميّة

٢ . صيانة القرآن من التحريف

٣ . التحريف لغة واصطلاحاً

٤ . امتناع تطرق التحريف إلى القرآن

٥ . شهادة القرآن على عدم التحريف

٦ . شهادة الروايات على مصونية القرآن الكريم من التحريف

١ . أخبار عرض الأحاديث على القرآن الكريم

٢ . حديث الثقلين

٧ . أئمة أهل البيت وصيانة القرآن من التحريف

٨ . علماء الشيعة وصيانة القرآن من التحريف

٩ . آيات غير مكتوبة ادعيت انها من القرآن الكريم

١٠ . شبهتان حول التحريف

١١ . تاريخ جمع القرآن الكريم


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

## ا. منزلة القرآن الكريم عند الشيعة الإمامية

يُعدُّ القرآن الحجر الأساس للتشريع الإسلامي، وتليه السنّة النبوية التي هي قرينة الكتاب، غير أنّ القرآن وحي بلفظه ومعناه، والسنّة وحي . بمعناها ومضمونها دون لفظها، وهذا هو السبب الذي جعل النبي ﷺ يتحدّى بالقرآن دون السنّة.

إنّ القرآن أجلّ من أن يكون بحاجة إلى تعريف، إذ هو نور ظاهر بنفسه، مظهر لغيره، فهو كالشمس المضيئة، يُنير ماحوله، وكلّ نور دونه فهو خافت لا يضيء، وكفاك انّه سبحانه يُشيد بالقرآن بصور مختلفة، يقول تعالى: ﴿إِنَّ هٰذَا الْقُرآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَم﴾ [1] و يقول عزّمن قائل: ﴿وَنَزَّلْنا عَلَيْكَ الكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [2]، كما ويصرّح سبحانه بأنّه الفاصل بين الحقّ والباطل، حيث قال: ﴿تَبارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرقانَ عَلىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعالَمِينَ نَذِيراً﴾ [3]، إلى غير ذلك ممّا أشار إليه في الذكر الحكيم.

يُعدُّ القرآن الكريم الدعامة الأُولىٰ للمسلمين و اللبنة الأساسية في بناء الحضارة الإسلامية لا سيما الجانب الأخلاقي والفلسفي والفقهي، والذي زوّد المسلمين بالتشريع حقبة زمنية طويلة.

---

١. الإسراء: ٩.

٢. النحل: ٨٩.

٣. الفرقان: ١.

## ٢. صيانة القرآن من التحريف

القرآن هو المصدر الرئيسي والمنبع الأوّل للتشريع، وعنه صدر المسلمون منذ نزوله إلىٰ يومنا هذا، وهو القول الفصل في الخلاف والجدال، إلّا أنّ هنا نكتة جديرة بالاهتمام، و هي انّ استنباط المعارف والأحكام من الذكر الحكيم فرع عدم طروء التحريف إلى آياته بالزيادة والنقص. وصيانته عنهما وإن كان أمراً مفروغاً منه عند جلّ طوائف المسلمين، ولكن لأجل دحض بعض الشبه التي تثار في هذا الصدد، نتناول موضوع صيانة القرآن بالبحث والدراسة علىٰ وجه الإيجاز، فنقول:

## ٣. التحريف لغة واصطلاحاً

التحريف لغة: تفسير الكلام علىٰ غير وجهه، يقال: حرّف الشيء عن وجهه: حرّفه وأماله، وبه يفسر قوله تعالى:﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾.[1]

قال الطبرسي في تفسير الآية: يفسّرونها على غير ما أُنزلت، والمراد من المواضع هي المعاني و المقاصد.

وأمّا اصطلاحاً، فيطلق ويراد به وجوه مختلفة:

١. تحريف مدلول الكلام، أي تفسيره على وجه يوافق رأي المفسّر،

١ . النساء: ٤٦.

سواء أوافق الواقع أم لا، والتفسير بهذا المعنى واقع في القرآن الكريم، ولا يمسُّ بكرامته أبداً، فإنّ الفرق الإسلامية ـ جمع اللّه شملهم ـ عامة يصدرون عن القرآن ويستندون إليه، فكلّ صاحب هوى، يتظاهر بالأخذ بالقرآن لكن بتفسير يُدْعِمُ عقيدته، فهو يأخذ بعنان الآية، ويميل بها إلى جانب هواه، ومن أوضح مصاديق هذا النوع من التفسير، تفاسير الباطنية حيث وضعوا من عند أنفسهم لكلّ ظاهر، باطناً، نسبته إلى الثاني، كنسبة القشر إلى اللبّ، وأنّ باطنه يؤدّي إلى ترك العمل بظاهره، فقد فسّروا الاحتلام بإفشاء سرّ من أسرارهم، والغسلَ بتجديد العهد لمن أفشاه من غير قصد، والزكاة بتزكية النفس، والصلاة بالرسول الناطق لقوله سبحانه:﴿إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهىٰ عَنِ الْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾[1]. [2]

٢. النقص والزيادة في الحركة والحرف مع حفظ القرآن وصيانته، مثاله قراءة «يطهرن» حيث قُرِئ بالتخفيف والتشديد؛ فلو صحّ تواتر القراءات عن النبي ﷺ ـ و لن يصحّ أبداً ـ وانّ النبي هو الذي قرأ القرآن بها، فيكون الجميع قرآناً بلا تحريف، وإن قلنا: إنّه نزل برواية واحد، فهي القرآن وغيرها كلّها تحريف اخترعتها عقول القرّاء وزيّنوا قرآنهم بالحجج التي ذكروها بعد كلّ قراءة، وعلى هذا ينحصر القرآن بواحدة منها وغيرها لا صلة لها بالقرآن، والدليل الواضح على أنّهما من اخترعات القرّاء،

---

١ . العنكبوت: ٤٥.

٢ . المواقف: ٨ / ٣٩٠.

إقامتهم الحجّة على قراءتهم ولو كان الجميع من صميم القرآن لما احتاجوا إلى إقامة الحجّة، ويكفيهم ذكر سند القراءة إلى النبي.

ومع ذلك فالقرآن مصون عن هذا النوع من التحريف، لأنّ القراءة المتواترة، هي القراءة المتداولة في كلّ عصر، أعني: قراءة عاصم برواية حفص، القراءة الموصولة إلى علي عليه السلام، وغيرها اجتهادات مبتدعة، لم يكن منها أثر في عصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، و لذلك صارت متروكة لا وجود لها إلّا في بطون كتب القراءات، وأحياناً في ألسن بعض القرّاء، لغاية إظهار التبحّر فيها.

روى الكليني عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «إنّ القرآن واحد، نزل من عند واحد، ولكن الاختلاف يجيء من قبل الرواة».[١] ولذلك لا نجيز القراءة غير المعروفة منها في الصلاة.

٣. تبديل كلمة مكان كلمة مرادفة، كوضع «اسرعوا» مكان «امضوا» في قوله سبحانه:﴿وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ .[٢]

وقد نسب ذلك إلى عبد الله بن مسعود وكان يقول: ليس الخطأ أن يقرأ مكان «العليم»، «الحكيم».

لكن أُجلُّ ذلك الصحابي الجليل عن هذه التهمة، وأي غاية عقلائية يترتب على ذاك التبديل؟!

---

١. الكافي: ٢ / ٦٣٠، الحديث ١٢.

٢. الحجر: ٦٥.

٤. التحريف في لهجة التعبير، انّ لهجات القبائل كانت تختلف عند النطق بالحرف أو الكلمة من حيث الحركات والأداء، كما هو كذلك في سائر اللغات، فإنّ «قاف» العربية، يتلفّظ بها في إيران الإسلامية العزيزة على أربعة أوجه، فكيف المفردات من حيث الحركات والحروف؟! قال سبحانه:﴿وَمَنْ أَرادَ الآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً﴾.[1]

فكان بعض القرّاء تبعاً لبعض اللهجات يقرأ ﴿ وسعي﴾ بالياء مكان الألف.

وهذا النوع من التحريف لم يتطرّق إلى القرآن، لأنّ المسلمين في عهد الخليفة الثالث لمّا رأوا اختلاف المسلمين في التلفّظ ببعض الكلمات، مثل ما ذكرناه (أو تغيير بعضه ببعض مع عدم التغيّر في المعنى، مثل: امض، عجل، اسرع على فرض الصحّة) قاموا بتوحيد المصاحف وغسل غير ما جمعوه، فارتفع بذلك التحريف بالمعنى المذكور فاتفقوا على لهجة قريش.

٥. التحريف بالزيادة لكنّه مجمع على خلافه، نعم نسب إلى ابن مسعود أنّه قال: إنّ المعوذتين ليستا من القرآن، إنّهما تعويذان، و إنّهما ليستا من القرآن.[2] كما نسب إلى العجاردة من الخوارج أنّهم أنكروا أن تكون

---

١. الإسراء: ١٩.

٢. فتح الباري بشرح البخاري: ٨ / ٥٧١.

سورة يوسف من القرآن، وكانوا يرون أنّها قصة عشق لا يجوز أن يكون من الوحي.[١] ولكن النسبتين غير ثابتتين، ولو صحّ ما ذكره ابن مسعود لبطل تحدّي القرآن بالسورة، حيث أتى الإنسان غير الموحى إليه بسورتين مثل سور القرآن القصار.

٦. التحريف بالنقص والإسقاط عن عمد أو نسيان، سواء كان الساقط حرفاً، أو كلمة، أو جملة، أو آية، أو سورة، وهذا هو الذي دعانا إلى استعراض ذلك البحث، فنقول:

إنّ ادّعاء النقص في القرآن الكريم بالوجوه التي مرّ ذكرها أمر يكذبه العقل والنقل، وإليك البيان:

### ٤. امتناع تطرّق التحريف إلى القرآن

إنّ القرآن الكريم كان موضع عناية المسلمين من أوّل يوم آمنوا به، فقد كان المرجعَ الأوّل لهم، فكانوا يهتمون به قراءة وحفظاً، كتابة وضبطاً، فتطرّق التحريف إلى مثل هذا الكتاب لا يمكن إلّا بقدرة قاهرة حتى تتلاعب بالقرآن بالنقص، ولم يكن للأُمويّين ولا للعباسيين تلك القدرة القاهرة، لأنّ انتشار القرآن بين القرّاء والحفّاظ، وانتشار نسخه على صعيد هائل قد جعل هذه الأُمنية الخبيثة في عداد المحال.

إنّ للسيد الشريف المرتضى بياناً في المقام نأتي بنصّه، يقول: إنّ

---

١. الملل والنحل للشهرستاني: ١ / ١٢٨.

العلم بصحّة نقل القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار، والوقائع العظام، والكتب المشهورة، وأشعار العرب المسطورة، فإنّ العناية اشتدت والدواعي توفّرت على نقله وحراسته، وبلغت إلى حدّ لم يبلغه (غيره) فيما ذكرناه، لأنّ القرآن معجزة النبوّة، ومأخذ العلوم الشرعية، والأحكام الدينية، وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وحمايته الغاية، حتى عرفوا كلّ شيء اختلف فيه من إعرابه وقراءته وحروفه وآياته، فكيف يجوز أن يكون مغيّراً ومنقوصاً مع العناية الصادقة والضبط الشديد؟!

قال: والعلم بتفسير القرآن وأبعاضه في صحّة نقله كالعلم بجملته، وجرى ذلك مجرى ما علم ضرورة من الكتب المصنفة ككتاب سيبويه والمُزَني، فإنّ أهل العناية بهذا الشأن يعلمون من تفصيلهما ما يعلمونه من جملتهما، ومعلوم أنّ العناية بنقل القرآن وضبطه أصدق من العناية بضبط كتاب سيبويه ودواوين الشعراء.[١]

وهناك نكتة أُخرى جديرة بالإشارة، وهي إنّ تطرّق التحريف إلى المصحف الشريف يعدُّ من أفظع الجرائم التي لا يصحّ السكوت عنها، فكيف سكت الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وخاصّته نظير سلمان و المقداد وأبي ذر وغيرهم، مع أنّا نرى أنّ الإمام وريحانة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قد اعترضا على غصب فدك مع أنّه لا يبلغ عُشرَ ما للقرآن من العظمة والأهمية؟!

ويرشدك إلى صدق المقال أنّه قد اختلف أُبيّ بن كعب والخليفة

---

١ . مجمع البيان: ١ / ١٥، قسم الفن الخامس، طبعة صيدا.

الثالث في قراءة قوله سبحانه:﴿والَّذينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ [١]، فأصرَّ أُبيّ انّه سمع عن النبي (بالواو) وكان نظر الخليفة إلى أنّه خال منها، فتشاجرا عند كتابة المصحف الواحد وإرساله إلى العواصم، فهدّده أُبيّ وقال: لابد وأن تكتب الآية بالواو وإلّا لأضع سيفي على عاتقي فألحقوها.[٢]

كما نجد أنّ الإمام ﷺ أمر بردّ قطائع عثمان إلى بيت المال، وقال: «والله لو وجدته قد تُزوِّج به النساء، ومُلِكَ به الإماء، لرددته، فإنّ في العدل سعة، و من ضاق عليه العدل، فالجور عليه أضيق».[٣]

فلو كان هناك تحريف كان ردّ الآيات المزعوم حذفها من القرآن إلى محالّها أوجب وألزم.

نرى أنّ علياً ﷺ بعدما تقلّد الخلافة الظاهرية اعترض على إقامة صلاة التراويح جماعة، كما اعترض على قراءة البسملة سرّاً في الصلوات الجهرية، إلى غير ذلك من البدع المحدثة، فعارضها الإمام وشدّد النكير عليها بحماس، فلو صدر أيّام الخلفاء شيء من هذا القبيل حول القرآن لقام الإمام بمواجهته، وردّ ما حذف بلا واهمة.

والحاصل: من قرأ سيرة المسلمين في الصدر الأوّل يقف على أنّ نظرية التحريف بصورة النقص كان أمراً ممتنعاً عادة.

---

١. التوبة: ٣٤.

٢. الدر المنثور: ٤ / ١٧٩.

٣. نهج البلاغة: الخطبة ١٥، تحقيق صبحي الصالح.

## ٥. شهادة القرآن على عدم التحريف:

### آية الحفظ

إنّ القرآن هو الكتاب النازل من عند اللّه سبحانه، وهو سبحانه تكفّل صيانة القرآن وحفظه عن أيّ تلاعب، قال سبحانه:﴿وَقالُوا يا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ * لَوما تَأْتِينا بِالمَلائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّادِقِينَ * ما نُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ إِلاّ بِالحَقِّ وَما كانُوا إِذاً مُنْظَرِينَ * إِنّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنّا لَهُ لَحافِظُونَ﴾.[1]

إنّ المراد من الذكر في كلا الموردين هو القرآن الكريم بقرينة ﴿نُزِّلَ﴾ و﴿نَزَّلْنا﴾ والضمير في ﴿لَهُ﴾ يرجع إلى القرآن، وقد أورد المشركون اعتراضات ثلاثة على النبي، أشار إليها القرآن مع نقدها، وهي:

١. أنّ محمّداً ﷺ يتلقّى القرآن من لدن شخص مجهول، ويشير إلى هذا الاعتراض قولهم:﴿يا أَيُّهَا الّذي نزّلَ عَلَيْهِ الذِكْر﴾ بصيغة المجهول.

٢. انّه ﷺ مختل الحواس لا اعتبار بما يتلقّاه من القرآن وينقله، فلا نُؤمن من تصرّف مخيّلته وعقليّته في القرآن.

٣. لو صحّ قوله: بأنّه ينزل عليه الملك ويأتي بالوحي فـ:﴿لَوما تَأْتِينا بِالمَلائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّادِقِين﴾.

---

١. الحجر: ٦ ـ ٩.

فقد أجاب الوحي عن الاعتراضات الثلاثة، ونقدّم الجواب عن الثاني والثالث بوجه موجز، ثمّ نعطف النظر إلى الاعتراض الأوّل لأهميته.

أمّا الثاني، فقد ردّه بالتصريح بأنّه سبحانه هو المنزِّل دون غيره وقال: ﴿إِنّا نَحْنُ﴾ .

كما رد الثالث بأنّ نزول الملائكة موجب لهلاكهم وإبادتهم، وهو يخالف هدف البعثة، حيث قال:﴿وَما كانُوا إِذاً مُنْظَرِين﴾ .

وأمّا الأوّل، فقد صرّح سبحانه بأنّه الحافظ لذكره عن تطرق أيّ خلل وتحريف فيه، وهو لا تُغلب إرادته.

وبذلك ظهر عدم تمامية بعض الاحتمالات في تفسير الحفظ حيث قالوا المراد :

١. حفظه من قدح القادحين.

٢. حفظه في اللوح المحفوظ.

٣. حفظه في صدر النبي والإمام بعده.

فإنّ قدح القادحين ليس مطروحاً في الآية حتى تجيب عنه الآية، كما أنّ حفظه في اللوح المحفوظ أو في صدر النبيﷺ لا يرتبط باعتراض المشركين، فإنّ اعتراضهم كان مبنيّاً على اتّهام النبي بالجنون الذي لا ينفك عن الخلط في إبلاغ الوحي، فالإجابة بأنّه محفوظ في اللوح المحفوظ أو ما أشبهه لا يكون قالعاً للإشكال، فالحقّ الذي لا ريب فيه انّه سبحانه يخبر

عن تعهده بحفظ القرآن وصيانته في عامّة المراحل، فالقول بالنقصان يتضاد مع تعهده سبحانه.

**فإن قلت:** إنّ مدّعي التحريف يدّعي التحريف في نفس هذه الآية، لأنّها بعض القرآن، فلا يكون الاستدلال بها صحيحاً، لاستلزامه الدور الواضح.

**قلت:** إنّ مصبّ التحريف ـ على فرض طروئه ـ عبارة عن الآيات الراجعة إلى الخلافة والزعامة لأئمّة أهل البيت، أو ما يرجع إلى آيات الأحكام، كآية الرجم، وآية الرضعات، وأمثالهما؛ وأمّا هذه الآية ونحوها فلم يتطرّق التحريف إليها باتّفاق المسلمين.

## آية نفي الباطل

يصف سبحانه كتابه بأنّه المقتدر الذي لا يُغْلَب ولا يأتيه الباطل من أي جانب، قال:﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتابٌ عَزِيزٌ * لاٰ يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لاٰ مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾.[١]

ودلالة الآية رهن بيان أُمور:

**الأوّل:** المراد من الذكر هو القرآن، ويشهد عليه قوله:﴿وَإِنَّهُ لَكِتابٌ عَزِيزٌ﴾ مضافاً إلى إطلاقه على القرآن في غير واحد من الآيات، قال سبحانه:﴿يا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾.[٢] وقال

---

١. فصلت: ٤١ ـ ٤٢.

٢. الحجر: ٦.

سبحانه:﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوفَ تُسْئَلُونَ﴾.[١]

الثاني: انّ خبر «انّ» محذوف مقدّر وهو: سوف نجزيهم وما شابهه.

الثالث: الباطل يقابل الحق، فالحق ثابت لا يُغْلب؛ والباطل له جولة، لكنّه سوف يُغلب، مثلهما كمثل الماء والزبد، فالماء يمكث في الأرض والزبد يذهب جفاء، قال سبحانه:﴿كَذٰلِكَ يَضْرِبُ اللّٰهُ الحَقَّ وَالْباطِلَ فَأَمّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفاءً وَأَمّا ما يَنْفَعُ النّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذٰلِكَ يَضْرِبُ اللّٰهُ الأَمْثالَ﴾.[٢]

فالقرآن حقّ في مداليله ومفاهيمه، وأحكامه خالدة، ومعارفه وأُصوله مطابقة للفطرة، وأخباره الغيبية حق لا زيغ فيه، كما أنّه نزيه عن التناقض بين دساتيره وأخباره ﴿وَلَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللّٰهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾.[٣]

فكما أنّه حقّ من حيث المادة والمعنى، فهو حقّ من حيث الصورة واللفظ أيضاً، فلا يتطرّق إليه التحريف، ونعم ما قاله الطبرسي:لا تناقض في ألفاظه، ولا كذب في أخباره، ولا يعارض، ولا يزداد، ولا ينقص.[٤]

ويؤيّده قوله قبل هذه الآيات:﴿وَإِمّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللّٰهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.[٥] ولعلّه إشارة إلى ما كان يدخله في

---

١. الزخرف: ٤٤. ٢. الرعد: ١٧.

٣. النساء: ٨٢.

٤. مجمع البيان: ٩ / ١٥، ط صيدا.

٥. فصّلت: ٣٦.

نفسه من إمكان إبطال شريعته بعد مماته، فأمره بالاستعاذة بـالله السـميع العليم.

و الحاصل أنّ تخصيص مفاد الآية (نفي الباطل) بطروء التناقض في أحكامه وتكاذب أخباره لا وجه له، فالقرآن مصون عن أيّ باطل يبطله، أو فاسد يفسده، بل هو غضّ طريّ لا يُبْلىٰ وَلا يُفنىٰ.

آية جمع القرآن الكريم وقراءته

رُوي أنّه إذا نزل القرآن، عجل النبي بقراءته، حرصاً منه على ضبطه، فوافاه الوحي ونهاه عنه، وقال:﴿لاٰ تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَقُرآنَهُ * فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ﴾.[1] فعلى الله سبحانه الجمع والحفظ والبيان. كما ضمن في آية أُخرى عدم نسيانه ﷺ القرآن وقـال:﴿سَنُقْرِئُكَ فَلاٰ تَنْسىٰ * إِلاّ ما شاءَ اللهُ إِنَّهُ يَـعْلَمُ الجَـهْرَ وَمٰـا يَخْفىٰ﴾.[2]

هذا بعض ما يمكن أن يستدلّ به، على صيانة القرآن من التحريف بالقرآن، والاسـتثناء فـي الآيـة الأخـيرة نـظير الاسـتثناء فـي قـوله:﴿وَأَمّـا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الجَنَّةِ خالِدينَ فيها ما دامَتِ السَّماواتُ وَ الأَرضُ إِلاّ ما شاءَ رَبُّكَ عَطاءً غَيْرَ مَجْذُوذ﴾.[3] و من المعلوم أنّ أهل السعادة محكومون

١. القيامة: ١٦ ـ ١٩.

٢. الأعلى: ٦ ـ ٧.

٣. هود: ١٠٨.

بالخلود في الجنة ويشهد له ذيل الآية، أعني: قوله: ﴿عَطاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ أي غير مقطوع، ومع ذلك فليس التقدير على وجه يخرج الأمر من يده سبحانه، فهو في كلّ حين قادر على نقض الخلود.

## ٦. شهادة الروايات على مصونية القرآن الكريم من التحريف

وأمّا الروايات الدالّة على كونه مصوناً منه، فنقتصر منها بما يلي:

### ١. أخبار عرض الأحاديث على القرآن الكريم

قد تضافرت الروايات عن الأئمّة عليهم السلام بعرض الروايات على القرآن والأخذ بموافقه وردّ مخالفه، وقد جمعها الشيخ الحر العاملي في الباب التاسع من أبواب صفات القاضي.

روى الكليني عن السكوني، عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: «قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم : إنّ على كلّ حقّ حقيقة، وعلى كلّ صواب نوراً، فما وافق كتاب اللّه فخذوه، وما خالف كتاب الله فدعوه».[1]

وروى أيّوب بن راشد، عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: «ما لم يوافق من الحديث القرآن فهو زخرف».[2]

وفي رواية أيوب بن الحر، قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السلام يقول: «كلّ

---

١. الوسائل: ١٨، الباب ٩ من أبواب صفات القاضي، الحديث ١٠.

٢. الوسائل: ١٨، الباب ٩ من أبواب صفات القاضي، ح ١٢.

شيء مردود إلى الكتاب والسنّة، وكلّ حديث لا يوافق كتاب اللّه فهو زخرف».[١]

**وجه الدلالة من وجهين:**

ألف. انّ المتبادر من أخبار العرض أنّ القرآن مقياس سالم لم تنله يد التبديل و التحريف والتصرف، والقول بالتحريف لا يلائم القول بسلامة المقيس عليه.

ب. انّ الإمعان في مجموع روايات العرض يثبت انّ الشرط اللازم هو عدم المخالفة، لا وجود الموافقة، وإلّا لزم ردّ أخبار كثيرة لعدم تعرض القرآن إليها بالإثبات والنفي، ولا تعلم المخالفة وعدمها إلّا إذا كان المقيس (القرآن) بعامة سوره وأجزائه موجوداً عندنا، وإلّا فيمكن أن يكون الخبر مخالفاً لما سقط وحرّف.

## ٢. حديث الثقلين

إنّ حديث الثقلين يأمر بالتمسّك بالقرآن، مثل التمسّك بأقوال العترة، حيث قال ﷺ: «إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب اللّه ، وعترتي أهل بيتي ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا» ويستفاد منه عدم التحريف، وذلك:

ألف. انّ الأمر بالتمسّك بالقرآن، فرع وجود القرآن بين المتمسّكين.

ب. انّ القول بسقوط قسم من آياته وسُوَره ، يوجب عدم الاطمئنان

---

١. الوسائل: ١٨، الباب ٩ من أبواب صفات القاضي، ح ١٥ وغيرها.

فيما يستفاد من القرآن الموجود، إذ من المحتمل أن يكون المحذوف قرينة على المراد من الموجود.

## ٧. أئمة أهل البيت وصيانة القرآن من التحريف

إنّ الإمعان في خطب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وكلمات أوصيائه المعصومين عليهم السلام يعرب عن اعتبارهم القرآن الموجود بين ظهراني المسلمين، هو كتاب الله المنزل على رسوله بلا زيادة ولا نقيصة، ويعرف ذلك من تصريحاتهم تارة، وإشاراتهم أُخرى، ونذكر شيئاً قليلاً من ذلك:

١. قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أُنزل عليكم الكتاب تبياناً لكلّ شيء، وعمّر فيكم نبيّه أزماناً، حتى أكمل له ولكم ـ فيما أنزل من كتابه ـ دينه الذي رضي لنفسه».[١]

والخطبة صريحة في إكمال الدين تحت ظل كتابه، فكيف يكون الدين كاملاً و مصدره محرّفاً غير كامل؟! ويوضح ذلك انّ الإمام يحثّ على التمسّك بالدين الكامل بعد رحيل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وهو فرع كمال مصدره وسنده.

٢. وقال عليه السلام: «وكتاب الله بين أظهركم ناطق لا يعيا لسانه، وبيت لا تهدم أركانه، وعزٌّ لا تهزم أعوانه».[٢]

---

١. نهج البلاغة: الخطبة ٨٦.

٢. نهج البلاغة: الخطبة ١٣٣.

٣. وقال ﷺ : «كأنّهم أئمة الكتاب وليس الكتاب إمامهم».[١]

وفي رسالة الإمام الجواد ﷺ إلى سعد الخير[٢] : «وكان من نبذهم الكتاب أن أقاموا حروفه، وحرّفوا حدوده».[٣]

وفي هذا تصريح ببقاء القرآن بلفظه، وانّ التحريف في تطبيقه على الحياة حيث لم يطبقوا أحكامه في حياتهم، ومن أوضح مظاهره منع بنت المصطفى ﷺ من إرث والدها مع أنّه سبحانه يقول: ﴿يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَولادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ﴾.[٤]

وقال سبحانه: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمانُ داوُد﴾.[٥]

وقال سبحانه عن لسان زكريا: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوب﴾.[٦]

ولعلّ فيما ذكرنا كفاية، فلنستعرض كلمات علمائنا.

---

١. نهج البلاغة: الخطبة: ١٤٧.

٢. هو من أولاد عمر بن عبد العزيز، وقد بكى عند أبي جعفر الجواد لاعتقاده أنّه من الشجرة الملعونة في القرآن، فقال الإمام ﷺ له: «لست منهم وأنت منّا، أما سمعت قوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَهُوَ مِنّي﴾. (لاحظ قاموس الرجال:٣٥/٥) ومنه يعلم وجه تسميته بالخير.

٣. الكافي: ٨ / ٥٣ ح ١٦.

٤. النساء: ١١.

٥. النمل: ١٦.

٦. مريم: ٥ ـ ٦.

## ٨ . علماء الشيعة وصيانة القرآن من التحريف

إنّ التتبع في كلمات علمائنا الكبار الذين كانوا هم القدوة والأُسوة في جميع الأجيال، يعرب عن أنّهم كانوا يتبرّأون من القول بالتحريف، وينسبون فكرة التحريف إلى روايات الآحاد، ولا يمكننا نقل كلمات علمائنا عبر القرون، بل نشير إلى كلمات بعضهم:

١. قال الشيخ الأجل الفضل بن شاذان الأزدي النيسابوري (المتوفّى ٢٦٠هـ) ـ في ضمن نقده مذهب أهل السنّة ـ: إنّ عمر بن الخطاب قال: إنّي أخاف أن يقال زاد عمر في القرآن، ثبّتَ هذه الآية، فإنّا كنّا نقرؤها على عهد رسول اللّه: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة بما قضيا من الشهوة نكالاً من اللّه واللّه عزيز حكيم.[١]

فلو كان التحريف من عقائد الشيعة، لما كان له التحامل على السنّة بالقول بالتحريف لاشتراكهما في ذلك القول.

٢. قال أبو جعفر الصدوق (المتوفّى ٣٨١هـ): اعتقادنا أنّه كلام اللّه ووحيه تنزيلاً، وقوله في كتابه: ﴿إِنَّهُ لَكتابٌ عَزيزٌ * لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكيمٍ حَميد﴾ وانّه القصص الحق، وانّه لحقّ فصل، وما هو بالهزل، وانّ اللّه تبارك و تعالى مُحْدثه ومنزله وربّه وحافظه والمتكلّم به.[٢]

---

١ . الإيضاح: ٢١٧. روى البخاري آية الرجم في صحيحه: ٨ / ٢٠٨، باب رجم الحبلى.

٢ . اعتقادات الصدوق: ٩٣.

٣. قال الشيخ المفيد (المتوفى٤١٣هـ): وقد قال جماعة من أهل الإمامة انّه لم ينقص من كلمة ولا من آية ولا من سورة، ولكن حذف ما كان مثبتاً في مصحف أمير المؤمنين ﷺ من تأويل وتفسير معانيه على حقيقة تنزيله، وذلك كان ثابتاً منزلاً، وإن لم يكن من جملة كلام اللّه الذي هو القرآن المعجز، وقد يسمّى تأويل القرآن قرآناً، وعندي انّ هذا القول أشبه بالحقّ من مقال من ادّعى نقصان كلم من نفس القرآن على الحقيقة دون التأويل وإليه أميل.[١]

وقال أيضاً في أجوبة «المسائل السروية» في جواب من احتج على التحريف بالروايات الواردة حيث ورد فيها «كنتم خير أئمّة أُخرجت للناس» مكان ﴿أُمّة﴾، وورد كذلك: «جعلناكم أئمة وسطاً» مكان ﴿ أُمّة﴾ وورد: «يسألونك الأنفال» مكان ﴿يسألونك عن الأنفال﴾ ، فأجاب : انّ الأخبار التي جاءت بذلك أخبار آحاد لا يقطع على اللّه تعالى بصحّتها، فلذلك وقفنا فيها، ولم نعدل عمّا في المصحف الظاهر.[٢]

٤. قال الشريف المرتضى (المتوفى٤٣٦هـ): مضافاً إلى من نقلنا عنه في الدليل الأوّل، انّ جماعة من الصحابة، مثل عبد اللّه بن مسعود و أُبيّ بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبي عدّة ختمات، وكلّ ذلك يدلّ بأدنى تأمّل على أنّه كان مجموعاً مرتباً غير مستور ولا مبثوث.[٣]

---

١. أوائل المقالات: ٥٣ ـ ٥٤.    ٢. مجموعة الرسائل للمفيد: ٣٦٦.

٣. مجمع البيان: ١/١٠، نقلاً عن جواب المسائل الطرابلسية للسيد المرتضى.

٥. قال الشيخ الطوسي (المتوفّى ٤٦٠هـ): أمّا الكلام في زيادة القرآن ونقصانه فمما لا يليق به أيضاً، لأنّ الزيادة فيه مجمع على بطلانها، والنقصان منه فالظاهر أيضاً من مذهب المسلمين خلافه، وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا، وهو الذي نصره المرتضى ﷺ، وهو الظاهر في الروايات، ثمّ وصف الروايات المخالفة بالآحاد.[1]

٦. قال أبو علي الطبرسي (المتوفّى ٥٤٨هـ) الكلام في زيادة القرآن ونقصانه؛ أمّا الزيادة فيه فمجمع على بطلانها، وأمّا النقصان منه فقد روى جماعة من أصحابنا وقوم من حشوية العامة انّ في القرآن تغييراً أو نقصاناً، والصحيح من مذهب أصحابنا خلافه.[2]

٧. قال السيد علي بن طاووس الحلّي (المتوفّى٦٦٤هـ): إنّ رأي الإمامية هو عدم التحريف.[3]

٨. قال العلاّمة الحلّي (المتوفّى٧٢٦هـ) في جواب السيد الجليل المهنّا: الحق انّه لا تبديل ولا تأخير ولا تقديم، وانّه لم يزد ولم يُنْقَص، ونعوذ بالله من أن يعتقد مثل ذلك وأمثال ذلك، فإنّه يوجب تطرّق الشك إلى معجزة الرسول المنقولة بالتواتر.[4]

---

١. التبيان: ١ / ٣.

٢. مجمع البيان: ١ / ١٠.

٣. سعد السعود: ١٤٤.

٤. أجوبة المسائل المهنائية: ١٢١.

٩. قال المحقّق الأردبيلي (المتوفّى٩٩٣هـ) في مسألة لزوم تحصيل العلم: بأنّ ما يقرأه هو القرآن، فينبغي تحصيله من التواتر الموجب للعلم، وعدم جواز الاكتفاء بالسماع حتى من عدل واحد ـ إلى أن قال: ـ ولما ثبت تواتره فهو مأمون من الاختلال...مع أنّه مضبوط في الكتب حتى أنّه معدود حرفاً حرفاً، وحركة حركة، وكذا طريق الكتابة وغيرها ممّا يفيد الظن الغالب بل العلم بعدم الزيادة على ذلك والنقص.[١]

١٠. وقال القاضي السيد نور اللّه التستري (المتوفّى١٠٢٩هـ): ما نسب إلى الشيعة الإمامية من وقوع التحريف في القرآن ليس ممّا يقول به جمهور الإمامية، إنّما قال به شرذمة قليلة منهم لا اعتداد لهم فيما بينهم.[٢]

ولو استقصينا كلمات علمائنا في هذا المجال لطال بنا الموقف. إلى هنا ظهر الحقّ بأجلى مظاهره فلم يبق إلاّ دراسة بعض الشبهات ودحضها.

والعجب انّ أهل السنّة يتّهمون الشيعة بالقول بالتحريف ويشنّون الغارة عليهم، وهم يروون أحاديثه في أصحّ صحاحهم ومسانيدهم.

والحقّ انّ أكابر الفريقين بريئون عن هذه الوصمة، غير أنّ لفيفاً من حشوية أهل السنّة، وأخبارية الشيعة يدّعون التحريف وهم يستندون إلى روايات لا قيمة لها في سوق الاعتبار. ولنذكر ما رواه أهل السنّة في كتبهم.

---

١ . مجمع الفائدة والبرهان: ٢ / ٢١٨، في محل النقاط كلمة «الفقه» فتأمل.

٢ . آلاء الرحمن: ١ / ٢٥.

## ٩. آيات غير مكتوبة ادّعيت انّها من القرآن الكريم

يرى عمر بن الخطاب أنّ آيات أربع سقطت من القرآن وهي: آية الرجم، وآية الفراش، وآية الرغبة، وآية الجهاد، والعجب انّ الصحاح والمسانيد احتفلت بنقلها، مع أنّ نصوصها تشهد على أنّها ليست من القرآن وإن كانت مضامينها مطابقة للشريعة، وإليك الآيات الأربع المزعومة:

### ١. آية الرجم

خطب عمر عند منصرفه من الحج وقال: إيّاكم أن تهلكوا عن آية الرجم يقول قائل لا نجد حدّين في كتاب اللّه، فقد رجم رسول اللّه ورجمنا، والذي نفسي بيده لولا أن يقول الناس: زاد عمر في كتاب اللّه تعالى لكتبتها :«الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة» فإنّا قد قرأناها.[١]

ولفظها ينادي بأنّها ليست من القرآن، والمضمون غير خال من الإشكال، لأنّ الموضوع للرجم هو المحصن والمحصنة، سواء كانا شابين أو شيخين أو مختلفين.

### ٢. آية الفراش

قال عمر بن الخطاب مخاطباً لأُبيّ بن كعب: أو ليس كنّا نقرأ «الولد للفراش وللعاهر الحجر» فيما فقدنا من كتاب اللّه؛ فقال أُبيّ: بلى.[٢] واللفظ

---

١. البخاري: الصحيح: ٨ / ٢٠٨ ـ ٢١١.

٢. الدر المنثور: ١ / ١٠٦.

مع فصاحته أيضاً يأبى أن يكون من القرآن ، لكن الخليفة زعم انّ العبارة من القرآن.

### ٣. آية الرغبة

روى البخاري أنّ عمر قال: «إنّا كنّا نقرأ فيما نقرأ من كتاب اللّه أن لا ترغبوا عن آبائكم فإنّه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم أو أن كفرا بكم أن ترغبوا عن آبائكم».(١)

### ٤. آية الجهاد

روى السيوطي أنّ عمر قال لابن عوف: ألم تجد فيما أُنزل علينا: وإن جاهدوا كما جاهدتم أوّل مرة؟ قال: أُسقطت فيما أُسقط من القرآن.(٢)

### ٥. آية الرضعات

روى مالك ـ في الموطأ ـ عن عائشة قالت: فيما أُنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن ثمّ نسخن بـ«خمس معلومات» فتوفّي رسول اللّه وهنّ فيما يقرأ من القرآن.(٣)

إنّ آيتها نظير آيات الخليفة تأبى أن تكون من صميم القرآن، ولو كان لكتب في المصاحف، ولا وجه لإسقاطها.

---

١ . البخاري: الصحيح: ٨ / ٢٠٨ ـ ٢١١؛ مسلم: الصحيح: ٤ / ١٦٧ و ج ٥ / ١١٦.

٢ . الدر المنثور: ١ / ١٠٦.

٣ . تنوير الحوالك: ٢ / ١١٨، آخر كتاب الرضاع.

## ١٠. شبهتان حول التحريف

### الشبهة الأُولى: وجود مصحف لعلي ﷺ

روى ابن النديم (المتوفّى ٣٨٥ هـ) في «فهرسته» عن علي ﷺ أنّه رأى من الناس طيرة عند وفاة النبي، فأقسم أن لا يضع عن ظهره رداءه حتى يجمع القرآن، فجلس في بيته ثلاثة أيام حتى جمع القرآن.[١]

روى اليعقوبي (المتوفّى ٢٩٠ هـ) في «تاريخه»: روى بعضهم أنّ علي بن أبي طالب ﷺ كان جمعه ـ القرآن ـ لمّا قبض رسول اللّه، وأتى وحمله على جمل، فقال: هذا القرآن جمعته، وكان قد جزّأه سبعة أجزاء، ثمّ ذكر كلّ جزء، والسور الواردة فيه.

يلاحظ عليه: أنّ الإمعان فيما ذكره اليعقوبي انّ مصحف علي لا يخالف المصحف الموجود في سوره وآياته، وإنّما يختلف في ترتيب السور، وهذا يثبت انّ ترتيب السور كان باجتهاد الصحابة والجامعين، بخلاف وضع الآيات وترتيبها، فإنّه كان بإشارة النبي ﷺ، وما ذكره ابن النديم يثبت انّ القرآن كان مكتوباً في عصر النبي كلّ سورة على حدة، وكان فاقداً للترتيب الذي رتّبه الإمام على سبعة أجزاء، وكلّ جزء يشتمل على سور، وقد نقل المحقّق الزنجاني ترتيب سور مصحف الإمام في ضمن جداول تعرب عن أنّ مصحَف عليّ ﷺ كان في سبعة أجزاء، وكلّ جزء

١- فهرست ابن النديم، نقله الزنجاني في تاريخ القرآن: ٧٦.

يحتوي على سور، فالجزء الأوّل يسمّى بالبقرة وفيه سور، والجزء الثاني يسمى جزء آل عمران وفيه سور، والثالث جزء النساء وفيه سور، والرابع جزء المائدة وفيه سور، والخامس جزء الأنعام وفيه سور، والسادس جزء الأعراف وفيه سور، والسابع جزء الأنفال وفيه سور، والظاهر منه انّ التنظيم لم يكن على نسق تقديم الطوال على القصار ولا على حسب النزول.

**الشبهة الثانية: مصحف فاطمة**

لا شكّ أنّه كان عند فاطمة مصحف، حسبما تضافرت عليه الروايات، ولكن المصحف ليس اسماً مختصّاً بالقرآن، حتى تختص بنت المصطفى بقرآن خاصّ، وإنّما كان كتاباً فيه الملاحم والأخبار.

والمصحف لغة: من أصحف، بمعنى ما جعل فيه الصحف، وإنّما سمي المصحف مصحفاً؛ لأنّه جعل جامعاً للصحف المكتوبة بين الدفّتين.

ولم يكن ذلك اللفظ علماً للقرآن في عصر نزوله، وإنّما صار علماً له بعد رحيل رسول الله ﷺ قال السيوطي: روى ابن أشتة في كتاب المصاحف أنّه لمّا جمعوا القرآن فكتبوه في الورق قال أبو بكر: التمسوا له اسماً، فقال بعضهم: السِّفْر، وقال بعضهم: المصحف؛ فإنّ الحبشة يسمّونه المصحف، قال: وكان أبو بكر أوّل من جمع كتاب الله وسمّاه المصحف[1].

---

١ . الإتقان في علوم القرآن: ١ / ١٨٥.

وأمّا ما هو واقع هذا الكتاب؟ فقد كشفت عنه الروايات المتضافرة عن أئمة أهل البيت، وقد جمع قسماً كبيراً منها العلاّمة الشيخ مصطفى قصير العاملي في دراسته: كتاب عليّ ومصحف فاطمة.

وإليك بعضها:

١ ـ روى أبو عبيدة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «... إنّ فاطمة مكثت بعد رسول الله ﷺ خمسة وسبعين يوماً، و كان دخلها حزن شديد على أبيها، وكان جبرئيل عليه السلام يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها، ويطيب نفسها، ويخبرها عن أبيها ومكانه، ويخبرها بما يكون بعدها في ذريّتها، وكان عليّ عليه السلام يكتب ذلك، فهذا مصحف فاطمة»[1].

٢ ـ روى أبو حمزة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «مصحف فاطمة مافيه شيء من كتاب الله، وإنّما هو شيء أُلقي إليها بعد موت أبيها صلوات الله عليهما»[2].

والعجب أنّ الدسّ الإعلامي قد اتّخذ لفظ «مصحف فاطمة» ذريعة لاتّهام الشيعة بأنّ عندهم قرآناً يسمى «مصحف فاطمة»، وقد سعى غير واحد من دعاة التفرقة إلى نشر تلك الفكرة الخاطئة بين المسلمين، ولكن خاب سعيهم؛ فإنّ للحقّ دولة، وللباطل جولة.

ولعلّ القارئ يسأل نفسه عن كون فاطمة محدَّثة تحدّثها الملائكة،

---

١. الكافي: ١ / ٢٤١.

٢. بصائر الدرجات: ١٩٥، ط مكتبة المرعشي.

كما ورد في الرواية السابقة، غير أنّ فاطمة ﷺ لا تقلّ شأناً عن مريم البتول، ولا عن امرأة الخليل، قال سبحانه: ﴿وإذْ قالَتِ الملائكةُ يا مريمُ إنَّ اللهَ آصطَفاكِ وطَهَّركِ وآصطَفاكِ على نساءِ العالَمين﴾[1] إلى غير ذلك من الآيات الواردة في سورتي آل عمران، ومريم.

وهذه امرأة إبراهيم تسمع كلام الملك، يقول سبحانه: ﴿ولَقَدْ جاءتْ رُسلُنا إبراهيمَ بالبُشرى.. وامرأتُهُ قائمةٌ فضَحِكَتْ فَبشَّرناها بإسحٰقَ ومن وراءِ إسحٰقَ يَعقوب * قالَتْ يا ويلَتىٰ ءَألِدُ وأنا عَجوزٌ وهذا بَعْلي شَيخاً إنَّ هذا لَشيءٌ عَجيب * قالُوا أتَعجَبينَ مِنْ أمرِ اللهِ رحمتُ اللهِ وبركاتُهُ عَليكُمْ أهلَ البَيتِ إنَّهُ حَميدٌ مَجيدٌ﴾[2].

فإذا كانت مريم وامرأة الخليل محدَّثتين، ففاطمة سيدة نساء العالمين أولى بأن تكون محدَّثة.

## ٤. تاريخ جمع القرآن الكريم

البحث عن تاريخ القرآن الكريم وكيفية جمعه والوقت الّذي جمع فيه طويل الذيل، قد أُلف حوله كتب ورسائل ونحن نأتي في المقام بملخص الكلام فيه.

---

١. آل عمران: ٤٢.

٢. هود: ٦٩ ـ ٧٣.

## القرآن قد جمع في عصر النبي الأكرم ﷺ

قد جُمع القرآن في حياة الرسول الأكرم ﷺ، وقد رتبت السور والآيات بأمر منه ﷺ.

إنّ الدليل على جمع القرآن الكريم في حياته ﷺ، إضافةً إلى شواهد تاريخية كثيرة ـ سنعرضها على القرّاء الأعزاء ـ هو حديث الرسول ﷺ نفسه حيث سمّى سورة الحمد باسم (فاتحة الكتاب) وقال: «لا صلاة إلّا بفاتحة الكتاب»[١] ومن هنا يتّضح أنّ القرآن جُمع في زمن الرسول ﷺ، وأنّ سورة الحمد كانت في المقدّمة، ولو كان القرآن مجموعة سور وآيات متفرقة، لما كان هناك من معنى لاسم (فاتحة الكتاب).

## الشواهد التاريخية على جمع القرآن في زمن النبي ﷺ

الحق انّ القرآن الكريم قد جمع في عهد النبي الأكرم ﷺ، ونحن نعرضُ هنا شواهد على جمع القرآن في زمنه ﷺ، ومن ثم نقارنها بالروايات الّتي تقول إنّ القرآن جمع بعد ارتحال النبي ﷺ ونتعرف من خلال ذلك على الحقيقة:

١. نقل الطبراني وابن عساكر عن الشعبي؛ انّ ستة أشخاص جمعوا القرآن في زمن النبي ﷺ هم: أُبي بن كعب، زيد بن ثابت، معاذ بن جبل،

---

١. مسند أحمد: ٢ / ٤٢٨.

أبو الدرداء، سعد بن عبيد، وأبو زيد، وينقلون أيضاً أن (مجمع بن جارية) قد جمع القرآن إلّا من سورتين من سوره.

٢. يقول قتادة: سألتُ أنس بن مالك؛ من جمع القرآن الكريم في زمن النبي ﷺ؟ فقال: أربعة وكلهم من الأنصار: أُبي بن كعب، معاذ بن جبل، زيد بن ثابت، وأبو زيد.

٣. نقل مسروق: قال عبد الله بن عمر: إنّني أحب عبد الله بن مسعود، لأنّني سمعت رسول الله ﷺ يقول: تعلموا القرآن من أربعة ؛ عبد الله بن مسعود، سالم، معاذ، وأبي بن كعب.

٤. نقل النسائي عن عبد الله بن عمر أنّه قال: جمعتُ القرآنَ وكنتُ اقرأه كل ليلة مرة، فوصل خبر ذلك إلى الرسول ﷺ فقال: إقرأهُ في الشهر مرة.

٥. نُقل عن عثمان أنّه كلّما كان الوحي ينزل يبعث رسول الله ﷺ ويطلب كتّاب الوحي ويقول: ضعوا هذه الآية في سورة إلى جانب آياتٍ معينة.[1]

٦. كتب أبو عبد الله الزنجاني مؤلف (تاريخ القرآن): قام بعضُ الصحابة في زمن الرسول ﷺ بجمع القرآن أو أجزاء منه، وأمّا المجموعة الّتي لم تجمع القرآن تماماً في زمن النبي ﷺ فإنّهم أكملوه بعد ذلك.

---

١ . البيان: ٢٦ ـ ٢٧ .

٧. ويذكر محمد بن إسحاق في «الفهرست» إنّ جامعي القرآن الكريم في زمن النبي هم ؛ علي بن أبي طالب ﷺ، سعد بن عبيد، أبو الدرداء، معاذ بن جبل، أبو زيد، ثابت بن زيد، أُبي بن كعب، عبيد بن معاوية، وزيد بن ثابت.

٨. وينقل السيوطي في كتاب (الإتقان) عن محمد بن كعب القُرظي أن خمسةً جمعوا القرآن هم: معاذ بن جبل، عبادة بن صامت، أُبي بن كعب، أبو الدرداء، وأبو أيوب الأنصاري .

٩ . وينقل مؤلّف (تاريخ القرآن) عن (ابن سيرين) أنّ أربعة جمعوا القرآن هم: معاذ، أُبي، أبو زيد، أو أبو الدرداء، أو عثمان، أو هو وتميم الداري.

١٠. وينقل الخوارزمي في كتاب (المناقب) عن علي بن رباح أنّ علي بن أبي طالب ﷺ وابن كعب، جمعا القرآن الكريم في زمن رسول الله ﷺ .

١١. وجاء في رواياتٍ لأبي بكر الحضرمي نقلاً عن الإمام الصادق ﷺ ان النبي ﷺ قال لعلي ﷺ: «إن القرآن خلف فراشي في الصحف والحرير والقراطيس، فخذوه ولا تضيعوه كما ضيّعت اليهود التوراة»[١]. فذهب علي ﷺ وجمعه في قماش أصفر وختم عليه .

---

١ . تاريخ القرآن: ٧ و ٨.

١٢. إن حديث الثقلين دليلٌ على جمع القرآن في زمن الرسول الأكرم ﷺ، وإذا أضفنا هذا الحديث إلى ما ذكرنا، فلن يبق هناك شكٌّ في أنّ القرآن جُمع في عهد البني ﷺ، حيث قال ﷺ: «إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي، ما أن تمسكتم بهما لن تضلّوا أبداً، وإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»[١].

إنّ هذا الحديث يثبت بوضوح بأنّ القرآن كان قد جمع في عهد رسول الله ﷺ، وأمّا القول بأنّه كان محفوظاً في الصدور فإنّه حديث غير صحيح، وإذا لم يكن هذا الحديث دالاً على الكتابة المنظمة للقرآن في عهد النبي ﷺ، فإنّه على الأقل يدلُّ على أنّ سور القرآن ومكان الآيات كان منظّماً في زمن رسول الله ﷺ، حتى ولو كان غير مكتوبٍ على الورق.

## أحاديث جمع القرآن بعد رحيل النبي ﷺ تُعارض نصّ القرآن

هنا يبقى سؤال وهو: إذا كان حقاً أنّ القرآن قد جُمع في عهد الرسول الأكرم ﷺ، إذن كيف تقول روايات إن القرآن جمع في عهد الخلفاء ؟

الجواب: إن الروايات الّتي تذكر أنّ القرآن جمع بعد ارتحال النبي ﷺ تعارض القرآن نفسه، لأنّ الكثير من آيات القرآن تدلّ على أنّ السور كانت مشهورة ومعروفة حتى بين المشركين.

إضافة إلى ذلك، فإنّه أُطلق على القرآن الكريم اسم (كتاب)، فإذا

---

١. وهذا الحديث من الأحاديث المسندة وأكثر من المتواتر.

كانت أجزاؤه متفرقة لما أُطلق عليه اسم (كتاب)، ومجازاً وبدون قرينة سيكون بلا معنى.

## أحاديث جمع القرآن بعد ارتحال النبي ﷺ لا تنسجم مع حكم العقل

إنّ عظمة القرآن الكريم والأهمية الّتي كان رسول الله ﷺ يوليها له وكذلك المسلمون من جهات مختلفة، تكشف بوضوح عن عدم صحّة الروايات الّتي تذكر أنّه جمع بعد ارتحال النبي ﷺ.

أضف على ذلك إن أعظم وأكبر شيء عند المسلمين هو القرآن، ويتلخص كيانهم وعظمتهم في صيانته وحفظه، وانّ أساسَ النبوة يشكّله القرآنُ الكريم، فهل يُحتمل أنّ شخصيةً مثل النبي ﷺ لا يولي أهمية لجمع وكتابة القرآن الكريم؟ أو أن ينشغل بشيءٍ آخر عن توضيح كيفية وضع السور والآيات؟ إنّ المعجزة الخالدة للنبي ﷺ هي القرآن وهو ﷺ يتحدّى به الجميع على مرور الأعصار والقرون.

وبملاحظة هذه النقطة كان لزاماً على رسول الله ﷺ أن يسعى لصيانة وحفظ القرآن، لأنّه مهما كان ذهنُ الإنسان قوياً وحافظته قوية فإنّه لا يمكن الاعتماد عليهما في خضمِّ أحداثِ الحياة.

إنّ القرآن كان ينزل بالتدريج وإنّ رسول الله ﷺ قد عيّن مجموعةً لكتابته يُسمّون (كتّاب الوحي).

يقول أبو عبد الله الزنجاني في كتاب «تاريخ القرآن» بهذا الصدد:

وكان للنبي من كتّاب يكتبون الوحي بالخط المقرر وهو النسخ، وهم ثلاثة وأربعون. وأكثرهم كتابة: زيد بن ثابت وعلي بن أبي طالب ﷺ، ويظهر من الروايات أنّه كان يهتم بكتابة القرآن.

ثم يُوردُ قصة إسلام عمر بن الخطاب وكيف أنّه شاهد سورة ﴿سَبَّحَ للهِ ...﴾ (سورة الحديد) وقسماً من سورة (طه) في منزل أُختِه.

وفي الختام يُضيف: إنّ جميع هذه الأحاديث تدلّ على اهتمام المسلمين بكتابةِ القرآن، وإنّ جميع القرآن قد جُمع في عهد رسول الله ﷺ.[1]

إنّ بعض سور القرآن أو قسماً من سوره كان موجوداً لدى جميع المسلمين، وقد جاء ذلك في الروايات، من بينها نقرأ رواية عبادة بن الصامت أنّ كلّ مهاجرٍ كان يأتي يدفعُ به رسول الله ﷺ إلى أحد المسلمين لتعليمه القرآن الكريم. وقد جاء في رواية (كليب) إنّه قال: كنت مع علي ﷺ عندما ارتفع صوت قراءة القرآن من المسجد فقال علي ﷺ: «طوبى لهم».

وكانت مجموعة تقرأ القرآن بصوتٍ عال فصدر الأمرُ إليهم أن اقرأوا بصوت أكثر هدوءاً وانخفاضاً.

هاتان الحادثتان تدلّان على اهتمام المسلمين بقراءة القرآن،

---

١. تاريخ القرآن: ٤٣، الفصل ٦.

ولذاكيف يمكن أن يتأخّر جمعه إلى زمن أبي بكر؟!

والنتيجة: أنّ انتساب جمع القرآن الكريم إلى زمن الخلفاء أمرٌ وهمي ومخالف للكتاب والسُّنة والعقل، ولا يمكن نسبُ جمع القرآن إلى أبي بكر.

وإنّ جمع عثمان للقرآن في زمنه فهو بمعنى انّه جمع المسلمين على قراءة واحدة، وقد أقرّ كبار علماء أهل السُّنة بهذه الحقيقة، منهم: حارث المحاسبي إذ يقول: المشهور أنّ عثمان جمع القرآن، ولكن هذا ليس صحيحاً، وإنما جمع عثمانُ الناسَ على قراءةٍ واحدة، لأنّه كانت هناك قراءات أُخرى شائعة.

أمّا أنّه يُقال: إنّ علياً ﷺ جمع القرآن بعد ارتحال النبي ﷺ، فهذا يعني انّه كتب القرآن طبقاً لشأن النزول، وقدّم المنسوخ على الناسخ، وهذا ما يقررُهُ العلّامة المجلسي في «بحار الأنوار»، وصاحبُ كتاب «تاريخ القرآن».

وإذا كان الأمرُ غير ذلك في جمع القرآن فهل كان باستطاعة الإمام علي ﷺ أن يجمع القرآن في عدّة أيام؟

# الفصل الخامس

## الإمامة عند السنّة والشيعة

١. دور الإمامة عند الشيعة الإماميّة

٢. صيغة الحكومة بعد رحلة النبي ﷺ

٣. الصيغة الأُولى: تنصيص النبي على الإمام بـعده، وفـيه أُمور:

أ. استحالة ترك الأُمّة بلا قائد

ب. الأُمّة الإسلاميّة والخطر الثلاثي

ج. تعيين الإمـام فـي أحـاديث الرسـول ﷺ: كحديث الدار والمنزلة ونصبه رسمياً في يوم الغدير

٤. الصيغة الثانية: تفويض الأمر إلى الأُمّة وطرقه:

أ. اجماع المسلمين ب. الشورى في الحكم

ج. البيعة أساس الحكم

٥. السنّة النبوية والأئمة الاثنا عشر

٦. أوصاف الإمام

أ. العصمة ب. الأعلمية ج. أفضل الناس

٧. الغلاة ليسوا من الشيعة الإماميّة

٨. الفرق بين النبي والرسول والإمام


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

## الإمامة عند السنّة والشيعة

إنّ حقيقة الإمامة عند السنّة تختلف عمّا هي عند الشيعة، فالسُّنة ينظرون إلى الإمام كرئيس دولة، ينتخبه الشعب أو نوّاب الأُمّة، أو يتسلّط عليها بانقلاب عسكري، وما شابه ذلك، فإنّ مثل هذا لا يشترط فيه سوى بعض المواصفات المعروفة، ومن المعلوم أنّ الاعتقاد برئاسة رئيس جمهورية، أو رئيس وُزَراء، ليس من الأُصول، بحيث يُفَسَّق من لم يعتقد بإمامته ورئاسته وولايته. وهذه هي البلاد الإسلامية لم تزل يسيطر عليها رئيس بعد آخر، رغبة أو رهبة، ولم يَرَ أحَدٌ الاعتقادَ بإمامته من الأُصول، ولم يَجْعَل فِسْقَه موجباً لخَلْعِه، وإلّا لما استقرّ حجر على حجر.

وأمّا الشيعة الإمامية، فينظرون إلى الإمامة بأنّها استمرار لوظائف الرسالة (لا لنفس الرسالة، فإنّ الرسالة والنبوة مختومتان بالتحاق النبي الأكرم بالرفيق الأعلى) ، ومن المعلوم أنّ ممارسة هذا المقام، يتوقّف على توفّر صلاحيات عالية، لا ينالها الفرد، إلّا إذا وقع تحت عناية إلهية ربّانية خاصة، فيخلُف النبيّ في علمه بالأُصول والفروع، وفي عدالته وعصمته، وقيادته الحكيمة، وغير ذلك من الشؤون.

## ١. دور «الإمامة» عند الشيعة الإماميّة

قد تعرفت على حقيقة الإمامة لدى أهل السنّة والجماعة، وعرفت أنّ ما يتبنّونه لا يقتضي أزيد من الشرائط المتوفّرة في رؤساء الدول، غير أنّ الإمامة عند الشيعة تختلف في حقيقتها عمّا لدى إخوانهم، فهي إمرة إلهيّة، واستمرار لوظائف النبوة كلّها سوى تحمّل الوحي الإلهي. ومقتضى هذا اتّصاف الإمام بالشروط المُشْتَرَطة في النبي، سوى كونه طرفاً للوحي.

**توضيح ذلك:** إنّ النبي الأكرم ﷺ، كان يملأ فراغاً كبيراً وعظيماً في حياة الأُمّة الإسلامية، ولم تكن مسؤولياته وأعماله مقتصرة على تلقّي الوحي الإلهي، وتبليغه إلى الناس فحسب، بل كان يقوم بالأُمور التالية:

١ ـ يُفَسِّر الكتاب العزيز، ويشرح مقاصده وأَهدافه، ويكشف رموزه وأسراره.

٢ ـ يُبَيِّن أحكام الموضوعات الّتي كانت تَحْدُثُ في زمن دعوته.

٣ ـ يَرُدّ على الحملات التشكيكية، والتساؤلات العويصة المريبة الّتي كان يثيرها أعداء الإسلام من يهود ونصارى .

٤ ـ يصون الدين من التحريف والدسّ، ويراقب ما أخذه عنه المسلمون من أُصول وفروع، حتى لا تَزِلّ فيه أقدامهم.

والإمامة عند الشيعة الإماميّة لمن يملأ هذا الفراغ الهائل الحاصل من

رحيل النبي ﷺ، وراء القيادة في أُمور الدنيا كتأمين البلاد وحفظ الثغور، واجراء الحدود، ونشر الدين الحنيف بالجهاد المتواصل .

## ٢. صيغة الحكومة بعد رحلة النبي ﷺ

يسود بين المسلمين، في صيغة الحكومة وقيادة الأُمّة بعد النبي، رأيان واتّجاهان:

**الأوّل:** أنّ صيغة الحكومة صيغة التنصيب، وأنّ الإمام بعد النبي يعيّن عن طريق الرسول بأمر من الله سبحانه.

**الثاني:** تفويض الأمر إلى اختيار الأُمّة، وانتخابها بشكل من الأشكال التي ستوافيك.

و البحث في المقام: يرجع إلى محاسبة مصالح الأُمّة الإسلامية آنذاك، فهل كانت تقتضي تحقيق النظرية الأُولى، وهي نظرية النصّ على شخص أو أشخاص معينين، أو تقتضي ترك مسألة الخلافة إلى رأي الأمّة؟. وإليك التفصيل.

### الصيغة الأُولى: تنصيص النبي على الإمام بعده

الحقُّ أنّ هنا أموراً تدلّ على أنّ مصلحة الأُمّة آنذاك، كانت تتطلب تنصيب الإمام والقائد الّذي يخلف النبي ، وتعيينه بلسانه في حياته، وكان في ترك هذا رمي للأُمّة أمام أكبر المخاطر، وإليك بيان تلك الأُمور:

### ١. استحالة ترك الأُمة بلا قائد

إنَّ العقلَ البديهيَّ يحكم بأنَّ أي إنسانٍ مصلحٍ إذا استطاع من خلال جهودٍ مُضنيةٍ دامت سَنَواتٍ عديدةً، من تنفيذ أُطروحةٍ اجتماعيّة خاصة له، وابتكر طريقة جديدة للمجتمع البشريّ فإنّه لا بدّ من أن يفكّر في وسيلةٍ مؤثّرة للإبقاء على تلك الأُطروحة، وضمان استمرارها، بل رُشدها، ونموّها أيضاً، وليس من الحكمة أن يؤسّس شخصٌ مّا بناءً عظيماً، متحمّلاً في ذلك السبيل متاعبَ كثيرة، ولكن لا يفكِّر فيما يقيه من الأخطار، ولا ينصب أحداً لصيانته والعناية به من بعده.

إنَّ النبيَّ الأكرمﷺ، وهو من أكبر الشخصيّات العالميّة في تاريخ البشريّة، قد أوجَد ـ بما أتى من شريعة ـ أرضيّةً مساعدةً لتحوّلٍ إلهيٍّ عالميٍ كبيرٍ، ومَهّدَ لقيام حضارةٍ جدُّ حديثةٍ، وفريدةٍ.

إنّ هذه الشخصيّة العظيمة، التي طَرَحَت على البشريّة شريعةً خالدةً، وقادت المجتمعَ البشريَّ في عصرِهِ وأيام حياته، من المسلَّم أنّه فكّر لحفظ شريعته من الأخطار والآفات المحتملة التي تهدِّدها في المستقبل، وكذا لهداية أُمّته الخالدة، وإدارتها، وبيّن صيغة القيادة من بعده، وذلك لأنّه من غير المعقول أن يؤسّس هذا النبيُّ الحكيمُ قواعدَ شريعةٍ خالدةٍ أبديّةٍ، دون أنْ يطرح صيغة قويّة لقيادتها من بعده، يضمن بها بقاء تلك الشريعة.

إنّ النبيَّ الّذي لم يألُ جُهداً في بيان أصغر ما تحتاج إليه سعادةُ

البشرية، كيفَ يُعقَل أنْ يسكتَ في مجال قيادة المجتمع الإسلامي وصيغتها، وكيفيتها، والحال أنّها من المسائل الجوهريّة، والمصيريّة، في حياة الأُمّة، بل وفي حياة البشريّة، وفي الحقيقة يترك المجتمعَ الإسلاميَّ حيارى مهمَلين، لا يَعرِفون واجبهم في هذا الصعيد؟!

وعلى هذا الأساس لا يمكن مطلقاً القبولُ بالزّعم القائل بأنَّ النبيَّ الأكرم أغمض عينيه عن الحياة دون أن ينبس ببنت شفة في مجال قيادة الأُمّة.

## ٢. الأُمة الإسلاميّة والخطر الثلاثي

إنّ مراجعةَ التاريخ، وأخذِ الظروف التي كانت تحيط بالمنطقة، وبالعالم في زمان رحيل النبيﷺ وقُبَيل وفاتهِ بالذات بنظر الاعتبار تثبت ـ بِوُضوحٍ ـ بداهة وضرورةَ «تنْصيصيّة» منصب الأُمامة، وذلك لأنّ أخطاراً ثلاثة كانت تهدّد الدينَ والكيانَ الإسلاميَّ، وتحيط به على شكلِ مُثَلّثٍ مَشؤُومٍ.

الضلعُ الأوّل مِن هذا المثلّث الخَطِر كان يتمثّل في الإمبراطورية الروميّة.

والضلع الثانِي كانَ يَتمثّل فِي الإمبراطوريّة الفارسيّة.

والضلعُ الثالث كان يَتَمثّل في فريق المنافقين الداخِليّين.

وبالنسبة لخَطَر الضلعِ الأوّل، وأهميّته القُصْوى يكفي أن نعلمَ أنّ

النبيﷺ لم يزل يفكّر فيه حتى آخر لحظة من حياته، ولهذا جهّزَ ـ قُبَيل أيّام بل ساعاتٍ من وفاته ـ جيشاً عظيماً بقيادة «أُسامة بن زيد» وبَعَثَه لمواجهة الروم، كما ولَعَنَ مَن تَخلَّفَ عنه أيضاً.

وبالنسبة لخطَر الضلعِ الثاني يكفي أن نعرفَ أنّه كان عَدُوّاً شرساً أيضاً أقدمَ على تمزيقِ رسالةِ النبيِّﷺ وكتب إلى حاكم اليمن بأنْ يقبضَ على رسولِ اللهِﷺ، ويبعث به إليه، أو يرسلَ إليه برأسه.

وبالتالي بالنسبة إلى الخَطَر الثالث يجب أن نعلمَ أنّ هذا الفريق (أي المنافقين) كان يقوم في المدينة بمزاحمة النبيﷺ باستمرار، وكان المنافقون هؤلاء يؤذونه بالمؤامرات المتنوعة، ويعرقلون حركته، وقد تحدّث القرآنُ الكريمُ عنهم وعن خصالهم، ونفاقهم، وأذاهم، ومحاولاتهم الخبيثة في سوره المختلفة إلى درجة انّه سمّيت سورة كاملة باسمهم، وهي تتحدّث عنهم وعن نواياهم وأعمالِهم الشرّيرةِ.

والآن نطرحُ هذا السؤالَ وهو: هل مع وجودِ هذا المثلّث الخَطِر كانَ من الصحيحِ أنْ يترك النبيُّ الأكرمُﷺ الأُمّة الإسلاميةَ، والدينَ الإسلاميَ اللّذَين كانا محاطَين بالأخطار من كلّ جانب، وكان الأعداءُ لهما بالمرصاد من كلّ ناحية، من دونِ قائدٍ معيّنٍ؟!!

إنّ النبيَّﷺ ولاشكَّ كانَ يَعْلَم أنّ حياةَ العرب حياة قَبَليّة، عشائرية، وأنّ أفرادَ هذه القبائِل كانَتْ مُتَعَصِبّة لرؤساء تلك القبائل، فهم كانوا يطيعون الرؤساء بشدّة، ويخضَعُون لهُمْ خضوعاً كبيراً، ولهذا فإنّ ترك مِثل

هذا المجتمع مِن دون نصبِ قائدٍ معيَّن سوف يؤدّي إلى التشتّت والتنازع بين هذه القبائل، وسيستفيد الأعداء من هذا التخاصُم والتَنازع، والاختلاف.

وانطلاقاً من هذه الحقيقة قال الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا: الاستخلاف بالنصّ أصوب، فإنّ ذلك لا يؤدي إلى التشعّب والتشاغب والاختلاف[1].

## ٣. تعيين الإمام في أحاديث الرسول ﷺ

إنّ الإمعانَ في حياة النبيّ ﷺ مُنذ أن كُلّف بتبليغ شريعتهِ إلى أقربائِهِ وعَشيرته، ثم الإعلان عن دعوتهِ إلى النّاس كافّة، يفيد أنّ النبيّ ﷺ سلك طريق «التنصيص» في مسألة القيادة، والخلافة، مراراً، دون طريق «الانتخاب الشعبيّ» وهذا الموضوع نثبتهُ من خلال الأُمور التالية:

### ١. حديث يوم الدار

بعد أن مضت ثلاثُ سَنَوات على اليوم الذي بُعِثَ فيه رسول الله ﷺ، كَلّفهُ اللهُ تعالى بأن يبلّغَ رسالَتَه لأبناءِ قَبيلتِهِ، وذلك عندما نَزَل قولهُ عز وجلّ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾[2].

فَجَمَع النبيُّ ﷺ رؤوسَ بَني هاشم وقال: «يا بني عبد المطّلب إنّي والله ما أعلمُ شاباً في العَرَبِ جاء قومَه بأفضل ممّا قد جئتكم به، إنّي قد جئتكُم بخَيرِ الدُنيا

---

١. الشفاء، الإلهيات: ٥٦٤، المقالة العاشرة، الفصل الخامس.

٢. الشعراء: ٢١٤.

**والآخِرة، وقد أمَرَنيَ اللهُ تعالى أنْ أدعوكم إليه فأيُّكم يؤازرني على هذا الأمر يكون أخي ووصيي ووزيري وخليفتي فيكم».**

ولقد كرّر النبي ﷺ العبارة الأخيرة ثلاثَ مرّات، ولم يقمْ في كلّ تلك المرّات إلّا الإمامُ علي ؑ، الّذي أعلَنَ عن استعدادِهِ في كلّ مرّة لمؤازرةِ النبيّ ﷺ ونُصْرته، وفي المرّة الثالِثة قال النبيُّ ﷺ: **«إنَّ هذا أخِي وَوَصيِّي وخَلِيفَتِي فِيكُمْ فَاسْمَعوا لَه وأطيعُوا».**(١)

## ٢. حَدِيثُ المَنْزِلَةِ

لَقد اعتبر النبيُّ ﷺ منزلةَ «عليّ ؑ» منه على غرارِ منزلةِ هارون من موسى ؑ، ولم يستثنِ من منازِلِ ومراتبِ هارون من موسى إلّا النبوّة حيث قال: **«يا عليّ أما ترضى أن تكونَ مِنّي بمنزلةِ هارونَ من مُوسى إلّا أنّه لا نبيَّ بعدي»**(٢)، وهذا النفي والسّلب هو في الحقيقة من بابِ «السالبة بانتفاءِ الموضوعِ»، إذ لم تكن بعد رسولِ الله الخاتم ﷺ نبوّةٌ حتى يكونَ عليٌّ نبيّاً من بعده إذ بنُبُوّة رسولِ الإسلام خُتمت النبوّات، وبِشريعتِهِ خُتِمت الشّرائع.

---

١. مسند أحمد: ١ / ١٥٩؛ تاريخ الطبري: ٢ / ٤٠٦؛ تفسير الطبري (جامع البيان): ١٩ / ٧٤ ـ ٧٥، تفسير سورة الشعراء، الآية ٢١٤.

٢. صحيح البخاري: ٦ / ٣، طبع ١٣١٢ هـ، باب غزوة تبوك؛ صحيح مسلم: ٧ / ١٢٠، باب فضائل الإمام علي ؑ؛ سنن ابن ماجة: ١ / ٥٥ باب فضائل أصحاب النبي؛ مسند أحمد: ١ / ١٧٣، ١٧٥، ١٧٧، ١٧٩، ١٨٢، ١٨٥ و ٢٣٠؛ والسيرة النبوية لابن هشام: ٤ / ١٦٣ (غزوة تبوك).

ولقـد كـانَ لِـهارون ـ بـنَصّ القـرآنِ الكـريم ـ مـقامُ «النبوّة»[١] و«الخلافة»[٢] و«الوزارة»[٣] في زمانِ مُوسى، وقد أثبتَ حديثُ «المنزلة» جميعَ هذه المناصب الثابتة لهارون للإمام عليّ ﷺ ما عدا النُّبُوّة، على أنّه إذا لم يكن المقصودُ مِن هذا الحَديث هو إثباتُ جميعِ المناصبِ والمقاماتِ لعليّ إلّا النبوّة، لم يكنْ أيّة حاجة إلى استثناء النُّبوّة.

### ٣. نصب الإمام يوم الغدير

كان رسولُ اللهﷺ ـكما يبدو في الأحاديث السالفة ـ يعرّف بخليفته ووصيه تارةً بصورةٍ كليّةٍ، وأُخرى بصورةٍمعيّنةٍ، أي بذكر اسم الخليفة والوصيّ، بحيث يمثّل كلُّ واحدٍ من تلك الأحاديث حجةً كاملةً وتامّةً لمن يطلبُ الحقيقة وهو شهيدٌ واعٍ. ولكن مع ذلك ولكي يُوصِلَ النبيُّ ﷺ نداءَه إلى كلّ قاصٍ ودانٍ من المسلمين في ذلك اليوم، ويرفعَ كلّ إبهام وغموضٍ، ويدفع كلّ شكٍ أو تشكيكٍ في هذا المجال، توقّفَ عند قُفوله ومراجَعَته من حَجّة الوَداع في أرض تسمى بغدير خم، وأخبر من مَعَه من الحجيج بأنّه كُلّف مِن جانب الله تعالى بأن يُبلّغ رسالة إليهم، وهي رسالة تحكي عن القيام بأمرٍ جدّ عظيم، بحيث إذا لم يُبلّغها يكون كأنّه لم يُبَلّغ شيئاً من رسالته كما قالَ تعالى:

---

١. ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾ (مريم : ٥٣).

٢. ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾ (الأعراف : ١٤٢).

٣. ﴿وَٱجْعَل لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي﴾ (طه : ٢٩).

﴿يَا أَيُّها الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنزِلَ إليكَ مِن رَّبِكَ وإن لَم تَفْعَلْ فَماَ بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يعصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[١]. [٢]

ثم رقى النبيُّ منبراً من أقتاب الإبل وحُدُوجها، وقال ﷺ مخاطباً الناس: «يوشك أنْ أُدعىٰ فأُجيب فماذا أنتم قائلون؟».

قالوا: نَشهدُ أنّك قد بَلّغتَ ونَصحتَ وجَهَدتَ فجزاك اللهُ خيراً.

فقال ﷺ: «ألَسْتم تَشهَدون أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً عَبدُه ورسولهُ وأنّ الساعة آتيةٌ لا ريبَ فيها؟».

قالوا: بَلى نَشْهدُ بذلك.

قالَ ﷺ: «فإنّي فَرَطٌ (أي أسبقكُم) على الحوض (أي الكوثر)، فَانظُرُوا كيفَ تَخلِفوُني في الثَّقَلَين؟».

فنادى مناد: وما الثَّقَلان يا رَسولَ الله ؟

قالَ ﷺ: «الثَّقَلُ الأكبر: كتابُ الله طَرَفٌ بيدِ اللهِ عزَّ وجَلَّ وطَرَفٌ بأيديكُمْ فتمَسَّكُوا به لا تَضِلُّوا، والآخرُالأصغر عترتي، وإنّ اللطيفَ الخبيرَ نبّأني أنّهما لنْ يفترقا حتى يَردا عليَّ الحَوضَ، فلا تقدمُوهُما فتَهلكوا، ولا تقصّروا عنْهما فَتَهْلَكُوا».

ثم أخذ بيد «عليّ» فَرفَعها حتى رُئي بياضُ آباطهما فعرفَه القومُ

---

١. المائدة : ٦٧ .

٢. أشار المحدِّثون والمفسّرون المُسلمون إلى نُزُول هذه الآية في حَجّة الوداع، يومَ الغدير، اُنظر: كتابَ الدرّ المنثور للسيوطي: ٢ / ٢٩٨؛ و فتح القدير للشوكاني ٢ / ٥٧؛ وكشف الغمة للإربلّي، ص ٩٤؛ ينابيع المودّة للقندوزي: ١٢٠ ؛ تفسير المنار: ٦ / ٤٦٣ وغيرها.

أجمعون، فقال ﷺ: «أيُّها الناسُ من أولى النّاس بالمؤْمِنين من أنفسِهِم؟».

قالوا: اللهُ ورسولهُ أعلمُ.

قال ﷺ: «إنّ الله مولايَ، وأنا مَولى المؤمِنين، وأنا أولىٰ بِهِمْ مِن أنفسهِمْ، فَمَن كنتُ مَولاه فَعَلِيٌ مولاهُ».

ثم قال ﷺ: «اللّهُمّ والِ مِن والاهُ، وعادِ من عاداهُ، وأحِبَّ من أحَبَّهُ، وابْغَضْ مَن أبْغَضَهُ، وانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ، واخْذُلْ من خَذَلَهُ، وأدِرِ الحقَّ معه حيث دارَ، ألا فَلْيُبَلّغِ الشّاهِدُ الغائبَ».

إنَّ حديثَ الغَدِير مِنَ الأَحاديثِ المتَواتِرة، وقد رَواهُ الصَّحابة والتابعون وعُلماء الحديث في كلِّ قرنٍ بصورَةٍ متواترةٍ.

فقد نقل حديثَ الغدير ورواه (١١٠) من الصحابة، و (٨٤) من التابعين، و(٣٦٠) من العلماء والمحدِّثين، وفي ضوء هذا التواتر لا يبقى أيُّ مجالٍ للشَكِ في أصالةِ، وصحّة هذا الحديث.

كما أَنَّ فريقاً من العُلَماء ألّفوا كُتباً مستَقِلّةً حولَ حديث «الغدير» أشمَلُها وأكثرُها استيعاباً لِطُرق وأسنادِ هذا الحديث كتابُ «الغدير» للعلّامة الشيخ عبد الحسين الأميني (١٣٢٠ ـ ١٣٩٠ هـ).

والآن يجب أن نَرى ما هو المقصود من لفظة «المَولىٰ»، وماذا تَعني «مولويّة» عليّ عليه السلام؟

إنَّ القرائن والشواهدَ الكثيرةَ والعديدةَ تشهد بأنَّ المقصودَ من هذه

اللّفظة، والكلمة هو: الزعامة والقيادة، وها نحن نشيرُ إلى بعض هذه الشّواهدِ والقرائن:

ألف: في واقعة الغدير، أمَرَ رسولُ اللهﷺ بأنْ يحطّ الحُجّاج الّذين كانوا يرجعون معه من الحج، في أرض قاحِلةٍ لا ماء فيها، ولا كلأ، وفي وقتِ الزوال، وتحت أشعّة الشّمس الحارقة.

ولقد كانت حرارةُ الهَجير من الشِدّة في ذلك الوَقت بحيث أنّ الشخص من الحاضرين في ذلك المشهد كان يضع بعض عباءته تحت رجليه وبعضها فوق رأسه تَوقّياً من شدّة الرّمضاء، وحرارة الشّمس.

من الطبيعي أنّ النبي ﷺ كان يريد في هذه الحالة الخاصّة، أن يقول ماله دورٌ مصيريٌّ هامٌّ في هداية الأمّة.

ترى أي شيء يمكنه أن يكون له دور مصيريٌّ وهامٌّ في حياة المسلمين أكثر من تعيين القيادة التي توجب وحدةَ كَلِمةِ المسلمين، وتكونُ حافظة لدينهم.

ب: لقد تحدّث رسولُ اللهﷺ قبل ذكر مسألة ولاية الإمام علي ؑ عَن أُصول الدين الثلاثة: التوحيد، والنبوّة، والمعاد، وأخَذَ من الناس الإقرارَ بها، ثم طرَحَ مسألة ولاية الإمام عليؑ بعد ذلك.

إنّ التقارن بين إبلاغ هذه الرسالة وأخذ الاعتراف والإقرار بالأُصول المذكورة يمكن أن يقودنا إلى معرفة أهميّة الرسالة التي أمَرَ النبيُّ بإبلاغِها إلى النّاس في «غدير خم»، ويمكن معرفة أنّ النبيّ ﷺ ما كانَ يقصُد مِن

ذلك الاجتماع العظيم في تلك الظروفِ الاستثنائيّةِ والملابسات الخاصّة التوصية فقط بمحبّة ومودّة شخصٍ معيّنٍ..

ج: قبل إبلاغِ الرِسالة الإلهيّة في شأنِ عليٍّ عليه السلام تحدَّثَ النبيُّ صلى الله عليه وآله عن ولايته ومولويَّتِهِ وقال: اللهُ مولايَ وأنا مولى المؤْمِنِين، وأنا أولى بِهِمْ مِن أنفسِهِمْ.

إنّ ذكر هذه المطالب دليلٌ على أنّ «مولويّةَ الإمام علي عليه السلام» كانت من نمط وسنخ مولوية النبيّ صلى الله عليه وآله، وأنّ النبي أثبت بأمر الله تعالى مَولويّته وأولويّته بالأمر لعليّ أيضاً.

د: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال بعد إبلاغ هذه الرِسالة الإلهيّة: فَلْيبلّغِ الشاهدُ الغائبَ.

## الصيغة الثانية: تفويض الأمر إلى الأمّة

قد أوقفك البحث والتحليل السابق على أنّ صيغة الحكومة بعد رحلة النبي صلى الله عليه وآله هي صيغة التنصيص بإمامة مَن يملأُ الفراغ بعد النبي صلى الله عليه وآله، وأنّ المحاسبات الاجتماعية والأحاديث المتضافرة تؤيد تلك الحقيقة، إلّا أنّه وجدت في وسط الأمة طائفة تعتقد بأنّ أمر الحكومة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله كان مفوضاً إلى انتخاب الأمّة، وأنّ الخليفة يتعيّن بأحد الطرق التالية:

١. إجماع المسلمين.

٢. شورى المهاجرين والأنصار.

٣. بيعة أهل الحل والعقد.

وسندرس هذه الطرق الثلاثة بإيجاز .

## إجماع المسلمين

إنّ نظرية إجماع المسلمين على قيادة فرد منهم ، لم تتحقّق بشكل عملي ولا مرة واحدة.

إنّ دراسة التاريخ الإسلامي خير دليل على أنّ خلافة أبي بكر لم تأت نتيجة مشاركة الأُمّة الإسلامية في اختياره وانتخابه للحكم والقيادة، بل لم ينتخبه إلّا أربعة أنفار لا غير، وهؤلاء النفر هم؛ عمر بن الخطاب، وأبو عبيدة من المهاجرين، وبشير بن سعد وأُسيد بن حُضير من الأنصار، وأمّا الباقون من رجال الأوس لم يبايعوا أبا بكر إلّا تبعاً لرئيسهم أُسيد بن حضير، في حين غاب عن هذا المجلس كبار الصحابة وأفاضلهم، كالإمام علي بن أبي طالب، والمقداد، وأبي ذر، وحذيفة بن اليمان، وأُبيّ بن كعب وطلحة والزبير، وعشرات آخرين من الصحابة.

كما أنّ الخزرجيين ـ رغم حضورهم في السقيفة ـ امتنعوا عن البيعة لأبي بكر.[١]

ومن درس أحداث السقيفة وما بعدها يقف على أنّه لم يكن هناك أي إجماع على خلافة أبي بكر.

---

١ . تاريخ الطبري: ٣ / ٢١٠ ؛ السيرة النبوية لابن هشام: ٢ / ٦٦٠ .

وهذا هو عمر يعترف بأنّ هذه البيعة كانت فلتة لا تخضع لضابطة ولا تقوم على أساس من المبادئ الإسلامية والمنطلقات الصحيحة والمشروعة، إذ يقول:

كانت بيعة أبي بكر فلتة كفلتة الجاهلية وقى الله المسلمين شرها .

ولهذا يحذّر المسلمين من الأخذ بها، لأنّها لم تكن تمثّل أي صورة انتخابية صحيحة حتّى لو قيل بمشروعية تعيّن الخليفة عن طريق الانتخاب، فيقول: فمن عاد إليها فاقتلوه [١].

فإن كان هذا حال تنصيب أبي بكر فما بالك بخلافة الآخرين، إذ عقد أبو بكر الخلافة لعمر واعترض جماعة من الصحابة على أبي بكر في هذا التعيين والنصب.[٢] وإنّ من البديهيّ أنّه لو كانَ تعيينُ أبي بكر لِعُمر بن الخطاب مِن باب مجرّد الاقتراح والترشيح فحسب، لما كان لاعتراض الصحابة عليه أيّ مجالٍ ولا مبرّر.

هذا مضافاً إلى أنّ الخليفة الثالث هو الآخر تمّ تعيينُهُ عن طريق شورى تألّفتْ من (٦) أشخاص عيّنهُمُ الخليفةُ الثاني، وكانَ هذا نوعاً مِن تعيين الخليفة الّذي مَنَع الآخرين من مراجعة الرأي العامّ.

ومن الموانع الّتي لا يمكن تحقّق إجماع المسلمين من خلالها هو تفرّقهم في أطراف العالم، وهذا ممّا يجعل عملية إجماعهم على شخص

---

١ . شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١ / ١٢٣، ط . مصر.

٢. الإمامة والسياسة: ١ / ٢٤ ـ ٢٥ .

واحد أمر عسير إن لم يكن مستحيل، والاقتصار ببيعة المهاجرين والانصار وأولادهم وإلقاء رأي الآخرين المستقرين في بقاع العالم إهانة لقطاع واسع من المسلمين.

**هل الشورى أساس الحكم؟!**

حاول المجدّدون من متكلّمي السنّة صب صيغة الحكومة الإسلاميّة على أساس الشورى بجعلها بمنزلة الاستفتاء الشعبي، واستدلّوا على ذلك بآيتين:

**الآية الأُولى:** قوله سبحانه: ﴿وَ شَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾[1]، وقد قيل في تفسير هذه الآية: إنّ الله سبحانه يأمر نبيّه بالمشاورة، تعليماً للأُمّة، حتى يتشاوروا في مهام الأُمور، ومنها الخلافة.

**يلاحظ عليه: أوّلاً:** إنّ الخطاب في الآية متوجّه إلى الحاكم الذي استقرّت حكومته، فيأمره سبحانه أن ينتفع من آراء رعيّته، فأقصى ما يمكن التجاوز به عن الآية، هو أنّ من وظائف كلّ الحكّام التشاور مع الأُمّة، وأمّا أنّ الخلافة بنفس الشورى، فلا يمكن الاستدلال عليه بهذه الآية.

**و ثانياً:** إنّ المتبادر من الآية هو أنّ التشاور لا يوجب حكماً للحاكم، ولا يلزمه بشيء، بل هو يقلب وجوه الرأي ويستعرض الأفكار المختلفة، ثم يأخذ بما هو المفيد في نظره، وذلك لقوله سبحانه في نفس الآية: ﴿فَإِذَا

---

١. آل عمران: ١٥٩.

عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ ﴾، المعرب عن أنّ العزم والتصميم والاستنتاج من الآراء الأخذ بما هو الأصلح راجع إلى نفس المشير، وهذا يتحقّق في ظرف يكون هناك مسؤول تام الاختيار في استحصال الأفكار والعمل بالنافع منها، حتى يخاطب بقوله: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ ﴾، وأمّا إذا لم يكن ثمة رئيس، فلا تنطبق عليه الآية، إذ ليس في انتخاب الخليفة بين المشيرين من يقوم بدعوة الأفراد للمشورة، لغاية استعراض آرائهم، ثم تمحيص أفكارهم، والأخذ بالنافع منها، ثم العزم القاطع عليه.

و كلّ ذلك يعرب عن أنّ الآية ترجع إلى غير مسألة الحكومة وما شابهها. ولأجل ذلك لم نر أحداً من الحاضرين في السقيفة احتجّ بهذه الآية.

الآية الثانية: قوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [1].

ببيان أنّ المصدر (أمر) أضيف إلى الضمير (هُم)، وهو يفيد العموم والشمول لكلّ أمر، ومنه الخلافة، فيعود معنى الآية أنّ شأن المؤمنين في كل موردٍ، شورى بينهم.

يلاحظ عليه: أنّ الآية تأمر بالمشورة في الأُمور المضافة إلى المؤمنين، وأمّا أنّ تعيين الخليفة من الأُمور المضافة إليهم، فهو أوّل الكلام، والتمسّك بالآية في هذا المجال، تَمَسّك بالحكم في إثبات موضوعه.

---

١ . سورة الشورى: ٣٨.

و بعبارة أُخرى: إنّ الآية حثّت على الشورى فيما يمتّ إلى شؤون المؤمنين بصلة، لا فيما هو خارج عن أُمورهم، أمّا كون تعيين الإمام داخلاً في أُمورهم، فهو أوّل الكلام، إذ لا ندري هل هو من شؤونهم أو من شؤون الله سبحانه؟ ولا ندري هل هي إمرة وولاية إلهية تتم بنصبه سبحانه وتعيينه، أو إمرة وولاية شعبية، يجوز للناس التدخّل فيها؟ ومع هذا الترديد لا يصحّ التمسّك بالآية.

## هل البيعة أساس الحكم؟

ربّما يتصوّر أنّ البيعة أساس الحكم، وأنّه يتم من طريقها. ولكنّه غفلة عن حقيقة البيعة وموقفها، فإنّ البيعة في حياة العرب وبعد رحيل الرسول ﷺ، كانت تجسيداً لما تمّ أمره من قبل.

مثلاً: إنّ بيعة المسلمين للنبي الأكرم ﷺ، لم تعن الاعتراف بزعامة الرسول ورئاسته، فضلاً عن نصبه وتعيينه، بل إنّ المبايعين بعد أن آمنوا بنبوة النبي واعترفوا بقيادته وزعامته، وأرادوا أن يصبّوا ما يلازم ذلك الإيمان، من الالتزام النفسي بأوامر النبي، بعد الإقرار بنبوته، وزعامته. فكأنّ النبي الأكرم يقول: «فإن آمنتم بي فبايعوني على أن تطيعوني، وتصلّوا وتزكّوا، وأن تدفعوا عني العدو حتى الموت، ولا تفروا من الحرب».

و الهدف عندئذٍ من البيعة لم يكن هو الاعتراف بمنصب المبايع، وانتخابه وتعيينه لمقام الحكومة والولاية، بل كانت لأجل التأكيد العملي على الالتزام بلوازم الإيمان السابق عليه، وهذا بارز في البيعة الثانية للأنصار

في منى، وبيعة الصحابة في غزوة الحديبية.

وعلى ضوء ما ذكرنا فإنّ البيعة ليست طريقاً لتعيين الحاكم وانتخاب القائد، وإنّما يتعين الحاكم بالمقاولة وتصويت الجماعة الحاضرين، ثم يُصبّ ذلك الانتخاب في قالب الحسّ بالبيعة والصفق، وكأنّ البيعة تأكيد لما التزموا، وتجسيد لما أضمروه أو تقاولوه. وعلى فرض كونها طريقاً لتعيين الحاكم، فهي إحدى الطرق لا الطريق الوحيد، فلو علم رضا الأُمّة بحكومة فرد وزعامة شخص عن غير طريق البيعة، وأبرزت رضاها بطريق من الطرق، لكفى ذلك في كونه قائداً لازم الطاعة، لأنّه أشبه بالعقد والعهد.

أضف إلى ذلك: انّ الشورى أو بيعة الجماعة الحاضرين إنّما يعدّ طريقاً لتعيين الحاكم إذا لم يكن هناك نصّ من الرسول على تنصيب شخص للزعامة، وإلّا تكون البيعة رفضاً للنّص، واجتهاداً في مقابله. وقد عرفت النصوص المتواترة على الوصي ﷺ.

## السنّة النبوية والأئمة الاثنا عشر

إنّ النبي الأكرم لم يكتف بتنصيب عليّ منصب الإمامة والخلافة، كما لم يكتف بإرجاع الأُمّة الإسلامية إلى أهل بيته وعترته الطاهرة، بل قام ببيان عدد الأئمة الذين يتوّلون الخلافة بعده، واحداً بعد واحد، حتى لا يبقى لمرتاب ريب، ولا لشاكّ شك، وقد جاء ذلك في الصحاح والمسانيد بصُوَر مختلفة نشير إليها.

## ١ . كلّهم من قريش

روى البخاري عن جابر بن سمرة قال: سمعت النبي يقول:

«يكون اثنا عشر أميراً، فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي: إنّه قال: كلُّهم من قُرَيْش»[1].

## ٢ . لايزال الإسلام عزيزاً

روى مسلم عن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«لايزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة، ثم قال كلمة لم أفهمها، فقلت لأبي: ما قال؟ قال: كلّهم من قريش».[2]

## ٣ . لا يزال الدين عزيزاً منيعاً

و روى أيضاً عن جابر بن سمرة قال، انطلقت إلى رسول الله ومعي أبي فسمعته يقول:

لايزال هذا الدين عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفة، فقال كلمة

---

١ . صحيح البخاري: ج ٩، باب الاستخلاف، ص ٨١ . ورواه ناقصاً كما يظهر ممّا نقله مسلم وغيره، رواه أحمد في مسنده: ٥ / ٩٠، و ٩٢، و ٩٥، و ١٠٨.

٢ . صحيح مسلم: ج ٦، كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش، ص ٣. وروى هذا المضمون تارة عن سماك بن حرب عن جابر، وأُخرى عن الشعبي عن جابر. ورواه أحمد في مسنده: ٥ / ٩٠، و ٩٨، وفيه فكبّر الناس وضجّوا.

صمّنيها الناس، فقلت لأبي: ما قال؟ قال: كلّهم من قريش. (١)

### ٤ . لايزال الدين قائماً

وروى أيضاً عنه، قال: سمعت رسول الله يوم جمعة عَشية رجم الأسلمي، يقول: لا يزال الدين قائماً حتّى تقوم الساعة، أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلُّهم من قريش. (٢)

### ٥ . لا يزال الدين ظاهراً

روى أحمد في مسنده، عن جابر قال: سمعت رسول الله يقول في حجة الوداع: إنّ هذا الدين لن يزال ظاهراً على من ناواه، لا يضرّه مخالف ولا مفارق حتى يمضي من أُمّتي اثنا عشر خليفة. ثم تكلم بشيء لم أفهمه، فقلت لأبي: ما قال؟ قال: كلّهم من قريش. (٣)

### ٦ . لا يزال هذا الأمر صالحاً

روى أحمد في مسنده عن جابر بن سمرة قال: جئت أنا وأبي إلى النبي، وهو يقول: لا يزال هذا الأمر صالحاً، حتى يكون اثنا عشر أميراً، ثم

---

١ . المصدر السابق من صحيح مسلم، ومسند أحمد: ٥ / ٩٨. وفيه: «لايزال هذا الدين عزيزاً منيعاً ينصرون على من ناواهم عليه».

٢ . المصدر نفسه. ومسند أحمد: ٥ / ٨٦، ٨٩، وفي ص ٩٢: «لا يزال الدين قائماً يقاتل عليه عصابة حتّى تقوم الساعة». وفي ص ٩٨: «عصابة من المسلمين».

٣ . مسند أحمد: ٥ / ٧٨ و ٩٠؛ ولاحظ المستدرك: ٣ / ٦١٨ وفيه: «لايزال أمر هذه الأمّة ظاهراً».

قال كلمة لم أفهمها، فقلت لأبي: ما قال؟ قال: كلّهم من قريش.[١]

٧. لا يزال النّاس بخير

وروى أيضاً عنه قال: كنت مع أبي عند رسول الله، فقال رسول الله: لا يزال هذا الدين عزيزاً، أو قال: لايزال الناس بخير ـ شكّ أبو عبد الصمد ـ إلى اثني عشر خليفة، ثم قال كلمة خفيّة، فقلت لأبي: ما قال؟ قال: كلّهم من قريش.[٢]

فَهَلُمّ الآن إلى البحث عن هؤلاء الخلفاء الاثني عشر، حتى نعرف مَن هم؟ وقد وقفت على أنّ الرسول الأكرم قد عرفهم بالخصوصيات التالية:

ـ لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة.

ـ لايزال الدين عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفة.

ـ لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة، أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة.

ـ لايزال الدين ظاهراً على من ناواه... حتى يمضي من أُمّتي اثنا عشر خليفة.

ـ لا يزال هذا الأمر صالحاً حتى يكون اثنا عشر أميراً.

ـ لايزال الناس بخير إلى اثني عشر خليفة.

---

١. مسند أحمد: ٥ / ٩٧ و ١٠٧؛ ولاحظ المستدرك: ٣ / ٦١٨.

٢. مسند أحمد: ٥ / ٩٨.

و قد اختلفت كلمة شرّاح الحديث في تعيين هؤلاء الأئمة، ولا تجد بينها كلمة تشفي العليل، وتروي الغليل، إلّا ما نقله القندوزي عن بعض المحقّقين، قال:

إنّ الأحاديث الدالّة على كون الخلفاء بعده اثني عشر، قد اشتهرت من طرق كثيرة، فبشرح الزمان، وتعريف الكون والمكان، علم أنّ مراد رسول الله من حديثه هذا، الأئمة الاثنا عشر من أهل بيته وعترته، إذ لا يمكن أن يُحمل هذا الحديث على الخلفاء بعده من أصحابه، لقلّتهم عن اثني عشر، ولا يمكن أن يحمل على الملوك الأمويّين لزيادتهم على الاثني عشر، ولظلمهم الفاحش إلّا عمر بن عبد العزيز، ولكونهم غير بني هاشم، لأنّ النبي ﷺ قال: كلهم من بني هاشم، في رواية عبد الملك عن جابر، وإخفاء صوته في هذا القول يرجّح هذه الرواية، لأنّهم لا يُحَسّنون خلافة بني هاشم، ولا يمكن أن يحمل على الملوك العباسيين لزيادتهم على العدد المذكور، ولقلّة رعايتهم قوله سبحانه: ﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾، وحديث الكساء، فلابدّ من أن يُحمل على الأئمة الاثني عشر من أهل بيته وعترته، لأنّهم كانوا أعلم أهل زمانهم، وأجَلّهم، وأورَعَهم، وأتقاهم، وأعلاهُم نَسَباً، وأفضَلَهم حَسَباً،أكْرَمَهم عند الله، وكانت عُلُومهم عن آبائهم متصلة بجدّهم ﷺ ، وبالوراثة اللّدُنيّة، كذا عَرّفهم أهلُ العلم والتحقيق، وأهل الكشف والتوفيق.

و يؤيّد هذا المعنى، أي أن مراد النبي الأئمة الاثني عشر من أهل بيته،

ويشهد عليه ويرجّحه حديث الثقلين والأحاديث المتكثرة المذكورة في هذا الكتاب وغيرها.

وأمّا قوله ﷺ: كلّهم يجتمع عليه الأمّة، في رواية جابر بن سمرة، فمراده أنّ الأمّة تجتمع على الإقرار بإمامة كلّهم وقت ظهور قائمهم المهدي [1].

و هذه الخصوصيات لا توجد في الأمّة الإسلامية إلّا في الأئمة الاثني عشر المعروفين عند الفريقين، خصوصاً ما يدلّ على أنّ وجود الأئمة مستمر إلى آخر الدهر، ومن المعلوم أنّ آخر الأئمة هو المهدي المنتظر، الذي يعدّ ظهوره من أشراط الساعة.

و لو أضفنا إلى هذا، الروايات الكثيرة الواردة في الأئمة الاثني عشر، يقطع الإنسان بأنّه ليس المراد إلّا هؤلاء الذين اعترف بفضلهم، وورعهم، وتُقاهم، وعلمهم، ووعيهم، وحلمهم، وصبرهم، ودرايتهم، وكفايتهم، الداني والقاصي، والصديق والعدو، ألا وهم:

علي بن أبي طالب، فالحسن بن علي، فالحسين بن علي، فعلي بن الحسين، فمحمد بن علي، فجعفربن محمد، فموسى بن جعفر، فعلي بن موسى، فمحمد بن علي، فعلي بن محمد، فالحسن بن علي، فمحمد بن الحسن العسكري، المهدي المنتظر الذي يملأ الله به الأرض قسطاً وعدلاً

---

١. ينابيع المودة: ٤٤٦، ط اسطنبول ـ عام ١٣٠١ هـ.

بعدما ملئت ظلماً وجوراً[١]، صلوات الله وتحياته وسلامه عليهم أجمعين.

و قد تضافرت النصوص في تنصيص الإمام السابق على الإمام اللاحق، فمن أراد الوقوف على هذه النصوص، فعليه الرجوع إلى الكتب المعدّة لإمامة الأئمة الاثني عشر.[٢]

* * *

## أوصاف الإمام

قد علمت أنّ الإمامة عند الشيعة تختلف في مفهومها عمّا عند السنّة، فإنّها عند الشيعة عبارة عن استمرار وظائف الرسالة، فالإمام وإن لم يكن نبياً ولا رسولاً ولا يوحى إليه ولكنّه يقوم بسائر الوظائف الّتي كان النبي يقوم بها. وملء هذا الفراغ رهن شروط وأوصاف يجب توفرها فيه، وهي:

### ١. العصمة

يشترط في الإمام أن يكون معصوماً من الخطأ والزلل، وذلك لأنّ الدليل الّذي يبعثنا إلى القول بالعصمة في النبي ﷺ هوبنفسه يسبّب القول بالعصمة في الإمام أيضاً، وذلك لأنّ من مهمات الإمام سدّ الفراغات الهائلة

---

١. سيوافيك الكلام في الإمام المنتظر، وأحاديثه في السنّة النبوية، وطول عمره، وعلائم ظهوره، وغير ذلك مما يرجع إليه.

٢. لاحظ الكافي، ج ١، كتاب الحجة، وأجمع كتاب في هذا الموضوع هو كتاب «إثبات الهداة» للشيخ الحرّ العاملي وقد جمع فيه النصوص المتضافرة على إمامة كلّ واحدٍ من الأئمة الاثني عشر.

بعد رحيله ﷺ، وهو لا يتحقّق إلّا بأن يكون الإمام متمتعاً بما يتمتع به النبي الأكرم من الكفاءات والمؤهّلات، فيكون عارفاً بالكتاب والسنّة على وفق الواقع، وعالماً بحكم الموضوعات المستجدة عرفاناً واقعياً، وذاباً عن الدين شبهات المشككين، ومن المعلوم أنّ هذه الوظيفة تستدعي كون الإمام مصوناً من الخطأ. فما دلّ على أنّ النبيّ يجب أن يكون مصوناً في مقام إبلاغ الرسالة، قائم في المقام بنفسه، فإنّ الإمام يقوم بنفس تلك الوظيفة، وإن لم يكن رسولاً ولا طرفاً للوحي، ولكنه يكون عيبةً لعلمه، وحاملاً لشرعه وأحكامه، فإذا لم نجوّز الخطأ على النبي في مقام الإبلاغ، فليكن الأمر كذلك في مقام القيام بتلك الوظيفة بلا منصب الرسالة والنبوة.

## عصمة الإمام في القرآن الكريم

إنّ آية الابتلاء تدلّ بوضوح على أنّ الإمامة لا ينالها الظالمون، قال سبحانه: ﴿وَ إِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[١].

والمراد من الإمامة الّتي وهبها سبحانه لإبراهيم وذريته غير النبوة، وذلك لأنّه سبحانه خاطبه وبشّره بالإمامة وقد كان نبياً، فيدلّ ذلك على أنّ الإمامة الّتي بُشّر بها إبراهيم هي غير النبوة.

---

١. البقرة: ١٢٤.

ولمّا طلبها إبراهيم لذريته استجاب سبحانه دعوته لكنّه استثنى الظالمين، والمراد من غير الظالمين هو مَن لم يتلبس بالظلم طيلة عمره. ويدلّ على ذلك أمران :

الأوّل: إنّ الهدف الأسمى من تنصيب كل إنسان للإمامة، تجسيد الشريعة الإلهية في المجتمع، فإذا كان القائد رجلاً مثالياً نقي الثوب، مشرق الصحيفة لم ير منه عصيان ولا زَلّة، يتحقّق الهدف من نصبه في ذلك المقام.

و أمّا إذا كان في فترة من عمره مقترفاً للمعاصي، ماجناً، مجترحاً للسيئات، فيكون غرضاً لسهام الناقدين، ومن البعيد أن ينفذ قوله، وتقبل قيادته بسهولة، بل ينادى عليه إنّه كان بالأمس يقترف الذنوب، وأصبح اليوم آمراً بالحق ومميتاً للباطل!!

و لأجل تحقّق الهدف يحكم العقل بلزوم نقاوة الإمام عن كلّ رذيلة ومعصية في جميع فترات عمره، وأنّ الإنابة لو كانت ناجعة في حياته الفردية فليست كذلك في حياته الاجتماعية، فلن تخضع له الأعناق، وتميل إليه القلوب.

الثاني: إنّ الناس بالنسبة إلى الظلم على أقسام أربعة:

١ـ من كان طيلة عمره ظالماً.

٢ ـ من كان طاهراً ونقياً في جميع فترات عمره .

٣ ـ من كان ظالماً في بداية عمره، وتائباً في آخره.

٤ـ من كان طاهراً في بداية عمره وظالماً في آخره.

عند ذلك يجب أن نقف على أنّ إبراهيم ﷺ ، الذي سأل الإمامة لبعض ذريته،أيّ قسم أراد منها ؟

حاش إبراهيم أن يسأل الإمامة للقسم الأول، والرابع من ذرّيته، لوضوح أنّ الغارق في الظلم من بداية عمره إلى آخره، أو المتصف به أيام تصديه للإمامة لا يصلح لأن يؤتمن عليها.

فبقي القسمان الآخران: الثاني والثالث، وقد نصّ سبحانه على أنّه لا ينال عهده الظالم، والظالم في هذه العبارة لا ينطبق إلّا على القسم الثالث، أعني: من كان ظالماً في بداية عمره، وكان تائباً حين التصدي.

فإذا خرج هذا القسم، بقي القسم الثاني، وهو من كان نقي الصحيفة طيلة عمره، لم ير منه ـ لا قبل التصدي ولا بعده ـ أيّ انحرافٍ عن جادّة الحق، ومجاوزةٍ للصراط السوي.

## ٢. الأعلمية

يجب أن يكون الإمام أعلم الناس بالقرآن والسنّة والمعارف والأحكام على أن تنيخ الأُمّة ركائبها على بابه دون أن يرجع الإمام إليهم، ودليله واضح لما عرفت من أنّ منصب الإمامة ليس منصباًعرفياً كسائر المناصب الدنيوية، بل هي رئاسة عامة لتدبير أُمور الناس في الدين والدنيا، وهو يلازم أن يكون الإمام أعلم الناس بما يرجعون الناس فيه إليه .

أضف إلى ذلك: أنّ ملء الفراغات الّتي تركتها رحلة النبي ﷺ فرع كونه أعلم الأُمة بالأُصول والفروع والعقائد والأحكام.

### ٣. أفضل الناس

يجب أن يكون الإمام أفضل الأُمة، لأنّه إمّا أن يكون مساوياً لهم أو أنقص منهم أو أفضل، والثالث هو المطلوب، والأوّل محال لأنّه مع التساوي يستحيل ترجيحه على غيره بالإمامة، والثاني أيضاً محال لأنّ المفضول يقبح عقلاً تقديمه على الفاضل.

ويدلّ عليه أيضاً قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَهدِي إلى الحقِّ أَحقُّ أنْ يُتَّبعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إلّا أنْ يُهدىٰ فَما لَكُم كيفَ تَحكُمون﴾ [1].

ويدخل تحت هذا الحكم كون الإمام أفضل في العلم والدين والكرم والشجاعة وجميع الفضائل النفسانية والبدنية.

## الغلاة ليسوا من الشيعة الإمامية

إنّ وصف الإمام بالعصمة والأعلمية والأفضلية لا يعني سوى كونهم عباد الله المخلصين الذين شملتهم عناية الله سبحانه وهو أعلم بمواضعها فجعلهم أئمة يهدون بأمر الله سبحانه، وهم في الوقت نفسه عباد مكرمون لا يعصون الله وهم بأمره يعملون، فمَن فرّط في حقّهم فهو ضال، كما أنّ مَن أفرط وغالى في حقّهم فهو مثله.

---

١. يونس: ٣٥.

فالفرق المغالية في حقّهم ليسوا من الشيعة وإن انتموا إليها، وقد حذر أئمة أهل البيت عليهم السلام شيعتهم من التفريط والغلو.

فالخطابية والمغيرية وغيرهما من الفرق الغالية البائدة ليسوا في الحقيقة من الشيعة، وفي كلام الإمام علي عليه السلام تعريف لأئمة أهل البيت نذكره بنصه وهو كافٍ في المقام:

«لا يقاس بآل محمد صلى الله عليه وآله من هذه الأمّة أحد، ولا يُسَوّى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً؛ هم أساس الدين، وعماد اليقين، إليهم يفيءُ الغالي، وبهم يلحق التالي، ولهم خصائص حق الولاية، وفيهم الوصيةُ والوراثةُ».[1]

هذا وإنّ للإمام الطاهر علي بن موسى الرضا عليه السلام دعاء يبيّن موقف أئمة أهل البيت من الغلاة. يقول في دعائه :

«اللّهمّ إنّي بريء من الحول والقوّة ولا حول ولا قوّة إلّا بك، اللّهم إنّي أعوذ بك وأبرأ إليك من الّذين ادّعوا لنا ما ليس لنا بحق، اللّهم إنّي أبرأ إليك من الّذين قالوا فينا ما لم نقله في أنفسنا، اللّهم لك الخلق ومنك الرزق وإيّاك نعبد وإيّاك نستعين، اللّهم أنت خالقنا وخالق آبائنا الأوّلين وآبائنا الآخرين، اللّهم لا تليق الربوبيّة إلّا بك ولا تصلح الإلهية إلّا لك، فالعن النصارى الّذين صغّروا عظمتك والعن المضاهئين لقولهم من بريّتك.

اللّهم إنّا عبيدك وأبناء عبيدك لا نملك لأنفسنا نفعاً ولا ضرّاً ولا موتاً

---

١ . نهج البلاغة: الخطبة رقم ٢ .

ولا حياة ولا نشوراً، اللهمّ من زعم أنّا أرباب فنحن منه براء، ومن زعم أنّ إلينا الخلق وعلينا الرزق فنحن براء منه كبراءة عيسى بن مريم عليه السلام من النصارى، اللّهم انّا لم ندعهم إلى ما يزعمون، فلا تؤاخذنا بما يقولون، واغفر لنا ما يدّعون ولا تدع على الأرض منهم ديّاراً إنّك إن تذرهم يضلّوا عبادك ولا يلدوا إلّا فاجراً كفّاراً».[1]

## الفرق بين النبي والرسول والإمام

إنّ تبيين هذه المفاهيم الثلاثة الواردة في الذكر الحكيم، على وجه التفصيل غير ميسّر في المقام، وقد أوضحنا حالها في كتابنا «مفاهيم القرآن»[2]. وموجز القول فيها:

إنّ الإمام هو الحاكم السائد على المجتمع والآخذ بيد الأُمّة إلى نحو الكمال في الحياة الدنيوية والأُخروية والفردية والاجتماعية، فيجب على الأُمّة امتثال أوامره وتوجيهاته في عامّة الحقول، وعلى ضوء هذا نقول:

النبي: عبارة عمّن يتلقّى الوحي.

الرسول: عبارة عمّن يؤمر بإبلاغه إلى الناس .

فإذا تلقّى الوحي ولم يؤمر بإبلاغه فهو نبي، فإذا أُمر بالتبليغ يكون رسولاً.

---

١ . بحار الأنوار: ٢٥ / ٣٤٣.

٢ . مفاهيم القرآن: ٥ / ٣٧٥ ـ ٣٩٠.

الإمام: عبارة عمّن يُجسّد الشريعة السماوية في المجتمع، سواء أُنزلت عليه فيكون نبياً ورسولاً وإماماً ـ كما هو الحال في الخليل ﷺ ـ أم أُنزلت على غيره كما هو الحال في الأئمة الاثنى عشر، فالقادة المعصومون ـ أعني: علياً وأولاده ـ الذين نصبوا أئمّة للأُمّة الإسلامية لا يحقّقون أهدافهم ولا يقومون بشؤون الأُمّة وسياستها، إلّا في ضوء الشريعة المحمّدية النازلة على النبي الأكرم ﷺ.

وبعبارة أُخرى: أنّ الإمامة وتدبير الأُمّة ليست مقصودة بالذات، وانّما اتّخذت أداة لإسعاد الأُمّة وإرشادها إلى قمّة الكمال، ولا يحصل ذلك إلّا بتطبيق الشريعة الإلهية وتجسيدها في المجتمع، لقصور كلّ المناهج البشرية عن القيام بذلك الهدف الأسمى.

وهذا إنّ دلّ على شيء فإنّما يدلّ على أنّ الإمام لا يحقّق أهدافه إلّا في ضوء الشريعة السماوية، سواء أنزلت عليه أم نزلت على غيره، وسواء كان ذلك الغير حياً حاضراً أم ميتاً راحلاً، وعلى كل تقدير فسياسة الأُمّة وتدبيرها وقيادتها ودفعها إلى الكمال والّتي تعدّ من الوظائف الأساسية للإمام، لا تحصل إلّا أن يكون أمره ونهيه وفعله وتقريره انعكاساً عن الكليات والدساتير العامّة النازلة منه سبحانه على نبي زمانه وصاحب شريعته، إلّا أن يكون بنفسه صاحب شريعة كما في خليل الرحمن ﷺ.

# الفصل السادس

## أهل البيت عليهم السلام

١. مفهوم أهل البيت عليهم السلام في معاجم اللغة

٢. أهل البيت في القرآن

أ. دراسة آية التطهير

ب. القرائن الثلاث في الآية تعيّن ما هو المقصود

٣. أهل البيت عليهم السلام في أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

أ. التصريح بأسمائهم          ب. إدخالهم تحت الكساء

ج. تلاوة الآية على بابهم

٤. المرجعية العلمية لأهل البيت عليهم السلام بعد رحيل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

أ. حديث الثقلين          ب. حديث السفينة

ج. اعتراف أئمة المذاهب بأفقهية أهل البيت عليهم السلام

٥. دور أهل البيت في توحيد الأُمّة

٦. تراث أهل البيت عليهم السلام العلمي

٧. فاطمة الزهراء عليها السلام في كلام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

# أهل البيت عليهم السلام

هذا اللفظ مركب من كلمتين ولكلّ مفهوم، ويمكن تحديد مفهوم «الأهل» من موارد استعماله فيقال:

١. أهل الأمر والنهي.

٢. أهل الإنجيل.

٣. أهل الكتاب.

٤. أهل الإسلام.

٥. أهل الرجل.

٦. أهل الماء.

وهذه الموارد تُوقفنا على أنّ كلمة «أهل» تستعمل مضافاً، في مَن كان له علاقة قوية بمن أُضيف إليه، فأهل الأمر والنهي هم الذين يمارسون الحكم والبعث والزجر، وأهل الإنجيل هم الذين لهم اعتقاد به كأهل الكتاب وأهل الإسلام.

وقد اتّفقت كلمة أهل اللغة على أنّ الأهل والآل كلمتان بمعنى واحد، قال ابن منظور: آل الرجل: أهله، وآل الله وآل رسوله: أولياؤه، أصلها أهل ثم أُبدلت الهاء همزة فصارت في التقدير أأل، فلمّا توالت الهمزتان أبدلوا

الثانية ألفاً، كما قالوا: آدم وآخر، وفي الفعل آمن وآزر.

وقد أنشأ عبد المطلب عند هجوم أبرهة على مكة المكرمة، وقد أخذ حلقة باب الكعبة وقال:

وانصر على آل الصليب　　　وعــابديه اليــوم آلك

وعلى ما ذكرنا، فهذا اللفظ إذا أُضيف إلى شيء يقصد منه المضاف الذي له علاقة خاصة بالمضاف إليه، فأهل الرجل مثلاً هم أخصّ الناس به، وأهل المسجد: المتردّدون كثيراً إليه، وأهل الغابة: القاطنون فيها ... فإذا لاحظنا موارد استعمال هذه الكلمة لا نتردّد في شمولها للزوجة والأولاد، بل وغيرهم ممّن تربطهم رابطة خاصة بالبيت من غير فرق بين الأولاد والأزواج، ولأجل ذلك ترى أنّه سبحانه يطلقه على زوجة إبراهيم كما في قوله سبحانه: ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللهِ رَحْمَةُ اللهِ وَ بَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾[1].

### ١. مفهوم أهل البيت ﷺ في معاجم اللغة

هذا هو حق الكلام في تحديد مفهوم هذه الكلمة، ولنأت ببعض نصوص أئمّة اللغة.

قال ابن منظور: أهل البيت: سُكّانه، وأهل الرجل: أخصّ الناس به، وأهل بيت النبي: أزواجه وبناته وصهره، أعني: علياً ﷺ، وقيل: نساء النبي والرجال الذين هم آله.[2]

---

١. هود: ٧٣.　　٢. لسان العرب: ١١/٢٩، مادة «أهل».

فلقد أحسن الرجل في تحديد المفهوم أوّلاً ، وتوضيح معناه في القرآن الكريم ثانياً، كما أشار بقوله: «قيل» إلى ضعف القول الآخر، لأنّه نسبه إلى القيل.

وقال ابن فارس ناقلاً عن الخليل بن أحمد: أهل الرجل: زوجه، والتأهّل: التزوّج، وأهل الرجل: أخصّ الناس به، وأهل البيت: سكّانه، وأهل الإسلام: مَن يدين به. [١]

وقال الراغب في «مفرداته»: أهل الرجل: مَن يجمعه وإيّاهم نسب أو دين أو ما يجري مجراهما من صناعة وبيت وبلد، فأهل الرجل في الأصل من يجمعه وإيّاهم مسكن واحد، ثم تجوز به فقيل: أهل بيت الرجل لمن يجمعه وإيّاهم النسب، وتعورف في أُسرة النبي عليه الصلاة والسلام مطلقاً إذا قيل أهل البيت. [٢]

وقال الفيروز آبادي: أهل الأمر : ولاته، وللبيت: سكّانه، وللمذهب: مَن يدين به، وللرجل زوجته كأهله، وللنبي: أزواجه وبناته وصهره علي ـ رضي الله تعالى عنه ـ أو نساؤه والرجال الذين هم آله. [٣]

هذه الكلمات ونظائرها بين أعلام أهل اللغة كلّها تعرب عن أنّ مفهوم أهل البيت في اللغة هم الذين لهم صلة وطيدة بالبيت، وأهل الرجل

---

١ . معجم مقاييس اللغة: ١/١٥٠.

٢ . المفردات: ٢٩.

٣ . القاموس المحيط: ٣/٣٣١.

مَن له صلة به بنسب أو سبب أو غيرهما.

إنّ مراجعة كتب اللغة، وموارد استعمال الكلمة في الكتاب والسنّة تعرب عن أنّ مفهوم «الأهل» هو المعنى العام، وهو يشمل كلّ مَن له صلة بالرجل والبيت صلة وطيدة مؤكّدة من نسب أو سبب أو غير ذلك، من غير فرق بين الزوجة والأولاد وغيرهم، وانّ تخصيصها بالزوجة قسوة على الحق، كما أنّ تخصيصها لغة بالأولاد وإخراج الأزواج يخالف نصوص القرآن واستعمالها كما عرفت في الآيات الماضية.

## ٢. أهل البيت في القرآن الكريم

لقد وردت لفظة «أهل البيت » مرّتين في القرآن الكريم.

قال سبحانه حاكياً عن لسان الرسل: ﴿قالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمرِ اللّهِ رَحمةُ اللهِ وبَركاتُهُ عَلَيْكُمْ أهلَ البَيْتِ إنّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾.[1]

وقال تعالى :﴿وقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ولا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجاهِلِيَّةِ الأُولى وأَقِمْنَ الصلاةَ وآتِينَ الزكاةَ وأَطِعْنَ اللهَ ورَسُولَهُ إنّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أهْلَ البَيْتِ ويُطَهِّرَكُم تَطهِيراً﴾.[2]

فالآية الأُولى تخاطب أهل بيت خليل اللّه عند ما جاءتهم الرسل فبشّروا امرأته بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب.

---

١. هود: ٧٣.

٢. الأحزاب: ٣٣.

ولمّا كانت هذه البشارة على خلاف السنن الكونية حيث كان الخليل شيخاً وزوجته طاعنة في السن، فلذلك تعجبت وقالت مخاطبة الرسل: ﴿يا وَيْلَتى ءَأَلِدُ وأنَا عَجُوزٌ وهذا بَعْلِي شَيْخاً إنّ هَـذا لَشَـيْءٌ عَـجِيب﴾ [١]، فوافاها الجواب من جانب الرسل الذين كـانوا مـلائكة وتـمثّلوا بـصورة الإنسان، قائلين: ﴿أتعجبين من أمر اللّه رحمة اللّه وبـركاته عـليكم أهـل البيت انّه حميد مجيد﴾.

وأمّا الآية الثانية فقد وردت في ثنايا الآيات التي نزلت في شأن نساء النبي ﷺ بدعوتهنّ إلى التخلّـي عن الدنيا والتحلّـي بالتقوىٰ إلى غير ذلك من الوصايا التي وردت ضمن آيات. [٢]

## دراسة آية التطهير

ونتناول هنا بالتفصيل دراسة الآيـة الثـانية الّـتي أشـرنا إليـها، وذلك لكثرة مادار حولها من نقاش وأُلّف حولها من كتب حملت شبهاً وردوداً.

اختلف المفسّرون في بيان ما هو المراد من «أهل البيت» في الآيـة المباركة على أقوال، غير أنّ العبرة بقولين:

١. المراد بنت النبي وصهره وولداهما الحسن والحسين ﷺ.

٢. نساء النبي ﷺ. [٣]

---

١. هود: ٧٢.

٢. انظر سورة الأحزاب، الآيات: ٢٨ ـ ٣٤.

٣. وهناك أقوال أُخر شاذة جداً ستوافيك في مختتم البحث.

ولا بد من إمعان النظر في تعيين المراد بعد قابلية اللفظ لشمول كلتا الطائفتين، فنقول: إنّ هناك قرائن تدلّ بوضوح على أنّ المراد من هذه الكلمة جماعة خاصة منتمين إلى البيت النبوي بوشائج خاصة لا كلّ المنتمين إليه، وإليك تلك القرائن:

## القرينة الأُولى: اللام في «أهل البيت» للعهد

لا شك أنّ اللام قد تطلق ويراد منها الجنس المدخول، كقوله سبحانه: ﴿إنّ الإنسان لفي خُسر﴾.[1]

وقد يطلق ويراد منها استغراق أفراده، كقوله سبحانه : ﴿يَا أَيُّها النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾.[2]

وثالثة تستعمل في العهد باعتبار معهودية مدخولها بين المتكلّم والمخاطب.

ولا يمكن حمل اللام في «البيت» على الجنس أو الاستغراق، لأنّ الأوّل إنّما يناسب إذا أراد المتكلم بيان الحكم المتعلّق بالطبيعة كما يعلم من تمثيلهم لذلك بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الإِنْسانَ خُلِقَ هَلُوعاً﴾[3]، ومن المعلوم أنّ الآية الكريمة ليست بصدد بيان حكم طبيعة أهل البيت، كما لا يصح أن يحمل على العموم، أي: جميع البيوت في العالم، أو بيوت النبي ، وإلاّ

---

١ . العصر : ٢.

٢ . التوبة: ٧٣.

٣ . المعارج: ١٩.

لناسب الإتيان بصيغة الجمع فيقول: أهل البيوت، كما أتى به عندما كان في صدد إفادة ذلك، وقال في صدر الآية: ﴿وقرن في بيوتكن﴾.

فتعيّن أن يكون المراد هو الثالث، أي البيت المعهود، فالآية تشير إلى إذهاب الرجس عن أهل بيت خاص، معهود بين المتكلم والمخاطب، وحينئذ يقع الكلام في تعيين هذا البيت المعهود، فما هو هذا البيت؟ هل هو بيت أزواجه، أو بيت فاطمة وزوجها والحسن والحسين ﷺ؟

لا سبيل إلى الأوّل، لأنّه لم يكن لأزواجه بيت واحد حتى تشير اللام إليه، بل تسكن كلّ واحدة في بيت خاص، ولو أُريد واحد من بيوتهن لاختصّت الآية بواحدة منهن، وهذا ما اتّفقت الأُمّة على خلافه.

أضف إلى ذلك: أنّه على هذا يخرج بيت فاطمة مع أنّ الروايات ناطقة بشمولها، وانّما الكلام في شمولها لأزواج النبي كما سيوافيك بيانه.

هذا كلّه على تسليم أنّ المراد من البيت هو البيت المبنيّ من الأحجار والآجر والأخشاب، فقد عرفت أنّ المتعيّن حمله على بيت خاص معهود ولا يصح إلّا حمله على بيت فاطمة، إذ ليس هناك بيت خاص صالح لحمل الآية عليه.

وأمّا لو قلنا بأنّ البيت قد يطلق ويراد منه تارة هذا النسق، كما في قوله تعالى: ﴿وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأُولى﴾، وأُخرى غير هذا النمط من البيت، مثل قول القائل: «بيت النبوة» و «بيت الوحي» تشبيهاً لهما على المحسوس، فلا محيص أن يراد منه المنتمون إلى

النبوة والوحي بوشائج معنوية خاصة على وجه يصحّ مع ملاحظتها، عدّهم أهلاً لذلك البيت، وتلك الوشائج عبارة عن النزاهة في الروح والفكر، ولا يشمل كلّ من يرتبط ببيت النبوة عن طريق السبب أو النسب فحسب، وفي الوقت نفسه يفتقد الأواصر المعنوية الخاصة، ولقد تفطّن العلاّمة الزمخشري صاحب التفسير لهذه النكتة، فهو يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ [1]، لأنّها (زوجة إبراهيم) كانت في بيت الآيات ومهبط المعجزات والأمور الخارقة للعادات، فكان عليها أن تتوقّر ولا يزدهيها ما يزدهي سائر النساء الناشئات في غير بيوت النبوة، وان تسبح اللّه وتمجّده مكان التعجب، وإلى ذلك أشارت الملائكة في قولها: ﴿رحمة اللّه وبركاته عليكم أهل البيت﴾ أرادوا انّ هذه وأمثالها ممّا يكرمكم به رب العزة، ويخصّكم بالأنعام به يا أهل بيت النبوة. [2]

وعلى ذلك لا يصح تفسير الآية بكل المتسببين عن طريق الأواصر الجسمانية لبيت خاص حتى بيت فاطمة، إلّا أن تكون هناك الوشائج المشار إليها، ولقد ضلّ من فسّر البيت بالبيت المبني من حجر ومدر مع أنّ المراد غيره.

ولقد جرى بين قتادة ذلك المفسّر المعروف وبين أبي جعفر محمد

---

١. هود: ٧٣.

٢. الكشاف: ٢/١٠٧.

بن علي الباقر عليه السلام محادثة لطيفة أرشده الإمام فيها إلى هذا المعنى الذي أشرنا إليه، قال ـ عندما جلس أمام الباقر عليه السلام ـ: لقد جلست بين يدي الفقهاء وقدّام ابن عباس فما اضطرب قلبي قدّام واحد منهم ما اضطرب قدّامك. قال له أبو جعفر عليه السلام : «ويحك، أتدري أين أنت؟ أنت بين يدي: ﴿في بُيُوتٍ أَذِنَ اللّهُ أَنْ تُرْفَعَ ويُذْكَرَ فِيها اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيها بِالغُدُوِّ والآصالِ * رجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارةٌ ولا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللّهِ وإقامِ الصلاةِ وإيتاءِ الزكاةِ﴾ [1] فأنت ثم ونحن أُولئك». فقال له قتادة: صدقت والله جعلني الله فداك، والله ما هي بيوت حجارة ولا طين. [2]

وهذه القرينة تحضّ المفسر على التحقيق عن الأفراد الذين يرتبطون بالبيت بأواصر معينة، وبذلك يسقط القول بأنّ المراد منه أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، لأنّه لم تكن تلك الوشائج الخاصة باتّفاق المسلمين بينهم وأقصى ما عندهنّ انهنّ كنّ مسلمات مؤمنات.

### القرينة الثانية: تذكير الضمائر

نرى أنّه سبحانه عندما يخاطب أزواج النبي يخاطبهن حسب المعتاد بضمائر التأنيث، ولكنّه عندما يصل إلى قوله: ﴿إنّما يريد الله ليذهب ...﴾ يغير الصيغة الخطابية في التأنيث ويأتي بصيغة التذكير، فما هو السر في تبديل الضمائر لو كان المراد أزواج النبي؟ وإليك نص الآيات:

---

١. النور: ٣٦ ـ ٣٧.

٢. الكافي: ٦/٢٥٦ ـ ٢٥٧.

﴿يا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً﴾. [١]

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلاَةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾. [٢]

﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنَ آياتِ اللهِ وَالحِكْمَةِ إِنَّ اللهَ كانَ لَطِيفاً خَبِيراً﴾. [٣]

ترى أنّه سبحانه يخاطبهن في الآية الأُولى بهذه الخطابات:

١. لستن. ٢. اتقيتن. ٣. فلا تخضعن. ٤. وقلن.

ويخاطبهن في الآية الثانية بهذه الخطابات:

١. قرن. ٢. بيوتكن. ٣. لا تبرجن. ٤. أقمن. ٥. آتين. ٦. أطعن.

كما يخاطبهن في الآية الثالثة بقوله:

١. واذكرن . ٢. بيوتكن.

وفي الوقت نفسه يتخذ في ثنايا الآية الثانية موقفاً خاصاً في الخطاب ويقول:

---

١ . الأحزاب: ٣٢.

٢ . الأحزاب: ٣٣.

٣. الأحزاب: ٣٤.

١. عنكم. ٢. يطهركم.

فما وجه هذا العدول إذا كان المراد نساء النبي ؟!

أو ليس هذا يدل على أنّ المراد ليس نساءه ﷺ .

وقد حاول القرطبي التفصّي عن الإشكال فقال: إنّ تذكير الضمير يحتمل لأن يكون خرج مخرج «الأهل» كما يقول لصاحبه: كيف أهلك، أي امرأتك ونساؤك؟ فيقول: هم بخير، قال الله تعالى: ﴿أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت﴾. [1]

ولكن المحاولة فاشلة فإنّ ما ذكره من المثال على فرض سماعه من العرب، إنّما إذا تقدّم «الأهل» وتأخّر الضمير (هم بخير)، دون العكس كما في الآية، فإنّ أحد الضميرين مقدّم على لفظ «الأهل» في الآية كما يقول: ﴿عنكم الرجس أهل البيت﴾ .

وأمّا الاستشهاد في الآية فغير صحيح، لأنّ الخطاب فيها لإبراهيم وزوجته معاً، لا خصوص زوجته، فيصح التغليب تغليب الأشرف على غيره في الخطاب والمفروض في المقام انّ الآية نزلت في زوجاته ونسائه خاصة فلا معنى للتغليب.

١. جامع الأحكام: ١٨٢/١٤.

**القرينة الثالثة: العدول عن السياق**

إنّ الآيات المتعلّقة بأزواج النبي تبتدئ من الآية ٢٨ وتنتهي بالآية ٣٤، وهي تخاطبهن تارة بلفظ «الأزواج» ومرتين بلفظ «نساء النبي» الصريحين في زوجاته، فما هو الوجه في العدول عنهما إلى لفظ «أهل البيت» فإنّ العدول قرينة على أنّ المخاطب به غير المخاطب بهما.

فهذه القرائن الثلاث تورث اليقين بأنّ المراد به، هو غير زوجاته ونسائه، وأمّا مَن هم مصاديقه فقد تكفّل ببيانهم أحاديث الرسول ﷺ المتضافرة.

### ٣. التعريف بأهل البيت عليهم السلام في أحاديث الرسول ﷺ

إنّ الأحاديث الواردة في كلام النبي ﷺ تكشف عن وجه الحقيقة، فإنّ للنبي الأكرم عناية وافرة بتعريف أهل البيت لم ير مثلها إلّا في أقلّ الموارد، حيث قام بتعريفهم بطرق مختلفة، كما أنّ للمحدّثين والمفسرين وأهل السير والتاريخ عناية كاملة بتعريف أهل بيت نبيه ﷺ في مواضع مختلفة حسب المناسبات التي تقتضي طرح هذه المسألة، كما أنّ للشعراء الإسلاميين المخلصين في طوال قرون، عناية بارزة ببيان فضائل أهل البيت والتعريف بهم، والتصريح بأسمائهم على وجه يظهر من الجميع اتفاقهم على نزول الآية في حق العترة الطاهرة.

كلّ ذلك يعرب عن أنّ الرأي العام بين المسلمين في تفسير أهل البيت هو القول الأوّل، وانّ القول بأنّ المقصود منهم زوجاته كان قولاً شاذاً متروكاً ينقل ولا يعتنى به، ولم ينحرف عن ذلك الطريق المهيع إلّا بعض من اتّخذ لنفسه تجاه أهل البيت موقفاً يشبه موقف أهل العداء والنصب.

قام النبي صلى الله عليه وآله وسلم بتعريف أهل البيت بطرق ثلاثة نشير إليها:

١. صرّح بأسماء من نزلت الآية في حقّهم حتى يتعيّن المنزول فيه باسمه ورسمه.

٢. قد أدخل جميع من نزلت الآية في حقّهم تحت الكساء، ومنع من دخول غيرهم، وأشار بيده إلى السماء وقال: «اللّهم إنّ لكلّ نبي أهل بيت وهؤلاء أهل بيتي» كما سيوافيك نصه.

٣. كان يمر ببيت فاطمة عدّة شهور، كلّما خرج إلى الصلاة فيقول: الصلاة أهل البيت: ﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾.

وقد أوردنا في كتابنا مفاهيم القرآن [1] الروايات الّتي تتضمن تعريف أهل البيت من جانب النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بالطرق الثلاثة، وسنقتصر هنا على ذكر واحدة من كلّ طريق ومن أراد التفصيل فليراجع .

١. مفاهيم القرآن : ١٠ / ١٤٣ ـ ١٥٣.

أ. التصريح بالأسماء :

روى الطبري عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: نزلت هذه الآية في خمسة: فيّ وفي عليّ وحسن عليه السلام وحسين عليه السلام وفاطمة (رضي الله عنها): ﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾.[1]

ب . إدخالهم تحت الكساء

أدخل النبي ﷺ أهل بيته تحت الكساء، فقد أخرج الطبري عن أم سلمة قالت: كان النبي ﷺ عندي وعلي وفاطمة والحسن والحسين فجعلت لهم حريرة فأكلوا وناموا وغطّى عليهم عباءة أو قطيفة ثم قال:اللهم هؤلاء أهل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً».[2]

ج . تعيينهم بتلاوة الآية على بابهم

أخرج الطبري عن أنس، أنّ النبي ﷺ كان يمر ببيت فاطمة ستة أشهر كلّما خرج إلى الصلاة، فيقول: الصلاة أهل البيت: ﴿إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾.[3]

---

١ . لاحظ للوقوف على مصادر هذه الروايات وغيرها ممّا لم نذكر تفسير الطبري: ٢٢ / ٥ ـ ٧؛ الدر المنثور: ٥ / ١٩٨ ـ ١٩٩.

٢ . نفس المصدر.

٣ . نفس المصدر.

## ٤. المرجعية العلمية لأهل البيت عليهم السلام

إنّ البحث عن صيغة الخلافة بعد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يطرح على نوعين:

الأوّل: البحث عن الحكم في مرحلة خاصّة من الزمان، وهو: هل الخلافة من جانب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كانت أمراً تنصيصياً أو كانت أمراً محوّلاً إلى الصحابة؟ وهذا النوع من البحث وإن كان غير خال من الفائدة ولكنّه بحث تاريخي ربّما تجاوز عنه الزمان.

الثاني: انّ المرجعية العلمية بعد رحيل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هل هي متمثّلة في أئمة أهل البيت عليهم السلام أو في غيرهم؟ وهل انّ واجب كلّ مسلم في كل عصر وقرن هو التمسك بأئمة أهل البيت عليهم السلام أحد الثقلين، أو التمسك بغيرهم؟ وهذا النوع من البحث طري في كلّ زمان وجدير بالتأمل .

فالبحث على الطراز الأوّل إذا كان غير مستحسن عند طائفة ولكن البحث على الطراز الثاني أمر يتطلّبه كلّ مَن يريد أن يأخذ أُصوله وفروعه من معين صاف.

أقول: وبغض النظر عن أنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم نصب علياً وأهل بيته للزعامة والحكومة يوم الغدير في اليوم الّذي لم يكن يظل المسلمين غير حرّ الشمس وجعل ولاءه أصلاً ثالثاً بعد التوحيد والمعاد ـ بغض النظر عن

هذا نقول ـ: إن النبي الأكرم ﷺ لم يزل يهيب في الجاهلين ويصرخ في الغافلين داعياً إلى التمسك بالكتاب والعترة، وهذا تصريح منه بأنّ المرجعية العلمية ـ وراء الزعامة السياسية ـ منحصرة بأهل البيت عليهم السلام، وعلى المسلمين الانكباب عليهم فيما يطرأ عليهم من الحوادث والوقائع الدينية وكلّ ما يمت إلى الدين بصلة، ولأجل التعرف على ما صدر عن النبي ﷺ في هذا الصدد نذكر بعض الأحاديث :

### ١. حديث الثقلين

روى أصحاب الصحاح والمسانيد عن النبي الأكرم أنّه قال: «يا أيّها الناس إنّي تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي».

و قال في موضع آخر: «إنّي تركت فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي؛ ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما». وغير ذلك من النصوص المتقاربة.

وقد صدع بها في غير موقف، تارة بعد انصرافه من الطائف، وأُخرى يوم عرفة في حجّة الوداع، وثالثة يوم غدير خمّ، ورابعة على منبره في المدينة، وأُخرى في حجرته المباركة في مرضه والحجرة غاصّة بأهله.

و لا يشك في صحّة الحديث إلّا الجاهل به أو المعاند، فقد روي بطرق كثيرة عن نيف وعشرين صحابياً [١].

إنّ الإمعان في الحديث يعرب عن عصمة العترة الطاهرة، حيث قورنت بالقرآن الكريم، وأنّهما لا يفترقان، ومن المعلوم أنّ القرآن العظيم، كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فكيف يمكن أن يكون قرناءُ القرآن وأعدا له، خاطئين فيما يحكمون ويبرمون، أو يقولون ويحدّثون. فعدم الافتراق إلى يوم القيامة، آية كونهم معصومين فيما يقولون ويروون.

أضف إلى ذلك: أنّ الحديث، يعدّ المتمسّك بالعترة غير ضالّ، بقوله: «لن تضلّوا»، فلو كانوا غير معصومين من الخلاف والخطأ، فكيف لا يضلّ المتمسّك بهم؟

نعم، ورد في بعض النصوص مكان كتاب الله وعترتي، كتاب الله وسنّتي [٢]. وهو على فرض صحته، حديث آخر لا يزاحمه، على أنّه

---

١ . وكفى في ذلك أنّ دار التقريب بين المذاهب الإسلامية قامت بنشر رسالة جمعت فيها مصادر الحديث ونذكر من طرقه الكثيرة ما يلي:صحيح مسلم: ٧ / ١٢٢؛ سنن الترمذي: ٢ / ٢٠٧؛ مسند أحمد: ٣ / ١٧ و ٢٦ و ٥٩. و ج ٤ / ٣٦٦و ٣٧١. و ج ٥ / ١٨٢ و ١٨٩.

و قد قام المحدث الكبير السيد حامد حسين الهندي بجمع طرق الحديث و نقل كلمات الأعاظم حوله و نشره في ستة أجزاء و هو من أجزاء كتابه الكبير العبقات.

٢ . الصواعق المحرقة: ٨٩.

حديث واحد، وهذا الحديث متواتر نقله أعلام الأئمة، وأساتذة الحديث والتاريخ والسيرة، ولا يعلم حقيقة ذلك إلّا من راجع مصادر الحديث[١]. فيقدّم عليه في كلّ حال.

**٢. حديث السفينة**

روى المحدّثون عن النبي الأكرم أنّه قال: «مثل أهلَ بيتي في أُمّتي، كَمَثَلِ سفينةِ نوحٍ، من رَكِبَها نجا، ومَن تخلّف عنها غَرِقَ»[٢].

فشبّه ﷺ، أهل بيته بسفينة نوح في أنّ من لجأ إليهم في الدين فأخذ أُصوله وفروعه عنهم نجا من عذاب النّار، ومن تخلّف عنهم كان كمن أوى يوم الطّوفان إلى جبل ليعصمه من أمر الله، غير أنّ ذلك غرق في الماء وهذا في الحميم.

فإذا كانت هذه منزلة علماء أهل البيت، ﴿فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾؟!

يقول إبن حجر في صواعقه: ووجه تشبيههم بالسفينة أنّ من أحبّهم وعظّمهم، شكراً لنعمة مشرّفهم، وأخذ بهدي علمائهم، نجى من ظلمة

---

١. راجع أيضاً في الوقوف على مصادر الحديث، غاية المرام للسيد البحراني: ٤١٧ ـ ٤٣٤. و المراجعات، المراجعة ٨؛ وتعاليق إحقاق الحق، ج ٩.

٢. مستدرك الحاكم: ٢ / ١٥١؛ الخصائص الكبرى للسيوطي: ٢ / ٢٦٦.

و للحديث طرق ومسانيد كثيرة، من أراد الوقوف عليها، فعليه بتعاليق إحقاق الحق: ٩ / ٢٧٠ ـ ٢٩٣.

المخالفات. ومن تخلّف عن ذلك غرق في بحر كفر النّعم، وهلك في مفاوز الطغيان.(١)

## ٣. اعتراف أئمّة المذاهب بأفقهية أهل البيت عليهم السلام

إنّ كثيراً من علماء أهل السنّة ـ قديماً وحديثاً ـ اعترفوا بأفقهية أئمّة أهل البيت عليهم السلام ، فها نحن نذكر هنا شيئاً قليلاً من كثير.

روى ابن عساكر في تاريخه في ترجمة السجاد (علي بن الحسين عليهما السلام ) عن أبي حازم انّه قال: ما رأيت هاشمياً أفضل من علي بن الحسين، وما رأيت أحداً كان أفقه منه.(٢)

وقال الشافعي: إنّ علي بن الحسين، أفقه أهل البيت.(٣)

وقال عبد الله بن عطاء: ما رأيت العلماء عند أحد أصغر علماً منهم عند أبي جعفر، لقد رأيت الحكم بن عتيبة مع جلالته في القوم كأنّه متعلّم.(٤)

---

١ . الصواعق: ١٩١، الباب ١١. يقول سيدنا شرف الدين في مراجعاته: ألا أتي مسائل ابن حجر أنّه إذا كان هذا مقام أهل البيت، فلماذا لَمْ يأخذ هو بهدي أئمتهم في شيءٍ من فروع الدين وعقائده، ولا في شيءٍ من علوم السنّة والكتاب، ولا في شيءٍ من الأخلاق والسلوك والآداب؟ ولماذا تخلّف عنهم، فأغرق نفسه في بحار كفر النعم. وأهلكها في مفاوز الطغيان؟!

٢ . سير أعلام النبلاء: ٤ / ٣٩٤.

٣ . شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٥ / ٢٧٤.

٤ . حلية الأولياء: ٣ / ١٨٦.

وقال أبو حنيفة: ما رأيت أفقه من جعفر بن محمد الصادق ﷺ .[١]

ونقل الإمام الشافعي في رحلته: انّه سمع من مالك قوله للرجل الّذي أجاب على مسائله:

قرأتَ ـ أو سمعتَ ـ الموطأ؟ قال: لا.

قال: فنظرتَ في مسائل ابن جُريج؟ قال: لا.

قال: فلقيت جعفر بن محمد الصادق ؟ قال: لا.

قال: فهذا العلم من أين لك؟[٢]

قد خرجنا بالنتيجة التالية:

إنّ النبي ﷺ قد ارتحل وقد خلف الثقلين لترجع إليهما الأُمّة في حلّ معضلاتها ومشكلاتها، وانّه عيّن المقصود من أهل بيته وأشاد بهم في مواقف مختلفة وعرفهم للأُمّة بيد انّ هناك سؤالاً يطرح نفسه ، وهو:

## ٥. دور أهل البيت في توحيد الأُمة

إنّ أئمة أهل البيت ﷺ بما أنّهم أحد الثقلين وكسفينة نوح لهم دور في توطيد وحدة المسلمين ولمّ شعثهم وسوقهم إلى هدف واحد، لأنّ المسلمين مهما اختلفوا في شيء لا يختلفون في مرجعيتهم وعلومهم وشرفهم، كيف وهذا هو النبي الأكرم ﷺ يعرفهم بقوله: «النجوم أمان

١ . تهذيب الكلمات: ٥ / ٧٩.

٢ . رحلة الإمام الشافعي: ٢٥.

لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأُمّتي من الاختلاف في الدين، فإذا خالفتها قبيلة من العرب ـ يعني في أحكام الله عزوجل ـ اختلفوا فصاروا حزب إبليس». (١)

وفي حديث آخر قال صلى الله عليه وآله: «إنّما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني إسرائيل من دخله غفر له». (٢)

فاتّباع أئمة أهل البيت عليهم السلام يوحّد الصفوف ويجعل المسلمين كلّهم في صف واحد أمام عدوهم الغاشم، إلى غير ذلك من الروايات النبوية الشريفة ممّا يأخذ بالأعناق إلى اتباع أهل البيت عليهم السلام ويضطر المؤمن إلى الانقطاع في الدين إليهم.

## ٦. تراث أهل البيت عليهم السلام العلمي

ربّما يقال: إنّ أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وعترته الطاهرة قد ارتحلوا فأين تراثهم وعلومهم حتّى ترجع إليها الأُمّة؟ هب انّ النبي صلى الله عليه وآله تعبّدنا بالرجوع إليهم والتمسك بأحاديثهم وكلماتهم فأين أحاديثهم وعلومهم حتّى نرجع إليهم؟

والجواب عنه واضح، وهو أنّ تراث أئمّة أهل البيت عليهم السلام وأحاديثهم ومعارفهم تتمثل في الأُمور التالية:

---

١. أخرجه الحاكم في المستدرك: ٣ / ١٤٩ عن ابن عباس، ثم قال: هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه؛ الصواعق المحرقة: ٩١ و ١٤٠، ط. الميمنية.

٢. مجمع الزوائد للهيثمي: ٩ / ١٦٨؛ المعجم الصغير للطبراني: ٢ / ٢٢.

## الأوّل: كتاب علي

فقد كان لعلي كتاب خاص بإملاء رسول اللّه ﷺ، وقد حفظته العترة الطاهرة عليهم السلام وصدرت عنه في مواضع كثيرة ونقلت نصوصه في موضوعات مختلفة، وقد بث الحرّ العاملي في موسوعته الحديثية، أحاديث ذلك الكتاب حسب الكتب الفقهية من الطهارة إلى الديات، ومن أراد فليرجع إلى تلك الموسوعة.

وقال الإمام الصادق عليه السلام عندما سئل عن الجامعة؟ فقال: «فيها كلّ ما يحتاج الناس إليه، وليس من قضية إلّا فيها حتّى أرش الخدش».

وكان كتاب علي مصدراً لأحاديث العترة الطاهرة يرثونه واحد بعد آخر وينقلون عنه ويستدّلون به على السائلين.

وهذا هو أبو جعفر الباقر عليه السلام يقول لأحد أصحابه ـ أعني حُمران بن أعين ـ و هو يشير إلى بيت كبير: «يا حمران إنّ في هذا البيت صحيفة طولها سبعون ذراعاً بخطّ علي عليه السلام وإملاء رسول اللّه ﷺ، لو وُلّينا الناس لحكمنا بما أنزل اللّه لم نعد ما في هذه الصحيفة».

وهذا هو الإمام الصادق عليه السلام يعرّف كتاب علي عليه السلام بقوله: «فهو كتاب طوله سبعون ذراعاً إملاء رسول اللّه ﷺ من فلق فيه وخط علي بن أبي طالب عليه السلام بيده، فيه واللّه جميع ما يحتاج إليه الناس إلى يوم القيامة حتّى أنّ فيه أرش الخدش والجلدة ونصف الجلدة».

ويقول سليمان بن خالد: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إنّ عندنا لصحيفة طولها سبعون ذراعاً، إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله، خطّ عليّ عليه السلام بيده، ما من حلال ولا حرام إلّا وهو فيها حتّى أرش الخدش».

ويقول أبو جعفر الباقر عليه السلام لبعض أصحابه: «يا جابر إنّا لو كنّا نحدثكم برأينا وهوانا لكنّا من الهالكين، ولكنّا نحدّثكم بأحاديث نكنزها عن رسول الله صلى الله عليه وآله».[1]

وقد كان علي عليه السلام أعلم الناس بسنّة الرسول صلى الله عليه وآله وكيف لا يكون كذلك، وهو يقول: «كنت إذا سألت رسول اللّه صلى الله عليه وآله أنبأني وإذا سكت ابتدأني».

وقد كان يصدر عن ذلك الكتاب إمام بعد إمام، و هذا هو ولده الإمام الحسن السبط عليه السلام وهو يصف كتاب علي:

«إنّ العلم فينا ونحن أهله، وهو عندنا مجموع كلّه بحذافيره، ولا يحدث شيء إلى يوم القيامة حتّى أرش الخدش إلّا وهو عندنا مكتوب، بإملاء رسول اللّه وخطّ علي بيده».[2]

وقال الإمام زين العابدين عليه السلام لرجل شاجره في مسألة فقهية:« يا هذا

---

١ . قد جمع العلاّمة المجلسي ما ورد من الأثر حول كتاب علي في موسوعته بحار الأنوار:١٨/٢٦ـ ٦٦ تحت عنوان باب جهات علومهم وما عندهم من الكتب، الحديث١٢، ١، ١٠، ٢٠.

٢ . مستدرك الحاكم : ٣ / ١٢٥.

لو صرت إلى منازلنا لأريناك آثار جبرئيل في رحالنا، أيكون أحد أعلم بالسنّة منّا».[١]

وقال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام للحكم بن عتيبة:

«اذهب أنت وسلمة وأبو المقدام، حيث شئتم ـ يميناً وشمالاً ـ فوالله، لا تجدون العلم أوثق منه عند قوم كان ينزل عليهم جبرائيل».[٢]

وقال عليه السلام لسلمة بن كهيل والحكم: «شرّقا وغرّبا، لن تجدا علماً صحيحاً إلّا شيئاً يخرج من عندنا أهل البيت».[٣]

إلى غير ذلك من كلمات أئمّة أهل البيت عليهم السلام والّتي تعرب عن علمهم بالسنّة والكتاب، وانّهم أعرف الناس بمواقع الكتاب والسنّة.

**الثاني: نهج البلاغة**

إنّ كتاب «نهج البلاغة» من أعرق الكتب وأشهرها عند الفريقين، وهو يتضمّن خطب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وكتبه وكلماته القصار قام بجمعها الشريف الرضي (المتوفّى عام ٤٠٦ هـ).

وقد حذف الأسانيد وجاء بالمتون لاشتهار صدورها عن علي عليه السلام ، وقد قام غير واحد من الأصحاب بالاستدراك على ما نقله الشريف الرضي،

---

١. الاحتجاج: ١ / ٢٨٧.

٢. نزهة الناظر للحلواني: ٤٥.

٣. رجال النجاشي برقم ٩٦٦.

فذكروا خطباً ورسائل كثيرة كما استخرج بعضهم أسانيد نهج البلاغة من الكتب المؤلفة قبل الشريف الرضي، وقد قيل في حقّه: إنّه دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق.

**الثالث: الصحيفة السجادية**

هذه الصحيفة المعروفة بالصحيفة السجادية أو زبور آل محمّد من مظاهر علوم أهل البيت عليهم السلام، وهي خالدة على جبين الدهر، وأسانيدها إلى الإمام متسلسلة متضافرة بل متواترة. وهناك وراء اتصال الأسانيد شيء آخر وهو انّ فصاحة ألفاظها وبلاغة معانيها وعلوّ مضامينها و ما فيها من أنواع التذلّل للّه تعالى والثناء عليه، والأساليب العجيبة في طلب عفوه وكرمه والتوسّل إليه أقوى شاهد على صحّة نسبتها إليه، وانّ هذا الدرّ من ذلك البحر، وهذا الجوهر من ذلك المعدن، وهذا الثمر من ذلك الشجر، مضافاً إلى اشتهارها شهرة لا تقبل الريب وتعدّد أسانيدها المتصلة إلى مُنشئِها، فقد رواها الثقات بأسانيدهم المتعدّدة المتصلة إلى زين العابدين عليه السلام.[1]

**الرابع: رسالة الحقوق**

إنّ للإمام علي بن الحسين عليه السلام رسالة معروفة باسم رسالة الحقوق، أوردها الصدوق في خصاله بسند معتبر، كما رواها الحسن بن شعبة في «تحف العقول» مرسلة، وهيَ من جلائل الرسائل في أنواع الحقوق، يذكر

١ . في رحاب أئمّة أهل البيت: ٣ / ٤١٤.

الإمام فيها حقوق اللّٰه سبحانه على الإنسان وحقوق نفسه عليه، وحقوق أعضائه من اللسان والسمع والبصر والرجلين واليدين والبطن والفرج، ثمّ يذكر حقوق الأفعال، من الصلاة والصوم والحجّ والصدقة والهدي التي تبلغ خمسين حقاً، آخرها حقّ الذمة.

**الخامس: رسالة الإمام الرضا ﷺ في الفرائض والسنن**

روى المحدّثون أنّ المأمون بعث الفضل بن سهل إلى الرضا ﷺ فقال: إنّي أُحبّ أن تجمع لي من الحلال والحرام، والفرائض والسنن فإنّك حجة اللّٰه على خلقه ومعدن العلم، فدعا الرضا ﷺ بدواة وقرطاس وقال للفضل اكتب:

بسم اللّٰه الرّحمن الرّحيم

«حسبنا شهادة أن لاإله إلاّ اللّٰه أحداً، صمداً لم يتّخذ صاحبة ولا ولداً...».

والرسالة مطبوعة في كتاب «تحف العقول عن آل الرسول».[1]

**السادس: رسالة الإمام الهادي ﷺ**

روى المحدّثون عن الإمام الراشد الصابر أبي الحسن علي بن محمد الهادي ﷺ رسالة في الردّ على أهل الجبر والتفويض وإثبات العدل والمنزلة

---

١ . تحف العقول: ٣٠٦ ـ ٣١١.

بين المنزلتين، وقد نقلها بنصها ابن شعبة الحراني في «تحف العقول».[١]

هذه الرسائل هي المدونة من قبل الأئمّة عليهم السلام أنفسهم، وهناك رسائل أُخرى بأقلامهم لم نذكرها روماً للاختصار.

وأمّا ما رُوي عنهم ودوّنها أئمّة أهل الحديث عبر القرون فحدث عنه ولا حرج ونشير إلى بعضها.

## السابع: أربعمائة مصنَّف لأربعمائة مصنِّف

إنّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام قد ربّوا جيلاً كبيراً من الفقهاء والمحدّثين، فدوّنوا ما وعوه عنهم في كتبهم المعروفة بـأربعمائة مصنَّف، ولم يـزل بعضها موجوداً إلى الآن بهيئتها ووضعها.

غير أنّ كثيراً منها قد انتقل موادها إلى الأُصول المؤلفة على يد علماء الشيعة في الأعصار المتأخّرة، وهي بين جوامع أوّلية كالمحاسن لأحمد بن محمد بن أبي خالد البرقي (المتوفّى ٢٧٤هـ)، ونوادر الحكمة لمحمد بن أحمد بن يحيى الأشعري القمي (المتوفّى ٢٩٣هـ)، وكتاب الجامع لأحمد بن البزنطي (المتوفّى ٢٢١هـ)، وكتاب الثلاثين للأخوين الحسن والحسين ابني سعيد بن حماد الأهوازي.

وبين جوامع ثانوية كـ«الكافي» للشيخ الكليني (المتوفّى ٣٢٩ هـ)، و«من لا يحضره الفقيه» للمحدّث الخبير أبي جعفر الصدوق (المتوفّى

---

١. تحف العقول: ٣٣٨ ـ ٣٥٢.

٣٨١هـ)، و «التهذيب» و«الاستبصار» للشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (المتوفّى ٤٦٠هـ).

وبين جوامع متأخّرة كـ«الوافي» لمحمد بن محسن الفيض الكاشاني (المتوفّى ١٠٩١هـ)، و«وسائل الشيعة» للحرّ العاملي (المتوفّى ١١٠٤هـ)، و «بحار الأنوار» لمحيي السنّة الشيخ محمد باقر المجلسي (المتوفّى عام ١١١٠هـ).

فهذه الجوامع وغيرها الّتي لم نشر إليها بغية الاختصار قد احتضنت علوم أهل البيت عليهم السلام في مختلف المجالات، ومن أراد أن يتمسك بالثقلين فهذا هو كتاب اللّه، وهذه هي سنّة رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم الّتي نقلها أئمّة أهل البيت عليهم السلام عنه.

وهناك نكتة جديرة بالإشارة وهي انّه إذا كان أئمّة أهل البيت عليهم السلام مطهّرين من الرجس حسب تنصيص الكتاب، والمرجع العلمي بعد رحيل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقرناء القرآن وأعداله بنفس رواية الثقلين، إلى غير ذلك من سمات ومواصفات فلماذا غفل إخواننا أهل السنّة عن الرجوع إليهم والاستضاءة بأنوارهم وركوب سفينتهم حتّى ينجوا من الغرق؟!

والعجب أنّهم رجعوا إلى كلّ صحابي وتابعي وكلّ إنسان يتّسم بالسلفية، ومع ذلك لا نرى أنّهم يتمسكون بأحاديث أئمّة أهل البيت عليهم السلام إلاّ نزراً قليلاً لا يذكر!!

فهم طرقوا كلّ باب حتّى باب مستسلمة أهل الكتاب، نظراء: كعب

الأحبار و وهب بن منبّه إلى غير ذلك ولم يطرقوا باب أئمّة أهل البيت عليهم السلام!!

نسأله سبحانه أن يلمّ شعث المسلمين ويرزقهم توحيد الكلمة كما رزقهم كلمة التوحيد.

## ٧. فاطمة الزهراء عليها السلام في كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم

إنّ السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام بنت النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم هي الكوثر الفيّاض الّذي ردّ بها سبحانه شماتة أعداء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حيث وصفوه بكونه بلا عقب فأنزل الله سبحانه سورة الكوثر وقال: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ....﴾.

وقد حظيت سيدة نساء العالمين بمنزلة عظيمة عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم، حتّى قال صلى الله عليه وآله وسلم في حقّها:

«فاطمة بضعة منّي فمن أغضبها فقد أغضبني».[1]

إنّ إغضاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم يستعقب إيذاءه، و من آذاه فقد حكم عليه بالعذاب الأليم، قال سبحانه:

﴿وَالّذينَ يُؤْذُونَ رَسُول اللّه لَهُمْ عَذابٌ أَليم﴾.[2]

وفي رواية أُخرى، بيّن أنّ غضب الزهراء عليها السلام ورضاها يوجب غضب اللّه سبحانه ورضاه، فقال:

١. فتح الباري في شرح صحيح البخاري: ٧ / ٨٤؛ وأيضاً صحيح البخاري: ٦ / ٤٩١، باب علامات النبوة، و ج ٨ / ١١٠، باب المغازي.

٢. التوبة: ٦١.

«يا فاطمة إنّ الله يغضب لغضبك ويرضىٰ لرضاك».[1]

فأية مكانة شامخة للزهراء ؑ حتّى صار غضبها ورضاها ملاكاً لغضبه سبحانه ورضاه، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على عصمتها، فهو سبحانه بما انّه عادل و حكيم لا يغضب إلّا على الكافر والعاصي، ولا يرضى إلّا على المؤمن والمطيع.

وفي ظل تلك الكرامة أصبحت في لسان النبي ﷺ سيدة نساء العالمين، فقال ﷺ :

«يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيّدة نساء العالمين، وسيّدة نساء المؤمنين، وسيدة نساء هذه الأُمّة».[2]

وعلى الرغم من أنّ الزهراء ؑ معصومة لا تعصي ولا تذنب، ولكنّها ليست بنبيّة، إذ لا ملازمة بين العصمة والنبوة، وهذه هي مريم البتول العذراء فهي معصومة بنصّ الكتاب الحكيم لكنّها ليست بنبية.

أمّا أنّها معصومة، فلقوله سبحانه في حقّها:

﴿وَإِذْ قالَتِ الْمَلائِكَة يا مَرْيَم إِنَّ اللهَ اصْطَفاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفاكِ عَلىٰ نِساءِ العالمين﴾.[3]

---

١ . مستدرك الحاكم:١٥٤/٣؛ مجمع الزوائد:٢٠٣/٩، وقد استدرك الحاكم في كتابه الأحاديث الصحيحة حسب شروط البخاري ومسلم ولكن لم يخرجاه. وعلى ذلك فهذا الحديث صحيح عند الشيخين، وهو متّفق عليه.

٢ . المستدرك للحاكم: ٣ / ١٥٦.

٣ . آل عمران: ٤٢.

فإنّ الإخبار عن تطهير مريم بعد اصطفائها دليل على تطهيرها من الذنوب ومخالفة شريعة زمانها.

وأمّا انّها ليست بنبية فأمر واضح لا يحتاج إلى بيان، فلتكن بنت خاتم الرسل سيّدة نساء العالمين، كمريم البتول معصومة غير نبيّة.

ولنقتصر في بيان فضائل الزهراء عليها السلام بهذا القدر اليسير، فانّ استيفاء البحث فيها بحاجة إلى تصنيف مفرد.

## منزلة بيت فاطمة عليها السلام

نزل قوله سبحانه: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللّهُ أَنْ تُرفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ [(١)] على قلب سيد المرسلين وهو صلى الله عليه وآله وسلم في المسجد الشريف، فقام إليه رجل فقال: أي بيوت هذه يا رسول اللّه؟ قال: «بيوت الأنبياء»، فقام إليه أبو بكر، فقال: يا رسول اللّه: أهذا البيت منها؟ ـ مشيراً إلى بيت علي و فاطمة عليهما السلام ـ قال: «نعم، و من أفاضلها».[(٢)]

فقوله سبحانه: ﴿ فِي بيوت﴾ ظرف لما تقدّمه من قوله ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكاة فِيها مِصْباح المِصباح في زُجاجة...﴾ [(٣)]، فالنور الذي نوّهت به الآية بما له من صفات، مصدر إشعاعه هذه البيوت التي أذن اللّه أن ترفع، فكيف لا يكون لها منزلة وكرامة؟!

---

١. النور:٣٦.

٢. الدر المنثور:٦/٢٠٣، تفسير سورة النور؛ روح المعاني:١٨/١٧٤.

٣. النور: ٣٥.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

# الفصل السابع

## الإمام المهدي المنتظر عليه السلام

١. ظهور مصلح عالمي في آخر الزمان أمر متفق عليه بين المسلمين

٢. أصله ونسبه على ضوء الروايات المتواترة

٣. ولادة الإمام المنتظر في كتب الفريقين في سامراء عام ٢٥٥هـ

٤. يقسم أولياء الله إلى ظاهر مشهود، وغائب غير مشهود

٥. غيبة بعض الأنبياء في الأُمم السابقة

٦. الإمام المهدي وطول العمر

٧. علائم ظهور الإمام المنتظر عليه السلام

٨. الآثار البنّاءة لوجود الإمام المنتظر عليه السلام



# الإمام المهدي المنتظر ﷺ

إنّ الحَديثَ حولَ كلّ واحدٍ من الأئمةِ الاثني عشر خارجٌ عن نِطاق هذا الكتاب، وإنّما تجدر الإشارة إلى مسألة أُخرى وهي: مسألة الاعتقاد بوجود إمام العَصْر الذي يقضي أيامَ حياته خَلف ستار الغيبة، ريثما يأذنُ الله له بالظهور فيملأ الأرضَ قسطاً وعَدلاً بعد أن مُلِئتْ ظُلماً وجَوراً، ويقيمَ حكومَة الله على المعمورة جمعاء، وفيما يلي بعضُ النقاط حول هذه المسألة.

## ١. ظهور مصلح عالمي في آخر الزمان

إنّ ظهورَ رجلٍ من أهل بَيت الرِّسالة لبسط القسط والعدل في مُستقبل الحياةِ البَشريّة (بَعد أن تُملأ الأرضُ ظلماً وجَوراً) مِن مُسَلَّماتِ العقائِدِ الإسلامية التي اتّفقَ عليها جمهورُ المُسْلمين، ونقلوا في هذا المجال أحاديث بَلَغَتْ حَدّ التواتر.

فهناك ـ طبق بعض إحصاءات أهلِ التحقيقِ من العُلَماء ـ حوالي ٦٥٧ حديثاً حول هذه المسألة نذكر منها حديثاً واحداً رواه «أحمدُ بن حنبل» في مسنده:

قالَ النَبيُّ ﷺ: «لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنيا إلّا يومٌ واحِدٌ لَطَوَّل اللهُ ذلك اليومَ حَتّى

يَخْرُجَ رَجُلٌ مِنْ وُلْدِي فَيَمْلأها عَدْلاً وقِسطاً كما مُلِئَتْ ظُلْماً وَجَوْراً».[١]

وعلى هذا الأساس يكونُ قيامُ رَجُلٍ من أهلِ البيت النَّبويّ وظَهورُهُ في آخِر الزمان موضعَ اتفاقٍ بين المسلمين شيعةً وسنةً.

## ٢. أصله ونسبه

لقد جاءَت خصوصياتُ هذا المصلِح العالَميّ في الرّوايات الإسلامية نَقَلها الفريقان، وهي على النحو التالي:

١. أنّه من أهل بيت النبي ﷺ: ٣٨٩ رواية .

٢. أنّه من أولاد الإمام علي ﷺ: ٢١٤ رواية .

٣. أنّه من أولاد فاطمة الزهراء ﷺ: ١٩٢ رواية .

٤. أنّه تاسع وُلد الحسين ﷺ: ١٤٨ رواية .

٥. أنّه من أولاد الإمام علي بن الحسين ﷺ: ١٨٥ رواية .

٦. أنّه ابن الإمام الحسن العسكري: ١٤٦ رواية.

٧. أنّه الثاني عشر من أئِمة أهل البيت: ١٣٦ رواية.

٨ . الرّوايات التي تتحدّث عن ولادته: ٢١٤ رواية .

٩. الرّوايات التي تقول: إنّه يعمّر طويلاً : ٣١٨ رواية.

١٠. الرّوايات التي تقول : إنّ غيبته ستكون طويلة : ٩١ رواية .

---

١. مسند أحمد: ١ / ٩٩ و ٣ / ١٧ و ٧٠.

١١. الرّوايات التي تقول: إنّ الإسلام سيصير عالمياً عند ظهوره: ٢٧ رواية.

١٢. الرّوايات التي تقول: إنّ الأرض ستُملأُ عَدلاً وقِسطاً عند ظهوره: ١٣٢ رواية.

وعلى هذا الأساس فإنّ وجود مثل هذا المصلح العالمي في مستقبل البَشَرية أمر مقطوعٌ به ومسلَّمٌ من حيث الرّوايات والأحاديث الإسلامية بحيث لا يمكن الشكّ أو التشكيك فيه.

وأمّا ما وَقَعَ الخلافُ فيه فهو ولادته، وأنّه هل وُلِدَ هذا الرَّجُل ولا يزال منذُ ولادَته حَيّاً، أم أنّه سيولد في المستقبل؟

يذهب الشيعة وفريقٌ من أهل التحقيق من أهل السُّنّة إلى الرأي الأوّل، فيعتقدون بأنّ الإمامَ المهديّ وُلِدِ من أُمّه (نرجس) عام ٢٥٥ هـ وهو لا يزال حَيّاً إلى هذا اليوم.

وذهَبَ فريقٌ من أهلِ السنّة إلى أنّه سيُولَد فيما بعد.

والشيعة الإمامية تعتقدُ بأنّ الإمامَ المهديَّ عليه السلام وُلِدَ عام ٢٥٥ هـجرية، في سامراء في بيت والده الإمام العسكري عليه السلام، وهو لا يزال حيّاً إلى هذه الساعة. وهذا يبعثنا إلى أن نذكرَ شيئاً حول أُمور أربعة:

١. ولادته.

٢. غيبته .

٣. طول عمره.

٤. علائم ظهوره، على وجه الإيجاز .

## ٣. ولادة الإمام المهدي المنتظر ﷺ

ربّما تكفل بعض الروايات لبيان جوانب مختلفة من ولادته وحياته وسماته، فلذلك تجاوز عدد الأحاديث عمّا سردناه سابقاً.

اتّفقت الشيعة الإمامية على أنّ المهدي المنتظر ﷺ قد ولد في سامراء عام ٢٥٥ هـ في دار أبيه، وتربّى في حضنه إلى العام الّذي توفّي فيه أبوه، أعني: عام ٢٦٠ هـ. وإليك بعض النصوص من قدماء المحدّثين.

١. روى فضل بن شاذان (المتوفّى ٢٦٠ هـ) قال حدثنا محمد بن علي بن حمزة بن حسين قال: سمعت أبا محمد ﷺ يقول: «قد ولد وليّ الله وحجته على عباده وخليفتي من بعدي مختوناً ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين عند طلوع الفجر» .(١)

٢. وقال الكليني (المتوفّى عام ٣٢٩ هـ): ولد الصاحب للنصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين ثم نقل قولاً آخر انّه ولد سنة ست وخمسين ومائتين .(٢)

ولا نطيل الكلام بنقل كلمات محدّثي الشيعة ومؤرّخيهم في المقام،

---

١ . كفاية المهتدي : ١١٦، الحديث ٨ .

٢ . الكافي: ١ / ٥١٩ .

وقد وافق الشيعة في ولادة المهدي في نفس العام جمع من أعلام السنّة ربّما يبلغ عددهم إلى ستةٍ وسبعين، وقد جمعت كلماتهم في كتاب «منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر». [١] ولنقتصر ببعض الكلمات.

٣. يقول العلّامة علي بن محمد المشتهر بابن الصباغ (المتوفّى سنة ٨٥٥ هـ) في كتابه «الفصول المهمة» في الفصل الثاني عشر يقول: «في ذكر أبي القاسم محمد الحجة الخلف الصالح ابن أبي محمد الحسن الخالص»: وهو الإمام الثاني عشر وتاريخ ولادته ودلائل إمامته وذكر طرف من أخباره وغيبته ومدة قيام دولته وذكر كيفيته ونسبه وغير ذلك ممّا يتصل به» ثم فصّل في ذكر هذه المواضيع. [٢]

٤. يقول ابن حجر الهيتمي (المتوفّى ٩٧٤ هـ) في الفصل الثالث المختص ببيان أهل البيت فبعدما ذكر أسماء أئمة أهل البيت عليهم السلام وبلغ إلى ذكر الإمام الحسن العسكري قال: أبو القاسم محمد الحجة وعمره عند وفاة أبيه خمس سنين، لكن آتاه الله فيها الحكمة ويسمّى القائم المنتظر قيل: لأنّه ستر بالمدينة وغاب فلم يعرف أين ذهب. [٣]

٥. وقد خصّص الحافظ أبو عبد الله النوفلي القريشي الكنجي الشافعي (المتوفّى ٦٥٨ هـ) باباً باسم «في الدلالة على جواز بقاء

---

١. منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر: ٣٦٩ ـ ٣٩٣.

٢. الفصول المهمة لابن الصباغ: ٢٩١.

٣. الصواعق: ٢٠٨.

المهدي ﷺ حياً باقياً منذ غيبته إلى الآن» وقال مستدلاً عليه: بأنّه لا امتناع في بقائه بدليل بقاء عيسى والياس والخضر.. الخ .[١]

٦. وقال ابن خلّكان: أبو القاسم محمد بن الحسن العسكري بن علي الهادي بن محمد الجواد المذكور قبله ثاني عشر الأئمة الاثنى عشر على اعتقاد الإمامية، كانت ولادته يوم الجمعة منتصف شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين، ولمّا توفّي أبوه كان عمره خمس سنين، واسم أُمّه: خمط، وقيل: نرجس، والشيعة يقولون: إنّه دخل السرداب في دار أبيه وأُمُّهُ تنظر إليه، فلم يعد يخرج إليها، وذلك في سنة خمس وستين ومائتين، وعمره يومئذ تسع سنين .[٢]

٧. وقال القاضي الفضل بن روزبهان في كتابه حول أئمة أهل البيتﷺ رداً على العلّامة الحلي قال: ما ذكر من فضائل فاطمة ـ صلوات الله على أبيها وعليها وعلى سائر آل محمد والسلام ـ أمر لا ينكر، فإنّ الإنكار على البحر برحمته، وعلى البر بسعته، وعلى الشمس بنورها، وعلى الأنوار بظهورها، وعلى السحاب بجوده، وعلى الملك بسجوده، إنكار لا يزيد المنكر إلّا الاستهزاء به، ومَن هو قادر على أن ينكر على جماعة هم أهل السداد، وخزّان معدن النبوّة، وحفّاظ آداب الفتوة صلوات الله وسلامه عليهم، ونعم ما قلت فيهم منظوماً:

---

١ . البيان في أخبار صاحب الزمان: ١٤٨.

٢ . وفيات الأعيان: ٤ / ١٧٦ .

سلام على المصطفى المجتبى
سلام على السيد المرتضى
سلام على بنته فاطمة
من اختارها الله خير النساء

إلى أن قال:

سلام على القائم المنتظر أبي القاسم القرم نور الهدى
سيطلع كالشمس في غاسق ينجّيه من سيفه المنتضى
ترى يملأ الأرض من عدله كما ملئت جور أهل الهوى[1]

## ٤ ـ تقسيم أولياء الله إلى ظاهر مشهود، وغائب غير مشهود

إنّ أولياءَ اللهِ ـ حَسْب نَظَر القرآن ـ على نوعين:

وَليٌ ظاهرٌ يعرفُه الناسُ .

ووَليٌ غائبٌ عن أنظارِ الناس لا يعرفُه أحدٌ منهم، وإن كان يعيشُ بينَهم، ويعرفُ هو أحوالَهُمْ وأخبارهم.

وقد ذُكر في سورة الكَهف كلا النوعين منَ الأولياء في مكانٍ واحدٍ أحدهما «موسى بن عمران» والآخر مصاحبُهُ ورفيقهُ المؤقّت، الذي صحِبَه في سَفَره البرّي والبَحْري، ويُعْرَف بالخِضر.

---

١ . منتخب الأثر: ٢ / ٣٧٨ عن إبطال نهج الباطل.

إنَّ هذا الوليّ الإلهيّ كانَ بِحَيْث لم يعرفْه مصاحِبهُ ومرافِقُه النبيُّ موسى وإنّما صاحَبَه ورافقه بتعليمٍ وأمرٍ من الله، واستفاد من عِلمه خلال مرافَقَته إيّاه كما يقول تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْداً مِّنْ عِبَادِنَا ءاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً * قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً﴾[١].

ثم إنَّ القرآنَ الكريم يُقَدِّم شرحاً مفصّلاً عمّا فَعَله هذا الوليُّ الإلهيّ من أعمال مفيدة، ذلك الذي لم يكن أحدٌ حتى النبي موسى عليه السلام يَعرفهُ، ولكن كانوا يَستفيدون من آثار وجوده المبارك ومن أفعاله المفيدة[٢].

إنَّ الإمامَ المهديّ عَجّل الله فَرَجَه الشّريفَ على غرارِ مرافق موسى عليه السلام، وليٌّ غيرُ معروف للنّاس مع أنّه في نفس الوقت منشأ لآثار طيبة للأُمّة. أي لا يعرفهُ أحَدٌ منهم مع أنّهم يَستَفيدون مِن بركات وجودِهِ الشريف.

وبهذا لا تكونُ غيبةُ الإمام المهَديّ عجّل الله فرجَه الشريفَ بمعنى الانفصال عن المجتمع، بل هو ـ كما جاءَ في روايات المعصومين عليهم السلام ـ كذلك مثل «الشمس خَلفَ السحاب لا تُرى عينُها، ولكنها تبعَث الدفءَ والنورَ إلى الأرض وساكِنيها»[٣].

---

١. الكهف: ٦٥ ـ ٦٦.

٢. راجع سورة الكهف، الآيات ٧١ ـ ٨٢.

٣. كمال الدين، للشيخ الصدوق: ٤٨٥، الباب ٤٥، الحديث ٤.

هذا مضافاً إلى أنّ فريقاً من الأبرار والطـيّبين الأتـقياء الذيـن كـانوا يَتمتّعون باللياقة والأهليّة للتشرّف بِلقاءِ الإمام المهديّ قد رأوه وَالتَقَوْا به واستفادوا مِن إرشاداته، وعُلُومِه، واسْتفادَ الآخرون من هذا الطـريق، مـن آثارهِ المباركة وبركات وجوده الشريف.

## ٥. غيبة بعض الأنبياء عليهم السلام في الأُمم السابقة

إنّ علّة غَيبة الإمام المَهديّ عَجّل الله فرجَه الشريفُ هي من الأسرار الإلهيّة التي لا نستطِيع الوقوف على حقيقتها وكنهها، كما أنّ لهـذه الغَـيبة المؤقتة نظائر في حياة أولياء الله السابقين والأُمم السابقة.

فقد غابَ النبيُّ موسى الكليمُ عليه السلام عن أُمّته أربعين يوماً، وقضى كـلّ هذه المدة في الميقات[1].

وغاب السيدُ المسيح عليه السلام بمشيئة الله عن أنظار أُمّته، فلم يقدر أعداؤه على قَتْله، والقضاء عليه[2].

وغاب النبيُّ يونس عليه السلام عن قومه مدّةً من الزَمان[3].

إذن فليست غيبةُ الإمام المهَدي عليه السلام عن أنظار الناس بدعاً من الأَمـر كما لا يصحّ أن تَقَعَ هذه الغَيبة مهما طالت ذريـعةً لإنكـار أصـل وجـودِ المهَديّ عليه السلام.

---

١. لاحظ الأعراف : ١٤٢ .

٢. لاحظ النساء : ١٥٨ .

٣. لاحظ الصافات : ١٤٠ .

وأساساً إنّ كلّ ما يثبُتُ عن طريق النقل المتواتر، ولكن لا يقدر الإنسان على التحقّق منه، ومشاهدته لا يجوز له أن ينكره أو يتردّد في القبول به مادام رُوِيَ ونُقِلَ بالتّواتر الموجب للاطمئنان، لأنّ قِسماً من الأحكام الإلهيّة التي هي من مسلّمات الدين الإسلاميّ وضروريّاته سيتعرّض للترديد والإنكار إذا تجاهَلْنا هذه القاعدةَ العقلائيةَ الصائبةَ، وهذا الأمر العرفي معقول جداً.

وغيبةُ الإمام المهديّ عجل الله فرجَه الشريف ليس بمستثنىً من هذه القاعدة، وعَدَم الاطّلاع على سِرّها أو أسرارها الحقيقية لا يجوزُ الترديدُ فيها، وإنكارُها.

ومع ذلك فإنّنا يجب أن نقول: إنّه من الممكن إدراك سرّ الغيبة هذه في حدود فكرِنا البشريّ وهذا السِّر هو ما يلي:

حيث إنّ آخرَ حُجَّةٍ من حَجَج الله وآخر إمامٍ من أئِمة أهلِ البيت قد أرادَ اللهُ تعالى أن يُحقّق به الأُمنيةَ الكبرى (وهي بسط العدل والقسط ورفع راية التوحيد على كل ربوع الأرض) وهذه الأُمنية الكبرى وهذا الهدف العظيم لا يمكن أن يَتحقق إلّا بعد مرور ردح من الزمان، وإلّا بعد تكاملِ العقلِ البَشَريّ وتهيّؤِ الروحيّ والنفسِيّ لذلك، حتى يستقبلَ العالَمُ ـ بشوقٍ ورغبةٍ ـ موكبَ الإمام والمصلح العالميّ، موكبَ العَدلِ والحريّةِ والسلام، لهذا فإنّ منَ الطبيعيّ أنّ هذا الإمام لو ظَهَرَ بين النّاس، وعاشَ بين ظهرانيّهم قبلَ نُضُوج الأمر، وحصولِ المقدّمات اللازمة، والأرضيّة المناسبة، كان مَصيرُه ومآلُهُ، مصيرَ من سَبَقه من آبائِه من الأئمةِ

الكرامِ البرَرَة (أي الشهادة)، ولَقُتل ﷺ قبل أن يتحقّق ذلك الهدفُ العظيم، وتلك الأُمنِيّة الكبرى على يديه.

ولقد أُشير إلى هذه الحكمة في بعض الرّوايات الصادِرةِ عن أهل البَيْت ﷺ أيضاً.

فقد رُوي عن الإمام الباقر ﷺ أنّه قال: «إنّ لِلْقائِمِ غَيْبَةً قَبْلَ ظُهُورِهِ».

يقول الراوي: قلتُ: ولِمَ؟

فقالَ الإمامُ الباقر: «يَخافُ (أي القتل)»[1].

أي منعاً من أن يُقتَل قبل تحقّق الهدفِ المنتظَرَ مِنه.

وَرُبّما ذُكِرَ وجهٌ آخر لغيبته في بعض الرّوايات وهي اختبارُ النّاس وتمحيصُهم، وامتحانهم، يعني أنّ الناس يُختَبَرون في عَصر الغَيبة، ويمرُّون بالامتحان الإلهيّ، ويُعرَفُ مدى ثباتِهم على طريق الإيمان، ومدى استقامَتِهم في طريق الإيمان والعقيدة.[2]

## ٦ . الإمام المهدي وطول العمر

لقد وُلِدَ الإمامُ المهديّ عجّل الله فرجَه الشَريف عام ٢٥٥ هـجرية، وعلى هذا الأساس يكونُ عُمرُه الآن (عام ١٤٢٦ هـ) قد تجاوَزَ أحَدَ عشر قرناً.

---

١. كمال الدين للشيخ الصدوق: ٤٨١، الباب ٤٤، الحديث ٨ .

٢. راجع بحار الأنوار: ٥٢ / ١٠٢ ، ١١٣ ـ ١١٤، باب التمحيص والنهي عن التوقيت.

إنّ الإذعان بهذا العُمُر الطَويل جداً، مع أخذ القُدرة الإلهيّة المطلقة بعين الاعتبار ليس أمراً مشكلاً.

وفي الحقيقة إنّ الذين يَعتَبرون طولَ عُمُر الإمام المهَديّ عليه السلام مشكلةً في طريق الإيمان بوجوده، ومانعاً من القول بولادته، يَغْفَلُون عن قدرة الله اللّامتناهية فهم كمن قالَ عنهم سبحانه: ﴿وَما قَدَرُوا اللهَ حقَّ قَدْرِهِ﴾[1].

هذا مضافاً إلى أنّ في الأُمَم السالِفة معمَّرين كثيرين عاشوا طويلاً ذكرهم القرآن الكريم.

فقد ذكَر أن نوحاً عاشَ في قومه ألفَ سنة إلّا خمسين عاماً.[2]

كما أنّ العِلم البشريّ الحديث يسعى في عَصرِنا إلى أنْ يُحِلّ مشكلة طولِ العُمُرِ، بالأساليبِ العلميّة، والصِّحية.

وهذا يُفيد أنّ الإنسان يمكنُ ـ في نظر العُلَماء ـ أن يَعيشَ طويلاً بعد رَفْع الموانِعِ الّتي تحول دونَ العُمُر الطويل.

إنّ اللهَ قادرٌ على إطالة عُمُر من يُريد إلى يوم القيامة إذا شاء، أليسَ هو القائل بأنّ يونس لو لم يكن من المسبِّحين لَلَبِث في بَطن الحوتِ إلى يَومِ الدِّين[3].

ألا يَستَطيع هذا الإلهُ الخالقُ القادر أن يُطيلَ عُمُرَ حُجَّته البالِغَة،

---

١. الأنعام: ٩١.

٢. لاحظ العنكبوت: ١٤.

٣. لاحظ سورة الصافات: ١٤٣ ـ ١٤٤.

وخَلِيفَتِهِ الحقّ بِلُطْفِهِ وعِنايَتِهِ؟

الجوابُ هو: نعم.

## ٧. علائم ظهور الإمام المنتظر عليه السلام

لا يعرف أحدٌ بوَقت ظهور الإمام المهدي قط، فهذه الحقيقة من الأسرارِ الإلهيّة، مثل مَوعد يومِ القيامة، الذي لا يَعرفُ بِهِ أحدٌ إلّا الله وحده.

ولهذا يجب أن لا يُصدَّقَ زعمُ من يَدّعي أنّه يَعْلَمُ بوقتِ ظهورِ الإمام المهديّ، أو يعيّنَ وَقتاً، ويضرب أجلاً معيّناً لذلك، (كَذِبَ الوَقّاتُون)[1].

ولو أنّنا تجاوَزْنا مَسألة توقيت ظهور الإمام المهديّ عليه السلام، وَجَبَ أنْ نقولَ: إنّ الروايات ذَكَرَتْ علائمَ كُلّيّةً لِظهورِ الإمامِ المهديّ وهي تَنْقَسِمُ إلى نَوعين:

١. العلائم الحَتمية القَطعيّة .

٢. العلائم غير الحتمية.

ويُطلب التفصيل ممّا كتب حول الإمام المهدي من الموسوعات. وأخصّ بالذكر كتاب «منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر».[2]

---

١. الاحتجاج للطبرسي، احتجاجات الإمام المهدي عليه السلام .

٢ . منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر: ٢ / ٢٠ ـ ١٢٤ .

## ٨ . الآثار البنّاءة لوجود الإمام المنتظر ﷺ

إنّ البراهينَ الكلاميّة ترى أنّ وجودَ الإمام المعصوم في المجتمع، وحضورَه بين الناس لُطفٌ من ألطاف الله الكبرى لكونه سبباً لِهداية الناس.

ومِنَ البديهيّ أنّ النّاسَ إذا رَحّبوا بهذا المظهر البارِزِ مِن مظاهر اللُطفِ الإلهيّ واستقبلوه، والتفّوا حولَه، انتفَعوا بآثار وجوده المباركة.

وإلّا حُرِموا من الاستفادة الكامِلَة والانتفاع التامّ من نعمة وجوده الشريف.

وفي هذه الحالة لا يكونُ السبب في هذا الحِرمان إلّا الناس أنفسُهم، لا الله ولا الإمام.[١]

ومع ذلك فإنّ لوجوده (صلوات الله عليه) أثاراً بنّاءة نشير إلى بعض الجوانب :

**أوّلاً:** إنّ الغيبة لا تلازم عدم التصرف في الأُمور، وعدم الاستفادة من وجوده، فهذا مصاحب موسى كان ولياً، لجأ إليه، أكبر أنبياء الله في عصره، فقد خرق السفينة التي يمتلكها المستضعفون، ليصونها من غصب الملك، ولم يعلم أصحاب السفينة بتصرفه، وإلّا لصدّوه عن الخرق، جهلاً منهم بغاية عمله؛ كما أنّه بنى الجدار، ليصون كنز اليتيمين، فأي مانع، حينئذٍ من

---

١ . وقد أشار المحقّق نصيرُ الدين الطوسيّ إلى هذه الحقيقة في كتابه «تجريد الاعتقاد» (مبحث الإمامة) حيث قال: وجودُهُ (أي الامام) لُطفٌ، وتصرُّفُهُ لُطفٌ آخرَ، وغيبته مِنّا.

أن يكون للإمام الغائب في كلّ يوم وليلة تصرّفاً من هذا النمط من التصرفات.

و يؤيد ذلك ما دلّت عليه الروايات من أنّه يحضر الموسم في أشهر الحج، ويحجّ ويصاحب الناس، ويحضر المجالس، كما دلّت على أنّه يغيث المضطرين، ويعود المرضى، وربّما يتكفّل ـ بنفسه الشريفة ـ قضاء حوائجهم، وإن كان الناس لا يعرفونه.

وثانياً: المسلّم هو عدم إمكان وصول عموم الناس إليه في غيبته، وأمّا عدم وصول الخواص إليه، فليس بأمر مسلّم، بل الذي دلّت عليه الروايات خلافه، فالصلحاء من الأُمّة، الذين يستدرّ بهم الغمام، لهم التشرّف بلقائه، والاستفادة من نور وجوده، وبالتالي تستفيد الأُمّة بواسطتهم.

وثالثاً: تثبت المحاسبات العقلية والتجارب الاجتماعية بوضوح أنّ الاعتقاد بوجود قائد حي له أثر عميق في حفظ النظام وبقاء الرسالة، إن كان الوصول إلى هذا القائد سهلاً أو صعباً. على أيّة حال فإنّ للاعتقاد بوجود قائد له فوائد. ولكن لا جدال بالنسبة لوجود القائد في داخل المجتمع ويتحمّل عبء القيادة بصورةٍ مباشرة، والمهم أن يكون القائد لأسباب بعيداً عن المجتمع، ولكن هذا المجتمع يعتقد ويؤمن بحياة القائد وعودته مرة أُخرى، في هذه الحالة فإن الاعتقاد بوجود مثل هذا القائد له أثر عظيم نشير فيما يلي إليه :

في التاريخ شعوب وأُمم كانت لها انتفاضات وثورات، وهناك أمثلة

كثيرة تدلّ على أنّ القائد عندما يكون على قيد الحياة حتى وإن لم يتسلم القيادة، ولكنّ التشكيلات والتنظيمات تبقى ظاهرة، ولكن ما أن يودع الحياة حتى تتفرق التنظيمات وتتشتّت وتصيبها الفوضى. وأفضل مثال على أنّ وجود القائد هو حافظ الرسالة وسبب لتنظيم الأتباع، قصة معركة أُحد، حيث ارتفع أثناء المعركة نداءٌ، إمّا عن خطأ أو لغرضٍ: (ألا قد قُتل محمد)، ارتفع هذا النداء في وقت كان المسلمون مشغولين بمواجهة عدوان المهاجمين، وعندما انتشر النبأ بين المسلمين بأنّ القائد قد مات حتى تشتّت النظام لدرجة بحيث فرّ كلٌّ واحد إلى جهة، تاركين المعركة، حتى أنّ البعض فكّر في الالتحاق بالأعداء.

وعندما كُذّب نبأ مقتل النبي ﷺ، وأيقن المسلمون بسلامة قائدهم، ورأى بعضهم النبي ﷺ بأنفسهم، اجتمع أفراد الجيش المشتت مرة أُخرى خارجين من نقاط مختلفة من جبل أُحد والتفوا حول الرسول ﷺ وبدأوا القتال والدفاع.

ذكر القرآن الكريم هذه الحقيقة بهذه الصورة:

﴿وَ مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَ مَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَ سَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾[1].

في ميادين القتال يتركز جهد مجموعة من الجنود المضحّين على

---

١. آل عمران: ١٤٤.

بقاء العلم خفّاقاً أمام هجمات الأعداء، بينما يسعى جنود العدو دائماً إلى إسقاط علم الطرف الآخر، لأنّ بقاء العلم يبعث الأمل في قلوب الجنود ويحثّهم على بذل مساعيهم.

وكذلك أنّ وجود قائد الجيش في مقر القيادة، حتى ولو كان ساكتاً ساكناً، فإنّه يجعل الدم يجري في عروق الجنود ويدفعهم لبذل جهود أكثر بأنّ (قائدنا حي ورايتنا خفاقة)، ولكن عندما ينتشر نبأ مقتل القائد بين أفراد الجيش فإنّ هذا الجيش وإن كان عظيماً فإنّه يتلاشى مرةً واحدة، وكأنّ الروح قد فارقت أجسادهم.

إنّ رئيس جمعية أو بلد، ما دام على قيد الحياة، إن كان في سفرٍ أو طريح الفراش، فإنّه سببٌ للحياة والحركة والنظام والهدوء. ولكن سماع نبأ وفاته يبعث على اليأس والقنوط بالنسبة للجميع.

والشيعة، طبقاً لعقيدتهم بوجود الإمام (عج) حياً، رغم انهم لا يرونه بينهم، لا يرون أنفسهم وحيدين (تأمّلوا ذلك جيداً)، إنّهم دائماً ينتظرون عودة هذا العزيز المسافر ـ الّذي ترف له قوافل القلوب ـ إنّ انتظاره المؤثر والمفيد يُعطي كل يوم أملاً بظهورِه.

إنّ الأثر النفسي لمثل فكرة إحياء الأمل في القلوب ودفع الناس لإعداد أنفسهم لتلك الثورة الكبرى، مفهوم ويمكن إداركه.

ولكن إذا لم يكن لهذا القائد وجود مطلقاً، وكان الناسُ ينتظرون ولادته في المستقبل، فإن الوضع ـ عندذاك ـ يفرق كثيراً عن السابق .

وإذا أضفنا إلى هذا الموضوع شيئاً آخر، فإنّ الجواب يتّخذ له شكلاً جدياً آخر وهو: إنّه طبقاً لعقيدة عموم الشيعة ـ الواردة في الكثير من الروايات من المصادر الدينية ـ ان الإمام ﷺ بشكل دائم وأثناء مرحلة الغيبة يراقب أوضاع أتباعه، وانه وفق إلهام إلهي يطّلع على أوضاع جميعهم، أو بتعبير الروايات إنّه يطّلع اسبوعياً على جدول أعمالهم وتصرفاتهم وأحاديثهم [١].

إنّ هذه الفكرة تؤدّي إلى أن يكون جميع أتباعها على استعداد تام ودائمي، ويتوجّهون في أعمالهم إلى أنّ هناك (مشرف عالي). إنّ الأثر التربوي لمثل هذا النوع من التفكير لا يمكن إنكاره.

١ . كما في تفسير البرهان في ذيل الآية (١٠٥) من سورة التوبة: ﴿... فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾.

# الفصل الثامن

## البدعة في الكتاب والسنّة

١. البدعة لغة واصطلاحاً
٢. الابتداع في تعريف البدعة
٣. أسباب نشوء البدعة
٤. تقسيم البدعة إلى حسنة وسيئة
٥. هل الأمور التالية من البدع؟

١. التقية عند الخوف على النفس والنفيس
٢. الزواج المؤقت
٣. البداء وتغيير المصير بالأعمال الصالحة والطالحة
٤. الخمس في الكتاب والسنّة
٥. الرجعة في الكتاب العزيز


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

# البدعة في الكتاب والسنّة

اتّفق المسلمون على حرمة البدعة لورودها في الكتاب والسنّة وهي من المحرمات الموبقة الّتي أوعد الله عليها العذاب. والبدعة من أفحش الكذب، لأنّها افتراء على الله ورسوله، قال سبحانه: ﴿وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرىٰ عَلَى اللهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾[1].

وتحقيق المقام رهن دراسة البدعة لغة واصطلاحاً.

## ا. البدعة لغة واصطلاحاً

أمّا اللغة، فقد قال ابن فارس: البَدَع له أُصلان: ابتداع الشيء وصنعه لا عن مثال، والآخر الانقطاع والكلال.[2] والمقصود في المقام هو المعنى الأوّل.

وأمّا اصطلاحاً فقد عُرفت بتعاريف بين دقيق يحدّدها بالدقة ولايتسامح فيه، وبين ما يتسامح في تعريفها. ونذكر بعض التعاريف المتقنة.

---

١. الأنعام: ٢١.

٢. المقاييس: ١ / ٢٠٩، مادة «بدع».

البدعة ما أُحدث ممّا لا أصل له في الشريعة يدلّ عليه، أمّا ما كان له أصل من الشرع يدلّ عليه فليس ببدعة شرعاً وإن كان بدعة لغة [١].

قال ابن حجر: البدعة أصلها ما أحدث على غير مثال سابق وتطلق في الشرع في مقابل السنّة فتكون مذمومة، ويقول في موضع آخر:

المحدثات جمع محدثة، والمراد بها في حديث: «مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ»: ما أحدث وليس له أصل في الشرع، ويسمّى في عرف الشرع بدعة، وما كان له أصل يدلّ عليه الشرع فليس ببدعة .[٢]

ولعلّ هذا المقدار كاف في الوقوف على معنى البدعة في اللغة والاصطلاح .

وإجمال الكلام انّ البدعة في نظر الشرع تتمتع بقيود ثلاثة، هي:

**الأوّل:** التدخّل في الدين عقيدة وحكماً، بزيادة أو نقيصة.

**الثاني:** أن تكون هناك إشاعة ودعوة.

**الثالث:** أن لا يكون هناك دليل في الشرع يدلّ على كونها من الدين لا بصورة الخصوص ولا بصورة العموم.

والإمعان في هذه القيود يوقفنا على حقيقة البدعة.

**أمّا الأوّل:** أعني: التدخل بالدين بزيادة شيء أو نقصه منه فهو افتراء على الله في الدين.

---

١ . جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي: ١٦٠، ط الهند.

٢ . فتح الباري لابن حجر العسقلاني: ٥ / ١٥٦، و ج ١٧ / ٩ .

يقول سبحانه: ﴿قُلْ ءَاللهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللهِ تَفْتَرُونَ﴾[١] .

ويقول سبحانه: ﴿وَ رَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ...﴾ [٢].

وعلى هذا فلو أبدع إنسان شيئاً من غير مثال من دون أن يكون عمله تدخّلاً في الدين كالعادات والصناعات فهو بدعة لغة، لأنّه إحداث أمر من غير مثال ولا يطلق عليه البدعة شرعاً، لأنّ المبدع لم يدّع أنّه من صميم الدين. فعلى هذا فالاحتفالات الرسمية لدى الدول المختلفة لغاية من الغايات دون نسبتها إلى الدين فهو ليس بدعة، لأنّهم لا يحتفلون بها، لأنّ الشرع أمر بذلك. وأمّا كونها حلالاً أو حراماً فهو تابع للموازين الّتي قررها الشرع، فلو كان الاحتفال خالياً عن المحرمات فهو حلال، وأمّا إذا اقترن بها كاختلاط الرجال والنساء فهو حرام وإن لم يكن بدعة.

وأمّا الثاني: هو الإشاعة ودعوة الناس إليه، فلا تتحقّق البدعة بقيام شخص بالتدخّل بالدين وحده في البيت كأن يزيد في صلاته أو ينقص منها، وإن كان عمله محرم وصلاته باطلة.

وإنّما تتحقّق بإشاعة تلك الفكرة والعمل الحديث في المجتمع ودعوتهم إليه بعنوان أنّه من الشرع.

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أُجور من تبعه لا ينقص من ذلك

---

١ . يونس: ٥٩ .

٢ . الحديد: ٢٧ .

من أُجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من يتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً».[١]

وأمّا الثالث: أعني عدم وجود أصل له في الدين فهذا هو العنصر الثالث المقوّم لمفهوم البدعة، ومعناه فقدان الدليل على كونه من الدين لا في الكتاب ولا في السنّة، إذ لو كان هناك دعم من الشارع للعمل لما كان أمراً جديداً في الدين ولا تدخلاً في الشرع، وقد صرح بذلك ابن رجب الحنبلي وابن حجر العسقلاني في تعريفهما المذكورين.

وقال المجلسي: البدعة في الشرع ما حدث بعد الرسول ﷺ ولم يرد فيه نص على الخصوص، ولا يكون داخلاً في بعض العمومات وإن كان بدعة لغة.[٢]

## ٢. الابتداع في تعريف البدعة

قد تعرفت على البدعة تعريفاً ومفهوماً وانّ حقيقتها ترجع إلى التدخّل في الدين بما ليس في الكتاب والسنّة فقط.

ومن البدعة جعل سيرة السلف معياراً للحق والباطل حيث نرى أنّ كثيراً ممّن ينتمون إلى السلفية يصفون كثيراً من الأُمور بالبدعة بحجّة أنّها لم تكن في عصر الصحابة والتابعين، فهذا ابن تيمية يصف الاحتفال بمولد النبي بأنّه بدعة بحجة أنّه لم يفعله السلف مع قيام المقتضي له وعدم المانع

---

١. مسلم، الصحيح: ٨ / ٦٢، كتاب العلم.

٢. بحار الأنوار: ٧٤ / ٢٠٢.

منه، ولو كان هذا خيراً محضاً أو راجحاً، لكان السلف أحقّ منّا، فإنّهم كانوا أشدّ محبّة لرسول الله وتعظيماً له منّا، وهم على الخير أحرص .[1]

ويقول في حقّ القيام للمصحف وتقبيله: لانعلم فيه شيئاً مأثوراً عن السلف .[2]

أقول: إنّ المقياس في تمييز البدعة عن السنّة هو الرجوع إلى الثقلين، سواء أفسّر بالكتاب والعترة كما هو المتضافر، أم بالكتاب والسنّة كما رواه الإمام مالك بالموطأ بسند مرسل .[3]

فإذا دلّ شيء من الكتاب والسنّة على كونه من الدين فهو ليس ببدعة، وأمّا إذا لم يدلّ عليه بالخصوص أو بالعموم على أنّه من الدين فإشاعته بين المسلمين بما أنّه جزء من الشريعة فهو بدعة.

وأمّا السلف فهم كالخلف أُمروا باتّباع الثقلين: الكتاب والعترة أو الكتاب والسنّة، فليس موافقتهم أو مخالفتهم معياراً للحق والباطل. وليس كلّ سلف صالح، بل أنّ فيهم الصالح والطالح والعادل والظالم، كما أنّه ليس كل خلف طالح ففيهم مثل ما في السلف.

يقول الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي: إنّ السلف لم يتّخذوا من معنى هذه الكلمة بحدّ ذاتها مظهراً لأي شخصية متميزة، أو أيّ وجود

١ . اقتضاء الصراط المستقيم: ٢٧٦.

٢ . الفتاوى الكبرى: ١ / ١٧٦ .

٣ . موطأ مالك: ٦٤٨ برقم ١٦١٩ .

فكري أو اجتماعي خاص بهم، يميّزهم عمّن سواهم من المسلمين، ولم يضعوا شيئاً من يقينهم الاعتقادي أو التزاماتهم السلوكية والأخلاقية في إطاعة جماعة إسلامية ذات فلسفة وشخصية فكرية مستقلة، بل كان بينهم وبين من نسمّيهم اليوم بالخلف منتهى التفاعل وتبادل الفهم والأخذ والعطاء تحت سلطان ذلك المنهج الّذي تمّ الاتّفاق عليه، والاحتكام إليه، ولم يكن يخطر في بال السابقين منهم ولا اللاحقين بهم أنّ حاجزاً سيختلق ليرتفع ما بينهما، بصنيع طائفة من المسلمين فيما بعد، وليقسم سلسلة الأجيال الإسلامية إلى فريقين، يصبغ كلاً منهما بلون مستقل من الأفكار والتصوّرات والاتجاهات، بل كانت كلمتا السلف والخلف في تصوّراتهم لا تعني ـ من وراء الانضباط بالمنهج الّذي ألمحنا إليه ـ أكثر من ترتيب زماني كالذي تدلّ عليه كلمتا: (قبل وبعد).[١]

وبذلك يظهر أنّ الاحتفال بميلاد النبي ﷺ أو القيام للمصحف وتقبيله إذا قام بهذا العمل المسلم بما أنّه من صميم الدين، فذلك كله ليس بدعة، لأنّ هذا النوع من التكريم لنبي الله وكتابه وإن لم يرد في الشريعة الإسلامية، ولكن في ذلك الأصول العامة الداعية إلى تكريم النبي وتعزيره، يقول سبحانه: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَ عَزَّرُوهُ وَ نَصَرُوهُ وَ اتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٢]، فالله سبحانه تبارك وتعالى يصف المؤمنين بأوصاف ثلاثة:

---

١. السلفية للدكتور محمد سعيد البوطي: ١٣ ـ ١٤.

٢. الأعراف: ١٥٧.

١. الإيمان بالنبي.

٢. تعزيره.

٣. ونصرته.

والمراد من التعزير هو تكريمه وتعظيمه.

إنّه سبحانه تبارك وتعالى يقول مخاطباً النبي ﷺ: ﴿وَ رَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾، فيذكر رفع ذكر النبي ﷺ ومن المعلوم أنّ الاحتفال به ترفيع لذكره الّذي أخبر به سبحانه عنه.

إنّ حب النبي والآل ممّا دعا إليه القرآن والسنّة والاحتفال به إظهار للحب.

ومن ذلك يظهر حال القيام للقرآن وتقبيله، فإن الكتب السماوية: ﴿صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ... * بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾، وتكريم كتاب الله سبحانه تكريم لأنبيائه ورسله وملائكته وأوامره، ولذلك ذكرت للقرآن الكريم أحكاماً خاصة في الكتب الفقهية تدعو المسلمين إلى حفظه وصيانته والاجتناب عن إهانته والإساءة إليه .

### ٣. أسباب نشوء البدعة

إنّ لنشوء البدعة وانتشارها في المجتمع أسباباً مختلفة أعظمها اتّباع الهوى .

إنّ استعراض تاريخ المتنبّئين الذين ادّعوا النبوّة عن كذب ودجل،

يثبت بأنّ الأهواء وحبّ الظهور والصدارة كان له دور كبير في نشوء هذه الفكرة وظهورها على صعيد الحياة، والمبتدع وإن لم يكن متنبّئاً إلّا أنّ عمله شعبة من شعب التنبّؤ، وفي الروايات إشارات وتصريحات على ذلك.

خطب الإمام أمير المؤمنين ﷺ الناس فقال: «أيّها الناس إنّما بدءُ وقوع الفتن أهواء تُتّبع، وأحكام تبتدع، يخالف فيها كتاب اللّه، يتولّى فيها رجال رجالاً ...»[١].

إنّ لحبّ الظهور دوراً كبيراً في الحياة الإنسانية، فلو كانت هذه الغريزة جامحة لأدّت بالإنسان إلى ادّعاء مقامات ومناصب تختصّ بالأنبياء، ولعلّ بعض المذاهب الظاهرة بين المسلمين في القرون الأُولى كانت ناشئة عن تلك الغريزة.

روى ابن أبي الحديد في «شرح النهج» أنّ علياً مرّ بقتلى الخوارج فقال: «بؤساً لكم لقد ضرّكم من غرّكم»، فقيل: ومن غرّهم؟ فقال: «الشيطان المضلّ، والنفس الأمّارة بالسوء، غرّهم بالأماني وفسحت لهم في المعاصي، ووعدتهم الإظهار فاقتحمت بهم النار».[٢]

نعم لحب الاستطلاع إلى ما هو دونه والتعصب الممقوت والتسليم لغير المعصوم أسباب ثلاثة لها دور في نشوء البدعة وإشاعة ما ليس من الدين في الدين، وقد فصّلنا الكلام في هذه الأسباب في كتابنا «البدعة».[٣]

---

١. الكافي: ١ / ٥٤ ح ١، باب البدع.

٢. شرح نهج البلاغة: ١٩ / ٢٣٥.

٣. البدعة: ٦٠ ـ ٦٥.

## ٤. تقسيم البدعة إلى حسنة وسيئة

إذا كانت البدعة بمعنى التدخل في أمر الشرع بزيادة أو نقيصة في مجالي العقيدة والشريعة من غير فرق بين العبادات والمعاملات والإيقاعات والسياسات، فليس لها إلّا قسم واحد (وهو قسم السيئة) لا يُثنّى ولا يتكثّر ولكن ربّما يقسم البدعة إلى حسنة وسيئة.

لقد جاء هذا التقسيم في كلمات الإمام الشافعي وابن حزم والغزالي والدهلوي وابن أثير، والأصل في ذلك قول الخليفة عمر بن الخطاب وقد ظهر على لسانه في السنة الرابعة عشر من الهجرة بعدما جمع الناس للصلاة بإمامة أُبي بن كعب في شهر رمضان، وصف إقامة نوافل شهر رمضان جماعة بقوله: (نِعمَ البدعة هذه).

أقول: إنّ إقامة صلاة التراويح جماعة لا يخلو من صورتين :

الأُولى: إذا كان لها أصل في الكتاب والسنّة، فعندئذ يكون عمل الخليفة إحياء لسنّة متروكة سواء أراد إقامتها جماعة أو جمعهم على قارئ واحد، فلا يصحّ قوله: «نِعمَ البدعة هذه» إذ ليس عمله تدخّلاً في الشريعة .

الثانية: إذا لم يكن هناك أصل في المصدرين الرئيسيين، لا لإقامتها جماعة أو لجمعهم على قارئ واحد، وإنّما كره الخليفة تفرّق الناس، ولأجل ذلك أمرهم بإقامتها جماعة، أو بقارئ واحد، وعندئذ تكون هذه بدعة قبيحة محرّمة.

**توضيح ذلك:**

إنّ البدعة التي تحدّث عنها الكتاب والسنّة هي التدخل في أمر الدين بزيادة أو نقيصة والتصرف في التشريع الإسلامي، وهي بهذا المعنى لا يمكن أن تكون إلّا أمراً محرّماً ومذموماً، ولا يصحّ تقسيمها إلى حسنة وقبيحة، وهذا شيء واضح ولا يحتاج إلى استدلال.

نعم، البدعة بالمعنى اللغوي التي تعمّ الدين وغيره تنقسم إلى قسمين، فكلّ شيء محدث مفيد في حياة المجتمعات من العادات والرسوم، إذا أُتي به من دون الاسناد إلى الدين، ولم يكن محرّماً بالذات شرعاً، كان بدعة حسنة، أي أمراً جديداً مفيداً للمجتمع، كما إذا احتفل الشعب بيوم استقلاله في كلّ عام، أو اجتمع للبراءة من أعدائه أو أقام الأفراح لمولد بطل من أبطاله، وبالجملة ما هو حلال بالذات لا مانع من أن تتّفق عليه الأُمّة وتتّخذه عادة ومتّبعاً في المناسبات، ويكون بدعة لغوية.

نعم، ما كان محرماً بالذات، فلو اتّخذ أمراً مرسوماً ورائجاً مثل دخول النساء سافرات متبرّجات في مجالس الرجال في الاستقبالات والضيافات، فهذا أمر حرام بالذات أوّلاً، وليس بمحرم من باب البدعة الشرعية بمعنى التدخل في أمر الدين والتسنين فيه والتشريع على خلاف ما شرّعه الشارع، وإنّما هو عمل محرم اتّخذ رائجاً لا باسم الدين ولا باسم الشريعة وأقصى ما يعتذر بأنّه مقتضى الحضارة العصرية مع الاعتراف بكونه مخالفاً للشرع،

ولو قيل إنّه بدعة قبيحة أو مذمومة، فإنّما هو بحسب معناها اللغوي.

### ٥. هل الأُمور التالية من البدع؟

إذا عرفت ما هو الملاك للبدعة المحرمة الّتي هي من أكبر الكبائر، فأعلم أنّ هناك أُموراً عقائدية أو أحكاماً عملية رميت بالبدعة مع أنّ لها أصلاً في الكتاب والسنّة بالخصوص أو بالعموم، ولأجل إيقاف القارئ على حقيقة الحال نذكر هذه الأُمور على وجه الإيجاز مع البرهنة على جذورها في الشريعة.

## ١

## التقية عند الخوف على النفس والنفيس

التقية عبارة عن كتمان المسلم عقيدته إذا خاف التعرض على نفسه أو عرضه أو ماله، وهذا ممّا اتّفق عليه المسلمون انطلاقاً من الكتاب والسنّة.

إنّ أحَدَ التعاليم القرآنيّة هو أن يكتم الإنسانُ المسلمُ عقيدتَه إذا تعرَّضَ في نفسه، أو عِرضِه أو مالِه لِخطرٍ لو أظهرها، ويُسمّى هذا العَمل في لسانِ الشرع والمصطلَح الشرعيّ بالتقيّة.

إنّ جوازَ «التَقيّة» لا يحظى بالدّليل النقليّ فحسب، بل إنّ العقلَ يحكم أيضاً بصحّته ولزومه، لأنّ حفظ النّفس، والمالِ، والعِرض، واجبٌ، ولازمٌ

من جهة، وإظهارَ العقيدة والعمل وفقَ تلك العقيدة وظيفةٌ دينيّةٌ من جانبٍ آخر، ولكن إذا جرّ إظهارُ العقيدةِ إلى الخطر على النّفس والمال، والعرض، وتعارضت هاتان الوظيفتان عَمليّاً، حكم العقلُ السليمُ بأن يُقدِّم الإنسانُ الوظيفةَ الأهمّ على المهمّ.

والتقية ـ في الحقيقة ـ سلاحُ الضُّعفاء في مقابل الأقوياء القُساة، ومن الجَليّ أنّه إذا لم يكن خطرٌ ولا تهديدٌ لم يكتم الإنسانُ عقيدَتَه، كما لم يَعمل على خلافِ معتقَده.

ينصُّ القرآنُ الكريمُ في شأن عَمّارِ بن ياسر على عدم البأس عمّن يَقعُ في أيدي الكفّار، ويُظهرُ كلمة الكفر على لِسانِه للخلاص والنجاة، وقلبُه عامرٌ بالإيمان مشحونٌ بالاعتقاد الصحيح:

﴿مَن كَفَرَ باللهِ مِن بَعْدِ إيمانِهِ إلّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإيمانِ﴾[1].

وَيقولُ في آية أُخرى:

﴿لّا يَتَّخِذِ المُؤمِنُونَ الكافِرِينَ أَولِيَاءَ مِن دُونِ المُؤمِنِينَ وَمَن يَفْعَل ذلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ في شيءٍ إلّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُم تُقاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وإلى اللهِ المَصِيرُ﴾[2].

إنّ المفَسّرِين المسلمين يَتّفقون ـ عند ذِكرِ وتفسيرِ هاتين الآيَتين ـ على أنّ أصل «التَقيّة» أصلٌ مشروع.

---

١. النحل : ١٠٦ .

٢. آل عمران : ٢٨.

ومن طالَعَ ـ ولو على عَجَل ـ ما جاء في التفسير والفقه الإسلاميّ في هذا المجال عَرفَ بوضوحٍ أنّ أصلَ «التقيّة» من الأُصول الإسلاميّة، ولا يمكن تجاهلُ الآيتين المذكورَتين أعلاه، ولا عَمَل مؤمنِ آل فرعَون في كتمان إيمانِه[1]، وإنكار «التقيّة» بالمرّة.

والجَدير بالذّكر أنّ آياتِ «التقيّة» وإن وَرَدَت في مجال التَقيّة من الكافر إلّا أنّ الملاكَ (وهو حِفظ نفسِ المسلم ومالهِ وعرضهِ في الظروف الحسّاسة والخطيرة) لا يختصُّ بالكفار، فَلَو استوجَبَ إظهار الشخص لعقيدته، أو العَمَل وفقها عندَ المسلمين، خوفَ ذلك الشخص على نفسهِ أو مالهِ أو عرضهِ أي احتَملَ بقوة تعرّضها للخَطَر من جانبِ المسلمين، جرى في المقام حكمُ «التقيّة»، أي جاز له التقيّة من المسلمين كما جاز له التقيّة من الكفّار، وذلِكَ لوحدة العلّة والمِلاك، وتحقّق الأمر الموجب للتقيّة.

وهذا هو ما صَرّحَ الآخرون به أيضاً فهذا هو الفخر الرازي يقول: إنّ مذهب الشافعيﷺ انّ الحالةَ بَين المسلمين إذا شاكَلتْ الحالةَ بَين المسلمين والمشركين حَلّتْ التقيّةُ محاماةً على النفسِ.

وقال: التقيّةُ جائزةٌ لصونِ النّفسِ، وهل هي جائزةٌ لصونِ المال؟ يُحتَمل أنْ يُحْكَمَ فيها بالجواز لقولهِﷺ : «حُرْمَةُ مالِ المُسْلِمِ كَحُرمةِ دَمِهِ»

---

١. لاحظ غافر: ٢٨.

ولقولهِ ﷺ: «مَن قُتِلَ دُون مالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»[١].

وقال أبو هريرة: حَفِظْتُ مِن رسُول الله ﷺ وِعائين، أمّا أحَدُهما فَبَثثْتُهُ في النّاس، وأمّا الآخرَ فَلَوْ بَثثْتُهُ لقُطِعَ هذا البَلعُومُ.[٢]

إنّ تاريخَ الخُلَفاء الأُموِيّين والعَباسيِّين زاخرٌ بالظلمِ والعَسْفِ، والحيْفِ والجَور.

ففي تلكَ الأيّام لم يكنِ الشيعةُ وحدَهم هُمُ المطرودُون، والمحجور عليهم بسببِ إظهار عقائِدِهم، بل سَلَكَ أغلَبُ محدِّثي أهلِ السُّنَّة في عَصرِ المأمون أيضاً مَسْلَكَ التقيّة في محنة «خَلْقِ القرآنِ» وَلم يخالف المأمونَ في خَلْق القرآنِ وحُدُوثهِ بعدَ صُدُور المرسُوم الخليفي العامّ، سوى شخصٍ واحدٍ، وقصَّتُهُ معروفةٌ في التاريخ وعامّة المحدِّثين تظاهروا بالوفاق تقيّة.[٣]

---

١. تفسير الرازي: ٨ / ١٣ .

٢. محاسن التأويل: ٤ / ٨٢ .

٣. تاريخ الطبري: ٧ / ١٩٥ ـ ٢٠٦ .

## ٢

# الزواج المؤقّت

إنّ الفقه الشيعيّ تَبَعاً للكتاب والسُّـنة يُـصَحّحُ نـوعَينِ مـن الزّواج: «الزواج الدائم» وهو لا يحتاج إلى توضيح .

«والزواج المؤقّت» أو المتعة وكيفيتها كالتالي :

يجوز للرجل والمرأة بأن يقيما علاقة زوجـيّة بـينهما لمـدّة مـعينة شريطة أن لا يكون هناك مانعٌ شرعي (من نَسَبٍ أو رِضـاعٍ) فـي طـريق زواجهما، وذلك بَعد أن يُعيّنا مبلغاً من المال، ثم إنّهما بعد انقضاء المدة ينفصلان من دون إجراء صيغة الطلاق.

ولو نشأ من هذا الزواج (المؤقّت) وَلد كان ولدُهما شرعاً وورثهما.

وعلى المرأة ـ بعد انقضاء المُدّة ـ أن تعتدّ عدةً شرعيّةً، ولو كـانت حاملاً وَجَبَ الاعتدادُ إلى أن يولَد الطفلُ، ولا تتزوّج في حالِ كونها فـي حبالة الرّجُل، وكذا في حالِ عدّتها، برجل آخر.

إنّ الزواج المؤقّت مثل الزّواج الدائم ماهيةً وحقيقةً، وأكثر الأحكام الثابتة للزواج الدائم، ثابتة كذلك للنكاح المؤقّت، وغاية ما هناك من تفاوت مهّم بين هذين الزواجين هو أمران:

١. تعيين المدة في النكاح المؤقت .

٢. عدم وجوب النفقة في هذا النِّكاح.

ولو أنّنا تجاوزنا هذين المطلبين البارزين تكون الفوارق الأُخرى فوارق جزئية لا توجب افتراقاً كبيراً بين النكاحين.

هذا وحيث إنّ الإسلام دينٌ خاتم وشريعة جامعة فجوّز هذه الأطروحة لحلّ المشكلة الجنسية.

ولو أنّنا أخذنا وضع الشاب الّذي يدرس أو يعمل خارج البلاد، ويفتقد القُدرة على الزواج الدائم فماذا يفعل في هذه الحالة؟ وما هي وظيفته في هذه الصورة؟ فإنّ الشابّ لا يجد أمامه إلّا ثلاثة خيارات:

ألف: كبح الرغبة الجنسيّة وأن يحرم النفس من التلذّذ الجنسي.

ب: إيجاد العلاقة الجنسية غير الشرعية مع النساء الفاسدات أو المريضات.

ج: الاستفادة من الزواج المؤقّت مع امرأةٍ طاهرةٍ ضمن شروطٍ خاصّةٍ، من دون تحمّل مشكلة النفقة والتي توجدُها رابطة الزوجية الدائمة.

إنّ من الواضح انّه ليس هناك طريقٌ رابعٌ يستفيد منه الشابُ المذكورُ، على أنّه لا يعني هذا أنّ الزواج المؤقّت خاصٌ بمثل هذه الشروط ولكن في نفس الوَقت تستطيع ملاحظة مثل هذه الموارد أن تكشف عن حكمة تشريع هذا النمط من الزواج.

ولابدّ من الالتفات ـ ضمناً ـ إلى أنّ فقهاءَ الإسلام قد أيّدوا نوعاً من الزّواج الدائم الذي هو في حقيقته الزواج المؤقّت وهو ان يتزوجَ رجلٌ

وامرأة زواجاً دائمياً ولكنّهما أو أحدهما يعلمان بأنهما سينفصلان، بعد مدة بالطلاق.

إنّ تجويز هذا النوع من الزواج يشبه تماماً تجويز الزواج المؤقّت فهما متشابهان جوهراً وإن اختلفا اسماً.

إنّ الكتاب والسُّنّة النبويّة حاكيان عن مشروعية الزواج المؤقّت (المتعة) فالقرآنُ الكريم يقول:

﴿فما آسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنهُنَّ فآتوهُنَّ أُجورَهُنَّ فَريضةً﴾[1].

إنّ الأغلبيّة الساحقة من المفسّرين يعتبرون هذه الآية مرتبطةً بالزواج المؤقّت. وأساساً لا مجال للترديد في تشريع مثل هذا النكاح في الإسلام، إنّما الخلاف لو كان هو في نسخ هذا الزواج أو عدم نسخه، أي بقاءه على مشروعيته.

وروايات الفريقين حاكية عن أنّ هذا الحكم لم يُنسَخ. إنما مُنِعَ عن العمل بهذا الحكم في عصر الخليفة الثاني، والجدير بالذكر أنّ هناك كلاماً للخليفة في هذا المجال يكشف أيضاً عن أنّ هذا النمط من النكاح كان جائزاً بل رائجاً في عصر النبيّ الأكرمﷺ. ويفيد أنّ هذا المنع لم يكن ناشئاً إلّا من رأي شخصي ليس إلّا، لأنّه قال: «أيّها الناسُ ثلاثٌ كنَّ على عهد رسولِ الله أنا أنهى عنهنّ وأُحَرِّمهنّ وأُعاقب عليهنّ، وهي: متعة النساء، ومتعة الحج، وحيّ على خَير العَمَل»[2].

---

١. النساء : ٢٤ .

٢ . شرح التجريد للقوشجي، مبحث الإمامة، ص ٤٦٤، وغيره .

والعجيب أنّ نهيَ الخليفة عن الشق الأوّل والشق الأخير من هذه الشقوق بقي إلى الآن ولكن متعة الحج بقيت معمولاً بها عند جميع المسلمين خلافاً لرأي الخليفة الثاني (والمقصود من متعة الحج هو أنّ الحاج بعد أن انتهى من عمرة الحج يخرج من حالة الإحرام، وتحلّ له محرماته، وهذه نهى عنها عمر وأمر بعدم الخروج من الإحرام وبقاء محرمات الإحرام حتى حلول موعد الحج).

والدليل الواضح على أنّ النبيﷺ لم يمنع عن المتعة ما رواه البخاري عن عِمران بن حصين أنّه قال: نزلت آية المتعة في كتابِ اللهِ ففعلناها مع رسول الله ولم ينزل قرآن يحرّمُهُ ولم يَنهَ عنها حتى مات، قالَ رجلٌ برَأيه ما شاءَ (والمقصود هو تحريم الخليفة الثاني لنكاح المتعة).[1]

---

١. صحيح البخاري: ٦ / ٣٧، قسم التفسير عند تفسير الآية ١٩٦ من سورة البقرة.

٣

## البداء وتغيير المصير بالأعمال الصالحة والطالحة

إنّ لله تعالى في شأنِ الإنسان نوعين من التقدير:

١. تقدير محتومٌ وقطعيٌ لا يقبل التغييرَ والتبديلَ مطلقاً.

٢. تقديرٌ معلّقٌ ومشروطٌ وهو يتغيّر ويَتَبَدّلُ مع فقدان بعضِ الشرائطِ، ويحلُّ محلّه تقديرٌ آخرٌ.

وبالنَّظَر إلى هذا الأصْلِ نُذَكِّرُ بأنّ الاعتقاد بالبَداء هو أحَدُ الأُصول الاعتقاديّة الإسلاميّة الأصِيْلَة التي اتَّفَقَتْ جميعُ الفِرَقِ الإسلاميّة على الاعتقادِ بها إجمالاً، وإنْ أحجَمَ البعضُ عن استخدام لَفظة «البَداءِ» وهذا الاستيحاش من استعمال لفظة «البَداء» لا يَضُرُّ بالقَضِيّة أيضاً، إذ أنّ المقصود هو بَيان محتوى «البَداء» ومعناه، لا لفظه واسمه.

إنّ حقيقةَ «البَداء» تقومُ في الحقيقة على أصلين:

ألف: انّ لله تعالى قدرةً وسلطةً مُطلقةً، فهو قادرٌ على تغيير أيّ تقديرٍ، وإحلالِ تقديرٍ آخر محلّه متى شاءَ، في حين يعلم سلفاً بكلا التقديرين، ولا سبيلَ لأيّ تغيير إلى عِلمه قط أيضاً، لأنّ التقديرَ الأوّل لم يكن بحيث يحدُّ من قدرةِ الله أو يَسلُبَ منه القدرةَ، فإنّ قدرة الله تعالى على خلاف ما تعتقِدُهُ اليهود من كَونها محدودةً، لقولهم: ﴿يَدُ الله

مَغْلُولَةٌ﴾، قدرةٌ مطلقةٌ، أو كما قال القرآن:

﴿بَلْ يَداهُ مَبْسُوطَتان﴾[1].

وبعبارةٍ أُخرى: إنّ خلّاقية الله وإعمال السُّلطة والقُدرة من جانبهِ تعالى مستمرّ، وبحكم قوله تعالى: ﴿كلَّ يَومٍ هُوَ في شَأنٍ﴾[2]، فالله تعالى لم يفرغ سبحانه عن أمر الخلقِ، بل عمليّة الخَلق لا تزال متواصِلة ومستمرة.

روى الصدوق باسناده عن الإمام الصادقعليه السلام: أنّه قال في قول الله عزّ وجل: ﴿وقالتِ اليهودُ يَدُ اللهِ مَغلُولةٌ﴾ لم يعنوا أنّه هكذا، ولكنّهم قالوا قد فرَغَ من الأمر فلا يزيدُ ولا ينقص (أي في العمر والرّزق وغيرهما)، فقال الله جلّ جلالُه تكذيباً لقولهم: ﴿غُلّتْ أيدِيهمْ ولُعِنُوا بِما قالُوا بل يَداهُ مَبْسُوطَتانِ يُنْفِقُ كيفَ يَشاءُ﴾. ألم تسَمع الله عزّ وجَلَ يقول: ﴿يَمْحُوا اللهُ ما يَشاءُ ويُثْبِتُ وعِنْدَهُ أُمُّ الكِتابِ﴾[3].[4]

فالعقيدة الإسلاميّة تقومُ على أساس الاعتراف بقدرة الله المطلقة وسلطتهِ التي لا تُحدُّ، وبدوام خلّاقيته واستمرارها، وبأنّ الله تعالى قادر كلّما شاءَ ومتى شاء أن يُغيّر المقدّرات المرتبطة بالإنسان في مجال العُمرِ والرزقِ وغيرهما، ويُحلَّ مَحَلّ ذلك مقدراتٍ أُخرى، وكلا التقديرين

---

١. المائدة : ٦٤.

٢. الرحمن : ٢٩.

٣. الرعد : ٣٩.

٤. التوحيد للصدوق: ١٦٧، الباب ٢٥، ح ١.

موجودان في «أُمّ الكتاب» وفي علم الله سبحانه.

ب : إنّ إعمالَ القُدرةِ والسُّلطَة من جانبِ الله تعالى، وإقدامَه على إحلال تقديرٍ مكان تقديرٍ آخر لا يتمُّ من دون حكمةٍ ومصلَحةٍ، وان قسماً من هذا التغيير يرتبط في الحقيقة بِعَمل الإنسان وسلوكه، وانتخابه، واختياره، وبنمط حياته الصالح أو السّيء، فهو بهذه الأُمور يهيّئ أرضيّة التغيير في مصيره.

وَلْنفترض أنَّ إنساناً لم يراع ـ لا سمح اللهُ ـ حقوقَ والدَيه، فإن مِنَ الطبيعيّ أنّ هذا العَمل غير الصالح سيكونُ له تأثيرٌ غير مرغوب في مصيره.

فإذا غيَّر من سُلُوكِهِ هذا في النصفِ الأخر من حياتِهِ، واهتمَّ بِرعاية حقوقِ والدَيْهِ فانَّه في هذه الحالة يكون قد هيَّأ الأرْضيّة لتغيير مصيرِهِ، وصار مشمولاً لقولِهِ تعالى:

﴿يَمْحُوا اللهُ ما يَشاءُ ويُثبتُ﴾.

وينعكس هذا الّذي ذكرناه إذا انعكسَ الأمر .

إنَّ الآيات والرّوايات في هذا المجال كثيرةٌ نذكرُ بعضها هنا:

١. ﴿إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[1].

٢.﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّماءِ

---

١. الرعد: ١١.

والأَرْضِ وَلَكن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[١].

٣. يروي السيوطيُ في تفسيره «الدرّ المنثور» أنّ الإمام أمير المؤمنين علياًعليه السلام سأل رسول اللهصلى الله عليه وآله عن قوله: ﴿يَمْحوا الله ما يَشاء﴾.

فقال النبي صلى الله عليه وآله: «لأُقِرنَّ عَيْنَك بِتفسيرها ولأُقِرَنَّ عَين أُمّتي بَعدي بتفسيرها: الصّدَقةُ على وَجهها، وبِرُّ الوالِدَين وَاصطِناعُ المعروف، يُحوّلُ الشقاءَ سعادةً، ويزيدُ في العُمُر، ويقي مصارِعَ السُّوء».[٢]

وقالَ الإمامُ الباقِر عليه السلام: «صِلةُ الأرحام تُزَكّي الأعْمالَ، وتُنمّي الأموالَ، وَتَـدْفَعُ البَلوى، وتُيَسّرُ الحِساب، وتُنْسِئُ في الأَجَل».[٣]

وبالنَظر إلى هذين الأَصلين يتّضح أنّ الاعتقاد بالبداء عقيدة إسلاميّة قطعيّة، وأنّ جميع الفرق الإسـلامية تـعتقد بـه بـغضّ النـظر عـن التـعبير والتسمِية، واستخدام لفظ «البَداء».

وفي الختام نُذَكّرُ بُنقطتين لنعرف لماذا أُطلقت لفظة «البـدَاء» عـلى هذه المسألة في الرّوايات فجاء التعبير عن هذه العقيدة الإسلامية بقولهم: «بَدا لله».

ألف: إنّ استخدامَ هذه اللّـفَظة فـي هـذه المسألة جـاء تـبعاً للـنّبيّ الأكرمصلى الله عليه وآله، فقد روى البخاريُ في صحيحه أنّ النبيّ قال في شأن ثـلاثة

---

١. الأعراف: ٩٦.

٢. الدر المنثور: ٤ / ٦٦.

٣. الكافي: ٢ / ٤٧٠، الحديث ١٣.

أشخاص: أبرص وأقرع وأعمى: «بدا الله عزّ وجلّ أن يَبْتَلِيهُمْ...».

ثم ذكر بعد ذلك قصّتهم بصورةٍ مفصّلةٍ وبيّن كيف أن اثنين منهم سُلبَت منهما سلامتُهما بسبب كفران النعمة، وأصابَهما ما أصيب به أسلافُهم من الأمراض(١).

ب :إنّ هذا النّوع من الاستعمال من باب المشاكلة، والتحدّث بلسان القوم حتى يفقهوا، ويفهموا الموضوع.

فقد تعارَفَ في العرف الاجتماعي أنّه إذا غيّرَ أحد قراراً قد اتخذه أن يقول: بدا لي.

وقد تَحدَّث أئمةُ الدين بلسان القوم ليمكنهم تفهيم مخاطبِيهم، وقد استعملوا مثلَ هذه اللفظة في حق الله تعالى.

والجدير بالذِكر أنّ القرآنَ الكريمَ استخدمَ في شأن الله تعالى ألفاظاً وصفات مثل المكر والكيد، والخُداع والنسيان، في حين أنّنا نعلم أنّ الله تعالى منزّهٌ عن مثل هذه الأمور (بِمعانيها ومفاهيمها الرائجة بين البشر) قطعاً ويقيناً، ومع ذلك كرّرَ القرآنُ الكريمُ هذه الصِفات واستعمل الألفاظ في حق الله سبحانه.

١. ﴿إنّهم يَكِيدُونَ كَيْداً * وَأَكِيدُ كَيْداً﴾(٢).

---

١. صحيح البخاري: ٤ / ١٧٢ .

٢. الطارق : ١٥ ـ ١٦ .

٢. ﴿وَمَكَرُوا مَكْراً وَمَكَرْنَا مَكْراً﴾[١].

٣. ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾[٢].

٤. ﴿نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ﴾[٣].

وعَلى كلّ حالٍ فإنّ لمحقّقي الشيعة حول استعمال لفظ البداء، بالنظر إلى امتناع حصول التغيّر، والتبدّل في علم الله تعالى دراساتٍ وتحقيقاتٍ قَويّةً وشيّقةً لامجال لذكرها هنا، ونحن نحيل من يحب الاطّلاعَ عليها إلى الكتب والمؤلّفات التي تتضمن هذه الأبحاث[٤].

---

١. النمل: ٥٠.

٢. النساء: ١٤٣.

٣. التوبة: ٦٧.

٤. كتاب التوحيد للصدوق: ٣٣١ ـ ٣٣٦؛ تصحيح الاعتقاد للشيخ المفيد: ٢٤؛ عدة الأُصول: ٢ / ٢٩؛ كتاب الغيبة: ٢٦٢ ـ ٢٦٤ طبعة النجف.

## ٤

# الخمس في الكتاب والسنّة

الأصل في ضريبة الخمس هو قوله سبحانه: ﴿واعلَموا أنَّما غَنِمتُمْ مِن شيءٍ فأنَّ للّهِ خُمُسَهُ وللرّسولِ ولِذي القُربى واليَتامى والمَساكينِ وابنِ السَّبيلِ إن كُنتُمْ آمَنتُمْ باللّهِ وما أنزَلْنا على عَبدِنا يَومَ الفُرقانِ يَومَ التَقى الجَمْعانِ واللّه على كُلِّ شيءٍ قديرٌ﴾.[1]

لا شك أنّ الآية نزلت في مورد خاص، أعني: يوم الفرقان، يوم التقى الجمعان وهو غزوة «بدر» الكبرى ، لكن الكلام في مادة «الغنيمة» في قوله سبحانه: ﴿ما غَنِمْتُمْ﴾ هل هو عام لكلّ ما يفوز به الإنسان في حياته، أو خاص بما يظفر به في الحرب من السلب والنهب؟

وعلى فرض كونه عاماً فهل المورد مخصِّص أو لا؟

فيقع الكلام في مقامين:

### الأوّل: الغنيمة مطلق ما يفوز به الإنسان

فالظاهر من أئمّة اللغة أنّه في الأصل أعم ممّا يظفر به الإنسان في ساحات الحرب، بل هو لغة لكلّ ما يفوز به الإنسان، وإليك بعض كلماتهم:

---

١. الأنفال: ٤١ .

١. قال الخليل: الغُنْم: الفوز بالشيء في غير مشقة، والاغتنام : انتهاز الغنم.[١]

٢. قال الأزهري: قال الليث: الغنم: الفوز بالشيء، والاغتنام انتهاز الغنم.[٢]

٣. قال الراغب: الغنم معروف ... والغُنْم: إصابته والظفر به، ثم استعمل في كل مظفور به من جهة العِدَىٰ وغيرهم، قال: ﴿واعلموا أنّما غنمتم من شيء﴾، ﴿فكلوا ممّا غنمتم حلالاً طيّباً﴾ والمغنم: ما يُغنم وجمعه مغانم، قال: ﴿فَعندَ اللّهِ مغانمُ كثيرة﴾.[٣]

٤. قال ابن فارس: «غنم» أصل صحيح واحد يدلّ على إفادة شيء لم يملك من قبل ثمّ يختص بما أُخذ من المشركين.[٤]

٥. قال ابن منظور: «الغُنْم» الفوز بالشيء من غير مشقّة.[٥]

٦. قال ابن الأثير: في الحديث: الرهن لمن رهنه، له غُنمه وعليه غُرمه، غُنْمه: زيادته ونماؤه وفاضل قيمته.[٦]

٧. قال الفيروز آبادي: «الغنم» الفوز بالشيء لا بمشقّة، وأغنمه كذا

---

١. كتاب العين: ٤ / ٤٢٦، مادة غنم.

٢. تهذيب اللغة: مادة «غنم».

٣. المفرادت : مادة «غنم».

٤. مقاييس اللغة: مادة «غنم».

٥. لسان العرب: مادة «غنم».

٦. نهاية اللغة: مادة «غنم».

تغنيماً نفله إيّاه، واغتنمه وتغنّمه، عدّه غنيمة. [١]

٨. وقال الزبيدي: الغنيمة والغنم بالضم، وفي الحديث: «الرهن لمن رهنه، له غُنْمه وعليه غرمه» غنمه أي زيادته ونماؤه وفاضل قيمته، والغنم الفوز بالشيء بلا مشقة. [٢]

٩. وقال في «الرائد»: غنم: يغنم: أصاب غنيمة في الحرب أو غيرها. [٣]

١٠. انّ الغُنم يستعمل مقابل الغرم وهو الضرر، فيكون معناه بمقتضى المقابلة هو النفع، ومن القواعد الفقهية قاعدة «الغُنْم بالغرم» ومعناه انّ من ينال نفع شيء يتحمّل ضرره.

ودليل هذه القاعدة هو قول النبي ﷺ: «لا يغلق الرهن من صاحبه الذي رهنه، له غنمه وعليه غرمه»، قال الشافعي: غنمه زيادته، وغرمه هلاكه ونقصه. [٤]

وهذه النصوص تعرب عن أنّ المادّة لم توضع لما يفوز به الإنسان في الحروب، بل معناها أوسع من ذلك وإن كان يغلب استعمالها في العصور المتأخّرة عن نزول القرآن في ما يظفر به في ساحة الحرب.

---

١. قاموس اللغة: مادة «غنم».

٢. تاج العروس: ج ٩ : مادة «غنم».

٣. الرائد: ٢ : مادة «غنم».

٤. الموسوعة الفقهية: ٣٠١/٣١، مادة غنم.

ولأجل ذلك نجد أنّ المادة استعملت في مطلق ما يفوز به الإنسان في الذكر الحكيم والسنّة النبويّة.

لقد استعمل القرآن لفظة «المغنم» فيما يفوز به الإنسان وإن لم يكن عن طريق القتال، بل كان عن طريق العمل العادي الدنيوي أو الأُخروي، إذ يقول سبحانه:

﴿يا أيُّها الَّذينَ آمنُوا إذا ضَربتُمْ في سَبيلِ اللّهِ فَتَبيَّنُوا ولا تَقُولُوا لِمَنْ ألقى إليكُمُ السَّلامَ لَستَ مُؤمِناً تَبتَغونَ عَرَضَ الحَياةِ الدُّنيا فَعِندَ اللهِ مَغانِمُ كَثيرة﴾ . [1]

والمراد بالمغانم الكثيرة: هو أجر الآخرة، بدليل مقابلته لعرض الحياة الدنيا، فيدل على أنّ لفظ المَغْنم لا يختصّ بالأُمور والأشياء التي يحصل عليها الإنسان في هذه الدنيا أو في ساحات الحرب فقط، بل هو عام لكلّ مكسب وفائدة وإن كان أُخرويّاً.

كما وردت هذه اللفظة في الأحاديث وأُريد منها مطلق الفائدة الحاصلة للمرء.

روى ابن ماجة في سننه: أنّه جاء عن رسول اللّه ﷺ : «اللّهمّ اجعلها مغنماً ولا تجعلها مغرما». [2]

---

١. النساء: ٩٤.

٢. سنن ابن ماجة: كتاب الزكاة، باب ما يقال عند إخراج الزكاة، الحديث ١٧٩٧.

وفي مسند أحمد عن رسول اللّه ﷺ : «غنيمة مجالس الذكر الجنّة». [١]

وفي وصف شهر رمضان عنه ﷺ : «غنم للمؤمن». [٢]

وفي نهاية ابن الأثير: الصوم في الشتاء الغنيمة الباردة ، سمّاه غنيمة لما فيه من الأجر والثواب.[٣]

فقد بان ممّا نقلناه من كلمات أئمّة اللغة وموارد استعمال تلك المادة في الكتاب والسنّة، أنّ العرب تستعملها في كل مورد يفوز به الإنسان، من جهة العدى وغيرهم، وإنّما صار حقيقة متشرعة في الأعصار المتأخّرة في خصوص ما يفوز به الإنسان في ساحة الحرب، ونزلت الآية في أوّل حرب خاضها المسلمون تحت لواء رسول اللّه، ولم يكن الاستعمال إلّا تطبيقاً للمعنى الكلّي على مورد خاص.

### الثاني: المورد غير مخصّص

إذا كان مفهوم اللفظ عامّاً يشمل كافّة ما يفوز به الإنسان، فلا يكون وروده في مورد خاص، مخصّصاً لمفهومه ومضيّقاً لعمومه، فإذا وقفنا على أنّ التشريع الإسلامي فرض الخمس في الركاز والكنز والسيوب أوّلاً، وأرباح المكاسب ثانياً، فيكون ذلك التشريع مؤكّداً لإطلاق الآية، ولا يكون

---

١. مسند أحمد: ٢/٣٣٠و ٣٧٤ و ٥٢٤.

٢. المصدر نفسه: ص ١٧٧.

٣. النهاية: مادة «غنم».

وروده في الغنائم الحربية رافعاً له. وإليك ما ورد في السنّة من الروايات في الموردين:

## ١. وجوب الخمس في الركاز من باب الغنيمة

اتّفقت السنّة على أنّ في الركاز الخمس وإنّما اختلفوا في المعادن، فالواجب هو الخمس لدى الحنفية والمالكية، وربع العشر عند الشافعية والحنابلة.

وقد استدلّت الحنفية على وجوب الخمس في المعادن بالكتاب والسنّة والقياس فقالوا:

أمّا الكتاب : فقوله تعالى: ﴿واعْلَمُوا انّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَيءٍ فأنَّ للّهِ خُمُسَهُ﴾ ويعدّ المعدن غنيمة .

وأمّا السنّة: فقوله ﷺ: «العجماء جُبار ـ أي هدر لا شيء فيه ـ و البئر جبار والمعدن جبار، وفي الركاز الخمس» والركاز يشمل المعدن والكنز، لأنّه من الركز أي المركوز، سواء من الخالق أو المخلوق.

وأمّا القياس: فهو قياس المعدن على الكنز الجاهلي، بجامع ثبوت معنى الغنيمة في كلّ منهما، فيجب الخمس فيهما.[١]

ترى أنّ الحنفية تستدلّ على وجوب الخمس في المعادن بآية

---

١. الفقه الإسلامي وأدلّته:٧٧٦/٢.

الغنيمة ولا تصلح للاستدلال إلاّ أن يراد بها المعنى اللغوي لا المعنى الاصطلاحي.

هذا و قد تضافرت الروايات عن طريق أهل السنّة على وجوب الخمس في الأمور الأربعة:

أ. الركاز.

ب. الكنز.

ج. المعدن.

د. السيوب.

روى لفيف من الصحابة كابن عباس وأبي هريرة وجابر وعبادة بن الصامت وأنس بن مالك، وجوب الخمس في الركاز والكنز والسيوب، وإليك قسماً ممّا روي في هذا المجال:

١. في مسند أحمد وسنن ابن ماجة واللفظ للأوّل: عن ابن عباس قال:

قضى رسول الله ﷺ في الركاز، الخمس [١].

٢. وفي صحيحي مسلم والبخاري واللفظ للأوّل: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «العجماء جرحها جبار، والمعدن جبار، وفي الركاز الخمس». [٢]

---

١. مسند أحمد: ١ / ٣١٤؛ سنن ابن ماجة: ٢ / ٨٣٩، ط ١٣٧٣ هـ.

٢. صحيح مسلم: ١٢٧/٥، باب جرح العجماء والمعدن والبئر جبار، من كتاب الحدود؛ صحيح البخاري: ١٨٢/١، باب في الركاز الخمس.

قال أبو يوسف في كتاب «الخراج»: كان أهل الجاهلية إذا عطبَ الرجل في قُلَيبٍ جعلوا القليب عَقله، وإذا قتلته دابة جعلوها عقله، وإذا قتله معدن جعلوه عقله. فسأل سائل رسول اللهﷺ عن ذلك؟ فقال: «العجماء جبار، والمعدن جبار، والبئر جبار، وفي الركاز الخمس» فقيل له: ما الركاز يا رسول الله؟ فقال: «الذهب والفضة الذي خلقه الله في الأرض يوم خلقت».[1]

٣. وفي مسند أحمد: عن الشعبي، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «السائمة جبار، والجُبّ جبار، والمعدن جبار، وفي الركاز الخمس». قال الشعبي: الركاز: الكنز العادي.[2]

٤. وفيه أيضاً: عن عبادة بن الصامت قال: من قضاء رسول الله ﷺ أنّ المعدن جبار، والبئر جبار، والعجماء جرحها جبار. والعجماء: البهيمة من الأنعام وغيرها، والجبار هو الهدر الذي لا يُغرم، وقضى في الركاز الخمس.[3]

٥. وفيه: عن أنس بن مالك قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر فدخل صاحب لنا إلى خربةٍ يقضي حاجته فتناول لبنة ليستطيب بها فانهارت عليه تبراً، فأخذها فأتى بها النبيﷺ فأخبره بذلك، قال: «زنها»

---

١. الخراج: ٢٢.

٢. مسند أحمد: ٣٣٥/٣.

٣. مسند أحمد: ٣٢٦/٥.

فوزنها فإذا مائتا درهم فقال النبي: «هذا ركاز وفيه الخمس».[١]

٦. وفيه: أنّ رجلاً من مزينة سأل رسول اللّه مسائل جاء فيها: فالكنز نجده في الخرب وفي الآرام؟ فقال رسول اللّه ﷺ: «فيه وفي الركاز الخمس».[٢]

٧. وفي نهاية اللغة ولسان العرب وتاج العروس في مادة «سيب» واللفظ للأوّل: وفي كتابه ـ أي كتاب رسول اللّه ـ لوائل بن حجر: «وفي السيوب الخمس» السيوب: الركاز.

قالوا:

«السيوب: عروق من الذهب والفضة تَسيب في المعدن، أي تتكوّن فيه وتظهر» والسيوب: جمع سيب، يريد به ـ أي يريد النبي بالسيب ـ المال المدفون في الجاهلية، أو المعدن لأنّه من فضل اللّه تعالى وعطائه لمن أصابه».[٣]

## تفسير ألفاظ الأحاديث

العجماء: الدابة المنفلتة من صاحبها، فما أصابت في انفلاتها فلا غرم على صاحبها، والمعدن جبار يعني: إذا احتفر الرجل معدناً فوقع فيه انسان فلا غرم عليه، وكذلك البئر إذا احتفرها الرجل للسبيل فوقع فيها إنسان فلا

---

١. المصدر نفسه: ١٢٨/٣.

٢. المصدر نفسه: ١٨٦/٢.

٣. النهاية: مادة «سيب».

غرم على صاحبها، وفي الركاز الخمس، والركاز: ما وجد من دفن أهل الجاهلية، فمن وجد ركازاً أدّى منه الخمس إلى السلطان وما بقي له. (١)

والآرام: الأعلام وهي حجارة تجمع وتنصب في المفازة يُهتدى بها، واحدها إرَم كعنب. وكان من عادة الجاهلية أنّهم إذا وجدوا شيئاً في طريقهم لا يمكنهم استصحابه، تركوا عليه حجارة يعرفونه بها حتى إذا عادوا أخذوه. (٢)

إنّ هذه الروايات تعرب عن وجود ضريبة غير الزكاة، هي الخمس من باب الغنيمة.

## ٢. الخمس في أرباح المكاسب

هذا هو بيت القصيد في المقام، والهدف من عنوان المسألة هو إثبات ذلك، حيث يظهر من غير واحد من الروايات أنّ النبيّ الأكرم أمر بإخراج الخمس من مطلق ما يغنمه الإنسان من أرباح المكاسب وغيرها، وإليك بعض ما ورد في المقام:

١. قدم وفد عبد القيس على رسول اللّه ﷺ فقالوا: إنّ بيننا وبينك المشركين وإنّا لا نصل إليك إلّا في أشهر حرم، فَمُرنا بأمرٍ فصلٍ، إنْ عملنا به دخلنا الجنة وندعو إليه مَن وراءنا، فقال ﷺ: «آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع؛ آمركم: بالإيمان باللّه، وهل تدرون ما الإيمان؟ شهادة أن لا إله إلّا اللّه،

---

١. سنن الترمذي: ١٤٥/٦، باب ما جاء في العجماء.

٢. النهاية : مادة «ارم».

وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وتعطوا الخمس من المغنم». [١]

ومن المعلوم أنّ النبي ﷺ لم يطلب من بني عبد القيس أن يدفعوا غنائم الحرب كيف وهم لا يستطيعون الخروج من حيّهم في غير الأشهر الحرم، خوفاً من المشركين، فيكون قد قصد المغنم بمعناه الحقيقي في لغة العرب وهو ما يفوزون به، فعليهم أن يعطوا خمس ما يربحون.

وهناك كتب ومواثيق، كتبها النبيّ وفرض فيها الخمس على أصحابها، وستتبيّن بعد الفراغ من نقلها دلالتها على الخمس في الأرباح وإن لم تكن غنيمة حربية، فانتظر.

٢. كتب لعمرو بن حزم حين بعثه إلى اليمن:

«بسم الله الرحمن الرحيم ... هذا ... عهد من النبي رسول الله لعمرو بن حزم حين بعثه إلى اليمن، أمره بتقوى الله في أمره كلّه، وأن يأخذ من المغانم خمس الله، وما كتب على المؤمنين من الصدقة من العقار عُشر ما سقى البعل وسقت السماء، ونصف العُشر ممّا سقى الغرب». [٢]

والبعل ما سُقِيَ بعروقه، والغَرَب: الدلو العظيمة.

---

١. صحيح البخاري: ٨ / ٢١٧، باب «والله خلقكم وما تعملون» من كتاب التوحيد، وج ١ / ١٣ و ١٩، وج ٣ / ٥٣؛ صحيح مسلم: ١ / ٣٥ـ٣٦ باب الأمر بالإيمان؛ سنن النسائي: ١ / ٣٢٣؛ مسند أحمد: ١ / ٣١٨؛ الأموال: ١٢ وغيرها.

٢. فتوح البلدان : ١/ ٨١ باب اليمن؛ سيرة ابن هشام: ٤/ ٢٦٥؛ تنوير الحوالك في شرح موطأ مالك: ١/ ١٥٧.

٣. كتب إلى شرحبيل بن عبد كلال، و حارث بن عبد كلال، ونعيم بن عبد كلال قيل ذي رعين، ومعافر وهمدان:

«أمّا بعد، فقد رجع رسولكم وأعطيتم من المغانم خمس الله» .[١]

٤. كتب إلى سعد هُذيم من قضاعة، وإلى جذام كتاباً واحداً يعلّمهم فرائض الصدقة، ويأمرهم أن يدفعوا الصدقة والخمس إلى رسوليه أُبيّ وعنبسة أو من أرسلاه». [٢]

٥. كتب للفُجَيع ومن تبعه:

«من محمد النبيّ للفجيع، ومن تبعه وأسلمَ وأقام الصلاةَ وآتى الزكاة وأطاع الله ورسوله وأعطى من المغانم خمس الله ...». [٣]

٦. كتب لجنادة الأزدي وقومه ومن تبعه:

«ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطاعوا الله ورسوله وأعطوا من المغانم خمس الله وسهم النبي وفارقوا المشركين، فإنّ لهم ذمّة الله وذمّة محمد بن عبد الله» .[٤]

٧. كتب لجهينة بن زيد فيما كتب:

«إنّ لكم بطون الأرض وسهولها وتلاع الأودية وظهورها، على أن

---

١. الوثائق السياسية: ٢٢٧ برقم ١١٠. (ط ٤ بيروت).

٢. الطبقات الكبرى: ٢٧٠/١.

٣. المصدر نفسه: ٣٠٤ ـ ٣٠٥.

٤. المصدر نفسه: ٢٧٠.

ترعوا نباتها وتشربوا ماءها، على أن تؤدّوا الخمس». [١]

٨ كتب لملوك حمير فيما كتب:

«وآتيتم الزكاة ، وأعطيتم من المغانم: خمس اللّه، وسهم النبي وصفيّه، وما كتب اللّه على المؤمنين من الصدقة». [٢]

٩. كتب لبني ثعلبة بن عامر:

«من أسلم منهم وأقام الصلاة وآتى الزكاة وأعطى خمس المغنم وسهم النبي والصفي». [٣]

١٠. كتب إلى بعض أفخاذ جهينة:

«من أسلم منهم وأقام الصلاة وآتى الزكاة وأطاع اللّه ورسوله وأعطى من الغنائم الخمس». [٤]

## إيضاح الاستدلال بهذه المكاتيب

يتبيّن ـ بجلاء ـ من هذه الرسائل أنّ النبي ﷺ لم يكن يطلب منهم أن يدفعوا خمس غنائم الحرب التي اشتركوا فيها، بل كان يطلب ما استحقّ في أموالهم من خمس وصدقة.

---

١. الوثائق السياسية: ٢٦٥ برقم ١٥٧.

٢. فتوح البلدان: ١/ ٨٢؛ سيرة ابن هشام: ٤/ ٢٥٨.

٣. الإصابة: ٢/ ١٨٩؛ أسد الغابة: ٣/٣٤.

٤. الطبقات الكبرى: ١/٢٧١.

ثم إنّه كان يطلب منهم الخمس دون أن يشترط ـ في ذلك ـ خوض الحرب واكتساب الغنائم.

هذا مضافاً إلى أنّ الحاكم الإسلامي أو نائبه هما اللّذان يليان بعد الفتح قبض جميع غنائم الحرب وتقسيمها بعد استخراج الخمس منها، ولا يَملِك أحد من الغزاة عدا سلب القتيل شيئاً ممّا سلب وإلّا كان سارقاً مغلاً.

فإذا كان إعلان الحرب وإخراج خمس الغنائم على عهد النبيّ ﷺ من شؤون النبي ﷺ فماذا يعني طلبه الخمس من الناس وتأكيده في كتاب بعد كتاب، وفي عهد بعد عهد؟

فيتبيّـن أنّ ما كان يطلبه لم يكن مرتبطاً بغنائم الحرب. هذا مضافاً إلى أنّه لايمكن أن يقال: إنّ المراد بالغنيمة في هذه الرسائل هو ما كان يحصل الناس عليه في الجاهلية عن طريق النهب، كيف وقد نهى النبيّ ﷺ عن النهب والنهبى بشدّة، ففي كتاب الفتن باب النهي عن النُّهبة عنه ﷺ:

«من انتهب نهبة فليس منّا» [1] ، وقال: «إنّ النهبة لا تَحِلّ». [2]

وفي صحيح البخاري ومسند أحمد عن عبادة بن الصامت: بايعنا النبيّ ﷺ أن لا ننهب. [3]

وفي سنن أبي داود، باب النهي عن النهبى، عن رجل من الأنصار

---

١. سنن ابن ماجة: ٢/ ١٢٩٨ برقم ٣٩٣٧، كتاب الفتن.

٢. سنن ابن ماجة: ٢ / ١٢٩٨ برقم ٣٩٣٨، كتاب الفتن.

٣. صحيح البخاري: ٢ / ٤٨، باب النهب بغير إذن صاحبه.

قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ فأصاب الناس حاجة شديدة وجهدٌ، وأصابوا غنماً فانتهبوها، فإنّ قدورنا لتغلي، إذ جاء رسول الله يمشي متّكئاً على قوسه فأكفأ قدورنا بقوسه، ثمّ جعل يُرمّل اللحم بالتراب، ثمّ قال: «إنّ النُّهبة ليست بأحلّ من الميتة». (١)

وعن عبد الله بن زيد: نهى النبي ﷺ عن النهبى والمثلة. (٢)

إلى غير ذلك من الأحاديث التي وردت في كتاب الجهاد.

وقد كانت النُّهبة والنهبى عند العرب تساوق الغنيمة والمغنم ـ في مصطلح يومنا هذا ـ الذي يستعمل في أخذ مال العدو.

فإذا لم يكن النهب مسموحاً به في الدين، وإذا لم تكن الحروب التي تُخاض بغير إذن النبي ﷺ جائزة، لم تكن الغنيمة في هذه الوثائق غير ما يفوز به الناس من غير طريق القتال بل من طريق الكسب وما شابهه، ولا محيص حينئذ من أن يقال: إنّ المراد بالخمس الذي كان يطلبه النبيّ ﷺ هو خمس أرباح الكسب والفوائد الحاصلة للإنسان من غير طريق القتال أو النهب الممنوع في الدين.

وفي الجملة: إنّ الغنائم المطلوب في هذه الرسائل النبويّة أداء خمسها إمّا أن يراد بها ما يُستولى عليه من طريق النهب والإغارة، أو ما

---

١. سنن أبي داود: ٦٦/٣ برقم ٢٧٠٥.

٢. رواه البخاري في الصيد، راجع التاج : ٤/ ٣٣٤.

يستولى عليه من طريق محاربة بصورة الجهاد، أو ما يستولى عليه من طريق الكسب والكد.

والأوّل ممنوع، بنصّ الأحاديث السابقة فلا معنى أن يطلب النبي ﷺ خمس النهبة.

والثاني يكون أمر الغنائم بيد النبي ﷺ مباشرة، فهو الذي يأخذ كل الغنائم ويضرب لكلّ من الفارس والراجل ما له من الأسهم بعد أن يستخرج الخمس بنفسه من تلك الغنائم، فلا معنى لأن يطلبه النبيّ ﷺ من الغزاة، فيكون الثالث هو المتعيّن.

وورد عن أئمّة أهل البيت ﷺ ما يدلّ على ذلك، فقد كتب أحد الشيعة إلى الإمام الجوادﷺ قائلاً: أخبرني عن الخمس أعَلى جميع ما يستفيد الرجل من قليل وكثير من جميع الضروب وعلى الصنّاع وكيف ذلك؟ فكتب ﷺ بخطّه: «الخمس بعد المؤونة».[1]

وفي هذه الإجابة القصيرة يظهر تأييد الإمام ﷺ لما ذهب إليه السائل، ويتضمّن ذكر الكيفية التي يجب أن تراعى في أداء الخمس.

وعن سماعة قال: سألت أبا الحسن (الكاظم) ﷺ عن الخمس؟ فقال: «في كل ما أفاد الناس من قليل أو كثير».[2]

وعن أبي علي ابن راشد (وهو من وكلاء الإمام الجواد والإمام الهادي

---

١. الوسائل: ج ٦، الباب ٨ من أبواب ما يجب فيه الخمس، الحديث ١.

٢. المصدر نفسه، الحديث ٦.

ﷺ) قال: قلت له (أي الإمام الهادي ﷺ): أمرتني بالقيام بأمرك، وأخذ حقّك، فأعلمت مواليك بذلك فقال لي بعضهم: وأي شيء حقّه؟ فلم أدر ما أجيبه؟ فقال: «يجب عليهم الخمس»، فقلت: وفي أي شيء؟ فقال: «في أمتعتهم وصنائعهم» ، قلت: والتاجر عليه، والصانع بيده؟ فقال: «إذا أمكنهم بعد مؤونتهم». [1]

إلى غير ذلك من الأحاديث والأخبار المرويّة عن النبيّ الأكرم ﷺ وأهل بيته الطاهرين ﷺ التي تدلّ على شمول الخمس لكلّ مكسب.

١. المصدر نفسه، الحديث ٣.

## ٥

# الرجعة في الكتاب العزيز

### الرجعة في مصطلح العلماء

الرجعةُ ترادف العودة، و تـطلق اصـطلاحاً عـلى عـودة الحـياة إلى مجموعة من الأموات بعد النهضة العالمية للإمام المهدي ﷺ و هذه العودة تتم بالطبع قبل حلول يوم القيامة. و طبقاً لهذا المبدأ، فالحديث عن العودة، يُعدّ من أشراط القيامة.

و على ضوء ذلك، فظهور الإمام المهدي ﷺ شيءٌ، و عودة الحياة الى مجموعة من الأموات شيء آخر، كما أنّ البعث يوم القيامة أمر ثالث، فيجب تمييزها و عدم الخلط بينها.

قال الشيخ المفيد: «إنّ اللّه تعالى يحشر قوماً من أُمة مـحمد ﷺ، بعد موتهم، قبل يوم القيامة، و هذا مذهب يختصّ به آل محمد (صلوات اللّه عليه و عليهم)، و القرآن شاهد به».[1]

و قال المرتضى متحدّثاً عن الرجعة عـند الشـيعة: «اعـلم أنّ الّـذي تذهب الشيعة الإمامية إليه، أنّ اللّه تعالى يعيد عـند ظـهور إمـام الزمـان،

---

١ - بحار الأنوار: ٥٣ / ١٣٦، نقلاً عن المسائل السروية للشيخ المفيد.

المهدي ﷺ، قوماً ممّن كان قد تقدّم موته من شيعته ليفوزوا بثواب نصرته و معونته، و مشاهدة دولته؛ ويعيد أيضاً من أعدائه لينتقم منهم، فيلتذوا بما يشاهدون من ظهور الحق و علو كلمة أهله».[١]

و قال العلامة المجلسي: «و الرجعة إنّما هي لممحّضي الإيمان من أهل الملّة، و ممحضي النفاق منهم، دون من سلف من الأُمم الخالية».[٢]

فالاعتقاد بالرجعة من الأُمور القطعية المسلّم بها، و الروايات الكثيرة الواردة عن الأئمة المعصومين لا تُبقي أي مجال للشك في وقوعها.

يقول العلامة المجلسي: «كيف يشك مؤمن بحقيّة الأئمة الأطهار فيما تواتر عنهم فيما يقرب من مائتي حديث صريح، رواها نيّف و ثلاثون من الثقات العظام، في أزيد من خمسين من مؤلفاتهم كثقة الإسلام الكليني و الصدوق و...».[٣]

و قد وصف الشيخ الحرّ العاملي الروايات المتعلّقة بالرجعة بأنّها أكثر من أن تعد و تحصى و أنّها متواترة معنى.[٤]

هذه بعض كلمات كبار علماء الشيعة ومحدّثيهم حول الرجعة، ويقع الكلام في أُمور:

---

١ - المصدر السابق نفسه، نقلاً عن رسالة كتبها السيد المرتضى جواباً عن أسئلة أهل الريّ.

٢ - المصدر السابق نفسه، و قد نقل أقوال علماء الشيعة ونصوصهم في هذا الجزء من بحاره، فمن أراد زيادة الاطلاع فليرجع إليه ص ٢٢ ـ ١٤٤.

٣ - المصدر السابق.

٤ . الإيقاظ من الهجعة، الباب الثاني، الدليل الثالث.

## ١. إمكان الرجعة

يكفي في إمكان الرجعة، إمكان بعث الحياة من جديد يوم القيامة، فإنّ الرجعة و المعاد، ظاهرتان متماثلتان و من نوع واحدٍ مع فارق أنّ الرجعة محدودة كيفاً و كمّاً، و تحدث قبل يوم القيامة، بينما يبعث جميع الناس يوم القيامة ليبدأوا حياتهم الخالدة.

و على ضوء ذلك، فالاعتراف بإمكان بعث الحياة من جديد يوم القيامة، ملازم للاعتراف بإمكان الرجعة في حياتنا الدنيوية. و حيث إنّ حديثنا مع المسلمين الذين يعتبرون الإيمان بالمعاد من أُصول شريعتهم، فلابد لهؤلاء إذن من الاعتراف بإمكانية الرجعة.

## ٢. الرجعة في الأُمم السالفة

قد وقعت الرجعة في الأُمم السالفة كثيراً، نظير:

١ ـ إحياء جماعة من بني إسرائيل [١].

٢ ـ إحياء قتيل بني إسرائيل [٢].

٣ ـ موت أُلوف من الناس و بعثهم من جديد [٣].

---

١. البقرة: ٥٥ ـ ٥٦.

٢. البقرة: ٧٢ ـ ٧٣.

٣. البقرة: ٢٤٣.

٤ ـ بعث عُزَير بعد مائة عام من موته[١].

٥ ـ إحياء الموتى على يد عيسى ﷺ.[٢]

و بعد وقوع الرجعة في الأُمم السالفة، هل يبقى مجال للشك في إمكانها؟

و تصوّر أنّ الرجعة من قبيل التناسخ المحال عقلاً، تصوّر باطلٌ، لأنّ التناسخ عبارة عن رجوع الفعلية إلى القوة، و رجوع الإنسان إلى الدنيا عن طريق النطفة، و المرور بمراحل التكوّن البشري من جديد، ليصير إنساناً مرة أُخرى، سواء أدَخَلَتْ روحُه في جسم إنسان أم حيوان، و أين هذا من الرجعة و عود الروح إلى البدن المتكامل من جميع الجهات، من دون أن يكون هناك رجوع إلى القوة بعد الفعلية.

***

## الرجعة في الأُمة الإسلامية

يدل على وقوع الرجعة في هذه الأُمّة قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ * وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يوزَعُونَ﴾[٣].

---

١. البقرة: ٢٥٩.

٢. آل عمران: ٤٩.

٣. النمل: ٨٢ـ ٨٣.

لا يوجد بين المفسّرين من يشك بأنّ الآية الأُولى تتعلّق بالحوادث التّي تقع قبل يوم القيامة، ويدلّ عليه ما روى عن النبى الأكرم من أنّ خروج دابة الأرض من علامات يوم القيامة، إلّا أنّ هناك خلافاً بين المفسرين حول المقصود من دابة الأرض ، و كيفيّة خروجها، و كيف تتحدث؟ و غير ذلك ممّا لا نرى حاجة لطرحه.

روى مُسلم أنّ رسول اللّه قال : «إنّ الساعة لا تكون حتى تكون عشر آيات: خسفٌ بالمشرق، وَخَسْفٌ بالمغرب، و خسف في جزيرة العرب، والدخان، والدجّال، ودابّة الأرض، و يأجوج و مأجوج، و طلوع الشمس من مغربها، و نارٌ تخرج من قعر عدن ترحل الناس»[1].

إنّما الكلام في الآية الثانية، و الحق أنّها ظاهرة في حوادث قبل يوم القيامة، و ذلك لأنّ الآية تركز على حشر فوج من كل جماعة بمعنى عدم حشر الناس جميعاً، و من المعلوم أنّ الحشر ليوم القيامة يتعلق بالجميع، لا بالبعض، يقول سبحانه: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً﴾[2].

أفَبَعْدَ هذا التصريح، يمكن تفسير ظرف الآية بيوم البعث و القيامة؟

و هناك قرينتان أُخريان، تحقّقان ظرفها لنا إن كنّا شاكين، و هما:

---

١ . صحيح مسلم: ٨ / ١٧٩ ، كتاب الفتن، و أشراط الساعة، باب في الآيات التّي تكون قبل الساعة.

٢ . الكهف: ٤٧ .

**أوّلاً**: إنّ الآية المتقدّمة عليها تذكر للناس علامة من علامات القيامة، و هي خروج دابة الأرض، و من الطبيعي، بعد ذلك أنّ حشر جماعة من الناس يرتبط بهذا الشأن.

**ثانياً**: ورد الحديث في تلك السورة عن القيامة في الآية السابعة و الثمانين، أي بعد ثلاث آيات، قال سبحانه: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمٰوَاتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴾[1].

و هذا يعرب عن أنّ ظرف ما تقدّم عليها من الحوادث يتعلّق بما قبل هذا اليوم، و يحقّق أنّ حشر فوج من الذين يكذبون بآيات اللّه يحدث حتماً قبل يوم القيامة، و هو من أشراط هذا اليوم، و سيقع في الوقت الّذي تخرج فيها دابة من الأرض تكلّم الناس.

و من العجب قول الرازي بأنّ حشر فوج من كلّ أُمّة سيقع بعد قيام الساعة[2]. فإنّ هذا الكلام خاوٍ لا يستند إلى أيّ أساس. و ترتيب الآيات وارتباطها ببعضها، ينفيه، و يؤكّد ما ذهب إليه الشيعة من أنّ الآية تشير الى حدثٍ سيقع قبل يوم القيامة.

أضف إلى ذلك انّ تخصيص الحشر ببعضٍ، لا يجتمع مع حشر جميع الناس يوم القيامة.

---

١. النمل: ٨٧.

٢. مفاتيح الغيب: ٤ / ٢١٨.

نعم، الآية قد تحدّثت عن حشر المكـذبين، و أمّا رجـعة جـماعة أُخرى من الصالحين فهو على عاتق الروايات الواردة في الرجعة.

و أمّا كيفية وقوع الرجعة و خصوصياتها فلم يتحدّث عنها القرآن، كما هو الحال في تحدّثه عن البرزخ و الحياة البرزخية.

و يؤيد وقوع الرجعة في هذه الأُمّة وقوعها في الأُمم السالفة كـما عرفت، وقد روى أبو سعيد الخدري أنّ رسول اللّه صـلى الله عـليه وآله وسلم قال: «لَتَتَّبِعُنّ سُنَنَ من كان قبلكم، شبراً بشبر، و ذراعاً بذراع. حتى لو دخلوا جحر ضبٍّ لتبعتموه». قلنا يا رسول اللّه: اليهود و النصارى؟ قـال: فمن؟ [1].

و روى أبوهريرة أنّ رسول اللّه ﷺ قال: «لا تـقوم السـاعة حـتى تُؤخذ أُمّتي بأخذ القرون قبلها، شبراً بشبر، و ذراعاً بذراع» فقيل: يا رسول اللّه: كفارس و الروم؟ قال: «ومن الناس إلّا أُولئك؟» [2].

و روى الشيخ الصدوق ﵀ قال: قال رسول اللّه ﷺ: «كلّ ما كان في الأُمم السابقة فإنه يكون في هذه الأُمة مثله، حذو النعل بـالنعل، و القـذّة بالقذّة» [3].

و بما أنّ الرجعة من الحوادث المهمة في الأُمم السالفة، فيجب أن

---

١. صحيح البخاري: ٩ / ١١٢، كتاب الاعتصام بقول النبي.

٢. صحيح البخاري: ٩ / ١٠٢؛ وكنز العمال: ١١ / ١٣٣.

٣. كمال الدين: ٥٧٦.

يقع نظيرها في هذه الأُمة أخذاً بالمماثلة، و التنزيل.

و قد سأل المأمون العباسي، الإمام الرضا عليه السلام عن الرجعة؟ فأجابه، بقوله: «إنّها حق، قد كانت في الأُمم السالفة، و نطق بها القرآن، وقد قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: يكون في هذه الأُمة كلّ ما كان في الأُمم السالفة حذو النعل بالنعل، و القذة بالقذة».[1]

هذه هي حقيقة الرجعة و دلائلها، و لا يدّعي المعتقدون بها أكثر من هذا، و حاصله عودة الحياة إلى طائفتين من الصالحين و الطالحين، بعد ظهور الإمام المهدي عليه السلام، و قبل وقوع القيامة. و لا ينكرها إلّا من لم يمعن النظر في أدلّتها[2].



---

١. بحار الأنوار: ٥٣ / ٥٩، الحديث ٤٥.

٢. بقي هنا بحثان:

١ ـ من هم الراجعون.

٢ ـ ما هو الهدف من إحيائهم؟

وإجمال الجواب عن الأوّل أنّ الراجعين لفيف من المؤمنين و لفيف من الظالمين.

وإجمال الجواب عن الثاني ما جاء في كلام السيد المرتضى المنقول آنفاً، حيث قال: «إنّ اللّه تعالى يعيد عند ظهور إمام الزمان المهدى عليه السلام، قوماً ممّن كان تقدّم موته من شيعته ليفوزوا بثواب نصرته و معونته، و مشاهدة دولته، و يعيد أيضاً قوماً من أعدائه لينتقم منهم...» إلى آخر كلامه.

لاحظ تفصيل جميع ذلك في: البحار: ج ٥٣، والإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة، للشيخ الحر العاملي.

## أسئلة و أجوبتها

السؤال الأوّل: كيف يجتمع إعادة الظالمين مع قوله سبحانه: ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾[١]، فإن هذه الآية تنفي رجوعهم بتاتاً، و حشر لفيف من الظالمين يخالفها؟

و الجواب: إنّ هذه الآية مختصّة بالظالمين الذين أهلكوا في هذه الدنيا و رأوا جزاء عملهم فيها، فهذه الطائفة لا ترجع؛ وأمّا الظالمون الذين رحلوا عن الدنيا بلا مؤاخذة، فيرجع لفيف منهم ليروا جزاء عملهم فيها، ثم يُردّون إلى أشد العذاب في الآخرة أيضاً. فالآية لا تمت إلى مسألة الرجعة بصلة.

السؤال الثاني: إنّ الظاهر من قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[٢]، نفي الرجوع إلى الدنيا بعد مجيء الموت.

و الجواب: إنّ الآية تحكي عن قانون كلّي قابل للتخصيص في مورد دون مورد، و الدليل على ذلك ما عرفت من إحياء الموتى في الأمم

---

١. الأنبياء: ٩٥.

٢. المؤمنون: ٩٩ ـ ١٠٠.

السالفة، فلو كان عدم الرجوع إلى هذه الدنيا سنة كلية لا تتبعّض و لا تتخصّص، لكان عودها إلى الدنيا مناقضاً لعموم الآية.

و هذه الآية، كسائر السنن الإلهية الواردة في حق الإنسان، فهي تفيد أنّ الموت بطبعه ليس بعده رجوع، و هذا لا ينافي الرجوع في مورد أو موارد لمصالح عُليا.

السؤال الثالث: إنّ الاستدلال على الرجعة مبني على جعل قوله سبحانه: ﴿و يَومَ نحْشُرُ مَنْ كُلِّ أُمّة فَوْجاً ممّن يُكَذِّبُ بآياتنا فهُم يوزعون﴾، حاكياً عن حادثة تقع قبل القيامة، و لكن من الممكن جعلها حاكية عن الحادثة التّي تقع عند القيامة، غير أنّها تقدّمت على قوله سبحانه: ﴿و يَومَ يُنْفَخُ في الصّور﴾، و كان طبع القضية تأخيرها عنه، و المراد من الفوج من كلّ أُمّة هو الملأ من الظالمين و رؤسائهم؟

و الجواب: أوّلاً: إنّ تقديم قوله: ﴿و يَوْمَ نَحْشُرُ...﴾، على فرض كونه حاكياً عن ظاهرة تقع يوم القيامة، على قوله: ﴿و يَوْمَ يُنْفَخُ﴾، ليس إلّا إخلالاً في الكلام، بلا مسوّغ.

و ثانياً: إن ظاهر الآيات أنّ هناك يومين، يومٌ حشر فوج من كلّ أُمة، ويوم نفخ في الصور، و جعل الأوّل من متمّمات القيامة، يستلزم وحدة اليومين، و هو على خلاف الظاهر.[1]

---

١. و إذا أحطت خُبراً بما ذكرناه، يتبيّن لك سقوط كثير ممّا ذكره الألوسي في تفسيره عند البحث عن الآية. لاحظ تفسيره: ٢٠ / ٢٦.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

# الفصل التاسع

## في الصحابة والتابعين

١ . تعريف الصحابي والتابعيّ والاختلاف في تحديد الصحابي

٢ . تأثير الصحبة في النفوس

٣ . العدالة ملكة تدريجية الحصول

٤ . أصناف الصحابة في القرآن

٥ . الصحابة أعرف بحالهم من غيرهم

٦ . القرآن الكريم وعدالة الصحابة

٧ . السنّة النبوية وعدالة الصحابة

٨ . موقف النبي ﷺ ممّن لم تحسن صحبته

٩ . الصحابة في مرآة التاريخ

١٠ . ما هي الغاية من دراسة عدالة الصحابة؟

١١ . هل قول الصحابي من مصادر التشريع؟

١٢ . هل رؤيا الصحابي من مصادر التشريع؟


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

## في الصحابة والتابعين

إنّ الصحابة عند أهل السنّة كلّهم عدول لا يخضعون للجرح والتعديل، فرواياتهم حجة بلا نقاش وبدون فحص وتحقيق عن أحوالهم وسلوكهم طيلة حياتهم.

ونحن نريد أن ندرس هذا الموضوع وانّه هل هي قضية موجبة كلية، أو موجبة جزئية؟ وتتّضح حقيقة الحال ضمن أُمور.

# ١

## في تعريف الصحابي والتابعي

اختلفت كلمات علماء أهل السنّة في تعريف الصحابي، إذ أنّهم لم يحدّدوها تحديداً دقيقاً جامعاً ومانعاً، سعة وضيقاً، وإليك بعض نصوصهم:

١. قال سعيد بن المسيب: الصحابي، ولا نعدّه إلّا من أقام مع رسول الله ﷺ سنة أو سنتين وغزا معه غزوة أو غزوتين.

٢. قال الواقدي: رأينا أهل العلم يقولون: كلّ من رأى رسول الله وقد أدرك فأسلم وعقل أمر الدين ورضيه فهو عندنا ممّن صحب رسول الله، ولو ساعة من نهار، ولكن أصحابه على طبقاتهم وتقدّمهم في الإسلام.

٣. قال أحمد بن حنبل: أصحاب رسول الله كلّ مَن صحبه شهراً أو يوماً أو ساعة أو رآه.

٤. قال البخاري: مَن صحب رسول الله أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه.

وأمّا التابعي فيختلف مفهومهم فيه حسب اختلافهم في مفهوم الصحابي، فهو مَن لم ير النبي ولكن يرى مَن رآه من الصحابة، فيتحدد مفهومه حسب تحديد مفهوم الصحابة.

# ٢

# تأثير الصحبة في النفوس

لا شكّ انّ للصحبة تأثيراً في النفوس من غير فرق بين كون المصاحَب مصاحَب سوء أو غيره، فلذلك نرى أنّ المجرم يوم القيامة يتمنّى عدم اتّخاذ فلان خليلاً، يقول سبحانه حاكياً عنه: ﴿يا وَيْلَتى لَيْتَني لَمْ أَتّخذ فُلاناً خَليلاً﴾[1] ، ويقول أيضاً حاكياً عن الخلّة والصحبة: ﴿الأَخلاّءُ يَومئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدوٌّ إلاّ الْمُتَّقين﴾[2] ، فإذا كان لصحبة السوء تأثير في تكوين شخصية الإنسان، فلصحبة الأخيار تأثير في النفوس القابلة المستعدة، فربما ترفعه إلى منزلة عالية، وهذا شيء يلمسه كلّ إنسان في واقعه العملي.

لا شكّ انّ لصحبة الأخيار أثراً تربوياً، ولكن مدى تأثيرها يختلف حسب اختلاف عناصر ثلاثة، هي:

١. السن.

٢. الاستعداد.

٣. مقدار الصحبة.

---

١ . الفرقان:٢٨.

٢ . الزخرف:٦٧ .

أمّا الأوّل فلا شكّ انّ الإنسان الواقع في إطار التربية إذا كان إنساناً يافعاً أو في عنفوان الشباب يكون قلبه وروحه كالأرض الخالية تنبت ما ألقي فيها، فربما تُكوّن الصحبةُ شخصية كاملة تعدّ مثلاً للفضل والفضيلة، وهذا بخلاف ما إذا كان طاعناً في السن، واكتملت شخصيّته الروحية والفكرية، فإنّ النفوذ في النفوس المكتملة الشخصية والتأثير عليها والثورة على أفكارها وروحياتها واتجاهاتها، أمر صعب، فيكون تأثير الصحبة أقل بمراتب من الطائفة الأُولى.

وأمّا الثاني ـ أعني: الاختلاف في الاستعداد ـ فهو أمر لا يحتاج إلى البيان، فكما أنّ البشر يختلفون في تقبّل العلم، فهكذا هم يختلفون في مقدار قبول الهداية الإلهية، ولهذا نرى أنّ من تخرّجوا عن مدرسة الرسول يختلفون إيماناً وإيثاراً وأخلاقاً و سلوكاً.

وأمّا الثالث ـ أي مقدار الصحبة ـ فقد كانوا مختلفين فيه، فبعضهم صحب النبي ﷺ من بدء البعثة إلى لحظة الرحلة، وبعضهم أسلم بعد البعثة وقبل الهجرة، وكثير منهم أسلموا بعد الهجرة وربما أدركوا من الصحبة سنة أو شهراً أو أيّاماً أو ساعة، فهل يصحّ أن نقول: إنّ صحبة ما، قلعت ما في نفوسهم جميعاً، من جذور غير صالحة وملكات رديئة، وكوّنت منهم شخصيات ممتازة أعلى وأجل من أن يقعوا في إطار التعديل والجرح؟!

وهذه العوامل تدلّ على أنّ تأثير صحبة الرسول ﷺ لم يكن على نحو يجعل الجميع على حدّ سواء من الإيمان والفضل والتقوى والإيثار

والزهد والخير، ومادامت هذه الاختلافات سائدة عليهم فمن البعيد أن نجعلهم على غرار واحد ونزن الكل بصاع معيّن، ونحكم على الكلّ بصفاء النفس، والتجافي عن زخارف الدنيا .

إنّ صحبة الصحابة لم تكن أشدّ ولا أقوىٰ ولا أطول من صحبة امرأة نوح وامرأة لوط، فقد صحبتا زوجيهما الكريمين، ولبثتا معهما ليلاً ونهاراً ولكن هذه الصحبة ـ للأسف ـ ما أغنت عنهما من اللّٰه شيئاً، قال سبحانه: ﴿ضَرَبَ اللّٰهُ مَثَلاً لِلّذِينَ كَفَرُوا امرأةَ نُوحٍ وَامرأةَ لُوطٍ كانَتا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبادِنا صالِحَيْنِ فَخانَتاهُما فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُما مِنَ اللهِ شَيئاً وَقِيلَ ادْخُلا النّار مَعَ الدّاخِلين﴾.[1]

إنّ التشرّف بصحبة النبي لم يكن أكثر امتيازاً وتأثيراً من التشرّف بزوجية النبي، وقد قال سبحانه في شأنها : ﴿يا نِساءَ النَّبيّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفاحِشَة مُبَيّنةٍ يُضاعَفْ لَها العَذابُ ضِعْفَين وَكانَ ذٰلِكَ عَلى اللّٰهِ يَسيراً﴾.[2]

وأنت ترى الكتاب العزيز يندّد بنساء النبي ﷺ لأجل كشف سره ويعاتبهنّ في ذلك.

يقول سبحانه: ﴿وَإِذ أسرّ النبيّ إِلىٰ بَعْضِ أَزْواجِهِ حديثاً فَلَما نَبّأت بِهِ وَأَظهرهُ اللّٰه عَليهِ عَرّفَ بعضه وَأعرض عَنْ بَعض فَلَما نبّأها به قالَتْ مَنْ

---

١ . التحريم: ١٠.

٢ . الأحزاب ٣٠.

أنبأك هذا قال نبّأني العَليمُ الخبيرُ * إنْ تتُوبا إلى الله فقَدْ صَغَتْ قُلُوبكُما وَإن تَظاهرا عليه فَإنّ الله هُوَ مَولاهُ وَجِبريلُ وَصالحُ المُؤْمنين والْـمَلائكةُ بَعْد ذٰلك ظهير * عسىٰ ربُّهُ إنْ طلَّقكنَّ أن يُبْدله أزواجاً خيراً منكنّ مسلماتٍ مؤمناتٍ قانتاتٍ تائباتٍ عابداتٍ سائحاتٍ ثيباتٍ وأبكاراً﴾.[1]

فأي عتاب أشدّ من قوله سبحانه: ﴿ان تتُوبا إلى اللّه فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبكما﴾ أي مالت قلوبكما عن الحقّ، كما أنّ قوله: ﴿وإنْ تَظاهرا عليه﴾ يعرب عن وجود أرضية فيهن للتظاهر ضدّ النبيﷺ وخلافه، وهو سبحانه أخبر عن إخفاق أُمنيتهنّ، لأنّ اللّه ناصر النبي وجبرئيل وصالح المؤمنين والملائكة.

كلّ ذلك ينبئ عن أنّ الصحبة ليست علّة تامة لتحويل المصاحِب إلى إنسان عادل صالح خائف من اللّه، ناءٍ عن اقتراف السيّئات، حقيرة كانت أو كبيرة، بل هي مقتضية لصلاح الإنسان إذا كان فيه قابلية للاستضاءة، وعزم للاستفاضة.

ومعنى هذا انّ للصحبة تأثيراً متفاوتاً وليست على وتيرة واحدة.

---

١. التحريم:٣ـ٥.

## ٣

# العدالة ملكة تدريجية الحصول

إنّ العدالة ملكة كسائر الملكات والّتي منها ملكة الاجتهاد وسائر الشؤون العلمية تتحقّق في الإنسان غب ممارسات ومجاهدات تستغرق زمناً حتّى يبلغ الإنسان مستوى رفيعاً يستقر في النفس طول عمره ولا يزول بسهولة .

فالعالم النحوي إذا مارس المسائل النحوية مدة مديدة تحصل له ملكة الإجابة عن كلّ ما يطرح من الأسئلة والأمثلة ويقوم بتحليلها على ضوء ملكته.

ونظير ذلك العدالة فهي ملكة نفسانية أو خشية إلهية مستقرة في النفس تصده عن ارتكاب المعاصي ومخالفة السنن والقوانين الإلهية، حتّى ولو غلبت عليه القوى الحيوانية مرة فأنّه يرجع نادماً مستغفراً ولا يعود إلى ذلك في فترة قريبة، وبذلك فهو يفترق عن المعصوم حيث إنّه لا تغلبه القوى الحيوانية ولا تتغلب عليه طيلة عمره مع بقاء قدرته على الخلاف والمعصية .

فإذا كان هذا هو واقع الملكة فكيف يمكن التصديق بنظرية عدالة الصحابة بمجرد رؤية أحدهم للنبي الأكرم ﷺ مرة واحدة أو يوماً أو شهراً أو أكثر.

وهذا يبعثنا إلى القول بأنّ الصحابة كسائر الناس، أو كالتابعين فيهم عادل وغير عادل، صالح وغير صالح.

# ٤

## أصناف الصحابة في الكتاب

أنّ القرآن الكريم يصنّف صحابة النبيّ ﷺ إلى أصناف مختلفة من غير فرق بين البدري و غيره، ومِن غير فرق بين من آمن قبل الحديبية أو بعده، التحق بالمسلمين قبل الفتح أو بعده، وإليك رؤوس هذه الطوائف مع الإشارة إلى مواضعها في القرآن الكريم، وهم:

١.المنافقون المعروفون.(المنافقون:١)

٢. المنافقون المندسّون.(التوبة:١٠١)

٣. مرضى القلوب.(الأحزاب:١٢).

٤. السمّاعون.(التوبة:٤٥ـ٤٧).

٥. مخالطو العمل الصالح بغيره.(التوبة:١٠٢).

٦. المشرفون على الارتداد.(آل عمران:١٥٤).

٧. الفاسق.(الحجرات:٦).

٨. المسلمون غير المؤمنين(الحجرات:١٤).

٩. المؤلّفة قلوبهم(التوبة:٦٠).

١٠. المولّون أمام الكفّار. (الأنفال:١٥ـ ١٦).

فهذه الأصناف العشرة من صحابة النبيّ لا يمكن وصفها بالعدالة والتقوى كما لا يمكن القول بشمول الآيات المادحة لهؤلاء، وإلّا يلزم التناقض في مدلول الآيات.

أنّ القرآن الكريم يتنبّأ بارتداد لفيف من الصحابة بعد رحيل الرسول كما في قوله: ﴿وَمَا مُحمَّدٌ إلاّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلىٰ أَعْقابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلىٰ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضرّ اللّه شَيئاً وَسَيَجْزِي اللّهُ الشّاكرين﴾.[1]

والآية وإن كانت قضية شرطية، والقضية الشرطية لا تدلّ على وقوع طرفيها، ولكنّها تدلّ بمضمونها على أنّ في صحابة الرسول في عصر نزول الآية ـ أعني: السنة الثالثة (غزوة أُحد) ـ مَن كانت سيرته وأعماله تدلّ على إمكان ارتداده بعد رحيل الرسول، وعند ذلك كيف يمكن أن نكيل جميع الصحابة بمكيال واحد حتّى الأُحديين؟ فكيف بمن آمن بعدهم ويعدّ دونهم؟!

فهذه الآيات إذا انضمت إلى الآيات المادحة يخرج المفسر بنتيجة واحدة، وهي انّ مَن صحب النبي كان بين صالح وطالح، و بين من يُستدر به الغمام ومن لا يساوي إيمانه شيئاً.

---

١. آل عمران: ١٤٤.

## ٥

# الصحابة أعرف بحالهم من غيرهم [١]

إنّ من سبر تاريخ الصحابة بعد رحيل رسول الله ﷺ ، يجد فيه صفحات مليئة بألوان الصراع والنزاع بينهم، حافلة بتبادل التّهم والشتائم، بل تجاوز الأمر بهم إلى التقاتل وسفك الدماء، فكم من بدري وأُحدي انتُهكت حرمته، وصُبّ عليه العذاب صبّاً، أو أُريق دمه بيد صحابي آخر.

وهذا ممّا لا يختلف فيه اثنان، بيد أنّ الذي ينبغي التنبيه عليه، هو أنّ كلاً من المتصارعين ، كان يعتقد أنّ خصمه متنكّبٌ عن جادة الصواب، وأنّه مستحقّ للعقاب أو القتل، وهذا الاعتقاد حتّى وإن كان نابعاً عن اجتهاد، فإنّه يكشف عن أنّ كلاً من الفئتين المختلفتين لم تكن تعتقد بعدالة الفئة الأُخرى.

فإذا كان الصحابي يعتقد أنّ خصمه عادل عن الحق ومجانب لشريعة الله ورسوله، وهو على أساس ذلك يبيح سلّ السيف عليه وقتله، فكيف يجوز لنا نحن أن نحكم بعدالتهم ونزاهتهم جميعاً، وأن نضفي عليهم ثوب القدسيّة على حدّ سواء؟! ونُبرّأهم من كل زيغ وانحراف؟

أو ليس الإنسان أعرف بحاله وأبصر بروحيّاته؟

أو ليس الصحابة أعرف منّا بنوازع أنفسهم، وبنفسيات أبناء جيلهم؟

---

١ . كما يقال: أهل مكة أعرف بشعابها من غيرهم .

ووراء هذا ما دار بينهم من كلمات تكشف عن اعتقاد بعضهم في حق بعض، فالاتّهام بالكذب والنفاق والشتم والسب كان من أيسر الأمور المتداولة بينهم، فهذا هو سعد بن عبادة سيّد الخزرج، يخاطب سعد بن معاذ، وهو سيد الأوس وينسبه إلى الكذب كما حكاه البخاري في صحيحه عن عائشة أنّها قالت: فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج فقال لسعد [ابن معاذ]: كذبت لعمر الله... فقام أُسيد بن حضير وهو ابن عم سعد[ بن معاذ] فقال لسعد بن عبادة: كذبت لعمر الله لنقتلنّه فإنّك منافق تجادل عن المنافقين، فتثاور الحيّان حتّى همّوا أن يقتتلوا ورسول الله قائم على المنبر، فلم يزل رسول الله يخفّضهم حتّى سكتوا وسكت.(١)

وليست هذه القضية فريدة في بابها فلها عشرات النظائر في الصحاح والمسانيد وفي غضون التاريخ. وإنّما ذكرته ليكون كنموذج لما لم أذكر، وسيوافيك في البحوث التالية نماذج من أفعالهم وأقوالهم التي يكشف عن اعتقادهم في حقّ مخالفيهم.

أو ليس من العجب العجاب، انّ الصحابي يصف صحابياً آخر ـ في محضر النبي ـ بالكذب، والآخر يصف خصمه بالنفاق، وكلا الرجلين من جبهة الأنصار وسنامهم؟! ولكن الذين جاءوا بعدهم يصفونهم بالعدل والتقوى، والزهد والتجافي عن الدنيا، وهل سمعت ظئراً أرحم بالطفل من أُمّه.(٢)

---

١ . صحيح البخاري: ٣ / ٢٤٥، كتاب التفسير، رقم الحديث ٤٧٥٠.

٢ . مثل يضرب.

# ٦

## القرآن الكريم وعدالة الصحابة

إنّ القرآن الكريم في مختلف سوره وآياته ينقد أقوال الصحابة وأفعالهم بوضوح كما أنّه في بعض آياته يثني على طائفة منهم، فمن الخطأ أن نركّز على طائفة دون طائفة، فها نحن ندرس في هذا الفصل بعض الآيات التي تنقد أفعالهم وآراءهم.

### أ. تنبّؤ القرآن بارتداد لفيف من الصحابة

القرآن يتنبأ بإمكان ارتداد بعض الصحابة بعد رحيل الرسول ﷺ . وذلك لمّا انهزم من انهزم من المسلمين يوم أُحد وقتل من قتل منهم. يقول ابن كثير: نادى الشيطان على أنّ محمّداً ﷺ قد قتل. فوقع ذلك في قلوب كثير من الناس واعتقدوا أنّ رسول اللّه ﷺ قد قتل وجوّزوا عليه ذلك، فحصل ضعف ووهن وتأخّر عن القتال، روى ابن نجيح عن أبيه إنّ رجلاً من المهاجرين مرّ على رجل من الأنصار وهو يتشحّط في دمه، فقال له: يا فلان أشعرت أنّ محمّداً ﷺ قتل؟ فقال الأنصاري: إن كان محمّد قد قتل فقد بلّغ، فقاتلوا عن دينكم. فأنزل اللّه سبحانه قوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفإِنْ ماتَ أَو قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلىٰ أَعقابِكُمْ وَمَنْ

يَنْقَلِبْ عَلىٰ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللّٰهَ شَيئاً وَسَيَجْزي اللّٰهُ الشّاكِرين﴾.[١]

قال ابن قيّم الجوزية: كانت وقعة أُحد مقدّمة وإرهاصاً بين يدي محمّد ﷺ ونبّأهم ووبّخهم على انقلابهم على أعقابهم إن مات رسول اللّه أو قتل.[٢]

والظاهر من الارتداد هو الأعمّ من الارتداد عن الدين الذي جاهر به بعض المنافقين والارتداد عن العمل كالجهاد ومكافحة الأعداء وتأييد الحقّ وإنساء ما أوصى به رسول اللّه ﷺ .

وهذه الآية تخبر عن إمكانية الانقلاب على الأعقاب بعد رحيل الرسول، فهل يمكن أن يوصف بالعدالة التامّة الّتي هي أُخت العصمة من كان يُحتمل فيه تلك الإمكانية؟ ولذلك ترى أنّهم لا يرضون بنقد آراء الصحابة وأقوالهم.

### ب. ترك الرسول قائماً وهو يخطب

بينا رسول اللّه ﷺ يخطب الجمعة قدمت عير المدينة فابتدرها أصحاب رسول اللّه ﷺ حتّى لم يبق معه إلّا اثنا عشر رجلاً. فقال رسول اللّه ﷺ: «والذي نفسي بيده، لو تتابعتم حتّى لا يبقى منكم أُحد سال لكم الوادي ناراً» فنزلت هذه الآية:﴿وَإِذا رَأَوا تِجارةً أَو لَهْواً انفضّوا إِليها

---

١. تفسير ابن كثير:١ / ٤٠٩، والآية ١٤٤ من سورة آل عمران.

٢. زاد المعاد: ٢٥٣.

وَتَرَكُوكَ قائِماً قُلْ ما عِنْدَ اللّه خَيْرٌ مِنَ اللَّهو وَ مِنَ التِّجارَةِ وَاللّهُ خَيرُ الرّازِقين﴾.

قال ابن كثير: يعاتب تبارك وتعالى على ما كان وقع، من الانصراف عن الخطبة يوم الجمعة إلى التجارة التي قدمت المدينة يومئذ، فقال تعالى: ﴿وَإِذا رأوا تجارة أو لهواً انفضّوا إليها وتركوك قائماً﴾، أي على المنبر تخطب، هكذا ذكره غير واحد من التابعين منهم أبو العالية والحسن وزيد بن أسلم وقتادة، وزعم ابن حبّان أنّ التجارة كانت لدحية بن خليفة قبل أن يسلم وكان معها طبل، فانصرفوا إليها وتركوا رسول اللّه ﷺ قائماً على المنبر إلاّ القليل منهم، وقد صحّ بذلك الخبر، فقال الإمام أحمد: حدّثنا ابن إدريس، عن حصين بن سالم بن أبي الجعد، عن جابر، قال: قدمت غير مرّة المدينة ورسول اللّه ﷺ يخطب فخرج الناس وبقي اثنا عشر رجلاً فنزلت ﴿وَإِذا رأوا تجارة أو لهواً انفضّوا إليها ﴾ أخرجاه في الصحيحين.[1]

أفمن يقدّم اللهو والتجارة على ذكر اللّه ويستخفّ بالنبيّ، يكون ذا ملكة نفسانية تحجزه عن اقتراف المعاصي واجتراح الكبائر، ما لكم كيف تحكمون؟!

---

١. تفسير ابن كثير:٣٧٨/٤؛ صحيح البخاري:٣١٦/١، كتاب الجمعة، باب الساعة التي في يوم الجمعة ؛ صحيح مسلم:٥٩٠/٢ كتاب الجمعة، باب في قوله تعالى: ﴿وإذا رأوا تجارة...﴾.

## ج. الخيانة بالنكاح سرّاً

شرّع الله سبحانه صوم شهر رمضان وحرّم على الصائم إذا نام ليلاً مجامعة النساء، فكان جماعة من المسلمين ينكحون سرّاً وهو محرّم عليهم.

قال ابن كثير: كان الأمر في ابتداء الإسلام، هو إذا أفطر أحدهم إنّما يحلّ له الأكل والشرب والجماع إلى صلاة العشاء أو نام قبل ذلك فمتى نام أو صلّى العشاء حرم عليه الطعام والشراب والجماع إلى الليلة القادمة، ثمّ إنّ أناساً من المسلمين أصابوا من النساء والطعام في شهر رمضان بعد العشاء، منهم عمر بن الخطاب، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ فأنزل الله قوله: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيلةَ الصّيامِ الرَّفثُ إلى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِباسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِباسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللّهُ أَنكُمَ كُنْتُمْ تَختانُونَ أَنفسكُمْ فتابَ عَلَيْكُمْ وَعَفا عَنْكُمْ فالآن باشِرُوهنَّ وابتَغُوا ما كَتَبَ اللّه لَكُمْ...﴾.[1]

فهل يصحّ لنا أن نصف من خانوا أنفسهم بارتكاب الحرام بأنّهم عدول ذوي ملكة رادعة عن اقتراف الكبائر والإصرار على الصغائر؟! أو أنّ أكثرهم لم يكونوا حائزين تلك الملكة، وإنّما كانوا على درجة متوسطة من الإيمان والتقوىٰ وقد يغلب عليهم حبّ الدنيا ولذّاتها.

---

١. تفسير ابن كثير: ٢١٩/١؛ صحيح البخاري: ١٦٣٩/٤، كتاب التفسير، وغيرهما، والآية ١٨٧ من سورة البقرة.

## د. خيانة بعض البدريّين

يقول سبحانه:﴿وَما كانَ لِنَبِيٍّ أن يغُلَّ وَمَنْ يَغْلُل يَأْتِ بِما غَلَّ يَوم القِيامَةِ ثُمّ توفّى كُلّ نَفسٍ ما كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُون﴾.[١]

قال ابن كثير: نزلت في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر، فقال بعض الناس: لعلّ رسول الله أخذها فأكثروا في ذلك، فأنزل الله:﴿وَما كانَ لِنَبِيّ أن يغلّ وَمَنْ يَغْلل يَأْتِ بِما غلّ يَوم القِيامَة﴾ وهذا تنزيه له ـ صلوات اللّه وسلامه عليه ـ من جميع وجوه الخيانة في أداء الأمانة وقسم الغنيمة، ثمّ تبيّن أنّه قد غلّ بعض أصحابه.[٢]

والآية تعرب عن مدى حسن ظنّهم واعتقادهم برسول اللّه ﷺ حتّى اتّهموه بالخيانة في الأمانة وتقسيم الأموال، ثمّ تبين أنّه قد غلّه بعض أصحابه، فهؤلاء الجاهلون بمكانة النبي، أو من مارس الخيانة في أموال المسلمين لا يوصفون بالعدالة.

وهذا حال البدريين، لا الأعراب ولا الطلقاء ولا أبنائهم ولا المنافقين، فكيف حال من أتى بعدهم؟ ولعمري أنّ من يقرأ هذه الآيات البيّنات وما ورد حولها من الأحاديث والكلمات ثمّ يصرّ على عدالة الصحابة جميعاً دون تحقيق فقد ظلم نفسه وظلم أُمّته.

---

١. آل عمران:١٦١.

٢. تفسير ابن كثير:٤٢١/١؛ تفسير الطبري:١٥٥/٤ في تفسير الآية، إلى غير ذلك من المصادر.

### هـ . فاسق يغرّ النبيّ وأصحابه

يقول سبحانه: ﴿يا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصيبُوا قَوماً بِجَهالةٍ فَتُصْبِحُوا عَلىٰ ما فَعَلْتُمْ نادِمين﴾.[1]

أمر اللّه سبحانه بالتثبت في خبر الفاسق ليحتاط له لئلّا يحكم بقوله فيكون في نفس الأمر كاذباً أو مخطئاً، قال ابن كثير: قد ذكر كثير من المفسّرين أنّ الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط حين بعثه رسول اللّه ﷺ على صدقات بني المصطلق إلى حارث بن ضرار وهو رئيسهم ليقبض ما كان عنده ممّا جمع من الزكاة، فلمّا أن سار الوليد حتّى بلغ بعض الطريق فرق ـ أي خاف ـ فرجع حتّى أتى رسول اللّه ﷺ فقال: يا رسول اللّه إنّ الحارث قد منعني الزكاة وأراد قتلي، فغضب رسول اللّه ﷺ وبعث البعث إلى الحارث ﷺ و أقبل الحارث بأصحابه حتّى إذا استقبل البعث وفصل عن المدينة لقيهم الحارث، فقالوا: هذا الحارث. فلمّا غشيهم قال لهم: إلى من بعثتم؟ قالوا: إليك. قال: ولم؟ قالوا: إنّ رسول اللّه ﷺ بعث إليك الوليد بن عقبة فزعم أنّك منعته الزكاة وأردت قتله، قال ﷺ عنه: لا والذي بعث محمّداً ﷺ بالحقّ ما رأيته بتة ولا أتاني، فلمّا دخل الحارث على رسول اللّه ﷺ قال: منعتَ الزكاة و أردتَ قتل رسولي؟ قال: لا، والذي بعثك بالحقّ ما رأيته ولا أتاني، وما أقبلت إلّا حين احتبس عليّ رسول اللّه ﷺ خشيت أن تكون سخطة من اللّه تعالى ورسوله، قال:

---

١ . الحجرات:٦.

فنزلت الحجرات: ﴿يا أيُّها الّذين آمَنُوا إنْ جاءَكُمْ فاسق بنبأ﴾ إلى قوله: ﴿حكيم﴾.[١]

## و. تنازعهم في الغنائم إلى حدّ التخاصم

إنّ صحابة النبي بعد انتصارهم على المشركين في غزوة بدر، استولوا على أموالهم وتنازعوا فيها إلى حدّ التخاصم، قال الذين جمعوا الغنائم: نحن حويناها وجمعناها فليس لأحد فيها نصيب.

وقال الذين خرجوا في طلب العدو: لستم أحقّ بها منّا ونحن منعنا عنه العدوّ وهزمناهم.

وقال الذين أحدقوا برسول الله: لستم بأحقّ بها منّا نحن أحدقنا برسول الله ﷺ وخفنا أن يصيب العدوّ منه غرّة واشتغلنا به فنزل: ﴿يسألونك عن الأنفالِ قُل الأنفالُ للّهِ والرَّسُولِ فاتّقُوا اللّه وأصلحوا ذات بَيْنِكم وأَطيعوا اللّه ورسوله إنْ كُنْتُمْ مُؤمنين﴾.[٢]

قال ابن كثير: سأل أبو أمامة عبادة عن الأنفال؟ قال: فينا أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا، فانتزعه الله من أيدينا وجعله إلى رسول الله، فقسّمه رسول الله بين المسلمين عن سواء.[٣]

---

١. تفسير ابن كثير: ٢٠٩/٤.

٢. الأنفال: ١.

٣. تفسير ابن كثير: ٢٨٣/٢.

وفي الآية إلماعات إلى سوء أخلاقهم حيث يعظ سبحانه هؤلاء السائلين ويأمرهم بأمور ثلاثة بقوله:

١. ﴿واتقوا اللّه﴾ في أُموركم وأصلحوا فيما بينكم ولا تظالموا ولا تخاصموا ولا تشاجروا، فما آتاكم اللّه من الهدىٰ والعلم خير ممّا تختصمون بسببه.

٢. ﴿وأصلحوا ذات بينكم﴾: أي لا تسبّوا.

٣. ﴿و أطيعوا اللّه و رسوله﴾: أي لا تخالفوه و لا تشاجروا.[1]

فالإمعان في الآيات النازلة حول هؤلاء المتنازعين والروايات الواردة في تفسير الآية، لا تدع مجالاً للشكّ في أنّ لفيفاً من الحاضرين في غزوة بدر لم يبلغوا مرحلة عالية تميزهم عن غيرهم، بل كانوا كسائر الناس الذين يتنازعون على حطام الدنيا وزبرجها دون أن يستشيروا النبي ﷺ في أمرها، ويسألونه عن حكمها، أفهؤلاء الذين كانوا يتنازعون على حطام الدنيا، يصبحون مُثُلاً للفضيلة وكرامة النفس والطهارة؟!

### ز. استحقاقهم مسّ عذاب عظيم

كانت السنّة الجارية في الأنبياء الماضين انّهم إذا حاربوا أعداءهم وظفروا بهم ينكّلون بهم بالقتل ليعتبر به من وراءهم حتّى يكفّوا عن عدائهم للّه ورسوله، وكانوا لا يأخذون أسرى حتّى يثخنوا في الأرض

---

١. تفسير ابن كثير:٢/٢٨٥.

ويستقر دينهم بين الناس، فعند ذلك لم يكن مانع من الأسر، ثمّ يعقبه المنّ أو الفداء.

يقول سبحانه في آية أُخرى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾[1] فأجاز أخذ الأسرى، لكن بعد الإثخان في الأرض واستتباب الأمر.

غير أنّ لفيفاً من الصحابة كانوا يصرون على النبي بالعفو عنهم وقبول الفداء منهم قبل الإثخان في الأرض، وأخذوا الأسرى، فنزلت الآية في ذم هؤلاء وعرّفهم بأنّهم استحقوا مسّ عذاب عظيم لولا ما سبق كتاب من الله، يقول سبحانه: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.[2]

والمستفاد من الآيتين أمران:

الأوّل: انّ الحافز لأكثرهم أو لفئة منهم هو الاستيلاء على عرض الدنيا دون الآخرة كما يشير إليه سبحانه بقوله: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾.[3]

الثاني: لقد بلغ عملهم من الشناعة درجة، بحيث استحقُّوا مسّ

---

١. محمد:٤.

٢. الأنفال:٦٧ـ ٦٨.

٣. الأنفال:٦٧.

عذاب عظيم، غير أنّه سبحانه دفع عنهم العذاب لما سبق منه في الكتاب، قال سبحانه: ﴿لَولا كِتابٌ مِنَ اللّهِ سَبق لَمَسّكُمْ فيما أَخذتُم﴾ أخذ الأسرى ﴿عذاب عظيم﴾.

فقوله:﴿عذاب عظيم﴾ يعرب عن عظم المعصية التي اقترفوها حتّى استحقوا بها العذاب العظيم.

أفيمكن وصف من أراد عرض الدنيا مكان الآخرة واستحقّ مس عذاب عظيم بأنّه ذو ملكة نفسانية تصده عن اقتراف الكبائر والإصرار على الصغائر؟ كلاّ، ولا.

## ح. الفرار من الزحف

لقد دارت الدوائر على المسلمين يوم أُحد، لأنّهم عصوا أمر الرسول وتركوا مواقعهم على الجبل طمعاً في الغنائم فأصابهم ما أصابهم من الهزيمة التي ذكرتها كتب السيرة و التاريخ على وجه مبسوط. وبالتالي تركوا النبيّ ﷺ في ساحة الحرب وليس معه إلّا عدد قليل من الصحابة، ولم تنفع معهم دعواته ﷺ بالعودة إلى ساحة القتال ونصرته، فقد خذلوه في تلك الساعات الرهيبة، وأخذوا يلتجئون إلى الجبال حذراً من العدو، ويتحدّث سبحانه تبارك وتعالى عن تلك الهزيمة النكراء بقوله: ﴿إِذْ تُصْعِدونَ وَلا تَلوُونَ عَلىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ في أُخراكُمْ فَأَثابَكُمْ غَمّاً

بِغَمٍّ لِكَيْلا تَحْزَنُوا عَلىٰ ما فاتَكُمْ وَلاَ ما أَصابَكُمْ وَاللّه خَبيرٌ بِما تَعْمَلُون﴾.[1]

فالخطاب موجّه للذين انهزموا يوم أُحد، وهو يصف خوفهم من المشركين وفرارهم يوم الزحف، غير ملتفتين إلى أحد، ولا مستجيبين لدعوة الرسول، حين كان يناديهم من ورائهم ويقول: «هلم إليّ عباد اللّه أنا رسول اللّه...» ومع ذلك لم يُجبه أحد من المولّين.

والآية تصف تفرقهم وتولّيهم على طوائف أُولاهم بعيدة عنه، وأُخراهم قريبة، والرسول يدعوهم ولا يجيبه أحد لا أوّلهم ولا آخرهم، فتركوا النبيّ بين جموع المشركين غير مكترثين بما يصيبه من القتل أو الأسر أو من الجراح.

نعم كان هذا وصف طوائف منهم و كانت هناك طائفة أُخرى، التفت حول النبي ودفعت عنه شرّ الأعداء، وهم الذين أُشير إليهم بقوله سبحانه: ﴿وَسَيَجْزِي اللّهُ الشّاكرين﴾.[2]

ثمّ إنّه سبحانه يصرح بتولّيهم وفرارهم عن الجهاد وينسب زلّتهم إلى الشيطان ويقول: ﴿إِنَّ الّذين تَوَلَّوا مِنْكُمْ يَومَ الْتَقى الجَمْعانِ إِنّما اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيطانُ ببعْضِ ما كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفا اللّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللّه غَفُورٌ رَحيم﴾.[3]

---

١ . آل عمران:١٥٣.

٢ . آل عمران:١٤٤.

٣ . آل عمران:١٥٥ .

وليس هؤلاء من أصحاب النفاق (لأنّ المنافق لا يُغفر له ولا يعفىٰ عنه) بل من الصحابة العدول!

## ط. نسبة الغرور إلى الله ورسوله

إنّ غزوة الأحزاب من المغازي المعروفة في الإسلام، حيث اتحد المشركون واليهود للانقضاض على الإسلام، فحاصروا المدينة وهم عشرة آلاف مدجّجين بالسلاح، وحفر المسلمون خندقاً حول المدينة لمنع العدو من اقتحامها وقد طال الحصار نحو شهر.

وفي هذه الغزوة امتحِن أصحابُ النبي ﷺ وزلزلوا زلزالاً عظيماً، وتبيّن الثابت من المستزلّ، وانقسم أصحابه إلى قسمين:

**١. المؤمنون وشعارهم ﴿هذا ما وعدنا اللّهُ ورسولُهُ وصدق اللّهُ ورسولُهُ وما زادهم إلاّ إيماناً وتسليماً﴾.**[1]

**٢. المنافقون والذين في قلوبهم مرض وشعارهم: ﴿ما وعدنا اللّه ورسوله إلاّ غروراً﴾.**[2]

فضعفاء الإيمان من المؤمنين كانوا يظنون باللّه انّه وعدهم وعداً غروراً، فهل يصحّ وصف هؤلاء بالعدالة والتزكية؟! وهم ـ طبعاً ـ غير المنافقين الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر، ويدلّ على ذلك، عطف

---

١. الأحزاب:٢٢.

٢. الأحزاب:١٢.

﴿والّذينَ في قُلُوبِهم مرضٌ﴾ على المنافقين، قال سبحانه: ﴿وَإِذ يَقُولُ المُنافِقُونَ وَالّذِينَ في قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾.

ومن يمعن النظر في الآيات الواردة حول غزوة الأحزاب يعرف مدى صمود كثيرمن الصحابة أمام ذلك السيل الجارف، فإنّ كثيراً منهم كانوا يستأذنون النبي ﷺ للرجوع إلى المدينة بحجة انّ بيوتهم عورة ويقول سبحانه: ﴿وما هي بِعَورة ان يُريدون إلاّ فراراً ولقَد عاهدوا اللّه من قَبل لا يولون الأَدبار وكانَ عَهْد اللّه مسؤولاً﴾.(١)

## ي . المنافقون المندسّون بين الصحابة

لقد شاع النفاق بين الصحابة منذ نزول النبي، بالمدينة، وقد ركّز القرآن على عصبة المنافقين وصفاتهم، وفضح نواياهم، وندّد بهم في السور التالية: البقرة، آل عمران، المائدة، التوبة، العنكبوت، الأحزاب، محمد، الفتح، الحديد، المجادلة، الحشر، والمنافقون.

وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على أنّ المنافقين كانوا جماعة هائلة في المجتمع الإسلامي، بين معروف عرف بسمة النفاق ووصمة الكذب، وغير معروف بذلك، ولأنّه مقنّع بقناع الإيمان والحب للنبي، فلو كان المنافقون جماعة قليلة غير مؤثرة لما رأيت هذه العناية البالغة في القرآن الكريم.

---

١ . الأحزاب:١٣.

وهناك ثلة من المحقّقين ألّفوا كتباً ورسائل حول النفاق والمنافقين، وقد قام بعضهم بإحصاء ما يرجع إليهم فبلغ مقداراً يقرب من عشر القرآن الكريم.

ومع ذلك فهل يمكن عد جميع من صحب النبي ﷺ عدولاً؟!

نعم المنافقون ليسوا من الصحابة ولكنّهم كانوا مندسّين فيهم، وعند ذلك فكثيراً ما يشتبه الصحابي الصادق بالمنافق، ولا يتميّز المنافق عن المؤمن، حتّى أنّ النبي ﷺ ربما كان لا يعرفهم، يقول سبحانه: ﴿وَمِنْ أَهل المَدينة مردوا عَلى النِّفاق لا تعلمهم نَحْنُ نعلَمهم﴾.[1]

فهذا يجر الباحث ـ الذي يريد الإفتاء على ضوء ما قاله الصحابة ـ للتفتيش عن حال الصحابي حتّى يعرف المنافق عن غيره، فلو اشتبه الحال فلا يكون قوله ولا روايته حجّة.

هذا بعض قضاء القرآن في حق الصحابة، ولسنا بصدد الاستقصاء، فإنّ أصناف الصحابة المجانبين للعدالة، أكثر[2] ممّا ذكرنا والتفصيل لا يناسب وضع الكتاب.

---

١ . التوبة:١٠١.

٢ . منهم: السمّاعون ( التوبة:٤٥ـ٤٧)، خالطو العمل الصالح بغيره( التوبة:١٠٢)، المسلمون غير المؤمنين( الحجرات:١٤)، المؤلفة قلوبهم (التوبة: ٦٠).

# ٧

## السنّة النبوية وعدالة الصحابة

درسنا عدالة الصحابة في ضوء القرآن الكريم وخرجنا بالنتيجة التالية: انّ حال الصحابة كحال التابعين، ففيهم العادل والفاسق، والصالح والطالح، منهم من يُستدرّ به الغمام ومنهم من دون ذلك.

ومن حسن الحظ انّ السنّة النبوية تدعم ذلك الموقف، فلنذكر منها نزراً قليلاً حسب ما يقتضيه المقام.

### أ. زعيم الفئة الباغية

روى مسلم عن أبي سعيد قال: أخبرني من هو خير منّي ـ أبو قتادة ـ انّ رسول الله ﷺ قال لعمّار حين جعل يحفر الخندق وجعل يمسح رأسه ويقول: «بُؤسَ ابنُ سمية تقتلك فئة باغية».[1]

وروى البخاري عن أبي سعيد انّه قال: كنّا نحمل لبنة لبنة وعمار لبنتين لبنتين، فرآه النبي ﷺ ، فجعل النبي ﷺ ينفض التراب عنه ويقول: «ويح عمّار يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار».

قال الحُميدي: في هذا الحديث زيادة مشهورة لم يذكرها البخاري

---

١. جامع الأُصول:٩/٤٢ برقم ٦٥٨٠.

أصلاً من طريق هذا الحديث، ولعلّها لم تقع إليه فيها، أو وقعت فحذفها لغرض قصده في ذلك، وأخرجها أبو بكر البرقاني، وأبو بكر الإسماعيلي قبله، وفي هذا الحديث عندهما انّ رسول اللّه ﷺ قال: «ويح عمّار، تقلته الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة، ويدعونه إلى النار».[1]

وقد كشف الحُميدي عن نوايا البخاري انّه ربّما يتلاعب بالحديث فيحذف بعض أجزائه لغرض معيّن، وهو إنّما حذف هذه الجملة المشهورة، أعني: «تقتله الفئة الباغية»بقصد تبرئة معاوية، وتبرير أعماله.

ونحن نسأل القائلين بعدالة الصحابة: مَن هي الفئة الباغية التي قتلت عماراً؟! وهل كان فيها من صحابة النبي من يؤيّد موقف الفئة الباغية؟! لا شكّ انّ معاوية كان يترأس الفئة الباغية وكان عمرو بن العاص وزيره في الحرب، وكان انتصار معاوية في حرب صفين رهن مكيدة عمرو بن العاص، وكان بين الفئة الباغية من الصحابة النعمان بن بشير الأنصاري، وعُقْبة بن عامر الجهني، وأبو الغادية يسار بن سبع الجهني وغيرهم.

## ب. عصيان أمر النبي ﷺ بإحضار القلم والدواة

قد روى أصحاب الصحاح انّ النبي ﷺ أمر بإحضار القلم والدواة ليكتب كتاباً لا يضلّوا بعده أبداً، وقد حال بعض الحاضرين بينه و بين ما يروم إليه، وقد أخرجه البخاري في غير مورد من صحيحه.

---

١ . جامع الأُصول:٩/٤٤ برقم ٦٥٨٣.

ففي كتاب العلم أخرج عن ابن عباس انّه قال: لما اشتدّ بالنبيّ ﷺ وجعه، قال: «ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده»، قال عمر: إنّ النبي ﷺ غلبه الوجع، وعندنا كتاب اللّه حسبنا، فاختلفوا وكثر اللغط، قال: «قوموا عنّي ولا ينبغي عندي التنازع» فخرج ابن عباس يقول: إنّ الرزية كلّ الرزية ما حال بين رسول اللّه ﷺ و بين كتابه.[1]

وأخرج أيضاً عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس أنّه قال: يوم الخميس وما يوم الخميس، ثمّ بكى حتّى خَضَبَ دمعُه الحصباءَ، فقال: اشتدّ برسول اللّه ﷺ وجعه يوم الخميس، فقال: «ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً». فتنازعوا، ولا ينبغي عند نبي تنازع، فقالوا: هجر رسول اللّه ﷺ ؟ قال: «دعوني فالذي أنا فيه خير ممّا تدعوني إليه».[2]

وهنا نكتة لابدّ من إلفات القارئ إليها وهي: انّ فعل النبي(طلب الكتاب)، نسب في الصورة الأُولى إلى غلبة الوجع وعند ذاك سمّي القائل به وهو عمر، وفي الصورة الثانية نسب إلى الهجر والهذيان، ولم يذكر اسم القائل، وجاء مكان «عمر» لفظة: «قالوا».

ولما كانت الصورة الأُولى أخف وطأة من الثانية، جاء فيها ذكر القائل دون الثانية.

---

١ . صحيح البخاري: ٣٨/١، برقم ١١٤.

٢ . صحيح البخاري: ٢٨٧/٢، برقم ٣٠٥٣.

والقائل في الجميع واحد.

ويذكره أيضاً بشكل آخر في موضع ثالث، يقول:

اشتدّ برسول الله وجعه فقال: «ائتوني بكتف أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده أبداً» فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع، فقالوا: ماله أهجر؟ استفهموه، فقال: «ذروني فالذي أنا فيه خير ممّا تدعوني إليه».[١]

وفي صورة رابعة قال بعضهم: إنّ رسول الله ﷺ قد غلبه الوجع وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت واختصموا، فمنهم من يقول: قرّبوا يكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده، ومنهم من يقول غير ذلك، فلمّا أكثروا اللغو والاختلاف قال رسول الله ﷺ : قوموا.[٢]

أُنشدك بالله انّ من يخالف أمر النبيّ ﷺ الذي تدلّ القرائن على كونه إلزامياً، ثمّ يصف أمره بأنّه نتيجة غلبة الوجع أو الهجر والهذيان هل يوصف هذا بأنّه صاحب ملكة رادعة عن اقتراف المحرمات؟!

وما أبعد ما بين وصف هؤلاء وبين وصفه سبحانه لنبيّه الكريم بقوله: ﴿وَالنَّجمِ إِذا هَوى* ما ضَلَّ صاحِبُكُمْ وَماغَوىٰ* وَما يَنْطِقُ عَنِ الهَوىٰ* إِنْ هُوَ إِلاّ وَحيٌ يُوحىٰ﴾.

كيف يقول ذلك الصحابي حسبنا كتاب الله؟! فلو كان هذا صحيحاً فلماذا ألّف المسلمون الصحاح والسنن والمسانيد؟!

---

١. صحيح البخاري:٣٢١/٢، برقم٣١٦٨.

٢. صحيح البخاري:١٣٢/٣ برقم ٤٤٣٢، ولاحظ أيضاً:١٠/٤ برقم ٥٦٦٩ ورقم ٧٣٦٦.

## ج. الانقلاب على الأعقاب بعد رحيل النبي ﷺ

١. أخرج البخاري وعن أبي حازم قال: سمعت سهل بن سعد يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: أنا فَرَطُكُم على الحوض من ورده شرب منه، ومن شرب منه لم يظمأ بعده أبداً، ليرد عليَّ أقوام أعرفهم ويعرفونني ثمّ يحال بيني و بينهم.

قال أبو حازم: فَسَمِعَني النعمان بن أبي عيّاش وأنا أُحدِّثهم هذا، فقال: هكذا سمعتَ سهلاً؟ فقلت: نعم، قال: وأنا أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعتُه يزيد فيه قال: إنّهم منّي، فيقال: إنّك لا تدري ما بدّلوا بعدك، فأقول: سُحقاً سحقاً لمن بدّل بعدي.[١]

٢. أخرج البخاري عن المغيرة، قال سمعت: أبا وائل، عن عبد اللّٰه ، عن النبيّ ﷺ قال: أنا فَرَطُكم على الحوض، وليرفعنّ رجال منكم ثمّ ليُختلجُنّ دوني، فأقول: يا ربّ أصحابي، فقال: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك.[٢]

٣. أخرج البخاري عن أنس، عن النبي ﷺ قال: ليردَنَّ عليّ ناس من أصحابي الحوض حتّى إذا عرفتهم، اختُلِجُوا دوني فأقول: أصحابي؟! فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك.[٣]

---

١. صحيح البخاري: ٤/٣٥٥، برقم ٧٠٥٠ و٧٠٥١.

٢. صحيح البخاري: ٤/٢٢٧، برقم ٦٥٧٦.

٣. صحيح البخاري: ٤/ ٢٢٨، برقم ٦٥٨٢.

٤. أخرج البخاري عن سهل بن سعد قال، قال النبي ﷺ : إنّي فَرَطُكم على الحوض من مرّ عليّ شرب، ومن شرب لم يظمأ أبداً، ليردنّ عليّ أقوام أعرفهم ويعرفوني ثمّ يحال بيني و بينهم.(١)

٥. أخرج البخاري عن أبي هريرة انّه كان يحدث انّ رسول اللّه ﷺ قال: يرد عليّ يوم القيامة رهط من أصحابي فيحلّؤن عن الحوض، فأقول: يا رب أصحابي، فيقول: إنّك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، انّهم ارتدّوا على أدبارهم القهقهرى.(٢)

٦. أخرج البخاري عن أبي المسيب انّه كان يحدّث عن أصحاب النبي ﷺ انّ النبي ﷺ قال: يرد عليّ الحوض رجال من أصحابي فيحلّؤن عنه، فأقول: يا ربّ أصحابي، فيقول: إنّك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنّهم ارتدّوا على أدبارهم القهقرى.(٣)

٧. أخرج البخاري عن ابن عباس في حديث:... ثمّ يؤخذ برجال من أصحابي ذات اليمين وذات الشمال، فأقول: أصحابي، فيقال: إنّهم لم يزالوا مرتدّين على أعقابهم منذ فارقتهم، فأقول كما قال العبد الصالح عيسى ابن مريم: ﴿وَ كُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَ أَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْء شَهِيدٌ ـ إلى قوله: ـ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾(٤).(٥)

---

١. صحيح البخاري:٤/ ٢٢٨، برقم ٦٥٨٣.
٢. صحيح البخاري:٤/ ٢٢٨، برقم ٦٥٨٥.
٣. صحيح البخاري:٢٢٨/٤، برقم ٦٥٨٦.
٤. المائدة: ١١٧ ـ ١١٨.
٥. صحيح البخاري: ٢ / ٤٠٢، كتاب أحاديث الأنبياء برقم ٣٤٤٧.

٨ أخرج البخاري عن العلاء بن المسيب قال: لقيت البراء بن عازب فقلت: طوبى لك صحبت النبي ﷺ وبايعته تحت الشجرة، فقال: يا بن أخي انّك لا تدري ما أحدثنا بعده.(١)

٩. أخرج ابن أبي شيبة عن أبي بكرة انّ رسول الله ﷺ قال: ليردنّ على الحوض رجال ممّن صحبني ورآني حتّى إذا رفعوا إليّ اختلجوا دوني فلأقولنّ: ربّي أصحابي! فليُقالَنّ إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك.(٢)

١٠. أخرج مسلم عن أسماء بنت أبي بكر، قال رسول الله ﷺ: إنّي على الحوض حتّى أنظر من يرد عليّ منكم، وسيؤخذ أُناس دوني، فأقول: يا ربّ منّي ومن أُمتي، فيقال: أما شعرت ما عملوا بعدك، والله ما برحوا بعدك يرجعون أعقابهم.

قال: فكان ابن أبي مليكة يقول: اللّهم إنّا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا وأن نفتن عن ديننا.(٣)

وتنتهي أسانيد هذه الروايات إلى شخصيات نظراء: سهل بن سعد، أبي وائل عن عبد الله، أنس بن مالك، أبي هريرة، ابن المسيب، البراء بن عازب، أبي بكرة، وأسماء بنت أبي بكر واقتصرنا غالباً بما رواه البخاري وقد نقله مسلم وغيره أيضاً ، وما ظنّك بحديث يرويه الإمام البخاري وقد

---

١ . صحيح البخاري: ٣ / ٦٤، كتاب المغازي برقم ٤١٧٠ .

٢ . مصنّف ابن أبي شيبة: كتاب الفضائل برقم ٣٥؛ مسند أحمد: ٥ / ٤٨ .

٣. شرح صحيح مسلم للنووي: ١٥ / ٦١ برقم ٢٢٩٣ .

نقل شيئاً منه في الفتن، وقسماً أكثر في باب الحوض.

ولابدّ من الكلام في مقامين:

**الأوّل:** من هم الذين أخبر النبي عن ارتدادهم بعد رحيله؟

**الثاني:** ما هو المراد من ارتدادهم؟

**أمّا الأوّل:** فالقرائن القطعية تدلّ على أنّ المراد، بعض أصحابه الذين عاشوا معه وكان يعرفهم وهم يعرفونه واجتمعوا معه في فترة زمنية، وليس هؤلاء إلّا لفيفاً من أصحابه، والدليل على ذلك ما جاء في متونها من الكلمات التالية:

١. ليردنّ علي أقوام أعرفهم ويعرفونني كما في رقم ١.

٢. أنا فرطكم على الحوض وليرفعن رجال منكم(رقم٢).

٣. حتّى إذا عرفتهم اختلجوا دوني(رقم٣).

٤. فأقول: يا ربّ أصحابي (رقم ٣، ٥، ٦).

٥. تشبيه هؤلاء بأصحاب عيسى ابن مريم والاستشهاد بقوله سبحانه: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ فهو صريح في أنّ المراد من عاصر النبي. (رقم ٧).

٦. شهادة البراء بن عازب بأنّ الصحابة أحدثوا بعد رحيل النبي (رقم ٨).

٧. انّ النبي ﷺ يصفهم بقوله: ممّن صحبني ورآني. (رقم ٩).

٨ استعاذة ابن أبي مليكة من أن يرجع على أعقابه الدالّ على أنّ الصحابة هم المقصودون. (رقم ١٠).

إذا كان من علائم هؤلاء:

إنّ الرسول يعرفهم وهم يعرفونه، وانّهم من رجال عصر الرسول (رجال منكم) لا من الأجيال المستقبلة، فهؤلاء أصحابه الذين عاشوا معه في عصر الرسالة، حتّى استحقوا بأن يصفهم النبي عند الاستغاثة بقوله: «يا رب أصحابي».

فلا أظن من يدرس هذه الروايات الواردة في الصحيحين وغيرهما بتجرّد وموضوعية أن يدور في خلده، انّ المراد من الذين ارتدوا على أدبارهم، أُمّته الذين أتوا بعده وعاشوا في أحقاب بعيدة عن عصر الرسول، ولم يكن فيها من وجود الرسول عين ولا أثر، إذ لو كان هذا هو المراد، فمتى عاش معهم النبي، حتّى عرفهم وعرفوه؟ ومتى كانوا معه حتّى صحّ وصفهم بقوله: «رجال منكم» ومتى صحبوه (فترة قصيرة أو طويلة) وصاروا أصحابه؟

ومن التجنّي على الحقيقة القول: «بأنّ جميع الأُمّة أصحاب النبي، كما أنّ جميع من يقلّدون الشافعي مثلاً أصحابه» فانّ هذا التفسير في المقيس عليه ممنوع فكيف المقيس؟ فأصحاب الشافعي هم الذين تربّوا على يديه والتفّوا حوله وانتفعوا بعلمه، وأمّا الذين جاءوا بعده ولم يشاهدوه فهم

أتباعه، لا أصحابه، فلو صح إطلاق الأصحاب عليهم، فإنّما هو إطلاق مجازي لا حقيقي.

وأمّا المقيس فالحال فيه واضحة.

فالصحابة، في الروايات والآثار، هم الذين أقاموا مع رسول الله فترة من الزمن، أو رأوا رسول الله و أدركوه وأسلموا، إلى غير ذلك من التعاريف التي ذكرها الجَزري في «أُسد الغابة».[1]

وليس هذا المورد إلّا كسائر الموارد التي وردت فيها كلمة الصحابة، مثلاً رووا عن النبي ﷺ أنّه قال: «لا تسبُّوا أصحابي»، كما رووا عنه ﷺ أنّه قال: مثل أصحابي كالنجوم، إلى غير ذلك من الموارد، فالمراد من الجميع هو المعنى المصطلح.

وقد ألّف غير واحد من الرجاليين كتباً في حياة الصحابة، كالاستيعاب لابن عبد البرّ، و «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر، و إلى غير ذلك من الموارد التي أُطلقت فيها كلمة الصحابة وأُريد بها، مَن كانوا وعاشوا معه.

إنّ المتبادر من قوله ﷺ : «إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك»، أو «إنّك لا علم لك بما أحدثوا بعدك» أو «إنّهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى»، هو انّهم كانوا معك ولكن اقترفوا هذه الجريمة بعد رحيل الرسول، دون فاصل زماني طويل، وقد كان المترقب من هؤلاء الذين رأوا شمس الرسالة

١ . أُسد الغابة: ١/ ١١ـ١٢.

واستضاءوا بها، أن يتّبعوا دينه وشريعته و لا يعدلوا عنه قيد شعرة، ولكنّهم ـ للأسف ـ ارتدوا على أدبارهم القهقرى.

هذا كلّه حول الأمر الأوّل، أعني: رفع الستر عن هؤلاء الذين ارتدوا وبدلوا.

وأمّا الأمر الثاني، فهل المراد من الارتداد هو الخروج عن الدين، أوالمراد من الارتداد هو الأعم من الرجوع عن العقيدة، أو السلوك على غير ما أوصى به النبي في غير واحد من الأمور؟ ولعل المراد هو الثاني حيث إنّ النبي ﷺ أوصى بالثقلين وأهل بيته، فخالفوا وصية الرسول، كما أنّهم خالفوا في كثير من الأحكام، المذكورة في محلّها، فقدّموا الاجتهاد على النصّ، والمصلحة المزعومة على أمره، وبذلك أحدثوا في دينه بدعاً، ليس لها في الكتاب والسنّة أصل.

# ٨

## موقف النبي ﷺ ممّن لم تحسن صحبته

ما مرّ من الروايات لا تهدف شخصاً معيّناً بالذكر، وهناك روايات تخصّ بعض الصحابة بالذكر من الذين لم تحسن صحبتهم ويخبر عن سوء مصيرهم ويندد بسوء عملهم، وهي كثيرة، ونذكر منها النزر اليسير:

### أ. كلّهم مغفور له إلّا

أخرج مسلم عن جابر بن عبد اللّه قال: قال رسول اللّه ﷺ : من يصعد الثنيّة، ثنيّة المُرار فإنّه يحطّ عنه، ما حطّ عن بني إسرائيل قال: فكان أوّل من صعدها، خيلَنا خيلَ بني الخزرج ثمّ تتامّ الناس، فقال رسول اللّه ﷺ : «وكلّكم مغفور له إلّا صاحب الجمل الأحمر» فأتيناه فقلنا له: تعال يستغفر لك رسول اللّه ﷺ ، فقال: واللّه لأن أجد ضالّتي أحبّ إليّ من أن يستغفر لي صاحبكم، وكان رجل ينشد ضالّة له.[1]

إنّ مسلماً وان ذكره في كتاب صفات المنافقين، لكنّه لا دليل على أنّه كان منهم، بل كان من ضعفاء الإيمان، أو مرضى القلوب، أو السمّاعين، إلى غير ذلك من الأصناف المتوفرة في صحابة النبي ﷺ، وقد ذكر الشراح انّه كان الجدّ بن قيس الأنصاري.

---

١ . صحيح مسلم: ٨ / ١٢٣، صفات المنافقين وأحكامهم.

وروى مسلم بعد هذا الحديث عن أنس بن مالك قال: كان منّا رجل من بني النجّار قد قرأ البقرة وآل عمران، وكان يكتُب لرسول الله ﷺ، فانطلق هارباً حتّى لحق بأهل الكتاب قال فرفعوه، قالوا: هذا كان يكتب لمحمد، فأُعجبوا به....

### ب. اللّهم إنّي أبرأ إليك ممّا صنع خالد

أخرج البخاري عن سالم، عن أبيه قال: بعث النبي خالد بن الوليد إلى بني جذيمة، فدعاهم إلى الإسلام فلم يُحسِنُوا أن يقولوا أسلمنا، فجعلوا يقولون: صبأنا صبأنا، فجعل خالد يقتل منهم ويأسر، ودفع إلى كلّ رجل منّا أسيره، حتّى إذا كان يوم، أمر خالد أن يقتل كلّ رجل منّا أسيره، فقلت : والله لا أقتل أسيري، ولا يَقْتُل رجل من أصحابي أسيره حتّى قدمنا على النبي فذكرناه، فرفع النبي ﷺ يده فقال: «اللّهمّ إنّي أبرأ إليك ممّا صنع خالد» مرّتين.[1]

هذا هو سيف الإسلام، وبطله يقتل الأبرياء واحداً بعد الآخر، ويتبرأ النبي الأعظم من جريمته، ولكنّه يُصبح بعد رحيل الرسول ﷺ رجلاً باراً و سيفاً مسلولاً سلّه رسول الله ولا يُغمد، وإن زنى بزوجة مالك بن نويرة وقتله، فما حال غيره!

---

١ . صحيح البخاري، كتاب المغازي ، باب بعث النبي خالد بن الوليد إلى بني جذيمة، الحديث ٤٣٣٩.

### ج. تنبّؤه بمصير ذي الخويصرة

أخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري ﷺ بينما نحن عند رسول الله وهو يقسم قسماً، أتاه ذو الخويصرة، وهو رجلٌ من بني تميم، فقال: يا رسول الله اعدل، فقال: «ويلك، ومن يعدل إذا لم أعدل، قد خِبتُ وخسرتُ إن لم أكن أعدِلُ». فقال عمر: يا رسول الله، ائذَن لي فيه فأضرِبَ عُنقَهُ؟

فقال: «دَعْهُ، فإنَّ له أصحاباً يحقِّرُ أحدكم صلاتَه مع صلاتهم، وصيامَه مع صيامهم، يقرأون القرآن لا يُجاوز تراقيهم، يمرقون من الدِّين كما يمرقُ السَّهم من الرَّميَّة».[1]

### د. انّ فيك شعبة من الكفر

قد سبَّ أبو هريرة رجلاً بأُمِّ له في الجاهلية فاستعدى رسول الله على أبي هريرة، فقال له رسول الله:«إنّ فيك شعبة من الكفر» فحلف أبو هريرة أن لا يسب بعده مسلماً.[2]

### هـ. امتناع الرسول من الصلاةعلى أحد أصحابه

أخرج الحاكم في مستدركه عن زيد بن خالد الجهني ﷺ انّ رجلاً من أصحاب رسول الله توفّي يوم حنين أو خيبر، فامتنع ﷺ من الصلاة

---

١ . صحيح البخاري: ٤ / ١٧٩، باب علامات النبوة في الإسلام؛ بحار الأنوار: ٣٣ / ٣٣٥، الحديث ٥٧٩ .

٢ . مجمع الزوائد:٨٦/٨، كتاب الأدب، باب في من يُعيّر بالنسب أو غيره.

عليه، لأنّه غلّ في سبيل اللّه ففتّشوا متاعه فوجدوا خِرزاً من خرز اليهود لا يساوي درهمين.[١]

### و. تنبّؤ النبي ﷺ بالمصير الأسود لبعض أصحابه

أخرج البخاري عن أبي هريرة قال شهدنا خيبر، فقال رسول اللّه ﷺ لرجل ممّن معه يدّعي الإسلام: «هذا من أهل النّار». فلمّا حضر القتال قاتل الرجل أشدّ القتال حتّى كثُرت به الجِراحَة، فكادَ بعض الناس يرتاب، فوجد الرّجل ألمَ الجِراحَة، فأهوى بيده إلى كنانته، فاستخرج منها أسهماً فنَحَر بها نفسه، فاشتدّ رجال من المسلمين فقالوا: يا رسول اللّه، صدّق اللّه حديثك، انتحَر فلانٌ فقتل نفسه، فقال: «قم يا فلانُ، فأذّن أنّه لا يدخلُ الجَنّة إلاّ مؤمنٌ، إنّ اللّه يُؤيّد الدّين بالرّجلِ الفاجر».[٢]

### ز. صحابي يخلو بامرأة

روى ابن كثير في تفسير قوله سبحانه:﴿إِنَّ الحَسنات يُذْهِبن السَّيئات﴾ قال: روى الإمام أبو جعفر بسنده عن أبي اليسر كعب بن عمرو الأنصاري قال:أتتني امرأة تبتاع منّي بدرهم تمراً، فقلت: إنّ في البيت تمراً أجود من هذا، فدخلت فأهويت إليها فقبّلتها، فأتيت عمر فسألته فقال: اتّق اللّه واستر على نفسك ولا تخبرن أحداً، فلم أصبر حتّى أتيت أبا بكر فسألته فقال: اتّق اللّه واستر على نفسك ولا تخبرن أحداً، قال: فلم أصبر حتّى أتيت

---

١ . مستدرك الحاكم:١٢٧/٢، كتاب الجهاد؛ مسند أحمد:١١٤/٤.

٢ . صحيح البخاري:٧٣/٣، برقم ٤٢٠٣.

النبي ﷺ فأخبرته فقال: «أخلفت رجلاً غازياً في سبيل الله في أهله بمثل هذا!؟» حتّى ظننت انّي من أهل النار حتّى تمنيتُ أنّي أسلمت ساعتئذ، فأطرق رسول الله ساعة فنزل جبريل، فقال أبو اليسر: فجئت فقرأ عليّ رسول الله:﴿وَأَقِمِ الصَّلاة طَرَفي النَّهار وزُلَفاً من اللَّيل إِنَّ الحَسنات يُذْهِبنَ السَّيئات ذٰلك ذِكْرىٰ لِلذّاكرين﴾ فقال إنسان: يا رسول الله له خاصة أم للناس عامة؟ قال: «للناس عامة».[1]

### ح. صحابي يجلس بين رجلي امرأة

أخرج عبد الرزاق عن يحيى بن جعدة انّ رجلاً من أصحاب النبيّ ﷺ ذكر امرأة وهو جالس مع رسول الله ﷺ فاستأذنه لحاجة، فأذن له، فذهب يطلبها فلم يجدها، فأقبل الرجل يريد أن يبشر النبي ﷺ بالمطر، فوجد المرأة جالسة على غدير فدفع في صدرها وجلس بين رجليها فصار ذكره مثل الهدبة، فقام نادماً حتّى أتى النبيّ ﷺ فأخبره بما صنع فقال له: «استغفر ربّك وصلّ أربع ركعات» قال: وتلا عليه: ﴿وَأَقِم الصَّلاة طَرفي النّهار وزُلفاً مِنَ اللّيل﴾الآية.[2]

### ط. صحابي يُقتصّ منه

وهذا حارث بن سويد بن الصامت شهد بدراً لكنّه قتل المِجذَر بن

---

١ . تفسير ابن كثير:٢/٤٦٣ والآية ١١٣ من سورة هود.

٢ . تفسير ابن كثير:٢/٤٦٣.

زياد يوم أُحد لثأر جاهلي فقُتِل بأمر النبي ﷺ . يقول ابن الأثير: لا خلاف بين أهل الأثر انّ هذا قتله النبي بالمجذر بن زياد، لأنّه قتل المجذر يوم أُحد غيلة.[١]

## ي . دعاء النبي على مُحلم بن جثامة

خرج هو ومعه نفر من المسلمين فيهم أبو قتادة حتّى إذا كانوا ببطن «اضم» مرّ بهم عامر بن الاضبط الأشجعي على بعير له، وسلم عليهم بتحية الإسلام، وحمل عليه محلم بن جثامة فقتله لشيء كان بينه وبينه وأخذ بعيره ومتاعه، فلمّا قدموا على رسول اللّه وأخبروه الخبر، فنزل فيهم قوله سبحانه: ﴿يا أَيُّها الّذينَ آمَنُوا إِذا ضَرَبْتُمْ في سَبيلِ اللّه فَتَبَيَّنُوا وَلاٰ تَقُولُوا لِمَن ألقىٰ إِليكُمُ السلام لَسْت مُؤْمناً﴾ الآية.[٢]

وفي تفسير ابن كثير قال له رسول اللّه ﷺ : لا غفر اللّه لك.[٣]

هذه نماذج من أصحاب النبي الذين اقترفوا المعاصي في حياة النبي وتنبّأ النبي بسوء مصيرهم، أو ندد بعملهم، وإلاّ فالمجروحون من أصحابه كثير. وكفى في نقض الموجبة الكلية (الصحابة كلّهم عدول) القضية الجزئية.

---

١ . أُسد الغابة: ١ / ٣٣٢.

٢ . أُسد الغابة: ٤ / ٣٠٩، والآية ٩٤ من سورة النساء.

٣ . تفسير ابن كثير: ٥٣٩/١.

## ٩

# الصحابة في مرآة التاريخ

إنّ التاريخ سجّل أسماء جماعة من صحابة النبي لم يحسنوا الصحبة، ونحن نأتي بأسماء لفيف منهم، وهم ليسوا من المنافقين قطعاً إلّا واحد منهم ومع ذلك ساءت سيرتهم ولا يمكن غض النظر عن هذا التاريخ:

١. الجد بن قيس الأنصاري، الذي قال النبيّ في حقّه: كلكم مغفور له إلّا صاحب الجمل الأحمر.[١]

٢. عبد اللّه بن أُبيّ بن سلّول، كان من المبايعين تحت الشجرة في بيعة الرضوان (وإن كان منافقاً).

٣. الحرقوص بن زهير السعدي، شهد بيعة الرضوان وصار رأس الخوارج، وهو الذي قال للنبيّ: إعدل يا محمد!!

٤. حارث بن سويد بن الصامت، شهد بدراً لكنّه قتل المجذر بن زياد يوم أُحد لثأر جاهلي، فأمر النبيّ بقتل الحارث بالمجذر.

٥. العرنيون، الذين قتلهم النبي ﷺ جزاءً على فعلهم بقتل بعض الرعاة وسرقة الإبل، كانوا قد صحبوا قبل الحديبية.

---

١. صحيح مسلم: ٨ / ١٢٣، طبعة محمدعلي صبيح وأولاده.

٦. محلم بن جثامة، قال فيه النبي: «اللهم لا تغفر لمحلم بن جثامة» لأنّه قتل صحابياً متعمداً.

٧. مقيس بن صبابة، قتل نفساً مؤمنة فأهدر النبيّ دمه، فقتل في فتح مكة.

٨. عبد اللّٰه بن خطل، كان صحابياً ثمّ ارتد ولحق بمكة وقتل يوم فتحها.

٩. المغيرة بن شعبة، ساءت سيرته بعد النبي كما هو واضح.

١٠. مدعم، مولى النبي ﷺ الذي غلّ من غنائم خيبر.

١١. كركرة، مولى النبي غلّ من غنائم خيبر.

١٢. سمرة بن جندب، أساء السيرة بعد النبي فكان يبيع الخمر ويقتل البشر ويُرضي معاوية.

١٣. عبيد اللّٰه بن جحش الأسدي، كان من السابقين إلى الإسلام ومن مهاجرة الحبشة لكنّه تنصّر بالحبشة.

١٤. الحارث بن ربيعة بن الأسود القرشي، افتتن وارتد بمكة.

١٥. أبو قيس بن الوليد بن المغيرة، افتتن بمكة.

١٦. علي بن أمية بن خلف افتتن بمكة.

١٧. العاص بن منبه بن الحجاج، افتتن بمكة وقتل ببدر مع المشركين.[١]

أضف إلى ذلك: انّه كيف يمكن للذكر الحكيم أن يُثني على الأفراد التالية أسماؤهم:

١. معاوية بن أبي سفيان، ٢. الوليد بن عقبة(الفاسق بنصّ القرآن)، ٣. بُسر بن أبي أرطأة، ٤. أبو الأعور السلمي وغيرهم.

فهؤلاء حاربوا عليّاً وعماراً وعشرات البدريّين ومئات الرضوانيين الذين كانوا مع علي في خلافته، وشتموهم، فهؤلاء وأمثالهم خارجون عن الآيات المادحة على فرض شمولها لهم.

---

١ . وقد عقد الكاتب المعاصر حسن فرحان المالكي فصلاً تحت عنوان «أُناس لم يحسنوا الصحبة» وجاء فيه بأسماء ٧١ صحابياً اتّسموا بعدم حسن الصحبة، وقد أخذنا هذه الأسماء من تلك القائمة [لاحظ كتاب الصحبة والصحابة: ١٨٠ـ ١٨٤].

## ١٠

# ما هي الغاية من دراسة عدالة الصحابة؟

الغاية من دراسة عدالة الصحابة، نفس الغاية من دراسة عدالة التابعين ومن تلاهم من رواة القرون المتأخرة، والهدف في الجميع هي التعرف على الصالحين والطالحين، حتّى يتسنّى للدارس أخذ الدين عن الصلحاء ، والاجتناب عن الطالحين، فلو قام الرجل بدراسة أحوالهم لهذه الغاية، لما كان عليه لوم .

وبذلك يعلم ضعف ما رواه الخطيب بسنده عن أبي زرعة الرازي قال:

إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسو ل الله فاعلم أنّه زنديق، وذلك أنّ الرسول حقّ، والقرآن حقّ، وما جاء به حقّ، وإنّما أدّى إلينا ذلك كلّه الصحابة، وهؤلاء يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنّة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة.[١]

أقول: وقد صدر الرازي عن سوء الظن بإخيه المسلم ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾.

ولو قال مكان هذا القول: «إذا رأيت الرجل يتفحّص عن أحد من

---

١ . الإصابة: ١ / ١٧.

أصحاب الرسول لغاية العلم بصدقه أو كذبه، أو خيره أو شره، حتى يأخذ دينه عن الخيرة الصادقين، ويحترز عن الآخرين، فاعلم أنّه من جملة المحقّقين في الدين والمتحرين للحقيقة»، لكان أحسن وأولى بل هو الحسن والمتعيّن.

ومن غير الصحيح أن يتهم العالم أحداً، يريد التثبت في أُمور الدين، والتحقيق في مطالب الشريعة، بالزندقة وأنّه يريد جرح شهود المسلمين لإبطال الكتاب والسنّة، وما شهود المسلمين إلّا الآلاف المؤلّفة من أصحابه ﷺ فلا يضر بالكتاب والسنّة جرح لفيف منهم وتعديل قسم منهم، وليس الدين القيم قائماً بهذا الصنف من المجروحين. ما هكذا تورد يا سعد الإبل!!

# ١١

## هل قول الصحابي من مصادر التشريع؟

يعدُّ الأئمّة الثلاثة غير أبي حنيفة قولَ الصحابي من مصادر التشريع، وربّما ينقل عنه أيضاً خلافه، لكن المعروف انّه لا يعترف بحجية قول الصحابي. والمهم في المقام هو تحرير محل النزاع وتعيين موضوعه، فإنّه غير منقّح في كلامهم.

إنّ ظاهر العنوان ـ مذهب الصحابي من مصادر التشريع ـ هو انّ مذهبه من مصادره، في عرض الكتاب والسنّة والإجماع والعقل وغيرها وربما يعبّر عن مذهب الصحابي، بسنّته، الظاهرة في أنّ له سنّة، عرض سنّة النبي، فلو أُريد هذا فهو محجوج بما ذكره الغزالي حيث قال:

إنّ من يُجوَّز عليه الغلط والسهو،ولم تثبت عصمته عنه فلا حجّة في قوله، فكيف يحتج بقولهم مع جواز الخطأ؟ وكيف تدّعى عصمتهم من غير حجّة متواترة؟ وكيف يتصوّر قوم يجوز عليهم الاختلاف؟ وكيف يختلف المعصومان؟ كيف وقد اتّفقت الصحابة على جواز مخالفة الصحابة؟ فلم ينكر أبو بكر وعمر على من خالفهما بالاجتهاد، بل أوجبوا في مسائل الاجتهاد على كلّ مجتهد أن يتبع اجتهاد نفسه.[1]

---

١. المستصفى: ١ / ١٣٥.

وعلى ظاهر العنوان (مصادر التشريع) اعترض الشوكاني وقال: والحقّ أنّه ليس بحجّة، فإنّ اللّه سبحانه لم يبعث إلى هذه الأُمّة إلّا نبيّنا محمّداً ﷺ ، وليس لنا إلّا رسول واحد وكتاب واحد، وجميع الأُمّة مأمورة باتّباع كتابه وسنّة نبيّه ولا فرق بين الصحابة ومن بعدهم في ذلك، فكلّهم مكلّفون بالتكاليف الشرعية، وباتّباع الكتاب والسنّة، فمن قال: إنّه تقوم الحجّة في دين اللّه عزّ وجلّ بعد كتاب اللّه تعالى وسنّة رسوله ﷺ وما يرجع إليهما، فقد قال في دين اللّه بما لا يثبت.[1]

وعلى كل تقدير فالحجة هو كتاب الله العزيز وسنّة نبيه، وما اتّفق عليه المسلمون، أو ما دلّ عليه العقل الحصيف، وأمّا قول الصحابي غير المستند إلى الرسول، فليس بحجة قطعاً، وأمّا رأيه المستنبط من المصادر الشرعية فهو حجة له ولمقلّديه، وليس حجة على الآخرين، أعني: المجتهدين وغير المقلدين.

نعم هنا حقيقة مرّة، وهي انّ التأكيد على حجية قول الصحابي لأجل انّ حذفه من الفقه السنّي يوجب انهيار صرح البناء الفقهي الذي أشادوه، وتغيّر القسم الأعظم من فتاواهم، وحلول فتاوى أُخر محلّها ربما استتبع فقهاً جديداً لا أُنس لهم به.

---

١ . إرشاد الفحول: ٢١٤.

# ١٢

## هل رؤيا الصحابي من مصادر التشريع؟

قد تقدّم في الفصل الثاني انّ من مراتب التوحيد، هو التـوحيد فـي التشريع وانّه لا تشريع سوى تشـريعه سـبحانه ، وانّ النـبي الأعـظم هـو المبيّن، وعلى ضوء ذلك فليس قول الصحابي ولا سنّته ولا رأيه من مصادر التشريع مالم يكن مستنداً إلى قول الرسول وفعله وتقريره. وأسوأ من ذلك أن تكون رؤيا الصحابي مصدراً للتشريع، ومع الأسـف أنّ فـي الصـحاح والسنن روايات تحكي عن كون رؤيا الصحابي من مصادره نذكر مورداً واحداً على سبيل المثال.

اهتم النبي للصلاة كيف يجمع الناس لها؟ فقيل له: انصب راية عند حضور الصلاة، فإذا رأوها آذن بعضهم بعضاً، فلم يعجبه ذلك، قال: فذكر له القبع ـ يعني الشبور ـ قال زياد: شبور اليهود، فلم يُعجبه ذلك، وقال: هو من أمر اليهود.

قال: فذكر له الناقوس، فقال: هو من أمر النصارى.

فانصرف عبد اللّه بن زيد بن عبد ربّه وهو مهتم لهمّ رسول اللّه ﷺ فأُري الأذان في منامه، قال: فغدا على رسول اللّه ﷺ فأخبره، فقال له: يا رسول اللّه، إنّي لبين نائم ويقظـان، إذ أتاني آت فأراني الأذان.

قال: وكان عمر بن الخطاب قد رآه قبل ذلك، فكتمه عشرين يوماً، ثمّ

أخبر النبي به، قال ﷺ : ما منعك أن تخبرني؟ فقال: سبقني عبد الله بن زيد، فاستحييت.

فقال رسول الله: يا بلال قم فانظر ما يأمرك به عبد الله بن زيد فافعله، قال: فأذّن بلال، قال أبو بشر: فأخبرني أبو عمير انّ الأنصار تزعم أنّ عبد الله بن زيد لولا انّه كان يومئذٍ مريضاً لجعله رسول الله مؤذناً.(١)

إنّ هذه الرواية وما شاكلها لا تتفق مع مقام النبوة، لأنّه سبحانه بعث رسوله لإقامة الصلاة مع المؤمنين في أوقات مختلفة، وطبيعة الحال تستدعي أن يعلّمه سبحانه كيفية تحقّق هذه الأُمنية، فلا معنى لتحيّر النبي أياماً طويلة، وهو لا يدري كيف يحقّق المسؤولية الملقاة على عاتقه!!

إنّ الصلاة والصيام من الأُمور العبادية وليست من الأُمور الطبيعية العادية حتى يشاور النبي فيها أصحابه، أوليس من الوهن في أمر الدين أن تكون رؤيا وأحلام أشخاص عاديّين مصدراً لأمر عبادي في غاية الأهمية كالأذان والإقامة؟!

إنّ هذا يدفعنا إلى القول بأنّ الرؤيا كانت مصدراً للأذان أمر مكذوب ومجعول على الشريعة، وانّ الكذّابين المنتمين إلى بيت عبد الله بن زيد هم الذين أشاعوا هذه الأُكذوبة طلباً لعلو المنزلة والجاه.

---

١. سنن أبي داود: ١ / ١٣٤ ـ ١٣٥ برقم ٤٩٨ ـ ٤٩٩، تحقيق محمد محيي الدين. لاحظ سنن ابن ماجة: ١ / ٢٣٢ ـ ٢٣٣، باب بدء الأذان برقم ٧٠٦ ـ ٧٠٧؛ سنن الترمذي: ١ / ٣٥٨ باب ما جاء في بدء الأذان برقم ١٨٩.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

# الفصل العاشر

١. الوضوء وكيفية غسل الأيدي

٢. الأذان والإقامة

٣. قبض اليد اليسرى باليمنى بين البدعة والسنّة

٤. جزئية البسملة والجهر بها

٥. التأمين بعد الفاتحة

٦. القنوت في الركعة الثانية

٧. السجود على الأرض

٨. الجلوس بعد رفع الرأس من السجدة الثانية

٩. كيفية التشهد والتسليم

١٠. الجمع بين الصلاتين في الحضر اختياراً


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

# ١

# الوضوء وكيفية غسل الأيدي

إنّ آية الوضوء نزلت لتعليم الأُمّة كيفية الوضوء والتيمّم، والمخاطب بها جميع المسلمين عبْر القرون إلى يوم القيامة، ومثلها يجب أن تكون واضحة المعالم مبيّنة المراد، حتّى ينتفع بها القريب والبعيد والصحابي وغيره.

فالآية جديرة بالبحث من جانبين:

**الأوّل:** مسألة كيفية غسل اليدين، وأنّه هل يجب الغسل من أعلى إلى أسفل أو بالعكس؟

**الثاني:** حكم الأرجل من حيث المسح أو الغسل.

فلنعطف عنان القلم إلى البحث في الجانب الأوّل.

قال سبحانه: ﴿**يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِذا قُمْتُمْ إِلى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيدِيَكُمْ إِلى المَرافِقِ**﴾.[1]

---

١. المائدة: ٦.

اختلف الفقهاء في كيفية غسل اليدين، فأئمّة أهل البيت وشيعتهم، على أنّ الابتداء بالمرفقين إلى أطراف الأصابع وانّ هذه هي السنّة، وحجتهم على ذلك هو ظاهر الآية المتبادر عند العرف، فإنّ المتبادر في نظائر هذه التراكيب هو الابتداء من أعلى إلى أسفل، فمثلاً إذا قال الطبيب للمريض: اغسل رجلك بالماء الفاتر إلى الركبة، يتبع المريض ما هو المتداول في غسل الرجل عند العرف، وهو الغسل من أعلى إلى أسفل. أو إذا قال صاحب الدار للصبّاغ، أصبغ جدران هذه الغرفة إلى السقف، فيتبع الصبّاغ ما هو المألوف في صبغ الجدران من الأعلى إلى الأسفل ولا يدور بخلده، أو بخلد المريض من أنّ مالك الدار أو الطبيب استخدم لفظة «إلى» لبيان انتهاء غاية الصبغ والغسل عند السقف و الرجل بل يفهم بوضوح ان الغاية من استعمال لفظة «إلى» هو تحديد المقدار اللازم لهما.

فاذا كان هذا هو المفهوم في المثالين المذكورين فليكن الأمر كذلك في آية الوضوء حول غسل الأيدي، فإنّ الغاية من استعمال لفظة «إلى» هو بيان حد المغسول لا كيفية الغسل، لأنّها متروكة إلى ما هو المتّبع والمتداول في العرف، وهو ـ بلا ريب ـ يتبع الأسهل فالأسهل، وهو الابتداء من فوق إلى تحت .

نعم، إنّ أساس الاختلاف في الابتداء بالمرفقين إلى أُصول الأصابع أو بالعكس عندهم إنّما هو في تعيين متعلّق «إلى» في الآية الكريمة، فهل هو قيد «للأيدي» أي المغسول، أو قيد للفعل أعني: «واغسلوا»؟

فعلى الأوّل تكون الآية بمنزلة قولنا: «الأيدي إلى المرافق» يجب

غسلها، وإنّما جاء بالقيد لأنّ اليد مشترك تطلق على أُصول الأصابع والزند والمرفق إلى المنكب، ولما كان المغسول محدداً إلى المرافق قُيّدت اليد بقوله: «إلى المرافق»، ليفهم أنّ المغسول هو هذا المقدار المحدد من اليد ولولا اشتراك اليد بين المراتب المختلفة وانّ المغسول بعض المراتب لما جيء بلفظة «إلى» فالإتيان بها لأجل تحديد المقدار المغسول من اليد.

وعلى الثاني، أي إذا قلنا بكونه قيداً للأمر بالاغتسال، فربّما يوحي إلى ضرورة الابتداء من أُصول الأصابع إلى المرفقين، فكأنّه سبحانه قال: «الأيدي» اغسلوها إلى المرافق.

ولكن لا يخفى ما في هذا الإيحاء من غموض، لما عرفت من أنّ المتّبع في نظائر هذه الأمثلة ما هو المتعارف وهو الابتداء من الأعلى إلى الأسفل.

أضف إلى ذلك: أنّه لو سلمنا أنّ حرف الجر قيد للفعل، لا نسلم أنّه بمعنى «إلى» الذي هو لانتهاء الغاية، بل يحتمل أن يكون بمعنى «مع» أي الأيدي اغسلوها مع المرافق، وليس هذا بعزيز في القرآن والأدب العربي.

يقول سبحانه: ﴿وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوالَهُمْ إِلىٰ أَموالِكُمْ﴾.[1]

وقال سبحانه ـ حاكياً عن المسيح ـ: ﴿فَلَمّا أَحَسَّ عِيسى مِنْهُمُ الكُفْرَ قالَ مَنْ أَنْصاري إِلى اللّه﴾[2]، أي مع اللّه.

---

١. النساء: ٢.

٢. آل عمران: ٥٢.

وقوله سبحانه: ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾[١]، أي مع قوتكم.

ويقال في العرف: ولى فلان الكوفة إلى البصرة، أي مع البصرة، وليس في هذه الموارد من الغاية أثر.

وقال النابغة الذبياني:

ولا تتركني بالوعيد كأنّني إلى    الناس مطليّ به القار أجرب

أراد مع الناس أو عند الناس.

وقال ذو الرمة:

بها كلّ خوار إلى كل صولة    ورفعي المدا عار الترائب

وقال امرؤ القيس:

له كفل كالدعص لبّده الندى    إلى حارك مثل الغبيط المذأبّ

أراد مع حارك.[٢]

وعلى ضوء ذلك فليست «إلى» لبيان الغاية، بل لبيان الجزء الواجب من المغسول سواء أكان الغسل من الأعلى أو من الأسفل.

هذا والدليل القاطع على لزوم الابتداء من الأعلى إلى الأسفل هو لزوم اتّباع ما هو المألوف في أمثال المورد كما سلف.

---

١. هود: ٥٢.

٢. رسائل الشريف المرتضى: الرسالة الموصلية الثالثة: ٢١٣ـ ٢١٤.

وقد نقل أئمّة أهل البيت عليهم السلام وضوء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالنحو التالي:

أخرج الشيخ الطوسي بسنده عن بكير و زرارة بن أعين، أنّهما سألا أبا جعفر عن وضوء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فدعا بطست أو بتَوْر[1] فيه ماء، فغسل كفّيه، ثمّ غمس كفّه اليمنى في التور فغسل وجهه بها، واستعان بيده اليسرى بكفّه على غسل وجهه، ثمّ غمس كفّه اليسرى في الماء فاغترف بها من الماء فغسل يده اليمنى من المرفق إلى الأصابع لا يردّ الماء إلى المرفقين، ثمّ غمس كفّه اليمنى في الماء فاغترف بها من الماء فأفرغه على يده اليسرى من المرفق إلى الكفّ لا يردُّ الماء إلى المرفق كما صنع باليمنى، ثمّ مسح رأسه وقدميه إلى الكعبين بفضل كفّيه ولم يجدد ماء.[2]

## الوضوء ومسح الأرجل أو غسلها

قد تقدّم أنّ آية الوضوء جديرة بالبحث من جانبين: أحدهما: كيفية غسل الأيدي، والآخر حكم الأرجل من حيث المسح والغسل. وقد تقدّم البحث عن الجانب الأوّل، وإليك البحث عن الجانب الثاني فنقول:

قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا

---

١. التَوْر: إناء صغير.

٢. تهذيب الأحكام: ١ / ٥٩ برقم ١٥٨.

طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجوهِكُمْ وَأَيديكُمْ مِنْهُ ما يُريدُ اللّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلكِنْ يُريدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.[1]

الآية تشكّل إحدى آيات الأحكام التي تُستنبط منها الأحكام الشرعية العملية الراجعة إلى تنظيم أفعال المكلّفين فيما يرتبط بشؤون حياتهم الدينية والدنيوية.

وهذا القسم من الآيات يتمتع بوضوح التعبير، ونصوع الدلالة، فإنّ المخاطب فيها هو الجماهير المؤمنة التي ترغب في تطبيق سلوكها العملي عليها، وبذلك تفترق عن الآيات المتعلّقة بدقائق التوحيد ورقائق المعارف العقلية التي تُشدّ إليها أنظار المفكّرين المتضلّعين، خاصة فيما يرتبط بمسائل المبدأ والمعاد.

والإنسان إذا تأمّل في هذه الآيات ونظائرها من الآيات التي تتكفّل بيان وظيفة المسلم، كالقيام إلى الصلاة في أوقات خمسة، يجدها محكمةَ التعبير، ناصعةَ البيان، واضحةَ الدلالة، تخاطب المؤمنين كافّة لتُرسم لهم وظيفتهم عند القيام إلى الصلاة.

والخطاب ـ كما عرفت ـ يجب أن يكون بعيداً عن الغموض والتعقيد، وعن التقديم والتأخير، وعن تقدير جملة أو كلمة حتّى يقف على مضمونها عامة المسلمين على اختلاف مستوياتهم من غير فرق بين عالم بدقائق القواعد العربية وغير عالم بها.

---

١ . المائدة: ٦.

فمن حاول تفسير الآية على غير هذا النمط فقد غفل عن مكانة الآية ومنزلتها، كما أنّ من حاول تفسيرها على ضوء الفتاوى الفقهية لأئمّة الفقه فقد دخل من غير بابها.

نزل الروح الأمين بهذه الآية على قلب سيّد المرسلين، فتلاها على المؤمنين وفهموا واجبَهم تجاهها بوضوح، دون تردد، ودون أن يشوبها أيّ إبهام أو غموض، وإنّما دبّ الغموضُ فيها في عصرٍ تضارب الآراء وظهور الاجتهادات.

فمن قرأ الآية المباركة بإمعان يقول في قلبه ولسانه:

سبحانك اللهم ما أبلغ كلامَك وأفصح بيانَك، قد أوضحت الفريضةَ وبيّنت الوظيفةَ فيما يجب على المسلم فعلهُ قبل الصلاة، فقلت:

﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِذا قُمْتُمْ إِلى الصَّلاة﴾ .

ثمّ قلتَ مبيّناً لكيفية الوظيفة وانّها أمران:

أ. ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهكُمْ وَأَيديكُمْ إِلى المَرافِق﴾ .

ب. ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسكُمْ وَأَرجلكُمْ إِلى الكَعْبَين﴾ .

سبحانك ما أبقيت إجمالاً في كلامك، ولا إبهاماً في بيانك، فأوصدتَ باب الخلاف، وسددتَ باب الاعتساف بتوضيح الفريضة وبيانها.

سبحانك اللّهم إن كان كتابك العزيز هو المهيمن على الكتب السماوية كما قلت: ﴿وَأَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَديه مِنَ

الكِتابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ﴾[١] فهو مهيمن ـ بالقطع واليقين ـ على المـأثورات المرويّة عن النبي ﷺ وهي بين آمرة بغسل الأرجل و آمرة بمسحها.

فماذا نفعل مع هذه المأثورات المتناقضة المروية عمّن لا ينطق إلّا عن الوحي، ولا يناقض نفسه في كلامه؟

سبحانك لا محيص لنا إلّا الأخذ بما نادىٰ به كتابك العزيز وقرآنك المجيد وقد بيّنه في جملتين تعربان عن واقع الفريضة وأنّها تتألّف من غسلتين: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيدِيَكُمْ إِلَى الْمَرافِقِ﴾ .

كما تتألّف من مسحتين: ﴿فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرجُلَكُمْ إِلى الْكَعْبَين﴾ .

﴿أَفَغَيْرَ اللهِ أَبْتَغِي حَكَماً وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتابَ مُفَصَّلاً﴾.[٢]

## سبب الاختلاف

فإذا كانت بداية الاختلاف في عهد الخليفة الثالث، فهناك سؤال يطرح نفسه: ما هو سبب الاختلاف في أمر الوضوء بعد ما مضت قرابة عشرين سنة من رحيل الرسول ﷺ؟ فنقول: هناك وجوه واحتمالات:

### ١. اختلاف القراءة

ربما يتصوّر انّ مصدر الخلاف في ذلك العصر هو اختلاف القراءة

---

١ . المائدة: ٤٨.

٢ . الأنعام: ١١٤.

حيث إنّ القرّاء اختلفوا في إعراب «وأرجلكم» في قوله سبحانه: «فَامْسَحُوا بِرُءُوسكم وَأَرجلكم»، فمنهم من قرأ بالجرّ عطفاً على الرؤوس الذي يستلزم وجوب المسح على الأرجل، ومنهم من قرأ بالفتح عطفاً على «وجوهكم» في قوله: «فاغسلوا وجوهكم وأيديكم» الذي يستلزم الغسل.

إنّ هذا الوجه باطل جداً، فانّ العربي الصميم إذا قرأ الآية مجرّداً عن أي رأي مسبق لا يرضى بغير عطف الأرجل على الرؤوس، سواء أقرأ بالنصب أم بالجر، وأمّا عطفه على وجوهكم فلا يخطر بباله حتّى يكون مصدراً للخلاف.

فعلى من يبتغي تفسير الآية وفهم مدلولها، أن يجعل نفسه كأنّه الحاضر في عصر نزول الآية ويسمع كلام الله من فم الرسول ﷺ أو أصحابه، فما يفهمه عند ذاك حجة بينه و بين ربه، وليس له عند ذاك، الركون إلى الاحتمالات والوجوه المختلفة التي ظهرت بعد ذلك الوقت .

فلو عرضنا الآية على عربي بعيد عن الأجواء الفقهية، وعن اختلاف المسلمين في كيفية الوضوء وطلبنا منه تبيين ما فهمه لقال بوضوح:

إنّ الوضوء غسلتان و مسحتان دون أن يفكّر في أنّ الأرجل هل هي معطوفة على الرؤوس أو معطوفة على وجوهكم؟ فهو يدرك بأنّها تتضمّن جملتين صُرّح فيهما بحكمين:

بدئ في الجملة الأُولى: «فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق»

بغَسْل الوجوه ثمّ عطفت الأيدي عليها، فوجب لها من الحكم مثل حكم الوجوه لأجل العطف.

ثمّ بدئ في الجملة الثانية: ﴿وَامسحوا برءُوسكم وأرجلكم إلى الكَعبين﴾ بمسح الرؤوس ثمّ عطفت الأرجل عليها، فوجب أن يكون لها من الحكم مثل حكم الرؤوس لأجل العطف، والواو تدلّ على مشاركة مابعدها لما قبلها في الحكم.

والتفكيك بين حكم الرؤوس وحكم الأرجل لا يحتمله عربي صميم، بل يراه مخالفاً لظهور الآية.

## ٢. التمسّك بروايات الغسل المنسوخة

يظهر من غير واحد من الروايات أنّ غسل الرجلين كان سنّة أمر بها النبي ﷺ في فترة من عمره، ولمّا نزلت سورة المائدة وفيها آية الوضوء والأمر بمسح الأرجل مكان الغسل، أخذ ـ بعد فترة من الزمن ـ مَن لا يعرف الناسخ والمنسوخ بالسنّة المنسوخة، وأثار الخلاف غافلاً عن أنّ الواجب عليه الأخذ بالقرآن الناسخ للسنّة وفيه سورة المائدة التي هي آخر سورة نزلت على النبي ﷺ .

أخرج ابن جرير عن أنس قال: نزل القرآن بالمسح، والسنّة بالغسل.[١]

---

١. الدر المنثور: ٣ / ١.

ويريد من السنّة عمل النبي ﷺ قبل نزول القرآن، ومن المعلوم أنّ القرآن حاكم وناسخ.

وقال ابن عباس:أبى الناس إلّا الغسل، ولا أجد في كتاب اللّه إلّا المسح.[١]

وبهذا يمكن الجمع بين ما حكي من عمل النبي ﷺ من الغسل وبين ظهور الآية في المسح، وانّ الغسل كان قبل نزول الآية.

ونرى نظير ذلك في المسح على الخفّين، فقد روى حاتم بن إسماعيل، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن علي أنّه قال: «سبق الكتابُ الخفّين».[٢]

وروى عكرمة عن ابن عباس قال: سبق الكتاب الخفّين. ومعنى ذلك انّه لو صدر عن النبي ﷺ في فترة من عمره، المسح على الخفّين، فقد جاء الكتاب على خلافه ناسخاً له حيث قال: ﴿وَامسحوا برءُوسكم وأرجلكم﴾ أي امسحوا على البشرة لا على النعل ولا على الخفّ ولا الجورب.[٣]

### ٣. إشاعة الغسل من قبل السلطة

كان الحكام مصرّين على غسل الأرجل مكان المسح ويُلزمون

---

١. الدر المنثور: ٣ / ٤.

٢. مصنف ابن أبي شيبة: ١ / ٢١٣، باب من كان لا يرى المسح، الباب ٢١٧.

٣. مصنف ابن أبي شيبة: ١ / ٢١٣، باب من كان لا يرى المسح، الباب ٢١٧.

الناس على ذلك بدل المسح لخبث باطن القدمين، وبما انّ قسماً كثيراً منهم كانوا حفاة، فراق في أنفسهم تبديل المسح بالغسل، ويدلّ على ذلك بعض ما ورد في النصوص.

١. روى ابن جرير عن حميد، قال: قال موسى بن أنس ونحن عنده: يا أبا حمزة انّ الحجاج خطبنا بالأهواز ونحن معه وذكر الطهور، فقال: اغسلوا وجوهكم وأيديكم وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم، وانّه ليس شيء من ابن آدم أقرب من خبثه من قدميه، فاغسلوا بطونهما وظهورهما وعراقيبهما.

فقال أنس:صدق اللّه وكذب الحجاج قال اللّه تعالى: ﴿وامسحوا برءُوسكم وأرجلكم﴾ قال: وكان أنس إذا مسح قدميه بلّهما.[١]

٢. وممّا يعرب عن أنّ الدعاية الرسمية كانت تؤيد الغسل، وتؤاخذ من يقول بالمسح، حتّى أنّ القائلين به كانوا على حذر من إظهار عقيدتهم فلا يصرّحون بها إلاّ خفية، ما رواه أحمد بن حنبل بسنده عن أبي مالك الأشعري انّه قال لقومه: اجتمعوا أُصلّي بكم صلاة رسول اللّه ﷺ فلمّا اجتمعوا، قال: هل فيكم أحد غيركم؟ قالوا: لا، إلاّ ابن أُخت لنا، قال: ابن أُخت القوم منهم، فدعا بجفنة فيها ماء، فتوضأ ومضمض واستنشق وغسل وجهه ثلاثاً وذراعيه ثلاثاً ومسح برأسه وظهر قدميه، ثمّ صلّى.[٢]

---

١ . تفسير القرآن لابن كثير:٢/٢٥؛ تفسير القرآن للطبري:٦/٨٢

٢ . مسند أحمد:٥/٣٤٢؛ المعجم الكبير :٣/٢٨٠ برقم ٣٤١٢.

هذه وجوه ثلاثة يمكن أن يُبرّر بها الغَسْل مكان المسح مع دلالة الكتاب العزيز على المسح، والأقرب هو الثاني ثمّ الثالث.

**ما هو العامل في قوله: ﴿وأرجلكم﴾؟**

إنّ آية الوضوء هي الدليل المبرم على وجوب الوضوء وكيفيته، وهي آية واضحة نزلت لتبيين ما هو تكليف المصلّي قبل الصلاة، وطبيعة الحال تقتضي أن تكون آية واضحة المعالم، محكمة الدلالة، دون أن يكتنفها إجمال أو إبهام، قال سبحانه:

﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذا قُمْتُمْ إلى الصَّلاة﴾.

﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَ أَيديَكُمْ إلى المَرافِق﴾.

﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرجلَكُمْ إلى الكَعْبَين﴾.

وتعيين أحد القولين من مسح الرجلين أو غسلهما رهن تشخيص العامل في لفظة ﴿وأرجلكم﴾.

توضيحه:إنّ في الآية المباركة عاملين وفعلين كل يصلح في بدء النظر لأن يكون عاملاً في قوله: ﴿وأرجلكم﴾ إنّما الكلام في تعيين ما هو العامل حسب ما يستسيغه الذوق العربي؟

والعاملان هما:

فاغسلوا.

وامسحوا.

فلو قلنا: إنّ العامل هو الأوّل يجب غسلهما، ولو قلنا بأنّ العامل هو الثاني يجب مسحهما، فملاك إيجاب واحد منهما رهن تعيين العامل في «أرجلكم».

لا شكّ انّ الإمعان في الآية ، مع قطع النظر عن كلّ رأي مسبق وفعل رائج بين المسلمين، يُثبت انّ الثاني، أي ﴿وامسحوا﴾ هو العامل دون الأوّل البعيد.

وإن شئت قلت: إنّه معطوف على القريب، أي الرؤوس لا على البعيد، أعني: الوجوه، ونوضح ذلك بالمثال التالي:

لو سمعنا قائلاً يقول: أحب زيداً وعمراً ومررت بخالد وبكر من دون أن يُعرب «بكر» بالنصب أو الجرّ، نحكم بأنّ «بكر» معطوف على «خالد» و العامل فيه هو الفعل الثاني وليس معطوفاً على «عمرو»حتّى يكون العامل فيه هو الفعل الأوّل.

وقد ذكر علماء العربية أنّ العطف من حقّه أن يكون على الأقرب دون الأبعد، وهذا هو الأصل والعدول عنه يحتاج إلى قرينة موجودة في الكلام، وإلّا ربما يوجب اللّبس واشتباه المراد بغيره.

فلنفرض أنّ رئيساً قال لخادمه: أكرم زيداً وعمراً واضرب بكراً وخالداً، فهو يميز بين الجملتين ويرى أنّ «عمراً» عطف على «زيداً»، وأمّا «خالداً» فهو عطف على «بكراً»، ولا يدور بخلده خلاف ذلك.

قال الرازي: يجوز أن يكون عامل النصب في قوله ﴿أرجلكم﴾ هو

قوله : ﴿وامسحوا﴾ ويجوز أن يكون هو قوله ﴿فاغسلوا﴾ لكن العاملين إذا اجتمعا على معمول واحد كان إعمال الأقرب أولى، فوجب أن يكون عامل النصب في قوله: ﴿أرجلكم﴾ هو قوله: ﴿وامسحوا﴾.

فثبت انّ قوله: ﴿وأرجلكم﴾ بنصب اللام توجب المسح.[1]

فإذا كانت الحال كذلك ولا يجوز الخروج عن القواعد في الأمثلة العرفية، فأولى أن يكون كلام ربّ العزة كذلك.

وليس المثال منحصراً بما ذكرنا، بل بإمكانك الإدلاء بأمثلة مختلفة شريطة أن تكون مشابهة لما في الآية.

فلو إنّك عرضت الآية على أيّ عربيّ صميم يجرّد نفسه عن المذهب الذي يعتنقه، وسألته عن دلالة الآية يجيبك:

إنّ هناك أعضاءً يجب غسلها، وهي الوجوه والأيدي.

وأعضاءً يجب مسحها وهي الرؤوس والأرجل.

ولو أُلفت نظره إلى القواعد العربية تجده انّه لا يتردد انّ العامل في الرؤوس والأرجل شيء واحد وهو قوله: ﴿وامسحوا﴾ ولا يدور بخلده التفكيك بين الرؤوس والأرجل بأن يكون العامل في الرؤوس قوله: ﴿وامسحوا﴾ والعامل في قوله: ﴿وأرجلكم﴾ هو قوله: ﴿فاغسلوا﴾ .

فإذا اتّضحت دلالة الآية على واحد من المسح والغسل فلا نحتاج

---

١ . التفسير الكبير: ١١/١٦١.

إلى شيء آخر، فالموافق منه يؤكّد مضمون الآية، والمخالف يعالج بنحو من الطرق أفضلها انّها منسوخة بالكتاب.

## القراءتان والمسح على الأرجل

إنّ اختلاف القرّاء في لفظة: ﴿وأرجلكم﴾ بالفتح والجر لا يؤثر في دلالة الآية على وجوب المسح، فالقراءتان تنطبقان على ذلك القول بلا أي إشكال.

**توضيح ذلك:**

إنّه قرأ نافع وابن عامر وعاصم في رواية حفص عنه قوله: ﴿وأرجلكم﴾ بالنصب، وهذه هي القراءة المعروفة التي عليها المصاحف الرائجة في كلّ عصر وجيل.

وقرأ ابن كثير وحمزة وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر عنه بالجرّ.

ونحن نقول:إنّ القراءتين تنطبقان على القول بالمسح بلا تريّث وتردد.

أمّا الثاني أي قراءة الجر، فهو أقوى شاهد على أنّه معطوف على قوله: ﴿برءوسكم﴾ إذ ليس لقراءة الجرّ وجه سوى كونه معطوفاً على ما قبله. وعندئذٍ تكون الأرجل محكومة بالمسح بلا شك.

وأمّا قراءة النصب فالوجه فيه أنّه عطف على محل ﴿برءوسكم﴾ لأنّه

منصوب محلاً مفعول لقوله: ﴿وامسحوا﴾ وعندئذٍ تكون الأرجل أيضاً محكومة بالمسح فقط، والعطف على المحل أمر شائع في اللغة العربية، وقد ورد أيضاً في القرآن الكريم.

أمّا القرآن فقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِين وَرَسُولُه﴾ [١] فقراءة: ﴿ورسوله﴾ بالضم هي القراءة المعروفة الرائجة و لا وجه لرفعه إلّا كونه معطوفاً على محل اسم إنّ ، أعني: لفظ الجلالة في ﴿انّ اللّه﴾ لكونه مبتدأ.

وقد ملئت مسألةُ العطف على المحل كتبَ الأعاريب، فقد عقد ابن هشام باباً خاصاً للعطف على المحل وذكر شروطه.[٢]

وأمّا في الأدب العربي فحدِّث عنه ولا حرج، قال القائل:

معاوي انّنا بشر فاسجح ... فلسنا بالجبال ولا الحديدا

فقول: «ولا الحديدا» بالنصب عطف على محل «بالجبال»، لأنّها خبر ليس في قوله «فلسنا».

فخرجنا بالنتيجة التالية:

إنّ اختلاف القراءتين لا يؤثّر في تعيّن القول بالمسح، وسوف يوافيك دراسة القراءتين على القول بالغسل.

---

١ . التوبة:٣.

٢ . مغني اللبيب: الباب٤، مبحث العطف. قال: الثاني: العطف على المحل ثمّ ذكر شروطه.

ثمّ إنّ لفيفاً من أعلام السّنة صرحوا بدلالة الآية على المسح قائلين بأنّ قوله ﴿وأرجلكم﴾ معطوف على الأقرب لا الأبعد، وانّ العامل فيه هو ﴿وامسحوا﴾ ، ونذكر بعض تلك الكلمات:

١. قال ابن حزم: وأمّا قولنا في الرجلين، فانّ القرآن نزل بالمسح ، قال تعالى: ﴿وامسحوا برءُوسكم وأرجلكم﴾، وسواء قرئ بخفض اللام أو فتحها، فهي على كلّ حال عطف على الرؤوس امّا على اللفظ و إمّا على الموضع، ولا يجوز غير ذلك.[١]

وقال الرازي: أمّا القراءة بالجر فهي تقتضي كون الأرجل معطوفة على الرؤوس، فكما وجب المسح في الرأس فكذلك في الأرجل.

وأمّا القراءة بالنصب، فقالوا ـ أيضاً ـ انّها توجب المسح، وذلك لأنّ قوله ﴿وامسحوا برءُوسكم﴾ في محل النصب، ولكنّها مجرورة بالباء، فإذا عطف الأرجل على الرؤوس جاز في الأرجل النصب عطفاً على محل الرؤوس، والجر عطفاً على الظاهر، وهذا مذهب مشهور النحاة.[٢]

٢. وقال الشيخ السندي الحنفي ـ بعد ان جزم انّ ظاهر القرآن هو المسح ـ ما هذا لفظه: و إنّما كان المسح هو ظاهر القرآن، لأنّ قراءة الجر ظاهرة فيه، وقراءة النصب محمول على جعل العطف على المحل.[٣]

---

١ . المحلى:٢/٥٦.

٢ . التفسير الكبير:١١/١٦١.

٣. شرح سنن ابن ماجة:١/٨٨، قسم التعليقة.

ولعلّ هذا المقدار من النقول يكفي في تبيين انّ كلتا القراءتين تدعمان المسح فقط وتنطبقان عليه بلا إشكال.

## القراءتان وغسل الأرجل

قد عرفت أنّ اختلاف القراءة في قوله: ﴿وأرجلكم﴾ لا يؤثر في القول بمسح الرجلين، سواء أقرأنا قوله: ﴿وأرجلكم﴾ بالنصب أم قرأناه بالجر، فكلتا القراءتين تدعمان المسح وبالتالي العامل في قوله: ﴿أَرْجلكم﴾ هو قوله: ﴿وامسحوا﴾ و لفظة ﴿وأرجلكم﴾ معطوفة على ﴿برءُوسكم﴾ إمّا لفظاً أو محلاً.

إنّما الكلام في إمكانية تطبيق القول بالغسل على القراءتين المعروفتين ومقدار انسجامه معهما والقواعد العربية. وسيتضح من خلاله انّ فرض الغسل على الآية خرق واضح للقواعد العربية، وإليك البيان:

## الغسل وقراءة النصب

فلو قلنا بدلالة الآية على غسل الأرجل، فلا محيص من أن يكون العامل هو قوله في الجملة المتقدّمة ﴿فاغسلوا﴾ وأن يكون معطوفاً على قوله: ﴿وجوهَكم﴾ وهذا يستلزم الفصل بين المعطوف ﴿وأرجلكم ﴾ و المعطوف عليه ﴿وجوهكم﴾ بجملة أجنبية وهي ﴿وامسحوا برءُوسكم﴾ مع أنّه لا يفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بمفرد فضلاً عن جملة أجنبية، ولم يُسمع في كلام العرب الفصيح قائل يقول:«ضربت زيداً» و «مررت بيكر وعمراً» بعطف «عمراً» على «زيداً».

١. قال ابن حزم: لا يجوز عطف أرجلكم على وجوهكم، لأنّه لا يجوز أن يحال بين المعطوف والمعطوف عليه بقضية مبتدئة.[١]

٢. وقال أبو حيان: ومن ذهب إلى أنّ قراءة النصب في ﴿وأرجلكم﴾ عطف على قوله: ﴿فاغسلوا وجوهكم وأيديكم﴾ وفصل بينهما بهذه الجملة التي هي قوله: ﴿وامسحوا برءُوسكم﴾ فهو بعيد، لأنّ فيه الفصل بين المتعاطفين بجملة إنشائية.[٢]

٣. وقال الشيخ الحلبي في تفسير الآية: نصب ﴿وأرجلكم﴾ على المحل وجرها على اللفظ، ولا يجوز أن يكون النصب للعطف على وجوهكم، لامتناع العطف على وجوهكم للفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بجملة أجنبية هي ﴿وامسحوا برءُوسكم﴾ والأصل أن لا يفصل بينهما بمفرد فضلاً عن الجملة، ولم يسمع في الفصيح نحو ضربت زيداً ومررت ببكر وعمراً بعطف عمراً على زيد.[٣]

٤. وقال الشيخ السندي: وحمل قراءة النصب بالعطف على المحل أقرب لاطّراد العطف على المحل، وأيضاً فيه خلوص عن الفصل بالأجنبي بين المعطوف والمعطوف عليه، فصار ظاهر القرآن هو المسح.[٤]

إلى غير ذلك من الكلمات التي تصرح بأنّ قراءة النصب واستفادة

---

١. المحلى:٢/٥٦.

٢. تفسير النهر الماد:١/٥٥٨.

٣. غنية المتملي في شرح منية المصلي المعروف بالحلبي الكبير:١٦.

٤. شرح سنن ابن ماجة:١/٨٨.

الغسل يتوقّف على خرق قاعدة نحوية، وهي الفصل بين المعطوف و المعطوف عليه بجملة أجنبية.

## الغسل وقراءة الجر

إنّ القائلين بغسل الأرجل برّروا قراءة النصب بوجه قد عرفت ضعفه وعدم انسجامه مع القواعد العربية، ولكنّهم لمّا وقفوا على قراءة الجرّ وانّها تدلّ على المسح دون الغَسْل حاروا في تبريرها وتوجيهها مع القول بالغسل، فانّ قراءة الجر صريحة في أنّ لفظة ﴿وأرجلكم﴾ معطوفة على ﴿برءُوسكم﴾ فيكون حكمها حكم الرؤوس، وعند ذلك مالوا يميناً ويساراً حتّى يجدوا لقراءة الخفض مع القول بالغَسل مبرّراً، وليس هو إلّا القول بالجرّ بالجوار.

وحاصله: انّ قوله ﴿وأرجلكم﴾ محكوم حسب القواعد بالنصب لكونها معطوفة على قوله: ﴿وجوهكم﴾، ولكنّه اكتسب اعراب الجرّ من قوله: ﴿برءُوسكم﴾ لأجل وقوعه في جنب لفظ مجرور، وهذا ما يقال له: «الجرّ بالجوار» وهو ترك اللفظ إعرابه الطبيعي واكتساب إعراب اللفظ المجاور معه، وقد مثلوا له بقولهم: «جحر ضبٍّ خربٍ»، فإنّ قوله: «خربٍ» خبر لقوله: «جحر» ولكنّه قرأ بالجرّ لوقوعه في جنب كلمة «ضبٍّ» حيث إنّه مجرور باعتبار كونه مضافاً إليه.

وبما انّ الجرّ بالجوار إمّا غير واقع في فصيح اللغة، وعلى فرض وقوعه فله شروط مفقودة في المقام، نعقد لبيان الموضوع البحث التالي.

## الجر بالجوار صحة وشرطاً

لما كان القائلون بغسل الأرجل يفسّرون قراءة الجرّ بالجوار، تـذكر كلمات أعلام الأُدباء في المقام ليُعلم مدى صحّة الجرّ بـالجوار، و عـلى فرض صحّته ما هي شروطه؟

١.قال الزجاج: ربما يقال: ﴿وأرجلكم﴾ مـجرور لأجـل الجـوار، أي لوقوعه في جنب الرؤوس المجرورة، نظير قول القائل: جُحر ضب خرب، فإن «خرب» خبر «لجحر» فيجب أن يكون مرفوعاً، لكـنّه صـار مـجروراً لأجل الجوار.

هذا، ثمّ ردَّ عليـه بقوله: وهـو غير صحيح، لاتّفـاق أهل العربية عـلى أنّ الإعراب بالمجاورة شاذ نـادر، ومـا هـذا سبيله لا يجوز حمل القـرآن عليه من غيـر ضرورة يُلجـأ إليهـا.[١]

٢.قال علاء الدين البغدادي في تفسيره المسمّى بالخازن: وأمّا مـن جعل كسر اللام في «الأرجل» على مجاورة اللفظ دون الحكـم. واسـتدل بقولهم: «جحر ضب خرب» و قال: الخرب نعت للجحر لا الضب، وإنّما أخذ إعراب الضب للمجاورة فليس بجيّد لوجهين:

أ. لأنّ الكسر على المجاورة إنّما يحمل لأجل الضرورة في الشعر، أو يصار إليه حيث يحصل الأمن من الالتباس، لأنّ الخـرب لا يكـون نـعتاً للضب بل للجحر.

---

١. معاني القرآن وإعرابه: ٢ / ١٥٣.

ب. ولأنّ الكسر بالجوار إنّما يكون بدون واو العطف، امّا مع حرف العطف فلم تتكلم به العرب.[1]

٣. أنكر السيرافي وابن جنّي الخفض على الجوار وتأوّلا قولهم «خرب» بالجر على أنّه صفة للضب، و من أراد التفصيل فليرجع إلى المغني.[2]

٤. قال ابن هشام: ولا يكون الجر بالجوار في النسق، لأنّ العاطف يمنع التجاور.[3]

ويتلخّص من هذه الكلمات التي نقلناها بالإيجاز الأُمور التالية:

**أوّلاً**: أنّ الخفض بالجوار لم يثبت في الكلام الفصيح.

**ثانياً**: أنّ الخفض بالجوار على فرض ثبوته إمّا لضرورة الشعر أو لأجل استحسان الطبع المماثلةَ بين اللفظين المتجاورين، وكلّ من الوجهين منتفيان في المورد، فليس هنا ضرورة شعرية ولا استحسان الطبع في إخلاء لفظ ﴿وأرجلكم﴾ من إعرابه الواقعي واكتسابه إعراب جاره.

**ثالثاً**: أنّ العطف بالجوار إنّما يجوز فيما إذا يؤمن عن الاشتباه كما في المثل المعروف، فإنّ «خرب» وصف للجحر لا للضبّ وان جرّ ، بخلاف المقام فانّ قراءة الجرّ تورث الاشتباه، فلو كان الأرجل في الواقع محكومة

---

١ . تفسير الخازن:١٦٧/٢.

٢ . مغني اللبيب، الباب الثامن، القاعدة الثانية،٣٥٩.

٣ . مغني اللبيب، الباب الثامن، القاعدة الثانية،٣٥٩.

بالغسل، فالجرّ بالجوار يوهم كون الأرجل محكومة بالمسح وانّها معطوفة على الرؤوس من دون أن يلتفت المخاطبُ إلى أنّ الجرّ للجوار فلا داعي لارتكاب هذا النوع من الخفض الذي يضاد بظاهره مراد القائل.

ورابعاً: لم يثبت الجر بالجوار إلّا في الوصف والبدل وأمثالهما لا في المعطوف كما في الآية .

وظهر من هذا البحث الضافي انّ القول بالمسح ينطبق على كلتا القراءتين بلا أدنى تأويل وحرج، وهذا بخلاف القول بالغسل فانّه لا ينسجم لا مع قراءة النصب ولا مع قراءة الجرّ.

## المسح على الأرجل في الأحاديث النبوية

قد تعرّفت ـ من دلالة الآية ـ على أنّ الفرض في مورد الأرجل هو المسح، وبما انّ الآية نزلت في أُخريات حياة النبي ولم تنسخ بعد فهي بنفسها كافية في الدلالة على المقصود.

غير انّنا تعزيزاً للمطلب نذكر ما روي عن النبي ﷺ وأصحابه من لزوم المسح على الأرجل، ونقتصر في ذلك بالمتون مع تجريد الأسانيد، لأنّ الكتاب لا يسع لذكرها.

## ما روي عن رسول الله ﷺ حول مسح الأرجل

١. عن بسر بن سعيد قال: أتى عثمان المقاعد فدعا بوضوء فتمضمض واستنشق ثمّ غسل وجهه ثلاثاً ويديه ثلاثاً ثلاثاً ومسح برأسه

ورجليه ثلاثاً ثلاثاً، ثمّ قال: رأيت رسول اللّه ﷺ هكذا توضّأ، يا هؤلاء أكذلك؟ قالوا: نعم، لنفر من أصحاب رسول اللّه ﷺ عنده.(١)

٢. عن حمران قال: دعا عثمان بماء فتوضّأ ثمّ ضحك، ثمّ قال: ألا تسألوني ممّ أضحك؟ قالوا: يا أمير المؤمنين ما أضحكك؟ قال: رأيت رسول اللّه ﷺ توضّأ كما توضّأت، فتمضمض واستنشق وغسل وجهه ثلاثاً ويديه ثلاثاً ومسح برأسه وظهر قدميه.(٢)

٣. وفي مسند عبداللّه بن زيد المازني انّ النبي ﷺ توضّأ فغسل وجهه ثلاثاً ويديه مرتين ومسح رأسه ورجليه مرتين.(٣)

٤. عن أبي مطر قال: بينما نحن جلوس مع علي في المسجد، جاء رجل إلى علي وقال: أرني وضوء رسول اللّه ﷺ فدعا قنبر، فقال: ائتني بكوز من ماء فغسل يديه ووجهه ثلاثاً، فأدخل بعض أصابعه في فيه واستنشق ثلاثاً، وغسل ذراعيه ثلاثاً ومسح رأسه واحدة ورجليه إلى الكعبين ولحيته تهطل على صدره ثمّ حسا حسوة بعد الوضوء ثمّ قال: أين السائل عن وضوء رسول اللّه ﷺ، كذا كان وضوء رسول اللّه ﷺ.(٤)

٥. عن عباد بن تميم، عن أبيه، قال: رأيت رسول اللّه ﷺ

---

١. مسند أحمد: ١/١٠٩، الحديث ٤٨٩.

٢. كنز العمال: ٩/٤٣٦، الحديث ٢٦٨٦٣.

٣. كنز العمال: ٩/٤٥١، الحديث ٢٦٩٢٢.

٤. كنز العمال: ٩/٤٤٨ برقم ٢٦٩٠٨.

توضّأ ومسح بالماء على لحيته ورجليه.(١)

٦. عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: كنت أرى أنّ باطن القدمين أحق بالمسح من ظاهرهما حتى رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمسح ظاهرهما.(٢)

٧. عن رفاعة بن رافع انّه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إنّه لا يجوز صلاة أحدكم حتى يسبغ الوضوء كما أمره الله عزّوجلّ، ثمّ يغسل وجهه ويديه إلى المرفقين، ويمسح رأسه ورجليه إلى الكعبين».(٣)

٨. ما روي عن عبد الله بن عمرو، قال: تخلّف عنّا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سفرة سافرناها، فأدركنا وقد أرهقتنا الصلاة ونحن نتوضّأ فجعلنا نمسح على أرجلنا، فنادى بأعلى صوته: «ويل للأعقاب من النار» مرتين أو ثلاثاً.(٤)

٩. عن أبي مالك الأشعري انّه قال لقومه: اجتمعوا أُصلّي بكم صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلمّا اجتمعوا قال: هل فيكم أحد غيركم؟ قالوا: لا، إلّا ابن أُخت لنا، قال: ابن أُخت القوم منهم، فدعا بجفنة فيها ماء، فتوضّأ ومضمض واستنشق، وغسل وجهه ثلاثاً وذراعيه ثلاثاً، ومسح برأسه وظهر قدميه، ثمّ صلّى بهم فكبر بهم اثنتين وعشرين تكبيرة.(٥)

---

١. كنز العمال: ٤٢٩/٩ برقم ٢٦٨٢٢.

٢. مسند أحمد: ١٥٣/١ برقم ٧٣٩ و ص ١٨٣ برقم ٩١.

٣. سنن ابن ماجة: ١٥٦/١، حديث ٤٦٠؛ سنن النسائي: ٢٢٦/٢.

٤. صحيح البخاري: ٢٣/١، باب من رفع صوته بالعلم من كتاب العلم، الحديث ١.

٥. مسند أحمد: ٣٤٢/٥.

١٠. عن عباد بن تميم المازني، عن أبيه أنّه قال: رأيت رسول الله ﷺ يتوضّأ ويمسح الماء على رجليه.(١)

١١. عن أوس بن أبي أوس الثقفي انّه رأى النبي ﷺ أتى كظامة قوم بالطائف، فتوضّأ ومسح على قدميه.(٢)

١٢. عن رفاعة بن رافع قال: كنت جالساً عند رسول اللّه ﷺ إذ جاءه رجل فدخل المسجد، فصلّى فلمّا قضى الصلاة جاء فسلم على رسول اللّه ﷺ وعلى القوم، فقال رسول اللّه ﷺ : «ارجع فصلّ فانّك لم تصل» وجعل الرجل يصلّي، وجعلنا نرمق صلاته لا ندري ما يعيب منها، فلمّا جاء فسلم على النبي ﷺ وعلى القوم قال له النبي ﷺ : «وعليك ارجع فصلّ فانّك لم تصل».

قال همام: فلا ندري أمره بذلك مرتين أو ثلاثاً، فقال له الرجل: ما أدري ماعبت من صلاتي؟

فقال رسول اللّه ﷺ : إنّه لا تتم صلاة أحدكم حتّى يسبغ الوضوء كما أمره اللّه، فيغسل وجهه ويديه إلى المرفقين، ويمسح برأسه ورجليه إلى الكعبين، ثمّ يكبر اللّه تعالى ويثني عليه، ثمّ يقرأ أُمّ القرآن وما أذن له فيه ويسر، ثمّ يكبر فيركع فيضع كفيه على ركبتيه حتّى تطمئن مفاصله، ويسترخي ثمّ يقول:

---

١ . سنن ابن ماجة: ١، الحديث ٤٦٠.

٢ . تفسير الطبري: ٦/٨٦؛ المعجم الكبير: ١/٢٢١ برقم ٦٠٣.

سمع اللّه لمن حمده، ويستوي قائماً حتّى يقيم صلبه ويأخذ كلّ عظم مأخذه، ثمّ يكبر فيسجد فيمكن وجهه. قال همام: وربما قال جبهته من الأرض حتّى تطمئن مفاصله ويسترخي، ثمّ يكبر فيستوي قاعداً على مقعده ويقيم صلبه، فوصف الصلاة هكذا أربع ركعات حتّى فرغ، ثمّ قال: لا يتم صلاة أحدكم حتّى يفعل ذلك.(١)

١٣. عن ابن عباس انّه قال: ذكر المسح على القدمين عند عمر وسعد وعبد اللّه بن عمر فقال عمر بن الخطاب: سعد أفقه منك، فقال عمر: يا سعد انّا لا ننكر انّ رسول اللّه ﷺ مسح ـ أي على القدمين ـ ولكن هل مسح منذ أنزلت سورة المائدة فانّها أحكمت كل شيء وكانت آخر سورة من القرآن إلا براءة.(٢)

١٤. عن عروة بن الزبير انّ جبرئيل ﷺ لمّا نزل على النبي ﷺ في أوّل البعثة فتح بالإعجاز عيناً من ماء فتوضأ ومحمد ﷺ ينظر إليه فغسل وجهه ويديه إلى المرفقين ومسح برأسه ورجليه إلى الكعبين، ففعل النبي محمد ﷺ كما رأى جبرئيل يفعل.(٣)

١٥. روى عبد الرحمن بن جبير بن نفير، عن أبيه أنّ أبا جبير قدم على النبي ﷺ مع ابنته التي تزوّجها رسول اللّه، فدعا رسول اللّه بوضوء

---

١. المستدرك للحاكم: ٢٤١/١.

٢. الدر المنثور: ٢٩/٣.

٣. الخصائص الكبرى: ٩٤/١.

فغسل يديه فأنقاهما، ثمّ مضمض فاه واستنشق بماء، ثمّ غسل وجهه ويديه إلى المرفقين ثلاثاً، ثمّ مسح رأسه ورجليه.[1]

إلى هنا تمّ ما عثرنا عليه من الروايات عن النبي الأكرم ﷺ على وجه عابر، وهي تدلّ على أنّ قول النبي وفعله كان على المسح لا الغسل.

## ما حكي عن الصحابة والتابعين حول مسح الأرجل

١٦. حدث سفيان قال: رأيت علياً ؑ توضّأ فمسح ظهورهما.[2]

١٧. عن حمران انّه قال: رأيت عثمان دعا بماء غسل، فغسل كفيه ثلاثاً ومضمض واستنشق وغسل وجهه ثلاثاً وذراعيه ثلاثاً ومسح برأسه وظهر قدميه.[3]

١٨. عن عاصم الأحول، عن أنس قال: نزل القرآن بالمسح والسنّة بالغسل. وهذا اسناد صحيح.[4]

١٩. عن عكرمة، عن ابن عباس قال: الوضوء غسلتان ومسحتان.

٢٠. عن عبد الله العتكي، عن عكرمة قال: ليس على الرجلين غسل انّما نزل فيهما المسح .

---

١ . أسد الغابة:١٥٦/٥.

٢ . مسند أحمد:٢٠٠/١، الحديث ١٠١٨.

٣ . كنز العمال:١٠٦/٥.

٤ . الأحاديث ١٨ـ ٢٦ ، كلّها منقولة من تفسير الطبري:٨٢/٦.

٢١. عن جابر، عن أبي جعفر الباقر ﷺ قال: امسح على رأسك وقدميك.

٢٢. عن ابن علية بن داود، عن عامر الشعبي انّه قال: إنّما هو المسح على الرجلين ألا ترى أنّ ما كان عليه الغسل جُعِلَ عليه المسح وما كان عليه المسح أُهمِل (في التيمّم).

٢٣. عن عامر الشعبي، قال: أُمر أن يمسح في التيمّم ما أُمر أن يغسل في الوضوء، وأبطل ما أمر أن يُمسح في الوضوء: الرأس والرجلان.

٢٤. عن عامر الشعبي قال: أُمر أن يُمْسح بالصعيد في التيمّم، ما أمر أن يُغسل بالماء، وأهمل ما أمر أن يمسح بالماء.

٢٥. عن يونس قال: حدثني من صحب عكرمة إلى واسط قال: فما رأيته غسل رجليه، إنّما يمسح عليهما حتّى خرج منها.

٢٦. عن قتادة في تفسير قوله سبحانه: ﴿فاغْسِلُوا وُجوهكُمْ وَأيديكُمْ إلى الْمَرافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسكُمْ وَأَرجُلكُمْ إلى الكَعْبَين﴾ افترض اللّه غسلتين ومسحتين.

٢٧. قال موسى بن أنس لأبي حمزة: إنّ الحجاج خطبنا بالأهواز ونحن معه، فذكر الطهور فقال: اغسلوا وجوهكم وأيديكم وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم، وأنّه ليس شيء من ابن آدم أقرب من خبثه من قدميه، فاغسلوا بطونهما وظهورهما وعراقيبهما، فقال أنس: صدق اللّه وكذب الحجاج، قال اللّه تعالى:

﴿وَامسَحُوا بِرُءُوسكُمْ وَأَرجُلكُمْ﴾.

قال: وكان أنس إذا مسح قدميه بلّها.

قال ابن كثير: اسناده صحيح إليه.[١]

٢٨. عن الشعبي قال : نزل جبرئيل بالمسح، ثمّ قال الشعبي: ألا ترى أنّ التيمّم أن يمسح ما كان غسل ويلغى ما كان مسحاً.[٢]

٢٩. عن إسماعيل قلت لعامر الشعبي: إنّ أُناساً يقولون إنّ جبرئيل نزل بغسل الرجلين؟ فقال: نزل جبرئيل بالمسح.[٣]

٣٠. عن النزال بن سبرة انّ علياً دعا بماء فتوضأ ثمّ مسح على نعليه وقدميه، ثمّ دخل المسجد فخلع نعليه ثمّ صلّى.[٤]

٣١. عن أبي ظبيان قال: رأيت علياً وعليه إزار أصفر وخميصة وفي يده عنزة أتى حائط السجن، ثم تنحى فتوضأ ومسح على نعليه وقدميه ثمّ دخل المسجد، فخلع نعليه ثمّ صلّى.[٥]

هذا غيض من فيض، وقليل من كثير، فمن تفحّص المسانيد والصحاح ومجامع الآثار يقف على أكثر ممّا وقفنا عليه على وجه عابر.

﴿أُولئِكَ الَّذِينَ هَدى اللهُ فَبِهُداهُمُ اقْتَدِه﴾.[٦]

---

١ . جامع البيان:٨٢/٦؛ محاسن التأويل:١١١/٦؛ تفسير القرآن العظيم:٢٧/٢.

٢ . تفسير القرآن العظيم:٢٧/٢.

٣ . تفسير القرآن العظيم:٢٥/٢.

٤ . كنز العمال:٤٣٥/٩برقم٢٦٨٥٦.

٥ . كنز العمال:١٢٦/٥.

٦ . الأنعام:٩٠.

## ٢

# الأذان والإقامة

الأذان لغة الإعلام، وشرعاً الإعلام بأوقات الصلاة بألفاظ خاصة، وقد شُرّع في السنة الأُولى من الهجرة النبوية في المدينة المنورة.

وتختلف الشيعة الإمامية مع أهل السنّة في مسألة الأذان والإقامة في الأُمور التالية:

١. كيفية تشريع الأذان.

٢. فصول الأذان والإقامة عدداً.

٣. جزئية حي على خير العمل للأذان.

٤. حكم التثويب في الأذان .

وإليك دراسة الجميع واحداً بعد الآخر بشكل موجز.

### الأوّل: كيفية تشريع الأذان

اتفقت الشيعة الإمامية ـ تبعاً للنصوص المتضافرة من أئمة أهل البيت ـ على أنّ الأذان ـ ومثله الإقامة ـ من صميم الدين ومن شعائره، أنزله اللّه سبحانه على قلب سيّد المرسلين، وأنّ اللّه الذي فرض الصلاة، هو الذي فرض الأذان، وأنّ منشئ الجميع واحد، ولم يشارك في تشريعه أيّ ابـن

أُنثى، لا في اليقظـة ولا في المنام. ففي جميع فصوله من التكبير إلى التهليل مسحة إلٰهية، وعذوبة وإخلاص، وسـموّ الـمعنى وفـخامته، تـثير شـعور الإنسان إلى مفاهيم أرقى، وأعلى وأنبل ممّا في عقول الناس. ولو حاولت يد التشريع الانساني أن تضيف فصلاً إلى فصوله أو تقحم جملة في جُمله لأصبح المضاف كالحصى بين الدرر والدراري.

والفصل الأول من فصوله يشهد على أنّه سبحانه أكبر من كل شيء وبالتالي: أقدر وأعظم، وأنّ غيره من الموجودات وإن بلغ من العظمة ما بلغ، ضئيل وصغير عنده خاضع لمشيئته.

والفصل الثاني يشهد على أنّه سبحانه هو الإلٰه في صفحة الوجـود وأنّ ما سواه سراب ما أنزل اللّٰه به من سلطان.

وثالث الفصول، يشهد على أنّ محمّداً ﷺ رسوله، الذي بعثه لإبلاغ رسالاته وإنجاز دعوته.

ففي نهاية ذلك الفصل يتبدّل إعلانه من الشـهادة، إلى الدعـوة إلى الصلاة التي فرضها والتي بها يتّصل الإنسان بعالم الغـيب، وفـيها يـمتزج خشوعه، بعظمة الخالق، ثمّ الدعوة إلى الفلاح والنجاح، وخير العمل [١] التي تنطوي عليها الصلاة.

وفي نهاية الدعوة إلى الفلاح وخير العمل، يـعود ويـذكر الحـقيقة

---

١. سيأتي أنّه من فصول الأذان أُسقط منها لغاية خاصة.

الأبدية التي صرّح بها في أوليات فصوله ويقول: اللّٰه أكبر ، اللّٰه أكبر، لا إلٰه إلّا الله، لا إلٰه إلّا الله.

هذه هي حقيقة الأذان وصورته، والجميع سبيكة واحدة أفرغتها يد التشريع السماوي في قالب جملٍ، تحكي عن حقائق أبدية، تصدّ الإنسان عن الانكباب في شواغل الدنيا وملاذّها.

فإذا كانت هذه حقيقة الأذان فهو في الحقيقة عرض لأُصول العقائد، فيتعيّن أن يكون مصدره هو الوحي الإلهي، ولذلك اتّفق أئمّة أهل البيت عليهم السلام على أنّ اللّٰه سبحانه هو المشرّع للأذان، وانّه هبط به جبرئيل وعلّمه رسول اللّٰه وهو علّمه بلالاً ، ولم يشارك في تشريعه أحد. وهذا عندهم من الاُمور المسلّمة، ونذكر بعض ما أثر عنهم:

١ـ روى ثقة الإسلام الكليني بسند صحيح عن زرارة و الفضيل، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: لمّا أُسري برسول اللّٰه صلى الله عليه وآله وسلم إلى السماء فبلغ البيت المعمور، وحضرت الصلاة، فأذّن جبرئيل عليه السلام وأقام فتقدم رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله وسلم وصفّت الملائكة والنبيون خلف محمّد صلى الله عليه وآله وسلم .

٢ـ روى أيضاً بسند صحيح عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «لمّا هبط جبرئيل بالأذان على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان رأسه في حجر علي عليه السلام فأذّن جبرئيل وأقام [1]، فلمّا انتبه رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله وسلم قال: علي سمعت؟ قال:

---

١ . لا منافاة بين الروايتين وكم نزل أمين الوحي بآية واحدة مرّتين، والغاية من التأذين في الأوّل غيرها في الثاني كما هو واضح لمن تدبّر.

نعم [١] قال: حفظتَ؟ قال: نعم .قال: ادع لي بلالاً، فدعا علي عليه السلام بلالاً فعلّمه.

٣ـ روى أيضاً بسند صحيح أو حسن عن عمر بن أذينة عن الصادق عليه السلام قال: «تروي هؤلاء؟» فقلت: جعلت فداك في ماذا؟ فقال: «في أذانهم» ... فقلت: إنّهم يقولون إنّ أُبيّ بن كعب رآه في النوم. فقال: «كذبوا فإنّ دين الله أعزّ من أن يرى في النوم». قال: فقال له سدير الصيرفي: جعلت فداك فأحدث لنا من ذلك ذكراً. فقال أبو عبد الله (الصادق) : «إنّ الله تعالى لمّا عرج بنبيه صلى الله عليه وآله وسلم إلى سماواته السبع» إلى آخره [٢].

٤ـ وروى محمد بن مكي الشهيد في «الذكرى» عن فقيه الشيعة في أوائل القرن الرابع ـ أعني: ابن أبي عقيل العماني ـ أنّه روى عن الإمام الصادق: أنّه لعن قوماً زعموا أنّ النبيّ أخذ الأذان من عبد الله بن زيد [٣] فقال: «ينزل الوحي على نبيكم فتزعمون أنّه أخذ الأذان من عبد الله بن زيد»[٤].

---

١ . كان علي عليه السلام محدَّثاً وهو يسمع كلام الملك. لاحظ صحيح البخاري وشرحه: إرشاد الساري: ٩٩/٦ وغيره بباب رجال يُكلّمون من غير أن يكونوا أنبياء ... روى عن النبيّ أنّه قال: لقد كان فيمن قبلكم من بني إسرائيل ...

٢ . الكافي: ٣ / ٣٠٢، باب بدء الأذان، الحديث ١ـ ٢ ؛ وباب النوادر ص ٤٨٢، الحديث ١. وسيأتي أنّه ادّعى رؤية الأذان في النوم ما يقرب من أربعة عشر رجلاً.

٣ . سيوافيك نقله عن السنن.

٤ . وسائل الشيعة: ٤ / ٦١٢، الباب الأوّل من أبواب الأذان والإقامة، الحديث ٣.

وليست الشيعة متفردة في هذا النقل عن أئمة أهل البيت، فقد روى الحاكم وغيره نفس النقل عنهم، وإليك بعض ما أثر في ذلك المجال عن طريق أهل السنّة.

٥ـ روى الحاكم عن سفيان بن الليل قال: لمّا كان من الحسن بن علي ما كان، قدمت عليه المدينة قال: فقد ذكروا عنده الأذان فقال بعضنا: إنّما كان بدء الأذان برؤيا عبد الله بن زيد، فقال له الحسن بن علي: «إنّ شأن الأذان أعظم من ذلك، أذّن جبرئيل في السماء مثنى، وعلّمه رسول الله وأقام مرة مرة [1] فعلّمه رسول الله» [2].

٦ـ روى المتقي الهندي عن هارون بن سعد عن الشهيد زيد بن الإمام علي بن الحسين عن آبائه عن علي: أنّ رسول الله ﷺ عُلِّمَ الأذان ليلة أُسري به وفرضت عليه الصلاة [3].

٧ـ روى الحلبي عن أبي العلاء، قال: قلت لمحمد بن الحنفية: إنّا لنتحدّث أنّ بدء الأذان كان من رؤيا رآها رجل من الأنصار في منامه، قال: ففزع لذلك محمد بن الحنفية فزعاً شديداً وقال: عمدتم إلى ما هو الأصل في شرائع الإسلام، ومعالم دينكم، فزعمتم أنّه كان من رؤيا رآها رجل من الأنصار في منامه، يحتمل الصدق والكذب وقد تكون أضغاث أحلام، قال:

---

١. المروي عنهم ﷺ أنّ الإقامة مثنى مثنى إلّا الفصل الأخير وهو مرة.

٢. مستدرك الحاكم: ٣ / ١٧١، كتاب معرفة الصحابة.

٣. كنز العمال: ٦ / ٢٧٧ برقم ٣٩٧.

فقلت له: هذا الحديث قد استفاض في الناس. قال: هذا واللّه الباطل ...[١].

٨ ـ روى المتقي الهندي عن مسند رافع بن خديج: لمّا أُسري برسول اللّه إلى السماء أُوحي إليه بالأذان فنزل به فعلّمه جبرئيل. (الطبراني في الأوسط عن ابن عمر )[٢].

٩ـ ويظهر ممّا رواه عبد الرزاق عن ابن جريج: قال عطاء: إنّ الأذان كان بوحي من اللّه سبحانه[٣].

١٠ـ قال الحلبي: ووردت أحاديث تدل على أنّ الأذان شرّع بمكة قبل الهجرة، فمن تلك الأحاديث ما في الطبراني عن ابن عمر... ونقل الرواية الثامنة[٤].

هذا هو تاريخ الأذان وطريق تشريعه أخذته الشيعة من عين صافية من أُناسٍ هم بطانة سنّة الرسول يروي صادق عن صادق حتى ينتهي إلى الرسول.

هذا ما لدى الإمامية وأمّا غيرهم فيزعمون أنّ عبد الله بن زيد رأى في منامه من علّمه الأذان فعرض رؤياه على النبي ﷺ فأقرّها. وقد رووا في ذلك روايات في السنن، لا يصلح الاحتجاج بها من وجهين :

---

١ . السيرة الحلبية : ٢ / ٢٩٧.

٢ . كنز العمال: ٨ / ٣٢٩ برقم ٢٣١٣٨ ، فصل في الأذان .

٣ . المصنف: ١ / ٤٥٦ برقم ١٧٧٥.

٤ . السيرة الحلبية : ٢ / ٢٩٦، باب بدء الأذان ومشروعيته.

أ. صيغة وإسناداً .

ب. أنّها متعارضة جوهراً.

ومن أراد التفصيل فليرجع إلى كتابنا الإنصاف في مسائل دام فيها الخلاف .[1]

## الثاني: فصول الأذان والاقامة عدداً

فصول الأذان على المذاهب الخمسة كالتالي:

«الله أكبر» ٤ مرات عند الإمامية وسائر المذاهب .

«أشهد ألّا إله إلّا الله» مرتان عند الإمامية وسائر المذاهب.

«أشهد أنّ محمداً رسول الله» مرتان عند الإمامية وسائر المذاهب.

«حي على الصلاة» مرتان عند الإمامية وسائر المذاهب.

«حي على الفلاح » مرتان عند الإمامية وسائر المذاهب.

«حي على خير العمل » مرتان عند الإمامية فقط.

«الله أكبر» مرتان عند الإمامية وسائر المذاهب.

«لا اله إلّا الله » مرتان عند الإمامية ومرة واحدة عند المذاهب الأربعة.

---

١. الإنصاف: ١ / ١٢٥ ـ ١٥٠.

## فصول الإقامة

«الله أكبر» مرتان عند الإمامية والحنفية وأربع مرات عند سائر المذاهب .

«أشهد ألّا الله إلّا الله» مرتان عند الإمامية والحنفية ومرة واحدة عند الشافعية والمالكية والحنابلة.

«أشهد أنّ محمداً رسول الله» مرتان عند الإمامية والحنفية ومرة واحدة عند الشافعية والمالكية والحنابلة.

«حي على الصلاة» مرتان عند الإمامية والحنفية ومرة واحدة عند الشافعية والمالكية والحنابلة.

«حي على الفلاح» مرتان عند الإمامية والحنفية ومرة واحدة عند الشافعية والمالكية والحنابلة.

«حي على خير العمل» مرتان عند الإمامية فقط .

«قد قامت الصلاة» مرتان عند الإمامية وسائر المذاهب إلّا المالكية فقد جعلوها مرة واحدة.

«الله أكبر» مرتان عند الإمامية وسائر المذاهب.

«لا إله إلّا الله» مرة واحدة عند الإمامية وسائر المذاهب.

ودراسة أدلّة كل مذهب موكولة إلى محلها، والهدف إيقاف القارئ على آراء المذاهب في عدد الفصول.

### الثالث: جزئية «حي على خير العمل» للأذان

اتفقت الإمامية تبعاً لنصوص أئمتهم على أنّ «حي على خير العمل» جزء من الأذان، وأنّ بلالاً كان يؤذن بها في الفجر، بل كان جمع غفير من الصحابة يؤذنون بها.

قال السيد المرتضى في «الانتصار»: وقد روت العامة أنّ ذلك (حي على خير العمل) ممّا كان يقال بعض أيام النبي، وانّما ادّعي أن ذلك نسخ ورفع وعلى من ادّعى النسخ، الدلالة له، وما يجدها [1].

وقال ابن عربي في «الفتوحات المكية »:... وأمّا من زاد في الأذان «حي على خير العمل» فإن كان فعل في زمان رسول الله ﷺ ـ كما روي أنّ ذلك دعي به في غزوة الخندق، إذ كان الناس يحفرون فجاء وقت الصلاة وهي خير موضوع كما ورد في الحديث فنادى المنادي أهل الخندق «حي على خير العمل» ـ فما أخطأ من جعلها في الأذان بل اقتدى إن صحّ الخبر أو سنّ سنّة حسنة.[2]

وجاء في «الروض النضير» نقلاً عن كتاب السنام ما هذا لفظه: الصحيح أنّ الأذان شُرع بحي على خير العمل، لأنّه اتّفق على الأذان به يوم الخندق، ولأنّه دعاء إلى الصلاة، وقد قال ﷺ: خير أعمالكم الصلاة، كما

---

١ . الانتصار: ١٣٧، باب وجوب قول حي على خير العمل في الصلاة.

٢ . الفتوحات المكية: ١ / ٤٠٠ .

وردت أنّ مؤذّني رسول الله وغيرهم من الصحابة استمروا على التأذين بها حتّى ماتوا.[١]

إلى غير ذلك من النصوص الّتي تعرب عن جزئية «حي على خير العمل» من الأذان في عصر الرسول ﷺ.

وقد قام الباحث السيد علي الشهرستاني بجمع هذه النصوص في كتابه: «الأذان بين الأصالة والتحريف» شكر الله مساعيه.

فإذا أُضيف إلى هذا ما أطبق عليه أئمة أهل البيت عليهم السلام وفقهاء الشيعة عبر القرون من استمرارهم على ذكر هذا الفصل في الأذان تصبح المسألة واضحة غير قابلة للشك.

ولما استتب الأمر لعمر بن الخطاب أمر بحذف هذا الفصل من الأذان، وهذا ممّا لا ينكره محقّقو السنّة: وقد أقرّ به سعد التفتازاني في حاشيته على شرح العضدي وقال:

خطب عمر بن الخطاب وقال: أيّها الناس ثلاث كنّ على عهد رسول الله ﷺ أنا أنهى عنهن وأُحرمهن وأُعاقب عليهن، وهي: متعة النساء، ومتعة الحج، وحي على خير العمل.[٢]

وأمّا ما هو السبب لحذفه عن الأذان فقد روي عن أبي جعفر

---

١. الروض النضير: ١ / ٥٤٢.

٢. لاحظ شرح التجريد للقوشجي: ٤٨٤؛ وكنز العرفان: ٢ / ١٥٨؛ والصراط المستقيم: ٣ / ٢٧١؛ المسترشد للمحب الطبري: ٥١٦.

الباقر عليه السلام أنّه قال: «كان الأذان بحيّ على خير العمل على عهد رسول الله، وبه أُمروا أيّام أبي بكر وصدراً من أيام عمر، ثمّ أمر عمر بقطعه وحذفه من الأذان والإقامة، فقيل له في ذلك فقال: إذا سمع الناس أنّ الصلاة خير العمل تهاونوا بالجهاد وتخلّفوا عنه»، وروينا مثل ذلك عن جعفر بن محمّد، والعامة تروي مثل هذا.[1]

ولو صحّت الرواية فما تخيّله الرجل من خوف التهاون بالجهاد، غيرصحيح، وقد غزا النبي الأكرم صلى الله عليه وآله سبعاً وعشرين غزوة وأرسل قرابة ٥٥ سريّة، ولم يكن التأذين به في عصره، سبباً للتهاون بالجهاد، والتخلّف عن القتال.

وقد دلّت النصوص التاريخية على أن شيعة آل البيت عليهم السلام: لمّا استولوا على المدينة، وصعد عبد الله بن الحسن الأفطس المنارة الّتي عن رأس النبي صلى الله عليه وآله عند موضع الجنائز، فقال للمؤذن: أذّن بـ «حي على خير العمل...».[2]

قال الحلبي: ونقل عن ابن عمر وعن الإمام زين العابدين عليه السلام أنّهما كانا يقولان في آذانيهما بعد «حيّ على الفلاح»: «حي على خير العمل».[3]

---

١. دعائم الإسلام: ١ / ١٤٢؛ بحار الأنوار: ٨١ / ١٥٦.

٢. مقاتل الطالبيين: ٢٩٧ (في مقتل الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن أمير المؤمنين عليهم السلام).

٣. السيرة الحلبية: ٢ / ٣٠٥.

## الرابع: التثويب في أذان صلاة الفجر

التثويب من ثاب يثوب إذا رجع فهو بمعنى الرجوع إلى الأمر بالمبادرة إلى الصلاة، فإن المؤذن إذا قال: «حيّ على الصلاة» فقد دعاهم إليها، فإذا قال: «الصلاة خير من النوم» فقد رجع إلى كلام معناه المبادرة إليها.

وفسّره صاحب القاموس: بمعان منها: الدعاء إلى الصلاة، وتثنية الدعاء، وأن يقول في آذان الفجر: «الصلاة خير من النوم ـ مرتين».

وقال في المغرب: التثويب: القديم هو قول المؤذن في أذان الصبح «الصلاة خير من النوم ـ مرتين» والمحدَث «الصلاة الصلاة» أو «قامت قامت».[1]

والظاهر أنّه غلب استعماله بين أئمة الحديث في القول المذكور أثناء الأذان، ربّما يطلق على مطلق الدعوة بعد الدعوة، فيعمّ ما إذا نادى المؤذن بعد تمام الأذان بالقول المذكور أيضاً أو بغيره ممّا يفيد الدعوة إليها بأيّ لفظ شاء.

قال السندي في حاشيته على سنن النسائي: التثويب هو العود إلى

١ ـ الحدائق: ٧ / ٤١٩؛ ولاحظ النهاية في غريب الحديث: ١ / ٢٢٦؛ لسان العرب: مادة «ثوب»؛ و القاموس مادة «ثوب».

الإعلام بعد الإعلام، وقول المؤذن «الصلاة خير من النوم» لا يخلو عن ذلك، فسمّي تثويباً.[١]

فالمقصود في المقام تبيين حكم قول المؤذن أثناء الأذان لصلاة الفجر: «الصلاة خير من النوم» فهل هو مشروع، أو بدعة حدثت بعد النبي لما استحسنه بعض الناس من إقراره في الأذان، سواء أكان هو التثويب فقط أو عمّ مطلق الدعوة إلى الصلاة ولو بعد تمام الأذان بهذا اللفظ أو بغيره؟

وحصيلة الكلام: أنّ الروايات الواردة في هذا الموضوع متعارضة جدّاً لا يمكن إرجاعها إلى معنى واحد، وإليك أقسامها.

١. ما دلّ على أنّ عبد الله بن زيد رآه في رؤياه وأنّه كان جزءاً من الأذان من أوّل الأمر، وعلى ذلك فتكون الرؤيا مصدراً لتشريعه كما هي مصدر لتشريع سائر فصول الأذان. وقد تقدّم أنّ التشريع الإلهي أرفع من أن يكون تابع لرؤيا صحابي.

٢. ما دلّ على أنّ بلالاً زاده فيه وقرره النبي ﷺ أن يجعله بلال جزءاً من الأذان ،كما رواه الدارمي.[٢]

٣. ما يدلّ على أنّ عمر بن الخطاب أمر المؤذن أن يجعلها في نداء الصبح، كما رواه الإمام مالك ففي «الموطأ» أنّ المؤذن جاء إلى عمر بن الخطاب يؤذنه لصلاة الصبح فوجده نائماً، فقال: «الصلاة خير من

---

١. السنن: ٢ / ١٤، قسم التعليقة.

٢. سنن الدارمي: ١ / ٢٧٠.

النوم»، فأمر عمر أن يجعلها في نداء الصبح.[١]

٤. ما يدلّ على أنّ رسول الله ﷺ علّمها أبا محذورة، كما رواه البيهقي في سننه.

روى البيهقي عن عبد الملك بن أبي محذورة عن أبيه عن جده قال: قلت يا رسول الله: علّمني سنّة الأذان، وذكر الحديث، وقال فيه: حيّ على الفلاح، حيّ على الفلاح، فإن كان صلاة الصبح قل: الصلاة خير من النوم، الصلاة خير من النوم.[٢]

٥. ما يظهر أنّ بلالاً كان ينادي بالصبح فيقول: «حيّ على خير العمل»، فأمره النبي ﷺ أن يجعل مكانها: «الصلاة خير من النوم» وترك «حيّ على خير العمل» كما رواه المتقي الهندي في كنزه[٣].

ومع هذا التعارض الواضح، لا يمكن الركون إليها، وبما أنّ أمرها دائر بين السنّة والبدعة، فتركها متعيّن لعدم العقاب على تركها، بخلاف ما لو كانت بدعة.

## كلمات الأعلام في التثويب

إنّ بين الصحابة والتابعين من يراه بدعة وأنّه لم يأمر به النبي

---

١. الموطأ: ٧٨ برقم ٨.

٢. سنن البيهقي: ١ / ٤٢١ ـ ٤٢٢، باب التثويب في أذان الصبح.

٣. كنز العمال: ٨ / ٣٤٥ برقم ٢٣١٨٨.

الأكرم ﷺ وإنّما حدث بعده ﷺ ، وإليك نصوصهم:

١. قال ابن جريج: أخبرني عمرو بن حفص أنّ سعداً (المؤذّن) أوّل من قال: الصلاة خير من النوم، في خلافة عمر، فقال عمر: بدعة، ثمّ تركه، وانّ بلالاً لم يؤذّن لعمر.

٢. وعنه أيضاً: أخبرني حسن بن مسلم أنّ رجلاً سأل طاووساً: متى قيل الصلاة خير من النوم؟ فقال: أما إنّها لم تقل على عهد رسول الله ﷺ ، ولكنّ بلالاً سمعها في زمان أبي بكر بعد وفاة رسول اللّه ﷺ يقولها رجل غير مؤذن، فأخذها منه. فأذّن بها فلم يمكث أبو بكر إلّا قليلاً حتى إذا كان عمر قال: لو نهينا بلالاً عن هذا الذي أحدث، وكأنّه نسيه وأذّن بها الناس حتى اليوم.[١]

٣. روى عبد الرزاق الصنعاني عن ابن عيينة عن ليث عن مجاهد قال: كنت مع ابن عمر فسمع رجلاً يثوب في المسجد، فقال: اخرج بنا من (عند) هذا المبتدع.[٢]

نعم يظهر ممّا رواه أبو داود في سننه أنّ الرجل يثوب في الظهر والعصر لا في صلاة الفجر.[٣]

---

١. كنز العمال: ٨ / ٣٥٧ برقم ٢٣٢٥١ و ٢٣٢٥٢؛ ورواه عبد الرزاق في المصنف: ٤٧٤/١ برقم ١٨٢٧ و ١٨٢٨ و ١٨٢٩.

٢. المصنف: ٤٧٥/١ برقم ١٨٣٢، ورواه أيضاً المتقي الهندي في كنز العمال: ٣٥٧/٨ برقم ٢٣٢٥٠.

٣. سنن أبي داود: ١٤٨/١ برقم ٥٣٨.

٤. ما روي عن أبي حنيفة كما في «جامع المسانيد» عنه، عن حماد، عن إبراهيم قال: سألته عن التثويب؟ فقال: هو ممّا أحدثه الناس، وهو حسن، ممّا أحدثوه. وذكر أنّ تثويبهم كان حين يفرغ المؤذّن من أذانه: إنّ الصلاة خير من النوم ـ مرتين ـ قال: أخرجه الإمام محمد بن الحسن (الشيباني) في الآثار فرواه عن أبي حنيفة ثمّ قال محمد: وهو قول أبي حنيفة وبه نأخذ. [1]

وهذه الرواية تدلّ على أنّ التثويب في عصر الرسول ﷺ أو في عصر الخلفاء كان بعد الفراغ عن الأذان ولم يكن جزءاً منه، وانّما كان يذكره المؤذّن من عند نفسه إيقاظاً للناس من النوم، ثمّ إنّه أُدرج في نفس الأذان.

٥. قال الشوكاني نقلاً عن «البحر الزخار»: أحدثه عمر فقال ابنه: هذه بدعة. وعن علي ﷺ حين سمعه : لا تزيدوا في الأذان ما ليس منه. ثم قال : قلنا لو كان لما أنكره علي وابن عمر وطاووس سلمنا فأُمرنا به إشعاراً في حال، لا شرعاً جمعاً بين الآثار. [2]

٦. وقال الأمير اليمني الصنعاني (المتوفّى عام ١٨٢هـ): قلت: وعلى هذا ليس «الصلاة خير من النوم» من ألفاظ الأذان المشروع للدعاء إلى الصلاة والإخبار بدخول وقتها، بل هو من الألفاظ التي شرعت لإيقاظ

---

١. جامع المسانيد: ٢٩٦/١.

٢. نيل الأوطار: ٣٨/٢.

النائم، فهو كألفاظ التسبيح الأخير الذي اعتاده الناس في هذه الأعصار المتأخّرة عوضاً عن الأذان الأوّل. ثم قال: وإذا عرفت هذا، هان عليك ما اعتاده الفقهاء من الجدال في التثويب هل هو من ألفاظ الأذان أو لا، وهل هو بدعة أو لا؟ [١]

٧. نقل ابن قدامة عن إسحاق أنّه [٢] قال: هذا شيء أحدثه الناس، وقال أبو عيسى: هذا التثويب الذي كرهه أهل العلم وهو الذي خرج منه ابن عمر من المسجد لما سمعه. [٣]

٨. ما استفاض من أئمّة أهل البيت من كونها بدعة: روى الشيخ الطوسي بسند صحيح عن معاوية بن وهب قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن التثويب الذي يكون بين الأذان والإقامة؟ فقال: «ما نعرفه». [٤]

٩. والذي تبيّن لي من دراسة ما ورد حول الأذان: أنّ عائلتين استغلّتا ما روي عن جدّهم عبد الله بن زيد وأبي محذورة فعَمِدتا بنشر ما نُسِبَ إلى جدهما لما فيه من فضيلة للعائلة، ولولا ذلك لم يكن لهذين الأمرين (تشريع الأذان بالرؤيا والتثويب في أذان صلاة الفجر) انتشار بهذا النحو الواسع، ولأجل ذلك ربّما يرتاب الإنسان فيما نقل عن جدهما، وقد عرفت وجود رواةٍ في أسانيد الروايات يُنسَبون إلى هاتين العائلتين.

---

١. سبل السلام في شرح بلوغ المرام: ١٢٠/١.

٢. مرّ أنّ البيهقي نقل في سننه، ان النبي هو الّذي علمه لأبي محذورة.

٣. المغني: ٤٢٠/١.

٤. الوسائل: ٤ / ٦٥٠، الباب ٢٢ من أبواب الأذان والإقامة، الحديث ١، ولاحظ أحاديث الباب.

# ٣

# قبض

# اليد اليسرى باليمنى

# بين البدعة والسنّة

إنّ قبض اليد اليسرى باليمنى ممّا اشتهر ندبه بين فقهاء أهل السنّة.

فقالت الحنفية: إنّ التكتّف مسنون وليس بواجب، والأفضل للرجل أن يضع باطن كفّه اليمنى على ظاهر كفّه اليسرى تحت سرّته، وللمرأة أن تضع يديها على صدرها.

وقالت الشافعية: يسنُّ للرجل والمرأة، والأفضل وضع باطن يمناه على ظهر يسراه تحت الصدر وفوق السرّة ممّا يلي الجانب الأيسر.

وقالت الحنابلة: إنّه سنّة، والأفضل أن يضع باطن يمناه على ظاهر يسراه، ويجعلها تحت السرة.

وشذّ عنهم المالكية فقالوا: يُندَب إسدالُ اليدين في الصلاة الفرض، وقالت جماعة أيضاً قبلهم، منهم: عبد اللّه بن الزبير، وسعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، وعطاء، وابن جريج، والنخعي، والحسن البصري، وابن

سيرين، وجماعة من الفقهاء. وهو مذهب الليث بن سعد إلّا أنّه قال: إلّا أن يطيل القيام فيعيا أي يتعب فله القبض.

والمنقول عن الإمام الأوزاعي التخيير بين القبض والسدل.[١]

وذهب محمد عابد مفتي المالكية بالديار الحجازية إلى أنّ السدل والقبض سنّتان من رسول اللّه وانّ المؤمن إذا طال عليه القيام وهو مسدل، قبض، وقال بأنّ السدل أصل والقبض فرع.[٢]

وأمّا الشيعة الإمامية، فالمشهور أنّه حرام ومبطل، وشذّ منهم من قال بأنّه مكروه، كالحلبي في «الكافي».[٣]

ومع أنّ غير المالكية من المذاهب الأربعة قد تصوبوا وتصعّدوا في المسألة، لكن ليس لهم دليل مقنع على جوازه في الصلاة، فضلاً عن كونه مندوباً، بل يمكن أن يقال: إنّ الدليل على خلافهم، والروايات البيانية عن الفريقين التي تُبيّن صلاة الرسول خالية عن القبض، ولا يمكن للنبي الأكرم أن يترك المندوب طيلة حياته أو أكثرها، وإليك نموذجين من هذه الروايات: أحدهما عن طريق أهل السنّة، والأخر عن طريق الشيعة الإمامية، وكلاهما يُبيّنان كيفية صلاة النبي وليست فيهما أيّة إشارة إلى القبض فضلاً عن كيفيته.

---

١. محمّد جواد مغنية: الفقه على المذاهب الخمسة: ١١٠.

٢. لاحظ رسالة مختصرة في السدل للدكتور عبد الحميد بن مبارك : ٥.

٣. جواهر الكلام: ١١ / ١٥ ـ ١٦.

### ١. القبض بدعة محدثة

إنّ القبض بدعة محدثة ظهرت بعد رحيل الرسول الأكرم ﷺ ، وعمادنا في هذا السبيل حديثان صحيحان:

أحدهما مروي عن طرق أهل السنّة، والآخر من طرق الإمامية، والحديثان دليلان قاطعان على أنّ سيرة النبي وأهل بيته ﷺ جرت على السدل في الصلاة، وانّ القبض ابتدع بعد رحيله ﷺ.

### ألف: حديث أبي حميد الساعدي

روى حديث أبي حميد الساعدي غير واحد من المحدّثين، ونحن نذكره بنص البيهقي، قال: أخبرنا أبو عبد اللّه الحافظ:

فقال أبو حميد الساعدي: أنا أعلمكم بصلاة رسول اللّه ﷺ ، قالوا: لِمَ، ما كنت أكثرنا له تبعاً، ولا أقدمنا له صحبة؟! قال: بلى، قالوا: فأعرض علينا، فقال: كان رسول اللّه ﷺ إذا قام إلى الصلاة رفع يديه حتى يحاذي بهما مَنْكَبيه، ثم يكبّر حتّى يقرّ كلّ عضو منه في موضعه معتدلاً، ثم يقرأ، ثم يكبّر ويرفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه، ثم يركع ويضع راحتيه على ركبتيه، ثم يعتدل ولا ينصب رأسه ولا يقنع، ثم يرفع رأسه، فيقول: سمع اللّه لمن حمده، ثم يرفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه حتى يعود كل عظم منه إلى موضعه معتدلاً، ثم يقول: اللّه أكبر، ثم يهوي إلى الأرض فيجافي يديه عن جنبيه، ثم يرفع رأسه فيثني رجله اليسرى فيقعد عليها ويفتح أصابع رجليه إذا سجد، ثم يعود، ثم يرفع فيقول: اللّه أكبر، ثم يثني

برجله فيقعد عليها معتدلاً حتى يرجع أو يقرّ كل عظم موضعه معتدلاً، ثم يصنع في الركعة الأخرى مثل ذلك، ثم إذا قام من الركعتين كبّر ورفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه كما فعل أو كبّر عند افتتاح صلاته، ثم يصنع مثل ذلك في بقية صلاته، حتى إذا كان في السجدة التي فيها التسليم أخّر رجله اليسرى وقعد متورّكاً على شقّه الأيسر، فقالوا جميعاً: صدَق هكذا كان يصلّي رسول الله ﷺ.[1]

و الذي يوضح صحّة الاحتجاج به الأمور التالية:

١. تصديق أكابر الصحابة [2] لأبي حميد يدلّ على قوة الحديث، وترجيحه على غيره من الأدلّة.

٢. أنّه وصف الفرائض والسنن والمندوبات ولم يذكر القبض، ولم ينكروا عليه، أو يذكروا خلافه، وكانوا حريصين على ذلك، لأنّهم لم يسلّموا له أوّل الأمر أنّه أعلمهم بصلاة رسول الله ﷺ، بل قالوا جميعاً: صدقت هكذا كان رسول الله ﷺ يصلّي، ومن البعيد جداً نسيانهم وهم كثرة، وفي مجال المذاكرة.

---

١ . سنن البيهقي: ٢ / ٧٢، ٧٣، ١٠١، ١٠٢؛ سنن أبي داود: ١ / ١٩٤، باب افتتاح الصلاة، الحديث ٧٣٠ـ ٧٣٦؛ سنن الترمذي: ٢ / ٩٨، باب صفة الصلاة؛ مسند أحمد: ٥ / ٤٢٤، وابن خزيمة في صحيحه، باب الاعتدال في الركوع، برقم ٥٨٧.

٢ . منهم: أبو هريرة، وسهل الساعدي، وأبو أُسيد الساعدي، وأبو قتادة الحارث بن ربعي، ومحمد بن مسلمة.

٣. الأصل في وضع اليدين هو الإرسال، لأنّه الطبيعي فدلّ الحديث عليه.

٤. هذا الحديث لا يقال عنه إنّه مطلق والأحاديث تقيّده، لأنّه وصَفَ وعدَّد جميع الفرائض والسنن والمندوبات وكامل هيئة الصلاة، وهو في معرض التعليم والبيان، والحذف فيه خيانة، وهذا بعيد عنه وعنهم.

٥. بعض من حضر من الصحابة ممّن روي عنه أحاديث القبض، فلم يعترض، فدلّ على أنّ القبض منسوخ، أو على أقل أحواله بأنّه جائز للاعتماد لمن طول في صلاته، وليس من سنن الصلاة، ولا من مندوباتها، كما هو مذهب الليث بن سعد، والأوزاعي، ومالك.[1]

قال ابن رشد: والسبب في اختلافهم انّه قد جاءت آثار ثابتة، نقلت فيها صفة صلاته ـ عليه الصلاة والسلام ـ و لم ينقل انّه كان يضع يده اليمنى على اليسرى.[2]

بقي هنا سؤال وهو انّه قد اشتهر انّ المالكية لا تقول بالقبض وانّ إمامهم مالكاً كرهه، وقال في «المدونة »: كره مالك وضع اليد اليمنى على اليسرى في الفريضة وقال: لا أعرفه في الفريضة، مع أنّه روى في «الموطأ» حديث القبض حيث روى عن سهل بن سعد، كما روى مرسل عبد الكريم ابن أبي المخارق البصري أنّه قال: من كلام النبوة: إذا لم تستح فافعل ما

١. رسالة مختصرة في السدل: ١١.

٢. بداية المجتهد: ١ / ٩٩.

شثت، ووضع اليدين إحداهما على الأُخرى في الصلاة يضع اليمنى على اليسرى، وتعجيل الفطر، والاستيناء بالسحور.[١]

قلت: إنّ كتاب «الموطأ»، كتاب رواية، والإمام ربما ينقل ولا يفتي على وفقه، فلذلك ترى في «المدونة» فتاوى تخالف ما رواه في «الموطأ» ومن كان ملمّاً بفقهه، يرى أنّ بين ما دُوّن من فتاواه وما رواه في «الموطأ»، اختلافاً في موارد كثيرة. وقد أشار الدكتور عبد الحميد في رسالة السدل إلى مواردها.[٢]

وعلى كلّ تقدير: فقوله: «لا أعرفه في الفريضة» دليل صريح في أنّ عمل أهل المدينة على خلافه، إذ قوله: «لا أعرفه»، معناه لا أعرفه من عمل الأئمة الذين هم التابعون الذين تلقّوا العلم عن الصحابة.

هذا هو الحديث الذي قام ببيان كيفية صلاة النبي وقد روي عن طريق أهل السنّة، وقد عرفت وجه الدلالة، وإليك ما رواه الشيعة الإمامية.

### ب : حديث حمّاد بن عيسى

روى حمّاد بن عيسى، عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «ما أقبح بالرجل أن يأتي عليه ستون سنة أو سبعون سنة فما يقيم صلاة واحدة بحدودها تامة» قال حمّاد: فأصابني في نفسي الذل، فقلت: جعلت فداك فعلّمني الصلاة، فقام أبو عبد الله مستقبلَ القبلة منتصباً فأرسل يديه جميعاً

---

١. الموطأ: ١ / ١٥٨، باب وضع اليدين إحداهما على الأُخرى في الصلاة، الحديث٤٦، ٤٧.

٢. رسالة مختصرة في السدل: ٦ ـ ٧.

على فخذيه قد ضمّ أصابعه وقرّب بين قدميه حتى كان بينهما ثلاثة أصابع مفرجات، واستقبل بأصابع رجليه (جميعاً) لم يُحرفهما عن القبلة بخشوع واستكانة، فقال: اللّه أكبر، ثم قرأ الحمد بترتيل، وقل هو اللّه أحد، ثم صبر هنيئة بقدر ما تنفس وهو قائم، ثم قال: اللّه أكبر، وهو قائم ثم ركع وملأ كفّيه من ركبتيه مفرّجات، وردّ ركبتيه إلى خلفه حتى استوى ظهره، حتى لو صبت عليه قطرة ماء أو دهن لم تزل لاستواء ظهره وتردّد ركبتيه إلى خلفه، ونصب عنقه، وغمض عينيه ثم سبح ثلاثاً بترتيل وقال: سبحان ربي العظيم وبحمده، ثم استوى قائماً، فلما استمكن من القيام قال: سمع اللّه لمن حمده، ثم كبّر وهو قائم، ورفع يديه حيال وجهه، وسجد، ووضع يديه إلى الأرض قبل ركبتيه وقال: سبحان ربي الأعلى وبحمده، ثلاث مرات، ولم يضع شيئاً من بدنه على شي منه، وسجد على ثمانية أعظم: الجبهة، والكفّين، وعيني الركبتين، وأنامل إبهامي الرجلين، والأنف، فهذه السبعة فرض، ووضع الأنف على الأرض سنّة، وهو الإرغام، ثم رفع رأسه من السجود فلمّا استوى جالساً قال: اللّه أكبر، ثم قعد على جانبه الأيسر، ووضع ظاهر قدمه اليمنى على باطن قدمه اليسرى، وقال: أستغفر اللّه ربي وأتوب إليه، ثم كبّر وهو جالس وسجد الثانية، وقال كما قال في الأُولى ولم يستعن بشيء من بدنه على شيء منه في ركوع ولا سجود، وكان مجنّحاً، ولم يضع ذراعيه على الأرض، فصلّى ركعتين على هذا.

ثم قال: «يا حمّاد هكذا صل، ولا تلتفت، ولا تعبث بيديك وأصابعك،

ولا تبزق عن يمينك ولا (عن) يسارك ولا بين يديك».[1]

ترى أنّ الروايتين بصدد بيان كيفية الصلاة المفروضة على الناس وليست فيهما أيّة إشارة إلى القبض بأقسامه المختلفة فلو كان سنّة لما تركه الإمام في بيانه، وهو بعمله يجسّد لنا صلاة الرسول، لأنّه أخذه عن أبيه الإمام الباقر، وهو عن آبائه، عن أمير المؤمنين، عن الرسول الأعظم ـ صلوات اللّه عليهم أجمعين ـ فيكون القبض بدعة، لأنّه إدخال شيء في الشريعة وهو ليس منها.

ثمّ إنّ هنا أحاديث أُخرى ـ وراء حديث أبي حميد الساعدي ـ نشير إليها.

### ٢. حديث المسيء في صلاته

روى المحدّثون أنّ رجلاً كان يصلّي والنبي ينظر إليه، فلمّا فرغ من صلاته جاء إلى النبي ﷺ فسلّم عليه فردّ عليه السلام، ثمّ قال: ارجع، فصلّ فإنّك لم تصلّ، فرجع وعمل في صلاته الثانية كما عمل في صلاته الأُولى، ثمّ جاء إلى النبيّ ﷺ فقال له: ارجع فصلّ، فإنّك لم تصل ثلاث مرّات، فأقسم الرجل انّه لا يُحسِنُ من الصلاة إلّا ما فعل، فعندما اشتاق إلى العلم وتهيّأ لقبوله علّمه النبي ﷺ كيف يصلّي كما رواه أبو هريرة حيث قال:

---

١. الوسائل: ٤، الباب ١ من أبواب أفعال الصلاة، الحديث ١. ولاحظ الباب ١٧ منه، الحديث ١ و ٢.

إنّ النبيّ ﷺ قال: «إذا قمتَ إلى الصلاة فأسبغ الوضوء، ثمّ استقبل القبلة فكبّر به ثمّ اقرأ ما تيسّر معك من القرآن، ثمّ أركع حتّى تطمئن راكعاً، ثمّ ارفع حتّى تعتدل قائماً، ثمّ اسجد حتّى تطمئن ساجداً، ثمّ أرفع حتّى تطمئن جالساً، ثمّ اسجد حتّى تطمئن ساجداً، ثمّ افعل ذلك في صلاتك كلّها».

أخرجه السبعة، واللفظ للبخاري ولابن ماجة باسناد مسلم «حتّى تطمئن قائماً» [1].

فلو كان القبض سنّة مؤكدة أو أمراً مندوباً لأشار إليها النبي ﷺ.

## ٣. وصف عائشة صلاة الرسول ﷺ

أخرج مسلم عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يستفتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين. وكان إذا ركع لم يشخص رأسه ولم يصوبه ولكن بين ذلك، وكان إذا رفع من الركوع لم يسجد حتّى يستوي قائماً، وكان إذا رفع رأسه من السجدة لم يسجد حتّى يستوي جالساً، وكان يقول في كلّ ركعتين التحية، وكان يفرش رجله اليسرى وينصب اليمنى، وكان ينهى عُقْبَة الشيطان، وينهى أن يفترش الرجل ذراعيه افتراش السبع، وكان يختم الصلاة بالتسليم. [2]

ولو اقتُصر في رواية مسيء الصلاة على ذكر الواجبات، فقد جاء في

---

١. بلوغ المرام: ٩٢ برقم ٢ / ٢٥٠. ط الرياض، وسبل السلام: ١ / ١٥٩.

٢. بلوغ المرام: ٩٩ برقم ٨ / ٢٥٧.

هذه الرواية بعض المسنونات والمكروهات مثل قوله: وكان يفرش رجله اليسرى وينصب اليمنى. وكان ينهى عقبة الشيطان، وينهى أن يفترش الرجل ذراعيه افتراش السبع»، فلو كان القبض سنّة مؤكدة أو مندوبة لذكره النبي ﷺ إذ ليس استحبابه في نظر القائلين به بأقلّ من افتراش الرجل اليسرى ونصب اليمنى.

وهذه الروايات البيانية الّتي اقتصرنا على الميسور أفضل دليل على عدم كون القبض سنّة مؤكدة.

## ٤. رواية القاضي أبو حنيفة النعمان المصري

روى القاضي أبو حنيفة النعمان التميمي المصري المغربي عن جعفر بن محمد ﷺ قال: «إذا كنت قائماً في الصلاة فلا تضع يدك اليمنى على اليسرى ولا اليسرى على اليمنى، فإنّ ذلك تكفير أهل الكتاب ولكن أرسلهما إرسالاً فإنّه أحرى أن لا تشغل نفسك عن الصلاة».[١]

## ٥. صفة صلاة النبي في رواية معاذ بن جبل

أخرج الطبراني عن عبد الرحمن بن غنم، عن معاذ بن جبل قال: كان النبي ﷺ إذا كان في صلاته رفع يديه قبالة أذنيه، فإذا كبّر أرسلهما ثمّ سكت، وربما رأيته يضع يمينه على يساره.[٢]

---

١. دعائم الإسلام: ١ / ١٦١، برقم ٤٧٢، ط القاهرة.

٢. المعجم الكبير: ٢٠ / ٧٤.

ذيل الحديث وإن كان يدلّ على أنّه ﷺ ربما يضع يمينه على يساره ولكنّه كان نادراً بشهادة لفظة «ربما» وكانت سيرته على الإرسال، مع احتمال أن يكون وضع يمينه على يساره لغاية خاصة غير كونه مستحباً في الصلاة.

## ٦. ما روي عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام

قد تضافر عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام على أنّ السدل والإرسال هو الواجب وأنّ القبض والتكفير هو البدعة، نقتصر في المقام ببعض ما روي عنهم عليهم السلام:

١. روى محمد بن مسلم، عن الصادق أو الباقر عليهما السلام قال: قلت له: الرجل يضع يده في الصلاة ـ وحكي ـ اليمنى على اليسرى؟ فقال: «ذلك التكفير، لا يُفعل».[١]

٢. وروى زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: «وعليك بالإقبال على صلاتك، ولا تكفّر، فإنّما يصنع ذلك المجوس»[٢].

٣. روى الصدوق بإسناده عن علي عليه السلام أنّه قال: «وعليك بالإقبال على صلاتك، ولا تكفّر، فإنّما يصنع ذلك المجوس».[٣]

---

١. الوسائل: ٤، الباب ١٥ من أبواب قواطع الصلاة، الحديث ١.

٢. الوسائل: ٤، الباب ١٥ من أبواب قواطع الصلاة، الحديث ٢.

٣. الوسائل: ٤، الباب ١٥ من أبواب قواطع الصلاة، الحديث ٣.

٤. روى الصدوق بإسناده عن علي عليه السلام أنّه قال: «لا يجمع المسلم يديه في صلاته وهو قائم بين يدي الله عزّ وجلّ يتشبّه بأهل الكفر ـ يعني المجوس ـ».[1]

وفي الختام نلفت نظر القارئ إلى كلمة صدرت من الدكتور علي السالوس، فهو بعد ما نقل آراء فقهاء الفريقين، وصف القائلين بالتحريم والإبطال بقوله: «وأُولئك الذين ذهبوا إلى التحريم والإبطال، أو التحريم فقط، يمثّلون التعصب المذهبي وحبّ الخلاف، تفريقاً بين المسلمين».[2]

ما ذنب الشيعة إذا هداهم الاجتهاد والفحص في الكتاب والسنّة إلى أنّ القبض أمر حدث بعد النبي الأكرم، وكان الناس يُؤمرون بذلك أيام الخلفاء، فمن زعم أنّه جزء من الصلاة فرضاً أو استحباباً، فقد أحدث في الدين ما ليس منه، أفهل جزاء من اجتهد، أن يُرمى بالتعصب المذهبي وحب الخلاف؟!

ولو صحّ ذلك، فهل يمكن توصيف الإمام مالك به؟ لأنّه كان يكره القبض مطلقاً، أو في الفرض أفهل يصحّ رمي إمام دار الهجرة بأنّه كان يحب الخلاف؟!

أجل لماذا لا يكون عدم الإرسال والقبض ممثلاً للتعصب المذهبي وحبّ الخلاف بين المسلمين، يا ترى؟!

---

١. الوسائل: ٤، الباب ١٥ من أبواب قواطع الصلاة، الحديث ٧.

٢. فقه الشيعة الإمامية ومواضع الخلاف بينه وبين المذاهب الأربعة: ١٨٣.

هذه بعض ما يمكن أن يستدلّ به على السدل، فإذا دار أمر القبض بين الندب والبدعة كما هو مقتضى الاختلاف فالأولى تركه إذ ليس في ترك المندوب سوى الحرمان من الثواب بخلاف ارتكاب ما يحتمل البدعة ففيه احتمال العقاب وبطلان الصلاة لامتناع التقرّب بما هو مبغوض للمولى.

## دليل القول بكون القبض سنّة

استدلّ للقول بأنّ القبض سنّة برواية سهل بن سعد الّتي رواها البخاري، وإليك دراستها :

روى البخاري عن أبي حازم، عن سهل بن سعد، قال: كان الناس يؤمرون أن يضع الرجل اليد اليمنى على ذراعه اليسرى في الصلاة، قال أبو حازم: لا أعلمه إلّا يَنمي ذلك إلى النبي ﷺ.[١]

قال إسماعيل [٢]: يُنمى ذلك ولم يقل يَنمي.

وقد اختلف في هذا الحديث، فقيل: موقوف، وقيل: مرفوع. ولكن قال الجمهور من المحدثين والفقهاء والأُصوليّين إن لم يُضفه إلى

---

١ . فتح الباري في شرح صحيح البخاري: ٢ / ٢٢٤، باب وضع اليمنى على اليسرى؛ صحيح مسلم: ٢ / ١٣، باب وضع يده اليمنى على اليسرى ؛ ورواه البيهقي في السنن الكبرى: ٢ / ٢٨، الحديث ٣، باب وضع اليمنى على اليسرى في الصلاة.

٢ . المراد: إسماعيل بن أبي أوس شيخ البخاري كما جزم به الحميدي. لاحظ فتح الباري: ٥ / ٣٢٥.

زمن النبي فليس بمرفوع وإن أضافه، فقال: كنّا نفعل في حياة النبي، أو في زمنه، أو فينا، أو بين أظهارنا ونحو ذلك فهو مرفوع. هـذا هـو المـذهب الصحيح.

قال النووي في شرح مسلم: وعلى هذا القول فلا يكون مرفوعاً ولو جزم به أبو حازم، فكيف إذا لم يجزم، فلذا نصّ الحافظ أبو عمرو ابن عبد البر في التقصّي على أنّ هذا الأثر موقوف على سهل ليس إلّا.

وأخرجه مالك في موطئه وعنه أخذه البخاري.[1]

والرواية متكفّلة لبيان كيفية القبض إلّا أنّ الكلام في دلالته بعد تسليم سنده. ولا يدل عليه بوجهين:

**أوّلاً**: لو كان النبي الأكرم هو الآمر بالقبض فما معنى قوله: «كان الناس يؤمرون»؟ أوَ ما كان الصحيح عندئذ أن يقول: كان النبي يأمر؟ أو ليس هذا دليلاً على أنّ الحكم نجم بعد ارتحال النبي الأكرم حيث إنّ الخلفاء وأُمراءهم كانوا يأمرون الناس بالقبض بتخيّل أنّه أقرب للخشوع؟ ولأجله عقد البخاري بعده باباً باسم باب الخشوع. قال ابن حجر: الحكمة في هذه الهيئة أنّه صفة السائل الذليل، وهو أمنع عن العبث وأقرب إلى الخشوع، كان البخاري قد لاحظ ذلك وعقّبه بباب الخشوع.

وبعبارة أُخرى: انّ أمر الحكّام والأُمراء بالقبض دليل على أنّ الناس

---

١ . الموطأ: ١٣٥، كتاب الصلاة، الحديث ٢٢٦.

كانوا يصلّون على وجه السدْل في عصر النبي وشيئاً بعد عصره، ثمّ حدثت الفكرة فأمروا الناس به.

وقد وقف على ذلك بعض شراح الحديث، فقال الشيخ ملا علي القاري في تفسير الحديث: يأمرهم الخلفاء الأربعة أو الأُمراء أو النبي ﷺ. والحقّ انّه لو كان الآمر هو النبي ﷺ لذكر اسمه تبرّكاً ولا يترك اسمه، وهذا يدلّ على أنّ الآمر كان غيره من الحكّام الذين يتبعون أهواءهم قبال السنّة، وبما انّ سيرة علي وأهل بيته كانت على الإرسال والتنديد بالقبض، كان الأُمراء على طرف النقيض من سيرتهم، فيأمرون بالقبض مكان السدل.

وثانياً: أنّ في ذيل السند ما يؤيد انّ الراوي ـ أبا حازم ـ عن «سهل» كان في الشكّ والترديد في صحّة المضمون حيث قال: قال أبو حازم لا أعلمه إلّا يُنمي ذلك إلى النبي ﷺ.

قال إسماعيل: «لا أعلمه إلّا ينمى ذلك إلى النبي» بناءً على قراءة الفعل بصيغة المجهول .

ومعناه أنّه لا يعلم كونه أمراً مسنوناً في الصلاة غير أنّه يُعزى وينسب إلى النبي، فيكون ما يرويه سهل به سعد مرفوعاً.

قال ابن حجر: ومن اصطلاح أهل الحديث إذا قال الراوي: ينميه، فمراده: يرفع ذلك إلى النبي.(١)

---

١ . المصدر نفسه: هامش رقم ١.

هذا كلّه إذا قرأناه بصيغة المجهول، وأمّا إذا قرأناه بصيغة المعلوم، فمعناه أنّ سهلاً ينسب ذلك إلى النبي، فعلى فرض صحّة القراءة وخروجه بذلك من الإرسال والرفع، يكون قوله: «لا أعلمه إلّا...» معرباً عن ضعف العزو والنسبة، وأنّه سمعه عن رجل آخر ولم يسم .

قال ابن حجر في «فتح الباري»: هذا حديث تكلّم في رفعه، فقال الداني: هذا معلول لأنّه ظن من أبي حازم، وقيل بأنّه لو كان مرفوعاً لما احتاج إلى قوله: «لا أعلمه».[1]

---

١. فتح الباري: ٤ / ١٢٦ .

# ٤

## جزئية البسملة والجهر بها

البسملة في اللغة والاصطلاح: قول بسم الله الرّحمن الرحيم، يقال: بَسْمَل بَسْمَلة: إذا قال أو كتب «بسم الله»، يقال: أكثر من البسملة، أي أكثر من قول بسم الله.[١]

البسملة هي سمة المسلمين حيث لا يستفتحون بشيء إلّا بعد ذكر بسم الله الرحمن الرّحيم، وهي آية التوحيد وسبب نفر المشركين، يقول سبحانه: ﴿وَإِذا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا للرَّحمن قالُوا وَمَا الرحمنُ أنسجُدُ لِما تأمُرنا وَزادَهُمْ نُفُوراً﴾.[٢]

وقد كان شعار المشركين في عصر الجاهلية قولهم: «باسمك اللهم» وكانوا يستفتحون بذلك كلامهم. وقد آل الأمر في صلح الحديبية إلى كتابة وثيقة صلح بين الطرفين، أمرَ النبي عليّاً ﷺ أن يكتب : بسم الله الرحمن الرحيم، فكتب علي وفق ما أُمِر، فقال سهيل مندوب قريش:لا أعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم.[٣]

---

١. لسان العرب والمصباح المنير: مادة بسملة.

٢. الفرقان: ٦٠.

٣. سيرة ابن هشام: ٢ / ٣١٧.

فالبسملة هي الحد الفاصل بين الإسلام والشرك، وبها يميّز المؤمن عن الكافر، ولا ينفك المسلم منها في حِلّه و ترحاله.

## ا. البسملة جزء من الفاتحة

إنّ البسملة جزء من الفاتحة، ويدلّ عليه أُمور نذكرها تباعاً:

**الأوّل**: ما رواه الشافعي باسناده انّ معاوية قدم المدينة فصلّى بها، ولم يقرأ بسم اللّه الرحمن الرحيم، ولم يكبّر عند الخفض إلى الركوع والسجود، فلما سلّم ناداه المهاجرون والأنصار: يا معاوية، سرقتَ من الصلاة، أين بسم اللّه الرحمن الرحيم؟! وأين التكبير عند الركوع والسجود؟! ثمّ إنّه أعاد الصلاة مع التسمية والتكبير.

قال الشافعي: إنّ معاوية كان سلطاناً عظيم القوة، شديد الشوكة، فلولا انّ الجهر بالتسمية كان كالأمر المتقرر عند كلّ الصحابة من المهاجرين والأنصار، وإلاّ لما قدروا على إظهار الإنكار عليه بسبب ترك التسمية.[1]

ونحن نقول: ولولا انّ التسمية جزء من الفاتحة لما اعترض المهاجرون والأنصار على تركها، مضافاً إلى ترك الجهر بها. وهذا الأثر كما يدلّ على جزئيّة التسمية، يدلّعلى لزوم الجهر بها، فيستدلّ به في كلا الموردين.

---

١. مسند الشافعي: ١٣؛ ونقله الرازي بتمامه في تفسيره الكبير: ١ / ٢٠٤؛ والمستدرك للحاكم: ١/ ٢٣٣.

الثاني: روى الشافعي عن مسلم، عن ابن جريج، عن ابن أبي مليكة، عن أمّ سلمة أنّها قالت: قرأ رسول اللّه ﷺ فاتحة الكتاب فعدّ بسم اللّه الرحمن الرحيم آية، الحمد للّه ربّ العالمين آية، الرحمن الرحيم آية، مالك يوم الدين آية، إياك نعبد وإياك نستعين آية، اهدنا الصراط المستقيم آية، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آية.[١] وهذا نص صريح على الجزئيّة.

الثالث: أخرج الحاكم عن أمّ سلمة انّ رسول اللّه ﷺ قرأ في الصلاة بسم اللّه الرحمن الرّحيم فعدها آية، الحمد للّه ربّ العالمين آيتين، الرّحمن الرّحيم ثلاث آيات، مالك يوم الدين أربع آيات، وقال: هكذا إيّاك نعبد وإيّاك نستعين، وجمع خمس أصابعه.[٢]

الرابع: أخرج الحاكم عن أمّ سلمة، قالت: كان النبي ﷺ يقرأ بسم اللّه الرّحمن الرّحيم، الحمد للّه ربّ العالمين يقطعها حرفاً حرفاً.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وأقرّه على صحّته الذهبي في تلخيصه.[٣]

الخامس: أخرج الحاكم عن نعيم المجمر، قال: كنت وراء أبي هريرة، فقرأ بسم اللّه الرّحمن الرّحيم قرأ بأُمّ القرآن حتّى بلغ ولا الضّالين، قال:

---

١. المستدرك: ١/٢٣٢.

٢. المستدرك للحاكم: ١ / ٢٣٢.

٣. المستدرك: ١/٢٣٢.

آمين. وقال الناس: آمين، ويقول كلّما سجد: اللّه أكبر، ويقول إذا سلم:والذي نفسي بيده انّي لأشبهكم صلاة برسول اللّه ﷺ .

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وقرره الذهبي في تلخيصه.(١)

السادس: أخرج الحاكم عن قتادة قال: سئل أنس بن مالك كيف كان قراءة رسول اللّه؟ قال: كانت مدّاً، ثمّ قرأ : بسم اللّه الرّحمن الرّحيم ويمد الرحيم.(٢)

وقرره على ذلك الذهبي في تلخيصه.

السابع: أخرج الحاكم عن ابن جريج، عن أبيه، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي﴾ قال: فاتحة الكتاب ﴿بسم الله الرّحمن الرّحيم * الحمد لله ربّ العالمين﴾ ، وقرأ السورة. وقال ابن جريج: فقلت لأبي لقد أخبرك سعيد عن ابن عباس أنّه قال: بسم اللّه الرحمن الرحيم، آية، قال: نعم.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح ولم يخرجاه وتمام هذا الباب في كتاب الصلاة.(٣)

الثامن: أخرج الثعلبي باسناده إلى أبي هريرة قال: كنت مع النبي ﷺ

---

١ . المستدرك: ١/٢٣٢.

٢ . المستدرك: ٢/٢٣٣.

٣ . المستدرك: ١/٥٥١، تفسير سورة الفاتحة.

في المسجد إذ دخل رجل يصلّي، فافتتح الصلاة، وتعوّذ ثمّ قال: «الحمدللّه ربّ العالمين» فسمع النبي ﷺ فقال: «يا رجل قطعت على نفسك الصلاة، أما علمت أنّ «بسم اللّه الرحمن الرّحيم» من الحمد؟ فمن تركها فقد ترك آية، ومن ترك آية فقد أفسد عليه صلاته.[1]

التاسع: أخرج الثعلبي عن علي أنّه كان إذا افتتح السورة في الصلاة يقرأ«بسم الله الرّحمن الرّحيم» وكان يقول: من ترك قراءتها فقد نقص، وكان يقول: هي تمام السبع المثاني.[2]

العاشر: أخرج الثعلبي عن طلحة بن عبيد اللّه قال: قال رسول اللّه ﷺ : منْ ترك «بسم اللّه الرّحمن الرحيم» فقد ترك آية من كتاب الله، وقد نزل عليّ فيما عدّ من أُمّ الكتاب «بسم الله الرحمن الرحيم».[3]

الحادي عشر: أخرج الدارقطني ـ وصحّحه ـ والبيهقي في السنن عن أبي هريرة قال: قال رسول اللّه ﷺ : إذا قرأتم «الحمد» فاقرأوا«بسم اللّه الرحمن الرحيم» إنّها أُمّ القرآن، وأُمّ الكتاب، والسبع المثاني، و «بسم اللّه الرحمن الرحيم» إحدى آياتها .[4]

الثاني عشر: أخرج الطبراني في الأوسط والدارقطني والبيهقي عن

---

١ . الدر المنثور:٢١/١.

٢ . كنز العمال:٢٩٧/٢ رقم ٤٠٤٩.

٣ . كنزالعمال: ٥٥٦/١برقم٢٤٩٤.

٤ . الدرالمنثور:١١/١؛ السنن الكبرى:٤٥/٢.

نافع، أنّ ابن عمر كان إذا افتتح الصلاة يقرأ بـ «بسم اللّه الرحمن الرحيم» في أُمّ القرآن وفي السورة التي تليها، ويذكر أنّه سمع ذلك من رسول الله .[١]

الثالث عشر: أخرج أبو داود والترمذي والدارقطني والبيهقي عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ يفتتح صلاته بـ «بسم اللّه الرحمن الرّحيم».[٢]

الرابع عشر: أخرج الدارقطني والبيهقي عن أبي هريرة أنّ النبي ﷺ كان إذا قرأ ـ و هو يؤم الناس ـ افتتح بـ «بسم اللّه الرّحمن الرحيم» قال أبو هريرة: هي آية من كتاب اللّه، اقرأوا إن شئتم فاتحة القرآن، فانّها الآية السابعة.[٣]

الخامس عشر: أخرج البيهقي في شعب الإيمان عن ابن عمر انّه كان يقرأ في الصلاة «بسم اللّه الرّحمن الرّحيم» فإذا ختم السورة قرأها يقول: ما كتبت في المصحف إلّا لتقرأ.[٤]

## ٢. السبع المثاني هي فاتحة الكتاب

قد تضافرت الآثار عن علي وابن مسعود وغيرهما من الصحابة وكثير من التابعين على أنّ المراد من السبع المثاني في قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ

---

١ . المعجم الأوسط: ٢٥٧/١؛ السنن الكبرى: ٤٨/٢؛ مجمع الزوائد: ١٠٩/٢.

٢ . سنن الترمذي: ١٥٥/١، ح ٢٤٥؛ سنن الدارقطني: ٣٠٣/١؛ السنن الكبرى: ٤٧/٢.

٣ . السنن الكبرى: ٤٧/٢؛ سنن الدارقطني: ٣٠٥/١.

٤ . شعب الإيمان: ٤٣٩/٢ـ ٤٤٠، ح ٢٣٣٦.

آتيناكَ سَبعاً مِن المَثَانِيَ والقُرآنَ العَظِيم﴾[١] هو فاتحة الكتاب، هذا من جانب، ومن جانب آخر، انّ آياتها لا تبلغ سبعاً إلّا إذا عُدّ البسملة آية منها، فإليك الكلام في المقامين.

أمّا ما دلّ على المراد من السبع المثاني هو سورة الفاتحة، فهو على قسمين:

ما يفسر السبع المثاني بفاتحة الكتاب من دون تصريح بأنّ البسملة جزء من فاتحة الكتاب.

ما يفسر السبع المثاني بفاتحة الكتاب مع التصريح بأنّ البسملة من آياتها.

أمّا القسم الأوّل فإليك بعض ما وقفنا عليه لا كلّه، لأنّه يوجب الإطناب في الكلام.

١. أخرج الطبري عن عبد خير، عن علي ﷺ قال: «السبع المثاني فاتحة الكتاب».[٢]

٢. أخرج الطبري عن ابن سيرين قال: سئل ابن مسعود عن سبع من المثاني؟ قال: فاتحة الكتاب.[٣]

٣. أخرج الطبري عن الحسن في قوله ﴿وَلَقَدْ آتيناك سَبعاً

---

١ . الحجر:٨٧.

٢ . تفسير الطبري:٣٧/١٤.

٣ . تفسير الطبري:٣٧/١٤.

من المثاني﴾ قال: هي فاتحة الكتاب.

وأخرج أيضاً عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: فاتحة الكتاب.

٤. أخرج الطبري عن أبي فاختة في هذه الآية ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي والقرآن العظيم﴾ قال: هي أمّ الكتاب.[١]

٥. أخرج الطبري عن أبي العالية في قول الله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي﴾ قال: فاتحة الكتاب سبع آيات، قلت لربيع: إنّهم يقولون السبع الطوال فقال: لقد أنزلت هذه وما أنزل من الطوال شيء.

٦. أخرج الطبري عن أبي العالية قال: فاتحة الكتاب، قال: وإنّما سمّيت المثاني، لأنّه يثنّى بها كلّما قرأ القرآن قرأها، فقيل لأبي العالية: إنّ الضحاك بن مزاحم يقول: هي السبع الطوال، فقال: لقد نزلت هذه السورة سبعاً من المثاني وما نزل شيء من الطوال.

٧. أخرج الطبري عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال: السبع من المثاني هي فاتحة الكتاب .

٨. أخرج الطبري عن ابن جريج عن ابن مليكة قال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي﴾ قال: فاتحة الكتاب، وذكر فاتحة الكتاب لنبيّكم ﷺ لم تذكر لنبي قبله.

٩. أخرج الطبري عن أبي هريرة، عن أُبيّ قال: قال رسول الله ﷺ :

---

١ . تفسير الطبري: ٣٨/١٤.

ألا أُعلّمك سورة ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها، قلت: بلى.

قال: إنّي لأرجو أن لا تخرج من ذلك الباب حتّى تعلّمها، فقام رسول الله ﷺ وقمت معه فجعل يحدثني ويده في يدي، فجعلت أتباطأ كراهية أن يخرج قبل أن يخبرني بها، فلمّا قرب من الباب قلت: يا رسول الله السورة التي وعدتني، قال: كيف تقرأ إذا افتتحت الصلاة؟ قال: فقرأ فاتحة الكتاب، قال: هي هي، وهي السبع المثاني التي قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي وَالقرآن العظيم﴾ الذي أعطيت.[1]

وأخرجه الحاكم في «المستدرك» وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.[2]

١٠. أخرج الطبري عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: هي أُمّ القرآن وهي فاتحة الكتاب وهي السبع المثاني.[3]

١١. أخرج الطبري عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ في فاتحة الكتاب، قال: هي فاتحة الكتاب وهي السبع المثاني والقرآن العظيم.[4]

وأمّا القسم الثاني و هو ما يفسر السبع المثاني بفاتحة الكتاب ويجعل البسملة أوّل آية منها.

---

١. تفسير الطبري:١٤/٤٠.

٢. المستدرك:٢/٢٥٨.

٣. تفسير الطبري:١٤/٤١.

٤. تفسير الطبري:١٤/٤١.

١٢. أخرج ابن جرير وابن المنذر والطبراني وابن مردويه والحاكم ـ وصحّحه ـ والبيهقي في سننه عن ابن عباس انّه سُئل عن السبع المثاني، قال: فاتحة الكتاب استثناها اللّه لأُمّة محمّد، فرفعها في أُمّ الكتاب، فذخرها لهم حتى أخرجها ولم يعطها أحداً قبله، قيل: فأين الآية السابعة؟ قال: بسم اللّه الرحمن الرحيم.[١]

١٣. أخرج الطبري عن سعيد بن جبير في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي﴾ قال: فاتحة الكتاب، فقرأها على ست، ثمّ قال: بسم اللّه الرحمن الرحيم، الآية السابعة.

قال سعيد: وقرأها ابن عباس عليّ كما قرأها عليك، ثمّ قال: الآية السابعة، بسم اللّه الرحمن الرحيم.[٢]

١٤. أخرج الطبري عن سعيد بن جبير، قال: قال لي ابن عباس: فاستفتح ثمّ قرأ فاتحة الكتاب ثمّ قال: تدري ما هذا ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي﴾.

ولا شهادة في قوله: «فاستفتح ثمّ قرأ فاتحة الكتاب» على خروج البسملة من جوهرها، وذلك لأنّ البسملة لما كانت موجودة في صدر عامة السور فأشار إلى البسملة بقوله: «فاستفتح» ثم أشار إلى سائر آياتها التي تتميز عن سائر السور بقوله: «ثمّ قرأ فاتحة الكتاب».

---

١. الدر المنثور: ٩٤/٥.

٢. تفسير الطبري: ٣٨/١٤.

وبما ذكرنا يفسر الحديث التالي:

١٥. أخرج الطبري عن أبي سعيد بن المعلى انّ النبي ﷺ دعاه وهو يصلّي فصلّى ثمّ أتاه فقال: ما منعك أن تجيبني، قال: إنّي كنت أُصلّي، قال: ألم يقل الله ﴿يا أَيُّها الّذِين آمنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذا دَعاكُمْ لِما يُحيِيكُمْ﴾[1] ، قال: ثمّ قال رسول الله ﷺ لأُعلمنك أعظم سورة في القرآن، فكأنّه بيّنها أو نسي، فقلت: يا رسول الله الذي قلت.

قال : الحمد لله ربّ العالمين، هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أُوتيته.[2]

١٦. أخرج الدارقطني والبيهقي عن أبي هريرة «انّ النبي ﷺ كان إذا قرأ ـ وهو يؤم الناس ـ افتتح «بسم الله الرحمن الرحيم» قال أبو هريرة: آية من كتاب الله، اقرأوا إن شئتم فاتحة الكتاب، فانّها الآية السابعة.[3]

١٧. أخرج الدارقطني والبيهقي في السنن بسند صحيح عن عبد خير، قال: سئل علي ؑ عن السبع المثاني، فقال: «الحمد لله ربّ العالمين» فقيل له: إنّما هي ست آيات! فقال: «بسم الله الرّحمن الرّحيم» آية.[4]

---

١ . الأنفال:٢٤.

٢ . تفسير الطبري:٤١/١٤.

٣ . السنن الكبرى: ٢ / ٤٧ ؛ سنن الدارقطني: ١ / ٣٠٥.

٤ . سنن الدارقطني:٣١١/١؛ السنن الكبرى:٤٥/٢.

١٨. أخرج ابن الأنباري في المصاحف عن أُمّ سلمة قالت: قرأ رسول الله ﷺ ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْـمُسْتَقِيمَ * صِـــرَاطَ الَّـذِينَ أَنْـعَمْتَ عَـلَيْهِمْ غَـيْرِ الْـمَغْضُوبِ عَـلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ وقال: هي سبع يا أُمّ سلمة.[1]

## ٣. فاتحة الكتاب سبع آيات مع البسملة

إنّ فاتحة الكتاب آيات سبع إذا قلنا بكون التسمية جزءاً منها، ولذلك ترى أنّ المصاحف المعروفة تعد البسملة آية من سورة الفاتحة وإن كان يترك عدّها آية من سائر السور، وعلى ذلك يكون عدد الآيات سبعاً كالشكل التالي:

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْـعَالَمِينَ * الرَّحْـمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّـذِينَ أَنْـعَمْتَ عَـلَيْهِمْ غَـيْرِ الْـمَغْضُوبِ عَـلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾.

فترى أنّ كلّ آية جملة تامة، وأمّا من لم يجعل التسمية من السبع فقد جعل ﴿صراط الّذين أنعمت عـليهم﴾ آيـة، ﴿غـيرالمـغضوب عـليهم ولا الضّالين﴾ آية أُخرى، ومعنى ذلك جعل المبدل منه آية والبدل آية أُخرى،

---

١. الدر المنثور: ١ / ١٢.

وهذا ما لا يستسيغه الذوق السليم.

كما أنّ من حاول أن يجعل ﴿إيّاك نعبد﴾ آية، ﴿وإيّاك نستعين﴾ آية أُخرى فقد سلك مسلكاً وعراً، فإنّ الجملتين كسبيكة واحدة تنص على التوحيد في العبادة والاستعانة فما معنى الفصل بينهما.

هذا بعض ما وقفنا عليه من روايات أهل السنّة الدالة على أنّ البسملة جزء من الفاتحة، ويدلّ عليه أيضاً أمران آخران:

١. ما سيمرّ عليك من أنّ النبي ﷺ وأصحابه كانوا يجهرون بالبسملة.

٢. ما يدلّ على أنّ البسملة جزء من كلّ سورة.

## ٤. التسمية ولزوم الجهر بها

قد أثبت البحث السالف الذكر انّ التسمية جزء من فاتحة الكتاب ومن صميمها، فلا تتم السورة إلّا بقراءتها، وأمّا الجهر بها فحكمه كحكم سائر أجزاء السورة، فلو كانت الصلاة من الصلوات الجهرية يجب الجهر بها ما لم يدلّ دليل على جواز المخافتة، مضافاً إلى أنّه قد تضافرت الروايات على لزوم الجهر بها، ويستفاد ذلك من الروايات التالية:

١. أخرج الحاكم عن أبي هريرة قال: كان رسول اللّه ﷺ يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم.[1]

---

١. المستدرك: ١/٢٣٢.

٢. أخرج الحاكم عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول اللّٰه ﷺ جهر ببسم الله الرحمن الرحيم. وقال: رواة هذا الحديث عن آخرهم ثقات، وأقرّه على ذلك الذهبي في تلخيصه.(١)

٣. أخرج الحاكم في مستدركه عن محمد بن أبي السري العسقلاني ، قال: صليت خلف المعتمر بن سليمان ما لا أحصي صلاة الصبح والمغرب فكان يجهر ببسم اللّٰه الرحمن الرحيم قبل فاتحة الكتاب وبعدها، وسمعت المعتمر يقول: ما آلو أن اقتدي بصلاة أبي، وقال أبي: ما آلو أن اقتدي بصلاة أنس بن مالك، وقال أنس بن مالك: ما آلو أن اقتدي بصلاة رسول الله ﷺ.

رواة هذا الحديث عن آخرهم ثقات، وأقرّه على ذلك الذهبي في تلخيصه.(٢)

٤. أخرج الحاكم عن حُميد الطويل، عن أنس، قال: صلّيت خلف النبي ﷺ وخلف أبي بكر وخلف عمر وخلف عثمان وخلف علي كلّهم كانوا يجهرون بقراءة بسم اللّٰه الرحمن الرحيم ، ثمّ قال:

وقد بقي في الباب عن أمير المؤمنين عثمان و علي، وطلحة بن عبيد اللّٰه، وجابر بن عبد اللّٰه، وعبد اللّٰه بن عمر، والحكم بن عمير الثمالي، والنعمان بن بشير، وسمرة بن جندب، وبريدة الأسلمي، وعائشة بنت الصديق كلّها مخرجة عندي في الباب، تركتها إيثاراً للتخفيف واختصرت

---

١. المستدرك: ٢٣٢/١.

٢. المستدرك: ٢٣٢/١.

منها ما يليق بهذا الباب، وكذلك ذكرت في الباب من جهر ببسم اللّه الرحمن الرحيم من الصحابة والتابعين وأتباعهم.[1]

وبما انّ الكلام الأخير الذي يدّعي إطباق الأئمة على الجهر بالتسمية في الصلوات يخالف مذهب إمام الذهبي، فغاظ غيظه وادّعى انّ نسبة الجهر إلى هؤلاء كذب محض، ثمّ حلف على صدق مدّعاه مع أنّ النبي ﷺ قال: «البينة على المدّعي واليمين على المنكر» فمن يدّعي الكذب فعليه البيّنة لا الحلف، وإلّا ففي وسع كلّ من يرى الحديث مخالفاً لهواه وللمذهب الذي نشأ عليه، أن يحلف على كذبه.

٥. ما رواه الإمام الشافعي في مسنده انّ معاوية قدم المدينة فصلّى بها ولم يقرأ بسم اللّه الرحمن الرحيم، فاعترض عليه المهاجرون والأنصار بقولهم: يا معاوية سرقت منّا الصلاة، أين بسم اللّه الرّحمن الرّحيم؟!

وعلّق عليه الشافعي بقوله: فلولا أنّ الجهر بالتسمية كان كالأمر المتقرر عند كلّ الصحابة من المهاجرين والأنصار، وإلاّ لما قدروا على إظهار الإنكار عليه بسبب ترك التسمية.

٦. وأخرجه الحاكم بنحو آخر وقال: إنّ أنس بن مالك قال: صلّى معاوية بالمدينة صلاة فجهر فيها بالقراءة فقرأ فيها بسم اللّه الرحمن الرحيم لأُمّ القرآن ولم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم للسورة التي بعدها حتّى قضى تلك القراءة، فلمّا سلّم ناداه من سمع ذلك من المهاجرين

---

١ . المستدرك: ١/٢٣٢.

والأنصار من كلّ مكان: أسرقت الصلاة أم نسيت؟! فلمّا صلّى بعد ذلك قرأ بسم اللّٰه الرّحمن الرّحيم للسورة التي بعد أُمّ القرآن وكبّر حين يهوي ساجداً.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم فقد احتج بعبد المجيد بن عبد العزيز وسائر الرواة متفق على عدالتهم، وأقرّه على ذلك الذهبي في تلخيصه.

٧. قال الرازي في تفسيره : إنّ البيهقي روى الجهر ببسم اللّٰه الرّحمن الرحيم في سننه عن عمر بن الخطاب وابن عباس وابن عمر وابن الزبير، ثمّ قال الرازي ما هذا لفظه: وأمّا انّ علي بن أبي طالب كان يجهر بالتسمية فقد ثبت بالتواتر و من اقتدى في دينه بعلي بن أبي طالب فقد اهتدى، قال: والدليل عليه قول رسول الله ﷺ : اللّهم أدر الحقّ مع علي حيث دار.[1]

٨. أخرج البزار و الدارقطني والبيهقي في «شعب الإيمان» من طريق أبي الطفيل قال سمعت علي بن أبي طالب وعماراً يقولان: إنّ رسول الله ﷺ كان يجهر في المكتوبات بـ«بسم اللّٰه الرحمن الرحيم» في فاتحة الكتاب.[2]

---

١ . التفسير الكبير: ٢٠٤/١.

٢ . سنن الدار قطني: ١ / ٣٠٢؛ شعب الإيمان: ٢ / ٤٣٦، الحديث ٢٣٢٢، باب تعظيم القرآن؛ الدر المنثور: ١ / ٢١، ٢٢.

٩. أخرج الدارقطني عن عائشة انّ رسول اللّه ﷺ كان يجهر بـ«بسم اللّه الرّحمن الرّحيم».[١]

١٠. أخرج الدارقطني عن النعمان بن بشير قال: قال رسول اللّه: «أمّني جبرئيل عليه السلام عند الكعبة فجهر بـ«بسم اللّه الرحمن الرحيم».[٢]

١١. أخرج الدارقطني عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: كان النبي ﷺ يجهر بـ«بسم اللّه الرحمن الرحيم» في السورتين جميعاً.[٣]

١٢. أخرج الدارقطني والحاكم والبيهقي عن أبي هريرة، وكان رسول اللّه ﷺ يجهر بـ«بسم اللّه الرّحمن الرّحيم» في الصلاة. وزاد البيهقي: «فترك الناس ذلك».[٤]

١٣. أخرج الدارقطني عن عبد اللّه بن عمر قال: «صلّيت خلف النبي ﷺ وأبي بكر وعمر فكانوا يجهرون بـ«بسم اللّه الرحمن الرحيم».[٥]

١٤. أخرج الثعلبي عن علي بن زيد بن جدعان انّ العبادلة كانوا يستفتحون القراءة بـ«بسم اللّه الرحمن الرحيم» يجهرون بها: عبد اللّه بن

---

١. الدرالمنثور: ١/٢٣.

٢. سنن الدارقطني: ١ / ٣٠٩؛ الدر المنثور: ١ / ٢٢.

٣. سنن الدارقطني: ١ / ٣٠٢؛ الدرالمنثور: ١ / ٢٢.

٤. سنن الدارقطني: ١ / ٣٠٦؛ مستدرك الحاكم: ١ / ٢٠٨؛ السنن الكبرى: ٢ / ٤٧ .

٥. سنن الدارقطني: ١/٣٠٥؛ الدرالمنثور: ١/٢٢.

عباس و عبد اللّٰه بن عمر، و عبد اللّٰه بن الزبير.[١]

١٥. أخرج البيهقي عن الزهري قال: من سنّة الصلاة أن تقرأ بسم اللّٰه الرّحمن الرّحيم، وانّ أوّل من أسرّ «بسم اللّٰه الرحمن الرحيم» عمرو بن سعيد بن العاص بالمدينة وكان رجلاً حييًا.[٢]

١٦. أخرج الدارقطني عن أبي هريرة قال: قال رسول اللّٰه ﷺ علّمني جبرئيل الصلاة ، فقام فكبّر لنا ثمّ قرأ «بسم اللّٰه الرحمن الرحيم» فيما يجهر، في كلّ ركعة .[٣]

١٧. أخرج الدارقطني عن الحكم بن عمير ـ وكان بدرياً ـ قال: صلّيت خلف النبي ﷺ فجهر في الصلاة بـ«بسم اللّٰه» و صلاة الليل، وصلاة الفجر وصلاة الجمعة.[٤]

وقد احتجّ الرازي على لزوم الجهر بالتسمية في الصلوات الجهرية بما أوعزنا إليه في صدر البحث من أنّ حكم جزء السورة كحكم كلّها ولا يصحّ التبعيض بين الكل والجزء إلّا بدليل قاطع، وقد ذكره الرازي باللفظ التالي:

---

١ . الدر المنثور: ٢١/١.

٢ . الدرالمنثور: ٢١/١.

٣ . سنن الدارقطني: ٣٠٥/١؛ الدر المنثور: ٢٠/١، ٢١.

٤ . سنن الدارقطني: ٣٠٨/١؛ الدر المنثور: ٢٢/١، ٢٣.

قد دللنا على أنّ التسمية آية من الفاتحة، وإذا ثبت هذا فنقول: الاستقراء دلّ على أنّ السورة الواحدة إمّا أن تكون بتمامها سرية أو جهرية، فأمّا أن يكون بعضها سرياً وبعضها جهرياً فهذا مفقود في جميع السور، وإذا ثبت هذا كان الجهر بالتسمية مشروعاً في القراءة الجهرية.[1]

## أئمّة أهل البيت عليهم السلام والجهر بالبسملة

تضافرت الروايات عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام على الجهر بالبسملة، وكانت سيرة الإمام علي عليه السلام والأئمّة عليهم السلام بعده على الجهر بها، نقتطف شيئاً ممّا أثر عنهم:

١٨. أخرج الشيخ أبو الفتوح الرازي في تفسيره باسناده إلى الرضا، عن أبيه، عن الصادق عليه السلام قال: «اجتمع آل محمّد صلى الله عليه وآله على الجهر ببسم اللّه الرحمن الرحيم».[2]

١٩. أخرج علي بن إبراهيم في تفسيره باسناده عن ابن أُذينة قال: قال أبو عبد اللّه عليه السلام : «بسم اللّه الرحمن الرحيم» أحقّ ما جهر به، وهي الآية التي قال اللّه عزّوجلّ: ﴿وَإِذا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلىٰ أَدْبارِهِمْ نُفُوراً﴾[3].[4]

---

١ . التفسير الكبير: ٢٠٤/١.

٢ . روض الجنان: ٥٠/١؛ مستدرك الوسائل: ١٨٩/٤ رقم ٤٤٥٦.

٣ . الإسراء: ٤٦.

٤ . تفسير القمّي: ٢٨/١.

٢٠. أخرج الصدوق باسناده عن الأعمش، عن جعفر بن محمد ﷺ أنّه قال: «والإجهار ببسم اللّٰه الرحمن الرحيم في الصلاة واجب».[١]

٢١. أخرج الصدوق باسناده عن الفضل بن شاذان فيما كتبه الرضا للمأمون في بيان محض الإسلام جاء فيه: «والإجهار ببسم اللّٰه الرحمن الرحيم في جميع الصلوات سنّة».[٢]

٢٢. وعن الرضا ﷺ انّه كان يجهر ببسم اللّٰه الرّحمن الرحيم في جميع صلواته بالليل والنهار.[٣]

٢٣. أخرج الكليني عن صفوان الجمّال قال: صلّيت خلف أبي عبد اللّٰه ﷺ أيّاماً، فكان إذا كانت صلاة لايجهر فيها، جهر ببسم اللّٰه الرحمن الرحيم، وكان يجهر في السورتين.[٤]

٢٤. أخرج العياشي عن خالد المختار قال: سمعت جعفر بن محمد يقول: «ما لهم عمدوا إلى أعظم آية في كتاب اللّٰه فزعموا انّها بدعة إذا أظهروها، وهي بسم اللّٰه الرحمن الرحيم».[٥]

٢٥. أخرج الكليني عن يحيى بن أبي عمران الهمداني قال: كتبت إلى

---

١. الخصال:٢/٦٠٤، أبواب المائة فما فوقه، رقم ٩.

٢. عيون أخبار الرضا :٢/١٢٢، الباب ٣٥.

٣. عيون أخبار الرضا:٢/١٨١، الباب ٤٤ رقم ٥.

٤. الكافي: ٣ / ٣١٥، الحديث ٢٠.

٥. تفسير العياشي: ١/٢١، الحديث ١٦.

أبي جعفر [الجواد] عليه السلام : جعلت فداك ما تقول في رجل ابتدأ ببسم اللّه الرحمن الرحيم في صلاته وحده في أُمّ الكتاب فلمّا صار إلى غير أُمّ الكتاب من السورة تركها، فقال العباسي: ليس بذلك بأس؟

فكتب بخطّه: «يعيدها ـ مرّتين ـ على رغم أنفه ـ يعني العباسي ـ».[1]

ولعلّ فيما ذكر من الروايات غنى وكفاية، لطالب الحقّ ورائد الحقيقة.

١ . الكافي: ٣/٣١٣، الحديث ٢.

# ٥

## التأمين بعد الفاتحة

انفردت الإمامية على لزوم ترك لفظة (آمين) بعد قراءة الفاتحة خلافاً لسائر المذاهب حيث ذهبوا إلى أنّها سنّة.[١]

قال الشيخ الطوسي في «الخلاف»: قول آمين يقطع الصلاة سواء كان ذلك سراً أو جهراً في آخر الحمد أو قبلها للإمام والمأموم على كل حال.

وقال أبو حامد الإسفرائيني: إن سبق الإمام المأمومين بقراءة الحمد لم يجز لهم أن يقولوا آمين، فإن قالوا ذلك استأنفوا قراءة الحمد. وبه قال بعض أصحاب الشافعي.[٢]

والدليل على أنّه ليس جزءاً من الصلاة ولا أمراً مستحباً، هو الروايات البيانية الّتي تقدمت في مسألة القبض فإنّنا نلاحظ أنّ الروايات الّتي تبيّن كيفية صلاة النبي بأسرها خالية عن هذه اللفظة.

فقد جاء في رواية أبي حميد الساعدي: إذا قام إلى الصلاة رفع يديه حتّى يحاذي منكبيه ثم يكبّر حتّى يقرّ كلّ عضو منه في موضعه معتدلاً، ثم

---

١. الانتصار: ١٤٤.

٢. الخلاف: ١ / ٣٣٣.

يقرأ، ثم يكبّر ويرفع يديه حتّى يحاذي بهما منكبيه، ثم يركع ويضع راحتيه على ركبتيه.[١]

ترى أنّه ليس في هذه الرواية أي إشارة إلى التأمين والّذي هو غير داخل في القراءة، ولفظة القراءة لا تحكي عنه.

وقد ورد أنّ النبي ﷺ قال: إذا قمت إلى الصلاة... ثم استقبل القبلة وكبّر به ثم اقرأ ما تيسّر معك من القرآن.[٢] وليس فيه أي اشارة إلى التأمين وليس داخلاً في قوله: «ما تيسر معك من القرآن».

وفي حديث عائشة عندما وصفت صلاة الرسول ﷺ: كان رسول الله يستفتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين وكان إذا ركع يشخص رأسه.[٣]

وهكذا سائر الروايات البيانية حيث لا تجد أيّة إشارة إلى التأمين، ثم إنّ القائل بجواز التأمين يستدلّ بأنّه تأمين على دعاء سابق، وهو قوله جل ثناؤه: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

يلاحظ عليه: أوّلاً: أنّ الدعاء أمر قصدي، ومن يقرأ الفاتحة فإنّما يقصد تلاوة القرآن ولايقصد الدعاء، وقد أُمر الناس بقراءتها حيث ورد لا صلاة إلّا بفاتحة الكتاب.

---

١. السنن للبيهقي: ٢ / ٧٢، ٧٣، ١٠١، ١٠٢؛ سنن أبي داود: ١ / ١٩٤، باب افتتاح الصلاة، الحديث ٧٣٠ ـ ٧٣٦.

٢. بلوغ المرام: ٩٢ برقم ٢ / ٢٥٠.

٣. بلوغ المرام: ٩٩ برقم ٨ / ٢٥٧.

وثانياً: سلمنا أنّه تأمين على دعاء سابق لكن كثيراً من المصلّين خصوصاً غير العرب لا يتبادر إلى أذهانهم وجود الدعاء في آيات الفاتحة حتّى يأمنوا لها.

ثالثاً: سلمنا أنّه تأمين للدعاء السابق لكنه يجب التفصيل الّذي ذهب إليه أبو حامد الإسفرائيني حيث لم يجوز التأمين إذا سبق الإمام المأمومين بقراءة الحمد كما إذا حصل المأموم في الصلاة والإمام تجاوز عن قوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ .

وهذا مبني على أنّ قول «آمين» ليس من كلام الآدميين وإلّا فيكون مبطلاً، وقد روي عن النبي ﷺ أنّه قال: «إنّ هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الآدميين أو من كلام الناس» .[1]

هذا كلّه دراسة على ضوء القواعد ولكن أئمة أهل البيت عليهم السلام أحد الثقلين الذين لا يفارقون الكتاب قالوا بحرمة التأمين وإبطاله الصلاة .

روى محمد الحلبي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام: أقول إذا فرغت من فاتحة الكتاب، آمين؟ قال: «لا» .[2]

---

١ . صحيح مسلم: ١ / ٣٨١ برقم ٥٣٧ .

٢ . الوسائل: ٤، الباب ١٧ من أبواب القراءة في الصلاة، الحديث ٣ .

## ٦

# القنوت في الركعة الثانية

ذهب فقهاء الإمامية إلى أنّ القنوت في كلّ صلاة والدعاء فيه بما أحبَّ الداعي مستحب وهو قول الشافعي في كتاب «الاختلاف» حيث قال: إنّ له أن يقنت في الصلاة كلّها عند حاجة المسلمين إلى الدعاء.[1]

قال الشيخ الطوسي: القنوت مستحب في كلّ ركعتين في جميع الصلوات بعد القراءة فرائضها وسننها قبل الركوع، فإن كانت الفريضة رباعية كان فيها قنوت واحد في الثانية من الأُولتين، وإن كانت جمعة كان فيها قنوتان على الإمام في الأُولى قبل الركوع، وفي الثانية بعد الركوع وهو مسنون في ركعة الوتر في جميع السنة.

وقال الشافعي: القنوت مستحب في صلاة الصبح خاصة بعد الركوع، فإن نسيه كان عليه سجدتا السهو، وقال: يجري ذلك مجرى التشهّد الأوّل في كونه سنّة، وقال في سائر الصلاة: إذا نزلت نازلة قولاً واحداً يجوز، وإذا لم تنزل كان على قولين، ذكر في «الأُم»: إنّ له ذلك، وقال في «الإملاء»: إن شاء قنت، وإن شاء ترك.

وقال الطحاوي: القنوت في سائر الصلاة لم يقل به غير الشافعي،

---

١. الانتصار: ١٥٢؛ لاحظ كتاب الأُم: ١ / ١٣٠ و ٢٣٨؛ بداية المجتهد: ١ / ١٣٤.

وذكر الشافعي أنّ بمذهبه قال في الصحابة الأئمة الأربعة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي عليه السلام، وبه قال أنس بن مالك، وإليه ذهب الحسن البصري، وبه قال مالك والأوزاعي، وابن أبي ليلى قال: وهكذا القنوت في الوتر في النصف الأخير من شهر رمضان لا غير.[1]

إنّ أئمة أهل البيت عليهم السلام وهم أحد الثقلين أفتوا باستحبابه في كلّ صلاة.

روى الصدوق باسناده عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: «القنوت في كلّ الصلوات».[2]

---

١. الخلاف: ١ / ٣٧٩ ـ ٣٨٠.

٢. الوسائل: ٤، الباب ١ من أبواب القنوت، الحديث ١، ولاحظ سائر روايات الباب.

٧

# السجود على الأرض

لعلّ من أوضح مظاهر العبودية والانقياد والتذلّل من قبل المخلوق لخالقه هو السجود، وبه يؤكّد المؤمن عبوديّته للّه تعالى. والباريْ عزّاسمه يقدّر لعبده هذا التصاغرَ وهذه الطاعة فيُضفي على الساجد فيضَ لطفه وعظيم إحسانه، لذا روي في بعض المأثورات: «أقرب ما يكون العبد إلى ربّه حال سجوده».

ولمّا كانت الصلاة من بين العبادات معراجاً يتميّز بها المؤمن عن الكافر، وكان السجود ركناً من أركانها، لم يكن هناك في إعلان التذلّل للّه تعالى أوضح من السجود على التراب والرمل والحجر والحصى، لما فيه من تذلّل أوضح وأبين من السجود على الحصر والبواري، فضلاً عن السجود على الألبسة الفاخرة والفرش الوثيرة والذهب والفضّة، وإن كان الكلّ سجوداً، إلّا أنّ العبودية تتجلّى في الأوّل بما لا تتجلّى في غيره.

والإمامية ملتزمة بالسجدة على الأرض في حضرهم وسفرهم، ولا يعدلون عنها إلّا إلى ما أُنبت منها بشرط أن لا يُؤكل ولا يلبس، ولايرون السجود على غير الأرض وما أنبت منها صحيحاً في حال الصلاة أخذاً بالسنّة المتواترة عن النبيّ الأكرم ﷺ وأهل بيته وصحبه. وسيظهر ـ في ثنايا البحث ـ أنّ الالتزام بالسجود على الأرض أو ما أنبتت، كانت هي السنّة

بين الصحابة، وأنّ العدول عنها حدث في الأزمنة المتأخّرة. وتظهر حقيقة الحال ضمن بيان أُمور:

### ١. اختلاف الفقهاء في شرائط المسجود عليه

اتّفق المسلمون على وجوب السجود في الصلاة في كلّ ركعة مرّتين، ولم يختلفوا في المسجود له، فإنّه هو اللّه سبحانه الذي له يسجد مَن في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً[1]، وشعار كلّ مسلم قوله سبحانه: ﴿لا تَسجُدُوا لِلشَّمسِ ولا للقَمَرِ واسجُدُوا للّهِ الَّذي خَلَقَهُنَّ﴾[2] وإنّما اختلفوا في شروط المسجود عليه ـ أعني: ما يضع الساجد جبهته عليه ـ فالشيعة الإمامية تشترط كون المسجود عليه أرضاً أو ما ينبت منها غير مأكول ولا ملبوس كالحصر والبواري، وما أشبه ذلك. وخالفهم في ذلك غيرهم من المذاهب، وإليك نقل الآراء:

قال الشيخ الطوسي[3] ـ وهو يبيّن آراء الفقهاء ـ: لا يجوز السجود إلّا على الأرض، أو ما أنبتته الأرض ممّا لا يؤكل ولا يلبس من قطن أو كتان مع الاختيار. وخالف فقهاء السنّة في ذلك حيث أجازوا السجود على

---

١. إشارة إلى قوله سبحانه: ﴿وَلِلّهِ يَسْجُدُ مَنْ في السّمواتِ والأرضِ طَوْعاً وَكرْهاً وظلالُهم بِالغُدُوّ وَالآصالِ﴾ ـ الرعد: ١٥ ـ.

٢. فصلت: ٣٧.

٣. من أعلام الشيعة في القرن الخامس صاحب التصانيف والمؤلّفات ولد عام ٣٨٥ هـ وتوفّي عام ٤٦٠ هـ، من تلاميذ الشيخ المفيد (٣٣٦ ـ ٤١٣ هـ)، والسيّد الشريف المرتضى (٣٥٥ ـ ٤٣٦ هـ) ـ رضي اللّه عنهم.

القطن والكتان والشعر والصوف وغير ذلك ـ إلى أن قال ـ: لا يجوز السجود على شيء هو حامل له ككور العمامة، وطرف الرداء، وكُمّ القميص، وبه قال الشافعي، وروي ذلك عن علي عليه السلام وابن عمر، وعبادة بن الصامت، ومالك، وأحمد بن حنبل.

وقال أبو حنيفة وأصحابه: إذا سجد على ما هو حامل له كالثياب التي عليه، أجزأه.

وإن سجد على ما لا ينفصل منه مثل أن يفترش يده ويسجد عليها أجزأه لكنّه مكروه، وروي ذلك عن الحسن البصري.[1]

وقال العلاّمة الحلّي [2] ـ وهو يبيّن آراء الفقهاء فيما يسجد عليه ـ: لا يجوز السجود على ما ليس بأرض ولا من نباتها كالجلود والصوف عند علمائنا أجمع،... وأطبق الجمهور على الجواز.[3]

وقد اقتفت الشيعة في ذلك أثر أئمتهم الذين هم أعدال الكتاب وقرناؤه في حديث الثقلين، ونحن نكتفي هنا بإيراد شيء ممّا روي عنهم في هذا الجانب:

روى الصدوق باسناده عن هشام بن الحكم أنّه قال لأبي عبد

١. الخلاف: ١/ ٣٥٧ ـ ٣٥٨، المسألة ١١٢ ـ ١١٣، كتاب الصلاة.

٢. الحسن بن يوسف بن المطهر الحلّي (٦٤٨ ـ ٧٢٦هـ) وهو زعيم الشيعة في القرن السابع والثامن، لا يسمح الدهر بمثله إلّا في فترات خاصة.

٣. التذكرة: ٢/ ٤٣٤، المسألة ١٠٠.

اللّه ﷺ: أخبرني عمّا يجوز السجود عليه، وعمّا لا يجوز؟ قال: «السجود لا يجوز إلّا على الأرض، أو على ما أنبتت الأرض إلاّ ما أُكل أو لبس». فقال له: جعلت فداك ما العلّة في ذلك؟

قال: «لأنّ السجود خضوع للّه عزّ وجلّ فلا ينبغي أن يكون على ما يؤكل ويلبس، لأنّ أبناء الدنيا عبيد ما يأكلون ويلبسون، والساجد في سجوده، في عبادة اللّه عزّ وجلّ، فلا ينبغي أن يضع جبهته في سجوده على معبود أبناء الدنيا الذين اغترّوا بغرورها».[1]

وقال الصادق ﷺ: «وكلّ شيء يكون غذاء الإنسان في مطعمه أو مشربه، أو ملبسه، فلا تجوز الصلاة عليه، ولا السجود إلّا ما كان من نبات الأرض من غير ثمر، قبل أن يصير مغزولاً، فإذا صار غزلاً فلا تجوز الصلاة عليه إلّا في حال ضرورة».[2]

فلا عتب على الشيعة إذا التزموا بالسجود على الأرض أو ما أنبتته إذا لم يكن مأكولاً ولا ملبوساً اقتداءً بأئمّتهم.

على أنّ ما رواه أهل السنّة في المقام، يدعم نظريّة الشيعة، وسيظهر لك فيما سيأتي من سرد الأحاديث من طرقهم، ويتّضح أنّ السنّة كانت هي

---

١ ـ الوسائل: ج ٣، الباب ١ من أبواب ما يسجد عليه، الحديث ١، وهناك روايات بمضمونه. والكلّ يتضمّن أنّ الغاية من السجود التي هي التذلّل لا تحصل بالسجود على غير الأرض و ما ينبت غير المأكول والملبوس فلاحظ.

٢ ـ الوسائل: ٣، الباب ١ من أبواب ما يسجد عليه، الحديث ١١.

السجود على الأرض، ثمّ جاءت الرخصة في الحصر والبواري فقط، ولم يثبت الترخيص الثالث، بل ثبت المنع عنه كما سيوافيك.

روى المحدث النوري في «المستدرك» عن «دعائم الإسلام»: عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن آبائه، عن علي عليه السلام، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إنّ الأرض بكم برّة، تتيمّمون منها، وتصلّون عليها في الحياة (الدنيا) وهي لكم كفاة في الممات، وذلك من نعمة اللّه، له الحمد، فأفضل ما يسجد عليه المصلّي الأرض النقيّة».[1]

وروى أيضاً عن جعفر بن محمد عليه السلام أنّه قال:

«ينبغي للمصلّي أن يباشر بجبهته الأرض، ويعفّر وجهه في التراب، لأنّه من التذلّل للّه».[2]

وقال عبد الوهاب بن أحمد الأنصاري المصري المعروف بالشعراني (من أعيان القرن العاشر) ـ ما هذا نصّه ـ: المقصود إظهار الخضوع بالرأس حتى يمسّ الأرض بوجهه الذي هو أشرف أعضائه، سواء كان ذلك بالجبهة أو الأنف، بل ربّما كان الأنف عند بعضهم أولى بالوضع من حيث إنّه مأخوذ من الأنفة والكبرياء، فإذا وضعه على الأرض، فكأنّه خرج عن الكبرياء التي عنده بين يدي اللّه تعالى، إذ الحضرة الإلهية محرّم دخولها على من فيه أدنى ذرة من كبر فإنّها هي الجنة الكبرى حقيقة،

---

١. مستدرك الوسائل: ٤، الباب ١٠ من أبواب ما يسجد عليه، الحديث ١.

٢. مستدرك الوسائل: ٤، الباب ١٠ من أبواب ما يسجد عليه، الحديث ٢.

وقد قال ﷺ: «لايدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر». [١]

نقل الإمام المغربي المالكي الروداني (المتوفّى ١٠٤٩ هـ): عن ابن عباس رفعه: من لم يلزق أنفه مع جبهته بالأرض إذا سجد لم تجز صلاته. [٢]

كما أنّ أصل العمل العبادي أمر توقيفي فكذلك شرائطه وأحكامه هي الأُخرى التي يجب أن تُوضّح وتُبيَّن من جانب مبيّن الشريعة ومبلّغها، ونعني به: رسول الله ﷺ، لأنّه ﷺ هو الأُسوة بنصّ القرآن الكريم والمبيّن للكتاب العزيز، وعلى المسلمين جميعاً أن يتعلّموا منه أحكام دينهم وتفاصيل شريعتهم، وقد قال سبحانه:

﴿لَقَدْ كانَ لَكُمْ في رَسُول اللّه أُسوةٌ حَسَنة لِمَنْ كانَ يَرْجُوا اللّه وَالْيَوم الآخر وَذكر اللّه كَثيراً﴾. [٣]

﴿وَما آتاكُمُ الرسولُ فَخُذُوه وَمانَهاكُمْ عَنْه فانتَهُوا﴾. [٤]

## ٢. الفرق بين المسجود له والمسجود عليه

كثيراً ما يتصوّر أنّ الالتزام بالسجود على الأرض أو ما أنبتت منها بدعة وتُتخيّل التربة المسجود عليها وَثَناً، وهؤلاء هم الذين لا يفرّقون بين

---

١. اليواقيت والجواهر في عقائد الأكابر: ١ / ١٦٤. الطبعة الأُولى.

٢. جمع الفوائد من جامع الأُصول ومجمع الزوائد: ١ / ٢١٤ برقم ١٥١٥.

٣. الأحزاب: ٢١.

٤. الحشر: ٧.

المسجود له والمسجود عليه، ويزعمون أنّ الحجر أو التربة الموضوعة أمام المصلّي وثن يعبده المصلّي بوضع الجبهة عليه. ولكن لا عتب على الشيعة إذا قصر فهم المخالف، ولم يفرّق بين الأمرين، وزعم المسجودَ عليه مسجوداً له، وقاس أمرَ الموحّد بأمرِ المشرك بحجّة المشاركة في الظاهر، فأَخَذَ بالصور والظواهر، مع أنّ الملاك هو الأخذ بالبواطن والضمائر، فالوثن عند الوثني معبود ومسجود له، يضعه أمامه ويركع ويسجد له، ولكن الموحّد الذي يريد إظهارَ العبودية إلى نهاية مراتبها، يخضع للّه سبحانه ويسجد له، ويضع جبهته ووجهه على التراب والحجر والرمال والحصى، مظهراً بذلك مساواته معها عند التقييم قائلاً: أين التراب وربّ الأرباب؟

نعم: الساجد على التربة غير عابد لها، بل يتذلّل إلى ربّه بالسجود عليها، ومن توهّم عكس ذلك فهو من البلاهة بمكان، وسيؤدي إلى إرباك كلّ المصلين والحكم بشركهم، فمن يسجد على الفرش والقماش وغيره لابدّ أن يكون عابداً لها على هذا المنوال فيا للعجب العجاب!!

روى الآمدي عن علي أمير المؤمنين ﷺ أنّه قال: «السجود الجسماني: وضع عتائق الوجوه على التراب».(١)

## ٣. السنّة في السجود في عصر الرسول ﷺ وبعده

إنّ النبي الأكرم ﷺ وصحبه كانوا ملتزمين بالسجود على الأرض

---

١ . غرر الحكم ودرر الكلم: ١٠٧/١ برقم ٢٢٣٤.

مدّة لا يستهان بها، متحمّلين شدّة الرمضاء، وغبار التراب، ورطوبة الطين، طيلة أعوام. ولم يسجد أحد يوم ذاك على الثوب وكور العمامة بل ولا على الحصر والبواري والخمر، وأقصى ما كان عندهم لرفع الأذى عن الجبهة، هو تبريد الحصى بأكفّهم ثمّ السجود عليها، وقد شكا بعضهم رسول الله ﷺ من شدّة الحرّ، فلم يجبه، إذ لم يكن له أن يبدل الأمر الإلهي من تلقاء نفسه، إلى أن وردت الرخصة بالسجود على الخمر والحصر، فوسع الأمر للمسلمين لكن في إطار محدود، وعلى ضوء هذا فقد مرّت في ذلك الوقت على المسلمين مرحلتان لا غير:

١ـ ما كان الواجب فيها على المسلمين السجود على الأرض بأنواعها المختلفة من التراب والرمل والحصر والطين، ولم تكن هناك أيّة رخصة لغيرها.

٢ـ المرحلة التي ورد فيها الرخصة بالسجود على نبات الأرض من الحصر والبواري والخمر، تسهيلاً للأمر، ورفعاً للحرج والمشقّة، ولم تكن هناك أيّة مرحلة أُخرى توسع الأمر للمسلمين أكثر من ذلك كما يدّعيه البعض، وإليك البيان:

**المرحلة الأُولى: السجود على الأرض:**

١ـ روى الفريقان عن النبيّ الأكرم ﷺ أنّه قال: «وجُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً»[1].

---

١ . صحيح البخاري: ١ / ٩١، كتاب التيمّم، الحديث ٢؛ وسنن البيهقي: ٢ / ٤٣٣، باب: أينما أدركتك الصلاة فصل فهو مسجد، ورواه غيرهما من أصحاب الصحاح والسنن.

والمتبادر من الحديث أنّ كلّ جزء من الأرض مسجد وطهور يُسجد عليه ويُقصد للتيمّم، وعلى ذلك فالأرض تقصد للجهتين: للسجود تارةً، وللتيمّم أُخرى.

وأمّا تفسير الرواية بأنّ العبادة والسجود لله سبحانه لا يختص بمكان دون مكان، بل الأرض كلّها مسجد للمسلمين بخلاف غيرهم حيث خصّوا العبادة بالبِيَع والكنائس، فهذا المعنى ليس مغايراً لما ذكرناه، فإنّه إذا كانت الأرض على وجه الإطلاق مسجداً للمصلّي فيكون لازمه كون الأرض كلّها صالحة للعبادة، فما ذكر معنى التزامي لما ذكرناه، ويعرب عن كونه المراد ذكر «طهوراً» بعد «مسجداً» وجعلهما مفعولين لـ «جُعلت» والنتيجة هو توصيف الأرض بوصفين: كونه مسجداً وكونه طهوراً، وهذا هو الذي فهمه الجصاص وقال: إنّ ماجعله من الأرض مسجداً هو الذي جعله طهوراً [١]. والمراد من «الطهور» ما يتمّم به حيث إنّ التراب أحد الطهورين.

ومثله غيره من شرّاح الحديث.

**تبريد الحصى للسجود عليها:**

٢ـ عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: كنت أُصلّي مع النبيّ ﷺ الظهر، فآخذ قبضة من الحصى، فأجعلها في كفّي ثمّ أُحوّلها إلى الكف الأُخرى حتى تبرد ثمّ أضعها لجبيني، حتّى أسجد عليها من شدّة الحرّ [٢].

---

١ . أحكام القرآن للجصاص: ٣٨٩/٢، نشر بيروت.

٢ . مسند أحمد: ٣/ ٣٢٧ من حديث جابر ؛ سنن البيهقي: ١ / ٤٣٩، باب ما روي في التعجيل بها في شدّة الحرّ.

وعلّق عليه البيهقي بقوله: قال الشيخ: ولو جاز السجود على ثوب متّصل به لكان ذلك أسهل من تبريد الحصى بالكف ووضعها للسجود [١].

ونقول: ولو كان السجود على مطلق الثياب سواء كان متصلاً أم منفصلاً جائزاً لكان أسهل من تبريد الحصى، ولأمكن حمل منديل أو ما شابه للسجود عليه.

٣ـ روى أنس قال: كنّا مع رسول اللّه ﷺ في شدّة الحرّ فيأخذ أحدنا الحصباء في يده فإذا برد وضعه وسجد عليه [٢].

٤ـ عن خباب بن الأرت قال: شكونا إلى رسول اللّه ﷺ شدّة الرمضاء في جباهنا وأكفّنا فلم يشكنا [٣].

قال ابن الأثير في معنى الحديث: إنّهم لمّا شكوا إليه ما يجدون من ذلك لم يفسح لهم أن يسجدوا على طرف ثيابهم [٤].

هذه المأثورات تعرب عن أنّ السنّة في الصلاة كانت جارية على السجود على الأرض فقط، حتّى أنّ الرسول ﷺ لم يفسح للمسلمين العدول عنها إلى الثياب المتّصلة أو المنفصلة، وهو ﷺ مع كونه بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً أوجب عليهم مسّ جباههم الأرض، وإن آذتهم شدّة الحرّ.

---

١ . سنن البيهقي: ١٠٥/٢.

٢ . السنن الكبرى: ١٠٦/٢.

٣ . سنن البيهقي: ٢ / ١٠٥، باب الكشف عن الجبهة.

٤ . النهاية: ٢ / ٤٩٧، مادة «شكا».

والذي يعرب عن التزام المسلمين بالسجود على الأرض، وعن إصرار النبي الأكرمبوضع الجبهة عليها لا على الثياب المتّصلة ككور العمامة أو المنفصلة كالمناديل والسجاجيد، ما روي من حديث الأمر بالتتريب في غير واحد من الروايات.

## الأمر بتتريب الجبهة

٥ـ عن خالد الجهني: قال: رأى النبيّ ﷺ صهيباً يسجد كأنّه يتّقي التراب فقال له: «ترّب وجهك يا صهيب» [١].

والظاهر أنّ صهيباً كان يتّقي عن التتريب، بالسجود على الثوب المتّصل والمنفصل، ولا أقل بالسجود على الحصر والبواري والأحجار الصافية، وعلى كلّ تقدير، فالحديث شاهد على أفضليّة السجود على التراب في مقابل السجود على الحصى لما مرّ من جواز السجدة على الحصى في مقابل السجود على غير الأرض.

٦ ـ روت أُمّ سلمة ـ رضي الله عنها ـ: رأى النبي ﷺ غلاماً لنا يقال له أفلح ينفخ إذا سجد، فقال: «يا أفلح ترّب» [٢].

٧ ـ وفي رواية: «يا رباح ترّب وجهك» [٣].

٨ ـ روى أبو صالح قال : دخلت على أُمّ سلمة، فدخل عليها ابن أخ

---

١ . كنز العمال: ٧ / ٤٦٥ برقم ١٩٨١٠.

٢ . كنز العمال : ٧ / ٤٥٩ برقم ١٩٧٧٦.

٣ . كنز العمال: ٧ / ٤٥٩ برقم ١٩٧٧٧.

لها فصلّى في بيتها ركعتين، فلمّا سجد نفخ التراب، فقالت أُمّ سلمة : ابن أخي لا تنفخ، فإنّي سمعت رسول اللّه ﷺ يقول لغلام له يقال له يسار ـ ونفخ ـ: «ترّب وجهك للّه» [١].

**الأمر بحسر العمامة عن الجبهة**

٩ـ روي: أنّ النبي ﷺ كان إذا سجد رفع العمامة عن جبهته [٢].

١٠ـ روي عن علي أمير المؤمنين أنّه قال: «إذا كان أحدكم يصلّي فليحسر العمامة عن وجهه»، يعني حتّى لا يسجد على كور العمامة [٣].

١١ـ روى صالح بن حيوان السبائي: أنّ رسول اللّه ﷺ رأى رجلاً يسجد بجنبه وقد اعتمّ على جبهته فحسر رسول اللّه ﷺ عن جبهته [٤].

١٢ـ عن عياض بن عبد اللّه القرشي: رأى رسول اللّه ﷺ رجلاً يسجد على كور عمامته فأومأ بيده: «ارفع عمامتك» وأومأ إلى جبهته[٥].

هذه الروايات تكشف عن أنّه لم يكن للمسلمين يوم ذاك تكليف إلّا السجود على الأرض، ولم يكن هناك أي رخصة سوى تبريد الحصى، ولو كان هناك ترخيص لما فعلوا ذلك، ولما أمر النبي ﷺ بالتتريب، وحسر العمامة عن الجبهة.

---

١. كنز العمال: ٧ / ٤٦٥، برقم ١٩٨١٠؛ مسند أحمد: ٦ / ٣٠١.

٢. الطبقات الكبرى: ١ / ١٥١ كما في السجود على الأرض: ٤١.

٣. منتخب كنز العمال المطبوع في هامش المسند: ١٩٤/٣.

٤. السنن الكبرى: ٢ / ١٠٥.

٥. المصدر نفسه.

## المرحلة الثانية: الترخيص في السجود على الخُمر والحصر

هذه الأحاديث والمأثورات المبثوثة في الصحاح والمسانيد وسائر كتب الحديث تعرب عن التزام النبي ﷺ وأصحابه بالسجود على الأرض بأنواعها، وأنّهم كانوا لا يعدلون عنه، وإن صعب الأمر واشتدّ الحرّ، لكن هناك نصوصاً تعرب عن ترخيص النبي ﷺ ـ بإيحاء من اللّه سبحانه إليه ـ السجود على ما أنبتت الأرض، فسهل لهم بذلك أمر السجود، ورفع عنهم الإصر والمشقّة في الحرّ والبرد، وفيما إذا كانت الأرض مبتلّة، وإليك تلك النصوص:

١ـ عن أنس بن مالك قال: كان رسول اللّه ﷺ يصلّي على الخمرة[1].

٢ـ عن ابن عباس: كان رسول اللّه ﷺ يصلّي على الخمرة، وفي لفظ: وكان النبيّ ﷺ يصلّي على الخمرة [2].

٣ـ عن عائشة: كان النبيّ يصلّي على الخمرة [3].

٤ـ عن أمّ سلمة: كان رسول اللّه ﷺ يصلّي على الخمرة [4].

---

١. أخبار اصبهان: ٢ / ١٤١.

٢. مسند أحمد: ١ / ٢٦٩، ٣٠٣، ٣٠٩ و٣٥٨.

٣. المصدر نفسه: ٦ / ١٧٩، وفيه أيضاً قال للجارية وهو في المسجد: ناوليني الخمرة.

٤. المصدر نفسه: ٣٠٢.

٥ـ عن ميمونة: ورسول الله يصلّي على الخمرة فيسجد [١].

٦ـ عن أمّ سليم قالت: كان [رسول الله ﷺ] يصلّي على الخمرة [٢].

٧ـ عن عبد الله بن عمر: كان رسول الله ﷺ يصلّي على الخمر [٣].

والصلاة على الخمرة يلازم السجود عليها، لأنّ حرارة الجوّ كانت تلزمهم بأخذ الخمرة فُرشاً.

## السجود على الثياب لعذر :

قد عرفت المرحلتين الماضيتين، ولو كانت هناك مرحلة ثالثة فإنّما هي مرحلة جواز السجود على غير الأرض وما ينبت منها لعذر وضرورة. ويبدو أنّ هذا الترخيص جاء متأخّراً عن المرحلتين لما عرفت أنّ النبيّ ﷺ لم يُجب شكوى الأصحاب من شدّة الحرّ والرمضاء، وراح هو وأصحابه يسجدون على الأرض متحمّلين الحرّ والأذى، ولكنّ الباري عزّ اسمه رخّص لرفع الحرج السجود على الثياب لعذر وضرورة، وإليك ما ورد في هذا المقام:

١ـ عن أنس بن مالك: كنّا إذا صلّينا مع النبي ﷺ فلم يستطع أحدنا أن يمكن جبهته من الأرض، طرح ثوبه ثم سجد عليه.

٢ـ وفي صحيح البخاري: كنّا نصلّي مع النبيّ ﷺ فيضع أحدنا

---

١. مسند أحمد: ٦ / ٣٣١ و ٣٣٥.

٢. المصدر نفسه: ٣٧٧.

٣. المصدر نفسه: ٢/٩٢ ـ ٩٨.

طرف الثوب من شدّة الحرّ. فإذا لم يستطع أحدنا أن يمكّن جبهته من الأرض، بسط ثوبه.

٣ـ وفي لفظ ثالث: كنّا إذا صلّينا مع النبيّ ﷺ فيضع أحدنا طرف الثوب من شدّة الحرّ مكان السجود [١].

وهذه الرواية التي نقلها أصحاب الصحاح والمسانيد تكشف حقيقة بعض ما روي في ذلك المجال الظاهر في جواز السجود على الثياب في حالة الاختيار أيضاً. وذلك لأنّ رواية أنس نصّ في أنّهم كانوا يفعلون ذلك حالة الضرورة، فتكون قرينة على المراد من هذه المطلقات، وإليك بعض ما روي في هذا المجال:

١ـ عبد الله بن محرز عن أبي هريرة: كان رسول الله ﷺ يصلّي على كور عمامته [٢].

إنّ هذه الرواية مع أنّها معارضة لما مرّ من نهي النبيّ ﷺ عن السجود عليه، محمولة على العذر والضرورة، وقد صرّح بذلك الشيخ البيهقي في سننه، حيث قال: قال الشيخ: «وأمّا ما روي في ذلك عن النبيّ ﷺ من السجود على كور العمامة فلا يثبت شيء من ذلك، وأصحّ ما روي في ذلك قول الحسن البصري حكاية عن أصحاب النبيّ ﷺ [٣].

---

١. صحيح البخاري: ١ / ١٠١؛ صحيح مسلم: ٢ / ١٠٩؛ مسند أحمد: ١ / ١٠٠؛ السنن الكبرى: ٢ / ١٠٦.

٢. كنز العمال: ٨/١٣٠ برقم ٢٢٢٣٨.

٣. سنن البيهقي: ٢ / ١٠٦.

وقد روي عن ابن راشد قال: رأيت مكحولاً يسجد على عمامته فقلت: لِمَ تسجد عليها؟ قال: أتّقي البرد على أسناني [١].

٢ـ ما روي عن أنس: كنّا نصلّي مع النبيّ ﷺ فيسجد أحدنا على ثوبه [٢].

والرواية محمولة على صورة العذر بقرينة ما رويناه عنه، وبما رواه عنه البخاري: كنّا نصلّي مع النبيّ ﷺ في شدّة الحرّ، فإذا لم يستطع أحدنا أن يمكّن وجهه من الأرض بسط ثوبه فسجد عليه [٣].

ويؤيّده ما رواه النسائي أيضاً: كنّا إذا صلّينا خلف النبي ﷺ بالظهائر سجدنا على ثيابنا اتّقاء الحرّ [٤].

وهناك روايات قاصرة الدلالة حيث لا تدلّ إلّا على أنّ النبيّ ﷺ صلّى على الفرو، وأمّا أنّه سجد عليه فلا دلالة لها عليه.

٣ـ عن المغيرة بن شعبة: كان رسول الله ﷺ يصلّي على الحصير والفرو المدبوغة [٥].

والرواية مع كونها ضعيفة بيونس بن الحرث، لا تقاوم هي وما في معناها ما سردناه من الروايات في المرحلتين الماضيتين.

---

١. المصنف لعبد الرزاق: ١ / ٤٠٠، كما في سيرتنا وسنّتنا، فصل السجدة على التربة: ٩٣.

٢. السنن الكبرى: ٢ / ١٠٦، باب من بسط ثوباً فسجد عليه.

٣. صحيح البخاري: ٢ / ٦٤، كتاب الصلاة، باب بسط الثوب في الصلاة للسجود.

٤. جامع الأُصول: ٥ / ٤٦٨ برقم ٣٦٦٠.

٥. سنن أبي داود: باب ما جاء في الصلاة على الخمرة برقم ٣٣١.

**حصيلة البحث:**

إنّ المتأمّل في الروايات يجد وبدون لبس أنّ قضيّة السجود في الصلاة مرت بمرحلتين أو ثلاث مراحل، ففي المرحلة الأُولى كان الفرض السجود على الأرض ولم يرخّص للمسلمين السجود على غيرها، وفي الثانية جاء الترخيص فيما تنبته الأرض، وليست وراء هاتين المرحلتين مرحلة أُخرى إلّا جواز السجود على الثياب لعذر وضرورة، فما يظهر من بعض الروايات من جواز السجود على الفرو وأمثاله مطلقاً فمحمولة على الضرورة، أو لا دلالة لها على السجود عليها، بل غايتها الصلاة عليها.

ومن هنا يظهر بوضوح أنّ ما التزمت به الشيعة هو عين ما جاءت به السنّة النبويّة، ولم تنحرف عنه قيد أنملة، ولعلّ الفقهاء أدرى بذلك من غيرهم، لأنّهم الأُمناء على الرسالة والأدلاء في طريق الشريعة، ونحن ندعو إلى قليل من التأمّل لإحقاق الحقّ وتجاوز البدع.

**ما هو السرّ في اتّخاذ تربة طاهرة ؟**

بقي هنا سؤال يطرحه كثيراً إخواننا أهل السنّة حول سبب اتّخاذ الشيعة تربة طاهرة في السفر والحضر والسجود عليها دون غيرها. وربّما يتخيّل البسطاء ـ كما ذكرنا سابقاً ـ أنّ الشيعة يسجدون لها لا عليها، ويعبدون الحجر والتربة، وذلك لأنّ هؤلاء المساكين لا يفرّقون بين السجود على التربة، والسجود لها.

وعلى أيّ تقدير فالإجابة عنها واضحة، فإنّ المستحسن عند الشيعة هو اتّخاذ تربة طاهرة طيّبة ليتيقن من طهارتها، من أيّ أرض أُخذت، ومن أيّ صقع من أرجاء العالم كانت، وهي كلّها في ذلك سواء.

وليس هذا الالتزام إلّا مثل التزام المصلّي بطهارة جسده وملبسه ومصلّاه، وأمّا سرّ الالتزام في اتّخاذ التربة هو أنّ الثقة بطهارة كلّ أرض يحلّ بها، ويتّخذها مسجداً، لا تتأتّى له في كلّ موضع من المواضع التي يرتادها المسلم في حلّه وترحاله، بل وأنّى له ذلك وهذه الأماكن ترتادها أصناف مختلفة من البشر، مسلمين كانوا أم غيرهم، ملتزمين بأُصول الطهارة أم غير ذلك، وفي ذلك محنة كبيرة تواجه المسلم في صلاته لا يجد مناصاً من أن يتخذ لنفسه تربة طاهرة يطمئنّ بها وبطهارتها، يسجد عليها لدى صلاته حذراً من السجدة على الرجاسة والنجاسة، والأوساخ التي لا يتقرّب بها إلى الله قط ولا تجوّز السنّة السجود عليها ولا يقبله العقل السليم، خصوصاً بعد ورود التأكيد التام البالغ في طهارة أعضاء المصلّي ولباسه والنهي عن الصلاة في مواطن منها:

المزبلة، والمجزرة، وقارعة الطريق، والحمام، ومواطن الإبل، بل والأمر بتطهير المساجد وتطييبها [1].

وهذه القاعدة كانت ثابتة عند السلف الصالح وإن غفل التاريخ عن نقلها، فقد روي: أنّ التابعي الفقيه مسروق بن الأجدع (المتوفّى عام ٦٢ هـ)

---

١. سيرتنا وسنّتنا: ١٥٨ ـ ١٥٩.

كان يصحب في أسفاره لبنة من المدينة يسجد عليها. كما أخرجه بن أبي شيبة في كتابه «المصنّف»، باب من كان حمل في السفينة شيئاً يسجد عليه. فأخرج بإسنادين أنّ مسروقاً كان إذا سافر حمل معه في السفينة لبنة يسجد بها[1].

إلى هنا تبيّن أنّ التزام الشيعة باتّخاذ التربة مسجداً ليس إلّا لتسهيل الأمر للمصلّي في سفره وحضره خوفاً من أن لا يجد أرضاً طاهرةً أو حصيراً طاهراً فيصعب الأمر عليه، وهذا كادّخار المسلم تربة طاهرة لغاية التيمّم عليها.

وأمّا السرّ في التزام الشيعة استحباباً بالسجود على التربة الحسينية فإنّ من الأغراض العالية والمقاصد السامية منها، أن يتذكّر المصلّي حين يضع جبهته على تلك التربة، تضحية ذلك الإمام بنفسه وأهل بيته والصفوة من أصحابه في سبيل العقيدة والمبدأ ومقارعة الجور والفساد.

ولمّا كان السجود أعظم أركان الصلاة، وفي الحديث: «أقرب ما يكون العبد إلى ربّه حال سجوده» فيناسب أن يتذكّر بوضع جبهته على تلك التربة الزاكية، أُولئك الذين جعلوا أجسامهم ضحايا للحقّ، وارتفعت أرواحهم إلى الملأ الأعلى، ليخشع ويخضع ويتلازم الوضع والرفع، وتحتقر هذه الدنيا الزائفة، وزخارفها الزائلة، ولعلّ هذا هو المقصود من أنّ السجود عليها يخرق الحجب السبع كما في الخبر، فيكون حينئذ في

---

١ . المصنف: ٢ / ١٧٢، دار الفكر ـ ١٤٠٩ هـ.

السجود سر الصعود والعروج من التراب إلى ربّ الأرباب [١].

وقال العلاّمة الأميني: نحن نتّخذ من تربة كربلاء قطعاً لمعاً، وأقراصاً نسجد عليها كما كان فقيه السلف مسروق بن الأجدع يحمل معه لبنة من تربة المدينة المنوّرة يسجد عليها، والرجل تلميذ الخلافة الراشدة، فقيه المدينة، ومعلّم السنّة بها، وحاشاه من البدعة. فليس في ذلك أيّ حزازة وتعسّف أو شيء يضاد نداء القرآن الكريم أو يخالف سنّة اللّه وسنّة رسوله ﷺ أو خروج من حكم العقل والاعتبار.

وليس اتّخاذ تربة كربلاء مسجداً لدى الشيعة من الفرض المحتّم، ولا من واجب الشرع والدين، ولا ممّا ألزمه المذهب، ولا يفرق أيّ أحد منهم منذ أوّل يومها بينها وبين غيرها من تراب جميع الأرض في جواز السجود عليها خلاف ما يزعمه الجاهل بهم وبآرائهم، وإن هو عندهم إلّا استحسان عقلي ليس إلّا، واختيار لما هو الأولى بالسجود لدى العقل والمنطق والاعتبار فحسب كما سمعت، وكثير من رجال المذهب يتّخذون معهم في أسفارهم غير تربة كربلاء ممّا يصحّ السجود عليه كحصير طاهر نظيف يوثق بطهارته أو خمرة مثله ويسجدون عليه في صلواتهم [٢].

هذا إلمام إجمالي بهذه المسألة الفقهية والتفصيل موكول إلى محلّه، وقد أغنانا عن ذلك ما سطّره أعلام العصر وأكابره، وأخص بالذكر منهم:

---

١. الأرض والتربة الحسينية: ٢٤.

٢. سيرتنا وسنّتنا: ١٦٦ـ ١٦٧، طبعة النجف الأشرف.

١ ـ المصلح الكبير الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء (١٢٩٥ ـ ١٣٧٣ هـ) في كتابه «الأرض والتربة الحسينية».

٢ ـ العلاّمة الكبير الشيخ عبد الحسين الأميني مؤلّف الغدير (١٣٢٠ـ ١٣٩٠ هـ) فقد دوّن رسالة في هذا الموضوع طبعت في آخر كتابه «سيرتنا وسنّتنا».

٣ ـ «السجود على الأرض» للعلاّمة الشيخ علي الأحمدي ﷺ (١٣٤٥ ـ ١٤٢١ هـ) ـ فقد أجاد في التتبّع والتحقيق.

فما ذكرنا في هذه المسألة اقتباس من أنوار علومهم. رحم اللّه الماضين من علمائنا وحفظ اللّه الباقين منهم.

هذا ما وقفنا عليه من الأبحاث والتي أوردناها في هذا المختصر.

***

## ٨

# الجلوس بعد رفع الرأس من السجدة الثانية

ذهب فقهاء الإمامية والشافعي على وجوب الجلوس على من رفع رأسه من السجدة الثانية قبل نهوضه إلى الركعة التالية، وذهب باقي الفقهاء كأبي حنيفة ومالك ومن عداهما إلى عدم الوجوب.

ولكن المروي في صحيح البخاري: أنّه ﷺ كان يجلس هذه الجلسة .[١]

## ٩

# كيفية التشهد والتسليم

وممّا اختلف فيه الفريقان هوصيغة التشهد في الصلاة قال الشيخ: والتشهد فريضة في الصلاة، فمن تركه متعمداً فلا صلاة له ـ إلى أن قال: ـ وأقل ما يجزي الإنسان في التشهد الشهادتان والصلاة على النبي محمد وآله الطيبين، فإن زاد على ذلك كان أفضل .[٢]

---

١ . صحيح البخاري: ١ / ٢٠٨ ـ ٢٠٩؛ سنن النسائي: ٢ / ٢٣٤ .

٢ . النهاية: ٧٥.

وصورة التشهد الكاملة عند فقهاء الإمامية هي: أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله، اللهم صل على محمد وآل محمد.

وأمّا صورة التسليم فهي: السلام عليك أيّها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

هذا ما لدى الشيعة وأمّا صورة التشهد عند أهل السنّة فهي عند أبي حنيفة تخالف ما عند مالك وكلاهما يخالف ما عند الشافعي.

قال أبو حنيفة: أفضل التشهّد ما رواه عبد الله بن مسعود قال: كنّا إذا صلينا مع رسول الله ﷺ في الصلاة قلنا: السلام على الله قبل عباده، السلام على فلان وفلان، فقال رسول الله ﷺ: لاتقولوا السلام على الله فأنّ الله هو السلام، ولكن إذا جلس أحدكم فليقل: التحيات لله والصلاة الطيبات السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .[1]

وقال مالك: الأفضل ما روي عن عمر بن الخطاب أنّه علم الناس على المنبر التشهّد فقال: قولوا: التحيات لله، الزاكيات لله، الصلوات لله، الطيبات لله، السلام عليك أيّها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى

---

١ . الخلاف: ١ / ٢٦٨. ولاحظ صحيح مسلم: ١ / ٣٠١؛ وسنن الترمذي: ٢ / ٨١؛ وسنن النسائي: ٢ / ٢٤٠؛ والهداية: ١ / ٥١؛ والمبسوط: ١ / ٢٧؛ والمجموع: ٣ / ٤٥٦؛ والمحلّى: ٣ / ٢٧٠.

عـباد الله الصـالحين، أشـهد أن لا إله إلّا الله، وأشـهد أنّ محمداً عـبده ورسوله.[١]

وقال الشافعي: أفضل التشهّد ما رواه ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يعلّمنا التشهّد كما يعلّمنا القرآن، وكان يقول: التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله، السلام عليك أيّها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلّا الخلاق، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله .[٢]

---

١ . الخلاف: ١ / ٢٦٨. ولاحظ موطأ مالك: ١ / ٩ الحديث ٥٣؛ ونصب الراية: ١ / ٤٢٢؛ والمحلّى: ٣ / ٢٧٠.

٢ . الخلاف: ١ / ٢٦٩ . ولاحظ سنن ابن ماجه: ١ / ٢٩١ حديث ٩٠٠ ؛ وسنن الترمذي: ٢ / ٨٣؛ وصحيح مسلم: ١ / ٣٠٢؛ والأُم: ١ / ١١٧ ؛ والمجموع: ٣ / ٤٥٥ ؛ ومغني المحتاج: ١ / ١٧٤ ؛ والمحلّى: ٣ / ٢٧٠ ؛ والمبسوط: ١ / ٢٧ .

## ١٠

# الجمع بين الصلاتين في الحضر اختياراً

١. اتّفقت كلمة الفقهاء على رجحان الجمع بين الصلاتين في عرفة والمزدلفة جمعاً حقيقياً، لا صورياً، قال القرطبي: أجمعوا على أنّ الجمع بين الظهر والعصر في وقت الظهر بعرفة وبين المغرب والعشاء بالمزدلفة أيضاً في وقت العشاء سنّة أيضاً، وإنّما اختلفوا في الجمع في غير هذين المكانين.[1]

٢. ذهب معظم فقهاء السنّة غير الحسن والنخعي وأبي حنيفة وصاحبيه إلى جواز الجمع بين الصلاتين في السفر، فيجوز عند الجمهور غير هؤلاء، الجمعُ بين الظهر والعصر تقديماً في وقت الأُولى وتأخيراً في وقت الثانية، وبين المغرب والعشاء تقديماً وتأخيراً أيضاً، فالصلوات الّتي تجمع هي: الظهر والعصر، المغرب والعشاء في وقت إحداهما، ويسمّى الجمع في وقت الصلاة الأُولى جمع التقديم، والجمع في وقت الصلاة الثانية جمع التأخير.

٣. المشهور بين فقهاء السنّة جواز الجمع بين الصلاتين في الحضر

---

١ . بداية المجتهد: ١ / ١٧٠، تحت عنوان الفصل الثاني في الجمع .

لأجل الأعذار، كالمطر على اختلاف في مصاديق العذر، فبعضهم خصّه بالمطر، وبعض آخر عممه إلى الريح والمرض والظلمة. [١] ونظيره الاختلاف في الصلوات الّتي تجمع، فبعضهم خصّ الجواز بالمغرب والعشاء والبعض الآخر عمّمه إلى الظهرين [٢].

والمهم في المقام هو الجمع في مقام رابع وهو الجمع بين الصلاتين في الحضر اختياراً.

اتّفقت الإمامية على أنّه يجوز الجمع بين الصلاتين في الحضر اختياراً وإن كان التفريق أفضل.

يقول الشيخ الطوسي: يجوز الجمع بين الصلاتين، بين الظهر والعصر وبين المغرب وعشاء الآخرة، في السفر والحضر وعلى كلّ حال، ولا فرق بين أن يجمع بينهما في وقت الأولة منهما أو وقت الثانية، لأنّ الوقت مشترك بعد الزوال وبعد المغرب على ما بيّناه.[٣]

إنّ الجمع بين الصلاتين على مذهب الإمامية ليس بمعنى إتيان الصلاة في غير وقتها الشرعي، بل المراد الإتيان في غير وقت الفضيلة، وإليك تفصيل المذهب.

قالت الإمامية ـ تبعاً للنصوص الواردة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام ـ إنّه

---

١. بداية المجتهد: ١ / ١٧٣.

٢. المجموع: ٤ / ٢٦٠.

٣. الخلاف: ١/٥٨٨، المسألة ٣٥١. وسيوافيك ما بيّنه في أوقات الصلوات.

إذا زالت الشمس دخل الوقتان ـ أي وقت الظهر والعصر ـ إلّا أنّ صلاة الظهر يُؤتى بها قبل العصر، وعلى ذلك فالوقت بين الظهر والغروب وقت مشترك بين الصلاتين، غير أنّه يختص مقدار أربع ركعات من الزوال بالظهر ومقدار أربع ركعات من الآخر للعصر وما بينهما وقت مشترك، فلو صلّى الظهر والعصر في أي جزء من بين الزوال والغروب فقد أتى بهما في وقتهما، وذلك لأنّ الوقت مشترك بينهما، غير أنّه يختص بالظهر مقدار أربع ركعات من أوّل الوقت ولا يصحّ فيه العصر ويختص بالعصر بمقدار أربع ركعات من آخر الوقت ولا يصحّ إتيان الظهر فيه.

هذا هو واقع المذهب، ولأجل ذلك فالجامع بين الصلاتين في غير الوقت المختص به آت بالفريضة في وقتها فصلاته أداء لا قضاءً.

ومع ذلك فلكلّ من الصلاتين ـ وراء وقت الاجزاء ـ وقت فضيلة.

فوقت فضيلة الظهر من الزوال إلى بلوغ ظل الشاخص الحادث بعد الانعدام أو بعد الانتهاء مثله، ووقت فضيلة العصر من المثل إلى المثلين عند المشهور.

وبذلك يعلم وقت المغرب والعشاء، فإذا غربت الشمس دخل الوقتان إلى نصف الليل، ويختص المغرب بأوّله بمقدار أدائه والعشاء بآخره كذلك وما بينهما وقت مشترك، ومع ذلك انّ لكلّ من الصلاتين وقت فضيلة، فوقت فضيلة صلاة المغرب من المغرب إلى ذهاب الشفق

وهي الحمرة المغربية، ووقت فضيلة العشاء من ذهاب الشفق إلى ثلث الليل.[1]

وأكثر من يستغرب جمع الشيعة الإمامية بين الصلاتين لأجل انّه يتصور انّ الجامع يصلّي إحدى الصلاتين في غير وقتها، ولكنّه غرب عن باله أنّه يأتي بالصلاة في غير وقت الفضيلة ولكنّه يأتي بها في وقت الإجزاء، ولا غرو أن يكون للصلاة أوقاتاً ثلاثة.

أ. وقت الاختصاص كما في أربع ركعات من أوّل الوقت وآخره، أو ثلاث ركعات بعد المغرب وأربع ركعات قبل نصف الليل.

ب. وقت الفضيلة، وقد عرفت تفصيله في الظهرين والعشائين.

ج. وقت الإجزاء، وهو مطلق ما بين الحدّين إلاّ ما يختصّ بإحدى الصلاتين، فيكون وقت الإجزاء أعمّ من وقت الفضيلة وخارجه.

وقد تضافرت الروايات عن أئمّة أهل البيت انّه إذا زالت الشمس دخل الوقتان إلّا أنّ هذه قبل هذه.

وروى الصدوق باسناده عن زرارة، عن أبي جعفر ﷺ قال: «إذا زالت الشمس دخل الوقتان: الظهر والعصر، وإذا غابت الشمس دخل الوقتان: المغرب والعشاء الآخرة».[2]

وروى الشيخ الطوسي باسناده عن عبيد بن زرارة قال: سألت أبا عبد

---

١. لاحظ العروة الوثقى: ١٧١، فصل في أوقات اليومية.

٢. الفقيه: ١ / ١٤٠، وأورده أيضاً في الحديث ١ من الباب ١٧ من هذه الأبواب.

اللّه ﷺ عن وقت الظهر والعصر؟ فقال: «إذا زالت الشمس دخل وقت الظهر والعصر، إلّا انّ هذه قبل هذه ثمّ أنت في وقت منهما جميعاً حتى تغيب الشمس».[١]

والروايات بهذا المضمون متوافرة اقتصرنا على هذا المقدار.

فإذا كانت الصلوات تتمتع بأوقات ثلاثة كما بيّناه يتبيّن انّ الجمع ليس بأمر مشكل وإنّما يفوت به فضيلة الوقت لا أصل الوقت، ولأجل ذلك ورد عن أئمّة أهل البيت أنّ التفريق أفضل من الجمع، فنذكر في المقام بعض ما يصرح بجواز الجمع تيمّناً وتبرّكاً، وإلاّ فالمسألة من ضروريات الفقه الإمامي.

١.روى الصدوق باسناده عن عبد اللّه بن سنان، عن الصادق ﷺ انّ رسول اللّه ﷺ جمع بين الظهر والعصر بأذان وإقامتين، وجمع بين المغرب والعشاء في الحضر من غير علّة بأذان واحد وإقامتين».[٢]

٢. وروى أيضاً باسناده عن إسحاق بن عمّار، عن أبي عبد اللّه ﷺ قال: «إنّ رسول اللّه ﷺ صلّى الظهر والعصر في مكان واحد من غير علة ولا سبب، فقال له عمر ـ وكان أجرأ القوم عليه ـ: أحدث في الصلاة شيء؟ قال: لا ولكن أردت أن أوسع على أُمّتي».[٣]

---

١ . التهذيب:٢٦/٢.

٢ . الفقيه: ١ / ١٨٦ برقم ٨٨٦.

٣ . علل الشرائع:٣٢١، الباب ١١.

٣. أخرج الكليني باسناده عن زرارة، عن أبي عبد اللّه ﷺ قال: «صلّى رسول اللّه بالناس الظهر والعصر حين زالت الشمس في جماعة من غير علّة، وصلّى بهم المغرب والعشاء الآخرة قبل سقوط الشفق من غير علّة في جماعة، وإنّما فعل رسول اللّه ﷺ ليتسع الوقت على أُمّته».[1]

إلى غير ذلك من الروايات المتوفرة التي جمعها الشيخ الحر العاملي في وسائل الشيعة.[2]

إلى هنا تبيّن نظرية الشيعة في الجمع بين الصلاتين.

***

## التنويع في الوقت في فقه السنّة

وربما يتصوّر من لا خبرة له أنّ هذا التنويع في الوقت من خصائص الفقه الإمامي، فإنّ تنويع الوقت إلى أوقات ثلاثة يوجد في كلا الفقهين وإن كان بينهما اختلاف في الكمية.

قال النووي في شرح المهذب: فرع: للظهر ثلاثة أوقات: وقت فضيلة، ووقت اختيار، ووقت عذر؛ فوقت الفضيلة أوّله، ووقت الاختيار ما بعد وقت الفضيلة، إلى آخر الوقت، ووقت العذر وقت العصر في حقّ من يجمع بسفر أو مطر.

١ . الكافي:٣/٢٨٦، الحديث ١.

٢ . الوسائل: ٤/٢٢٠ـ ٢٢٣، الباب ٣٢ من أبواب المواقيت.

ثمّ قال: وقال القاضي حسين: لها أربعة أوقات: وقت فضيلة، ووقت اختيار، ووقت جواز، ووقت عذر؛ فوقت الفضيلة إذا صار ظل الشي مثل ربعه، والاختيار إذا صار مثل نصفه، والجواز إذا صار ظله مثله وهو آخر الوقت، والعذر وقت العصر لمن جمع بسفر أو مطر.[1]

## من يوافق الإمامية بعض الموافقة

كما أنّ هناك من يقول ببعض ما ذهبت إليه الإمامية، نقله النووي وقال: قال عطاء وطاووس: إذا صار ظل الشيء مثله دخل وقت العصر وما بعده وقت للظهر والعصر على سبيل الاشتراك حتى تغرب الشمس.

فهذا القول يخص صيرورة ظل الشيء مثله للظهر، ثمّ يجعل الباقي مشتركاً بينهما حتى تغرب الشمس، وهو قريب ممّا ذهب إليه الإمامية.

وقال مالك : إذا صار ظله مثله فهو آخر وقت الظهر وأوّل وقت العصر بالاشتراك، فإذا زاد على المثل زيادة بيّنة خرج وقت الظهر.[2]

وهذا القول يجعل قسماً من الوقت ـ أعني: بعد صيرورة الظل مثله ـ إلى زيادة الظل عنه زيادة بيّنة وقتاً مشتركاً بين الظهر والعصر.

ثمّ نقل عنه أيضاً انّ وقت الظهر يمتد إلى غروب الشمس.[3] إلى غير ذلك من الأقوال التي فيها نوع موافقة للفقه الإمامي.

---

١ . المجموع:٣/٢٧.

٢ . المجموع:٣/٢٤.

٣ . المجموع:٣/٢٧.

### من يوافق الإمامية تمام الموافقة من السنّة

والجمع بين الصلاتين اختياراً وإن كان من ضروريات الفقه الإمامي، وليست الإماميّة متفردة فيه بل وافقهم لفيف من فقهاء السنّة.

قال ابن رشد: وأمّا الجمع في الحضر لغير عذر فإن مالكاً وأكثر الفقهاء لا يجيزونه، وأجاز ذلك جماعة من أهل الظاهر، وأشهب من أصحاب مالك.

وسبب اختلافهم، اختلافهم في مفهوم حديث ابن عباس، فمنهم من تأوّله على أنّه كان من سفر.

ومنهم من أخذ بعمومه مطلقاً، وقد خرّج مسلم زيادة في حديثه وهو قوله: من غير خوف ولا سفر ولا مطر، و بهذا تمسّك أهل الظاهر.[١]

قال النووي: فرع في مذاهبهم من الجمع بلا خوف ولا سفر ولا مطر ولا مرض، مذهبنا (الشافعي) ومذهب أبي حنيفة ومالك وأحمد والجمهور انّه لا يجوز، وحكى ابن المنذر عن طائفة جوازه بلا سبب، قال: وجوّزه ابن سيرين لحاجة أو ما لم يتّخذه عادة.[٢]

وعلى كل تقدير فالمهم هو الدليل لا الأقوال، فإن وافقت الدليل فهو، وإلّا فالمرجع هو الدليل.

---

١ . بداية المجتهد:٢/٣٧٤، الطبعة المحقّقة.

٢ . المجموع:٤/٢٦٤.

## الكتاب والجمع بين الصلاتين

قال سبحانه: ﴿أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرآنَ الْفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً﴾.[1]

إنّ الآية متكفّلة لبيان أوقات الصلوات الخمسة، فلو قلنا بأنّ المراد من غسق الليل هو انتصافه، فيكون ما بين الدلوك وغسق الليل أوقاتاً للصلوات الأربع، غير أنّ الدليل دلّ على خروج وقت الظهرين بغروب الشمس، فيكون ما بين الدلوك والغروب وقتاً مشتركاً للظهرين كما يكون ما بين الغروب وغسق الليل وقتاً مشتركاً للمغرب والعشاء.

وربما يفسر الغسق بغروب الشمس، فعندئذ تتكفل الآية لبيان وقت الظهرين وصلاة الفجر دون المغرب والعشاء، والمعروف هو التفسير الأوّل.

قال الطبرسي: وفي الآية دلالة على أنّ وقت صلاة الظهر موسّع إلى آخر النهار، لأنّ اللّه سبحانه جعل من دلوك الشمس الذي هو الزوال إلى غسق الليل وقتاً للصلوات الأربع إلّا أنّ الظهر والعصر اشتركا في الوقت من الزوال إلى الغروب، والمغرب والعشاء الآخرة اشتركا في الوقت من الغروب إلى الغسق وأفرد صلاة الفجر بالذكر في قوله: ﴿وَقُرآن الفجر﴾ ففي الآية بيان وجوب الصلوات الخمس وبيان أوقاتها.[2]

---

١. الإسراء: ٧٨.

٢. مجمع البيان:٣/٤٣٤.

وما ذكرناه هو الذي نصّ عليه الإمام الباقر عليه السلام حيث قال: «قال اللّه تعالى لنبيّه صلى الله عليه وآله: ﴿أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾، أربع صلوات سمّاهن اللّه وبيّنهن ووقّتهن، وغسق الليل هو انتصافه، ثمّ قال تبارك وتعالى: ﴿وَقُرآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرآنَ الْفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً﴾ فهذه الخامسة».(١)

وقال الصادق عليه السلام: «منها صلاتان أوّل وقتهما من زوال الشمس إلّا أنّ هذه قبل هذه، ومنها صلاتان أوّل وقتهما من غروب الشمس إلى انتصاف الليل إلّا أنّ هذه قبل هذه».(٢)

وقال القرطبي: وقد ذهب قوم إلى أنّ صلاة الظهر يتمادى وقتها من الزوال إلى الغروب، لأنّ اللّه سبحانه علّق وجوبها على الدلوك وهذا دلوك كلّه؛ قاله الأوزاعي وأبو حنيفة في تفصيل، وأشار إليه مالك والشافعي في حالة الضرورة.(٣)

وقال الرازي: إن فسرنا الغسق بظهور أوّل الظلمة ـ وحكاه عن ابن عبّاس وعطاء والنضر بن شميل ـ كان الغسقُ عبارة عن أوّل المغرب، وعلى هذا التقدير يكون المذكور في الآية ثلاثة أوقات: وقت الزوال، ووقت أوّل المغرب، ووقت الفجر.

---

١. نور الثقلين: ٢٠٠/٣، الحديث ٣٧٠.

٢. نور الثقلين: ٢٠٢/٣، الحديث ٣٧٧.

٣. الجامع لأحكام القرآن: ٣٠٤/١٠.

قال: وهذا يقتضي أن يكون الزوال وقتاً للظهر والعصر فيكون هذا الوقت مشتركاً بين هاتين الصلاتين، وأن يكون أوّل المغرب وقتاً للمغرب والعشاء فيكون هذا الوقت مشتركاً أيضاً بين هاتين الصلاتين، فهذا يقتضي جواز الجمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء مطلقاً، إلّا أنّه دلّ الدليل على أنّ الجمع في الحضر من غير عذر لا يجوز، فوجَبَ أن يكون الجمع جائزاً لعذر السفر وعند المطر وغيره.[1]

وما حقّقه الرازي في المقام، حقّ ليس وراءه شيء، لكن عدوله عنه، بحجّة «انّ الجمع في الحضر من غير عذر لا يجوز لوجود الدليل» رجم بالغيب، إذ أيّ دليل قام على عدم الجواز بلا عذر، فهل الدليل هو الكتاب؟ والكتاب حسب تحقيقه يدلّ على الجواز، أو السنّة وسيوافيك تضافر النصوص على الجواز، أو الإجماع فليس عدم الجواز موضع إجماع، وقد عرفت القول بالجواز أيضاً من أهل السنّة، مضافاً إلى إطباق أئمّة أهل البيت عليهم السلام على الجواز؛ وليس وراء الكتاب والسنّة والإجماع حجّة، كما ليس وراء عبادان قرية.[2]

---

١ . التفسير الكبير: ٢٧/٢١.

٢ . وكم للإمام الرازي من مواقف مشرقة في تحقيق ما هو الحقّ، الذي هو الأحقّ بالاتّباع لكنّه عدل عنه لوجوه واهية. لاحظ ما حقّقه حول مسح الرجلين في تفسير قوله سبحانه: ﴿وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾، وما ذكره حول المراد من قوله ﴿وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ وغيرهما.

## السنّة والجمع بين الصلاتين في الحضر اختياراً

قد تضافرت الروايات عن الصادع بالحق على جواز الجمع بين الصلاتين في الحضر اختياراً رواها أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد، فلنقدم ما رواه مسلم بالسند والمتن ثمّ نذكر ما نقله غيره.

١. حدّثنا يحيى بن يحيى قال: قرأت على مالك، عن الزبير، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: صلّى رسول اللّه ﷺ الظهر والعصر جميعاً والمغرب والعشاء جميعاً في غير خوف ولا سفر.

٢. وحدّثنا أحمد بن يونس وعون بن سلام جميعاًعن زهير، قال ابن يونس: حدّثنا زهير ،حدّثنا أبو الزبير، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: صلّى رسول اللّه ﷺ الظهر والعصر جميعاً بالمدينة في غير خوف ولا سفر. قال أبو الزبير: فسألت سعيداً :لِمَ فعل ذلك؟ فقال: سألت ابن عباس كما سألتني فقال: أراد أن لا يحرج أحداً من أُمّته.

٣. وحدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب قالا: حدّثنا أبو معاوية؛ وحدّثنا أبو كريب وأبو سعيد الأشج ـ واللفظ لأبي كريب ـ قالا: حدّثنا وكيع كلاهما عن الأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: جمع رسول اللّه ﷺ بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء بالمدينة في غير خوف ولا مطر «في حديث وكيع» قال: قلت لابن عباس: لِمَ فعل ذلك؟ قال: كي لا يُحرج أُمّته. وفي حديث أبي معاوية قيل لابن عباس: ما أراد إلى ذلك؟ قال: أراد أن لا يحرج أُمّته.

٤. وحدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدّثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو، عن جابر بن زيد، عن ابن عباس قال: صلّيت مع النبي ﷺ ثمانياً جميعاً وسبعاً جميعاً، قلت: يا أبا الشعثاء أظنه أخّر الظهر وعجّل العصر وأخّر المغرب وعجّل العشاء، قال: وأنا أظن ذاك.[1] ما ظنه ـ لو رجع إلى الجمع الصوري ـ ظن بلا دليل وهو لا يغني من الحقّ شيئاً، وهو مخالف لما تضافرت من أسناد ابن عباس.

٥. حدّثنا أبو الربيع الزهراني، حدّثنا حماد بن زيد، عن عمرو بن دينار، عن جابر بن زيد، عن ابن عبّاس أنّ رسول اللّه ﷺ صلّى بالمدينة سبعاً وثمانياً [2] الظهر والعصر والمغرب والعشاء.

٦. وحدّثني أبو الربيع الزهراني، حدّثنا حماد، عن الزبير بن الخريت، عن عبد اللّه بن شقيق قال: خطبنا ابن عباس يوماً بعد العصر حتّى غربت الشمس وبدت النجوم، وجعل الناس يقولون: الصلاة الصلاة، قال: فجاءه رجل من بني تميم لا يفتر ولا ينثني: الصلاة الصلاة، فقال ابن عباس: أتعلّمني بالسنّة لا أُمّ لك، ثمّ قال: رأيت رسول اللّه ﷺ جمع بين الظهر والعصر، والمغرب والعشاء. قال عبد اللّه بن شقيق: فحاك في صدري من ذلك شيء فأتيت أبا هريرة فسألته، فصدّق مقالته.

٧. وحدّثنا ابن أبي عمر، حدّثنا وكيع، حدّثنا عمران بن حدير، عن

---

١ . فعل ذلك رسول اللّه ﷺ بالمدينة بقرينة الحديث الخامس.

٢ . لف ونشر غير مرتب، والمرتب منه: ثمانياً وسبعاً.

عبد اللّه بن شقيق العقيلي قال: قال رجل لابن عباس: الصلاة ، فسكت؛ ثمّ قال: الصلاة، فسكت؛ ثمّ قال: الصلاة، فسكت، ثمّ قال: لا أُمّ لك أتعلّمنا بالصلاة وكنّا نجمع بين الصلاتين على عهد رسول اللّه ﷺ.[١]

هذا ما نقله مسلم في صحيحه، وإليك ما نقله غيره.

٨ أخرج البخاري عن ابن عباس: انّ النبي ﷺ صلّى بالمدينة سبعاً وثمانياً: الظهر والعصر، والمغرب والعشاء، فقال أيوب : لعلّه في ليلة مطيرة؟ قال: عسى.[٢]

٩. أ خرج البخاري عن جابر بن زيد ،عن ابن عباس قال: صلّى النبي ﷺ سبعاً جميعاً وثمانياً جميعاً.[٣]

١٠. أخرج البخاري بإرسال عن ابن عمر وأبي أيّوب وابن عباس: صلّى النبيّ ﷺ المغرب والعشاء.[٤]

١١. أخرج الترمذي عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: جمع رسول اللّه ﷺ بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء بالمدينة من غير

١ . شرح صحيح مسلم للنووي:٢١٣/٥ـ ٢١٨، باب الجمع بين الصلاتين في الحضر. ومع أنّ العنوان خاص بالحضر نقل فيه ثلاث روايات جاء فيها الجمع بين الصلاتين في السفر تركنا نقلها، ولعلّه نقلها في هذا الباب إيعازاً بأنّ كيفية الجمع في الحضر مثلها في السفر كما سيوافيك بيانه.

٢ . صحيح البخاري: ١١٠/١، باب تأخير الظهر إلى العصر من كتاب الصلاة.

٣ . صحيح البخاري: ١١٣/١، باب وقت المغرب من كتاب الصلاة.

٤ . صحيح البخاري: ١١٣/١، باب ذكر العشاء والعتمة.

خوف ولا مطر، قال: فقيل لابن عباس: ما أراد بذلك؟ قال: أراد أن لايحرج أُمّته.

قال الترمذي بعد نقل الحديث: حديث ابن عباس قد روي عنه من غير وجه، رواه جابر بن زيد وسعيد بن جبير وعبد اللّه بن شقيق العقيلي.[١]

١٢. أخرج الإمام أحمد عن قتادة قال:سمعت جابر بن زيد، عن ابن عباس قال: جمع رسول اللّه ﷺ بين الظهر والعصر، والمغرب والعشاء بالمدينة في غير خوف ولا مطر، قيل لابن عباس: وما أراد لغير ذلك؟ قال: أراد ألّا يحرج أُمّته.[٢]

١٣. أخرج الإمام أحمد عن سفيان، قال عمر: وأخبرني جابر بن زيد انّه سمع ابن عباس يقول: صلّيت مع رسول اللّه ﷺ ثمانياً جميعاً وسبعاً جميعاً، قلت له: يا أبا الشعثاء أظنّه أخّر الظهر وعجل العصر، وأخّر المغرب وعجّل العشاء، قال: وأظن ذلك.[٣]

١٤. أخرج الإمام أحمد عن عبد اللّه بن شقيق، قال: خطبنا ابن عباس يوماً بعد العصر حتّى غربت الشمس وبدت النجوم وعلق الناس ينادونه

---

١ . سنن الترمذي:٣٥٤/١، رقم الحديث ١٨٧، باب ما جاء في الجمع في الحضر. ثمّ إنّ محقّق الكتاب أشار في الهامش إلى الوجوه التي روي بها هذا الحديث عن ابن عباس فلاحظ.

٢ . مسند أحمد:٢٢٣/١.

٣ . مسند أحمد:٢٢١/١ وما ظنه ان أراد به الجمع الصوري ، فهو ليس بحجّة حتى للظان، والظن لا يغني عن الحقّ شيئاً.

الصلاة وفي القوم رجل من بني تميم فجعل يقول: الصلاة الصلاة، فغضب، قال: أتعلّمني بالسنّة شهدت رسول اللّه ﷺ جمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء، قال عبد اللّه: فوجدت في نفسي من ذلك شيئا فلقيت أبا هريرة فسألته فوافقه.(١)

١٥. أخرج مالك عن سعيد بن جبير، عن عبد اللّه بن عباس أنّه قال: صلّى رسول اللّه ﷺ الظهر والعصر جميعاً والمغرب والعشاء جميعاً في غير خوف ولا سفر.(٢)

١٦. أخرج أبو داود عن سعيد بن جبير، عن عبد اللّه بن عباس، قال: صلّى رسول اللّه ﷺ الظهر والعصر جميعاً، والمغرب والعشاء جميعاً في غير خوف ولا سفر.

قال مالك: أرى ذلك كان في مطر.(٣)

١٧. أخرج أبو داود عن جابر بن زيد، عن ابن عباس، قال: صلّى بنا رسول اللّه بالمدينة ثمانياً وسبعاً الظهر والعصر، والمغرب والعشاء.

قال أبو داود: ورواه صالح مولى التوأمة، عن ابن عباس قال: في غير مطر.(٤)

---

١ . مسند أحمد: ٢٥١/١.

٢ . موطأ مالك: ١٤٤/١، باب الجمع بين الصلاتين في الحضر والسفر، الحديث ٤.

٣ . سنن أبي داود: ٦/٢، الحديث ١٢١٠، باب الجمع بين الصلاتين. وسيوافيك الكلام في تفسير مالك للحديث.

٤ . المصدر السابق، الحديث ١٢١٤.

١٨. أخرج النسائي عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: صلّى رسول اللّه ﷺ الظهر والعصر جميعاً والمغرب والعشاء جميعاً من غير خوف ولا سفر.(١)

١٩. أخرج النسائي عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس انّ النبي ﷺ كان يصلّي بالمدينة يجمع بين الصلاتين بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء من غير خوف ولا مطر، قيل له: لِمَ ؟قال: لئلاً يكون على أُمّته حرج.(٢)

٢٠. أخرج النسائي عن أبي الشعثاء، عن ابن عباس قال: صلّيت وراء رسول اللّه ﷺ ثمانياً جميعاً وسبعاً جميعاً.(٣)

٢١. أخرج النسائي عن جابر بن زيد، عن ابن عباس انّه صلّى بالبصرة الأُولى والعصر ليس بينهما شيء، والمغرب والعشاء ليس بينهما شيء فعل ذلك من شغل، وزعم ابن عباس انّه صلّى مع رسول اللّه بالمدينة ، الأُولى والعصر ثمان سجدات ليس بينهما شيء.(٤)

٢٢. أخرج الحافظ عبد الرزاق عن داود بن قيس، عن صالح مولى التوأمة انّه سمع ابن عباس يقول: جمع رسول اللّه ﷺ بين الظهر

---

١ . سنن النسائي: ١/٢٩٠، باب الجمع بين الصلاتين في الحضر.

٢ . نفس المصدر .

٣ . نفس المصدر .

٤ . سنن النسائي: ١ / ٢٨٦، باب الوقت الذي يجمع فيه المقيم والمراد من ثمان سجدات ثمان ركعات.

والعصر، والمغرب والعشاء بالمدينة في غير سفر ولا مطر، قال: قلت لابن عباس: لم تراه فعل ذلك؟ قال: أراه للتوسعة على أُمّته.[١]

٢٣. أخرج عبد الرزاق عن ابن عباس قال: جمع رسول اللّه ﷺ بين الظهر والعصر، بالمدينة في غير سفر ولا خوف، قال: قلت لابن عباس: ولِمَ تراه فعل ذلك؟ قال: أراد أن لا يحرج أحداً من أُمّته.[٢]

٢٤. أخرج عبد الرزاق عن عمرو بن دينار انّ أبا الشعثاء أخبره انّ ابن عباس أخبره، قال: صلّيت وراء رسول اللّه ثمانياً جميعاً وسبعاً جميعاً بالمدينة، قال ابن جريج، فقلت لأبي الشعثاء: أنّي لأظن النبي أخّر من الظهر قليلاً وقدّم من العصر قليلاً، قال أبو الشعثاء: وأنا أظن ذلك.[٣]

قلت: ما ظنّه ابن جريج وصدّقه أبو الشعثاء ظن لا يغني من الحقّ شيئاً، وحاصله: انّ الجمع كان صورياً لا حقيقياً. وسيوافيك ضعف هذا الحمل وانّ الجمع الصوري يوجب الإحراج أكثر من التفريق، فإنّ معرفة أواخر الوقت من الصلاة الأُولى وأوائله من الصلاة الثانية أشكل من الجمع.

٢٥. أخرج عبد الرزاق عن عمرو بن شعيب، عن عبد اللّه بن عمر قال: جمع لنا رسول اللّه مقيماً غير مسافر بين الظهر والعصر فقال رجل

---

١. مصنف عبد الرزاق: ٢ / ٥٥٥ ـ ٥٥٦، الحديث ٤٤٣٤.

٢. مصنف عبد الرزاق: ٢ / ٥٥٥ ـ ٥٥٦، الحديث ٤٤٣٥.

٣. مصنف عبد الرزاق:٢/٥٥٦، الحديث ٤٤٣٦.

لابن عمر: لِمَ ترى النبي فعل ذلك؟ قال: لأن لا يُحرج أُمّته إن جمع رجل.[١]

٢٦. أخرج الطحاوي في «معاني الآثار» بسنده عن جابر بن عبد الله قال: جمع رسول الله ﷺ بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء في المدينة للرخص من غير خوف ولا علّة.[٢]

٢٧. أخرج الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الاصفهاني(المتوفّى عام ٤٣٠هـ) عن جابر بن زيد انّ ابن عباس جمع بين الظهر والعصر، وزعم انّه صلّى مع رسول الله بالمدينة الظهر والعصر.[٣]

٢٨. أخرج أبو نعيم عن عمرو بن دينار قال: سمعت أبا الشعثاء يقول: قال ابن عباس(رض): صلّى رسول الله ﷺ ثماني ركعات جميعاً وسبع ركعات جميعاً من غير مرض ولا علّة.[٤]

٢٩. أخرج البزار في مسنده عن أبي هريرة قال: جمع رسول الله ﷺ بين الصلاتين في المدينة من غير خوف.[٥]

٣٠. أخرج الطبراني في الأوسط والكبير بسنده عن عبد الله بن

١ . مصنّف عبد الرزاق:٥٥٦/٢، الحديث ٤٤٣٧.

٢ . معاني الآثار:١٦١/١.

٣ . حلية الأولياء: ٣ / ٩٠، باب جابر بن زيد.

٤ . حلية الأولياء: ٣ / ٩٠، باب جابر بن زيد.

٥ . مسند البزار:٢٨٣/١، الحديث رقم ٤٢١.

مسعود قال: جمع رسول الله ﷺ ـ يعني بالمدينة ـ بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء، فقيل له في ذلك، فقال: صنعت ذلك لئلّا تحرج أُمّتي.[1]

هذه ثلاثون حديثاً جمعناها من الصحاح والسنن والمسانيد، وبسطنا الكلام في النقل، ليقف القارئ على أنّها أحاديث اعتنى بنقلها حفّاظ المحدّثين وأكابرهم، ولا يمكن لأحد أن يتناكرها أو يرفضها، وهناك روايات مبثوثة في كتب الحديث أعرضنا عن ذكرها لأجل الاختصار.[2]

وهذه الأسانيد المتوفرة تنتهي إلى الأشخاص التالية أسماؤهم:

١. عبد اللّه بن عباس حبر الأُمّة.

٢. عبد اللّه بن عمر.

٣. أبو أيّوب الأنصاري مضيف النبي ﷺ .

٤. أبو هريرة الدوسي.

٥. جابر بن عبد اللّه الأنصاري.

٦. عبد اللّه بن مسعود.

---

١ . المعجم الكبير: ٢٦٩/١٠، الحديث ١٠٥٢٥.

٢ . لاحظ المعجم الأوسط: ٩٤/٢ وكنز العمال: ٢٤٦/٨ـ ٢٥١، برقم ٢٢٧٦٤ و ٢٢٧٦٧ و ٢٢٧٧١، ٢٢٧٧٤، ٢٢٧٧٧، ٢٢٧٧٨.

## تبريرات لرفض الجمع بين الصلاتين

والروايات صريحة في أنّ الرسول ﷺ جمع بالمدينة بين الصلاتين من غير خوف ولا مطر ولا علّة، جمع لبيان جواز الجمع ومشروعيته لئلا يتوهّم متوهّم بأنّ التفريق فريضة لما كان ﷺ يستمر على التوقيت والإتيان في وقت الفضيلة، ولكنّه بعمله أثبت انّ الجمع جائز وإن كان التوقيت أفضل.

ولما كان مضمون الروايات مخالفاً للمذاهب الفقهية الرائجة حاول غير واحد من المحدّثين وأهل الفتيا إخضاع الروايات إلى فتوى الأئمّة مكان أخذها مقياساً لتمييز الحقّ عن الباطل، فترك كثير منهم العمل بهذه الروايات، غير أنّ لفيفاً منهم عملوا بها وأفتوا على ضوئها، ذكر أسماءهم ابن رشد في «بداية المجتهد» والنووي في «المجموع» على ما مرّ، ونخصّ عذراً من الأعذار التي التجأ إليها المخالف، وهو أنّ الجمع كان صوريّاً لا حقيقياً وسيتضح لك وجهه.

## الجمع كان صوريّاً

إنّ غير واحد ممّن تعرض لحلّ هذه الأحاديث التجأ إلى أنّ الجمع لم يكن جمعاً حقيقياً كما في الجمع في السفر، بل كان جمعاً صورياً، بمعنى انّه ﷺ أخّر الظهر إلى حد بقي من وقتها مقدار أربع ركعات فصلّى

الظهر وبإتمامها دخل وقت العصر وصلّى العصر فكان جمعاً بين الصلاتين مع أنّ كلّ واحدة من الصلاتين أُتي بها في وقتها. وهذا هو الظاهر من غير واحد من شراح الحديث، وإليـك كلماتهم.

١. قال النووي: ومنهم من تأوّله على تأخير الأُولى إلى آخر وقـتها فصلّاها فيه فلمّا فرغ منها دخلت الثانية فصلّاها فصارت صلاته صـورة جمع.

ثمّ رده وقال: وهذا أيضاً ضـعيف أو بـاطل، لأنّـه مـخالف للـظاهر مخالفة لا تُحتمل، وفعل ابن عباس الّذي ذكرناه حين خطب، واستدلاله بالحديث لتصويب فعله وتصديق أبي هريرة له وعدم إنكاره، صريح في ردّ هذا التأويل.[١]

وكان على النووي أن يرد عليه بما ذكرناه، وهـو انّ الرسـول ﷺ جمع بين الصلاتين بغية رفع الحرج عن الأُمّة، والجمع بالنحو المـذكور أكثر حرجاً من التفريق.

قال ابن قدامة: إنّ الجمع رخصة، فلو كان على ما ذكروه لكان أشد ضيقاً وأعظم حرجاً من الإتيان بكلّ صلاة في وقتها، لأنّ الإتيان بكلّ صلاة في وقتها أوسع من مراعاة طرفي الوقتين بحيث لا يبقى من وقت الأُولى إلّا قدر فعلها.

---

١. شرح صحيح مسلم:٥/٢٢٥.

ثمّ لو كان الجمع هكذا، لجاز الجمع بين العصر و المغرب، والعشاء والصبح ولا خلاف بين الأُمّة في تحريم ذلك والعمل بالخبر على الوجه السابق إلى الفهم منه أولى من هذا التكلّف.[1]

كما أنّ المقدسي في الشرح الكبير[2] ردّ على هذا التأويل بنفس ما ذكره ابن قدامة، واللفظ في كلا الكتابين واحد ولذلك اقتصرنا بلفظ ابن قدامة.

نعم انّهما ردّا بما نقلناه عنهما على من فسّر جواز الجمع بين الصلاتين للمسافر بالجمع الصوري، ولمّا كان ملاك الجمع في كلا المقامين (المسافر والحاضر) واحداً، وهو رفع الحرج والمشقة عن الأُمّة، وكان الجمع الصوري مُحرجاً على نحو أشد، أثبتنا كلامهما في المقام أيضاً.

ولأجل ما ذكرنا حمل الخطّابي الجمع في الرواية على الجمع الحقيقي دون الصوري، فقال:

ظاهر اسم «الجمع» عرفاً لا يقع على من أخّر الظهر حتّى صلّاها في آخر وقتها وعجّل العصر فصلّاها في أوّل وقتها، لأنّ هذا قد صلّى كلّ صلاة منهما في وقتها الخاصّ بها.

---

١ . المغني:٢/١١٣ـ ١١٤، ذكره في نقد كلام من حمل الجمع بين الصلاتين في السفر، ولما كان المناط واحداً نقلناه في المقام.

٢ . الشرح الكبير في ذيل المغني:٢/١١٥.

قال: وإنّما الجمع المعروف بينهما أن تكون الصلاتان معاً في وقت إحداهما، ألا ترى أنّ الجمع بعرفة بينهما ومزدلفة كذلك.[1]

***

نجز الكتاب بيد مؤلّفه جعفر السبحاني عامله الله بلطفه وكرمه

والحمد لله الّذي بنعمته تتم الصالحات

٨ شعبان المعظم

١٤٢٦ هـ

---

١. معالم السنن: ٢ / ٥٢، ح ١١٦٣؛ عون المعبود: ١ / ٤٦٨.

# الفهارس

## فهرس المصادر

## فهرس المحتويات


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

# فهرس المصادر


نبدأ تبركاً بالقرآن الكريم

## حرف الألف

١. آلاء الرحمن: الشيخ محمد جواد البلاغي، مكتبة الوجداني، قم.

٢. الإتقان: جلال الدين السيوطي (٨٤٩ ـ ٩١١ هـ) دار ابن كثير، بيروت.

٣. أجوبة المسائل المهنائية: العلّامة الحلي (٦٤٨ ـ ٧٢٦ هـ)، مطبعة الخيام، قم ـ ١٤٠١ هـ.

٤. الاحتجاج: أبو منصور أحمد بن علي الطبرسي (من أعلام القرن السادس الهجري) مؤسسة الأعلمي، بيروت ـ ١٤٠٣ هـ.

٥. إحقاق الحق: القاضي التستري نور الله الحسيني (المتوفّى ١٠١٩ هـ) منشورات مكتبة المرعشي النجفي، قم المقدسة.

٦. أحكام القرآن: أحمد بن علي الجصّاص (المتوفّى ٣٧٠ هـ) دار الكتاب العربي، بيروت ـ ١٤٠١ هـ.

٧. أخبار أصبهان: أبو نعيم الاصفهاني أحمد بن عبد الله (المتوفّى ٤٣٠ هـ) منشورات جهان، طهران.

٨. أخبار مدينة الرسول: محمد بن محمود النجار (المتوفّى ٦٤٣هـ) مكة المكرمة ـ ١٤٠١ هـ.

٩. اختلاف الحديث (في هامش كتاب الأُم): محمد بن إدريس الشافعي (١٥٠ ـ ٢٠٤ هـ) دار المعرفة، بيروت ـ ١٤٠٨ هـ.

١٠. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري: أبو العباس أحمد بن محمد القسطلاني (٨٥١ ـ ٩٢٣ هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت .

١١. إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأُصول: محمد بن علي الشوكاني (المتوفّى ١٢٥٥ هـ) دار الكتب العلمية، بيروت ـ ١٤١٤ هـ.

١٢. الأرض والتربة الحسينية: الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (المتوفّى ١٣٧٣ هـ) المطبعة الحيدرية ـ ١٣٦٩ هـ.

١٣. الاستيعاب: أبو عمرو يوسف بن عبد الله بن عبد البر، دار نهضة مصر، القاهرة.

١٤. الإصابة: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (المتوفّى ٨٥٢هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٥ . اعتقادات الإمامية: محمد بن علي بن الحسين بن بابويه الصدوق (المتوفّى ٣٨١ هـ) ضمن مصنّفات المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، قم ـ ١٤١٣ هـ.

١٦ . أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين العاملي (المتوفّى ١٣٧١ هـ) دار التعارف، بيروت .

١٧ . اقتضاء الصراط المستقيم: ابن تيمية (٦٦١ ـ ٧٢٨ هـ) دار المعرفة، بيروت.

١٨ . إلهيات الشفاء: الشيخ الرئيس ابن سينا (المتوفّى ٤٢٨ هـ) منشورات بيدار، إيران.

١٩ . الأُم: محمد بن إدريس الشافعي (١٥٠ ـ ٢٠٤ هـ) دار المعرفة، بيروت ـ ١٤٠٨ هـ.

٢٠ . الأمالي: المفيد محمد بن محمد بن النعمان (٣٣٦ ـ ٤١٣ هـ) قم ـ ١٤٠٤ هـ.

٢١ . الإمامة والسياسة: ابن قتيبة عبد الله بن مسلم الدينوري (المتوفّى ٢٧٦ هـ) مطبعة مصطفى محمد، مصر .

٢٢ . إمتاع الأسماع: أحمد بن علي المقريزي (المتوفّى ٨٤٥ هـ) طبع القاهرة.

٢٣ . الانتصار: أبو الحسين الخياط المعتزلي، تحقيق د. ينبرج، طبع

مصر ـ ١٣٤٤ هـ.

٢٤. أنساب الأشراف: أحمد بن يحيى البلاذري (من أعلام القرن الثالث الهجري) مؤسسة الأعلمي، بيروت ـ ١٣٩٤ هـ.

٢٥. الإنصاف في مسائل دام فيها الخلاف: جعفر السبحاني (مؤلف هذا الكتاب) مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم المقدسة ـ ١٤٢٣ هـ.

٢٦. أوائل المقالات: محمد بن محمد بن النعمان المفيد (المتوفّى ٤١٣ هـ) مكتبة الحقيقة، تبريز ـ ١٣٧١ هـ.

٢٧. الإيضاح: الفضل بن شاذان (المتوفّى ٢٦٠ هـ) منشورات جامعة طهران، طهران ـ ١٤٠٤ هـ.

٢٨. الإيقاظ من الهجعة: الحر العاملي محمد بن الحسن (المتوفّى ١١٠٤ هـ) مؤسسة السيدة المعصومة عليها السلام، قم ـ ١٤٢٣ هـ.

حرف الباء

٢٩. بحار الأنوار: محمد باقر المجلسي (المتوفّى ١١١٠ هـ) مؤسسة الوفاء، بيروت ـ ١٤٠٣ هـ.

٣٠. بداية المجتهد: ابن رشد القرطبي محمد بن أحمد (٥٢٠ ـ ٥٩٥ هـ) دار المعرفة، بيروت ـ ١٤٠٣ هـ.

٣١. البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن كثير (المتوفّى ٧٧٤ هـ)

دار الفكر، بيروت ـ ١٤٠٢ هـ.

٣٢. البدعة، مفهومها، حدها وآثارها ومواردها: جعفر السبحاني (مؤلف هذا الكتاب) مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم المقدسة ـ ١٤١٦ هـ.

٣٣. البدعة في مفهومها الإسلامي: عبد الملك عبد الرحمن السعدي، مطبعة النواعير، الرمادي ـ ١٩٩٢ م.

٣٤. بصائر الدرجات: محمد بن الحسن بن فروخ الصفّار القمي (المتوفّى ٢٩٠ هـ) منشورات مكتبة المرعشي النجفي، قم المقدسة ـ ١٤١٤هـ.

٣٥. بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب: محمود شكري الآلوسي، دار الكتاب العربي، مصر، الطبعة الثالثة.

٣٦. بلوغ المرام: ابن حجر العسقلاني (المتوفّى ٨٥٢هـ) دار النهضة، مصر.

٣٧. البيان في تفسير القرآن: السيد أبو القاسم الخوئي (١٣٢٠ ـ ١٤١٣ هـ) دار الزهراء، بيروت ـ ١٣٩٥ هـ.

٣٨. البيان في أخبار صاحب الزمان: محمد بن يوسف بن محمد القرشي الگنجي الشافعي (المتوفّى ٦٥٨ هـ) مطبوع مع كتاب «كفاية الطالب» للمؤلف، دار إحياء تراث أهل البيت، طهران.

## حرف التاء

٣٩. تاج العروس: محمد مرتضى الزبيدي (المتوفّى ١٢٠٥ هـ) مكتبة الحياة، بيروت.

٤٠. تاريخ بغداد: أحمد بن علي الخطيب البغدادي (المتوفّى ٤٦٣ هـ) المكتبة السلفية، المدينة المنورة.

٤١. تاريخ الطبري: محمد بن جرير (المتوفّى ٣١٠ هـ) مؤسسة الأعلمي، بيروت.

٤٢. تاريخ القرآن: أبو عبد الله بن نصر الله الزنجاني (١٣٠٩ ـ ١٣٦٠ هـ) طبع مصر ـ ١٣٥٤ هـ.

٤٣. تاريخ المذاهب الإسلامية: محمد أبو زهرة (المتوفّى ١٣٩٦ هـ) دار الفكر العربي، بيروت.

٤٤. تحف العقول: الحسن بن علي الحرّاني (من أعلام القرن الرابع الهجري) مؤسسة الأعلمي، بيروت ـ ١٣٩٤ هـ.

٤٥. تذكرة الفقهاء: العلّامة الحلّي (٦٤٨ ـ ٧٢٦ هـ) مؤسسة آل البيت، قم المقدسة.

٤٦. تفسير الخازن: علاء الدين محمد البغدادي، طبع القاهرة.

٤٧. تفسير الرازي (مفاتيح الغيب): محمد بن عمر الخطيب الرازي (٥٤٤ ـ ٦٠٦ هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤٨. تفسير الطبري (جامع البيان): محمد بن جرير الطبري (المتوفّى ٣١٠ هـ) دار المعرفة، بيروت .

٤٩. تفسير العياشي: محمد بن مسعود بن محمد الكوفي (من أعلام القرن الثالث الهجري) المكتبة الإسلامية.

٥٠. تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن): محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (المتوفّى ٦٧١ هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ ١٤٠٥ هـ.

٥١. تفسير القمي: علي بن إبراهيم (من أعلام القرن الثالث والرابع الهجري) مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، قم ـ ١٤٠٤ هـ.

٥٢. تفسير النهر الماد (المطبوع بهامش البحر المحيط): محمد بن يوسف المشهور بأبي حيان الأندلسي الغرناطي، دار إحياء التراث العربي، بيروت .

٥٣. تنوير الحوالك: جلال الدين السيوطي (٨٤٩ ـ ٩١١ هـ) دار الكتب العلمية، بيروت ـ ١٤١٨ هـ.

٥٤. تهذيب الأحكام: محمد بن الحسن الطوسي (٣٨٥ ـ ٤٦٠ هـ) دار الكتب الإسلامية، طهران ـ ١٣٩٧ .

٥٥. تهذيب التهذيب: أحمد بن علي بن حجر (٧٧٣ ـ ٨٥٢ هـ) دار الفكر، بيروت ـ ١٤٠٤ هـ.

٥٦. تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (المتوفّى ٣٧٠ هـ) تحقيق الدكتور رشيد عبد الرحـمن العـبيدي، طبع الهيئة المصرية للكتاب ـ ١٩٧٥ م.

٥٧. التوحيد: الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (٣٠٦ ـ ٣٨١ هـ) مكتبة الصدوق، طهران.

٥٨. تيسير المطالب في أمالي الإمام علي بن أبي طـالب: يـحيى بـن الحسين (المتوفّى ٤٢٤ هـ).

## حرف الجيم

٥٩. جامع الأُصول: ابن الأثير الجزري: المبارك بن محمد (٥٤٤ ـ ٦٠٦ هـ) دار الفكر، بيروت ـ ١٤٠٣ هـ.

٦٠. جامع العلوم والحكم: ابن رجب الحنبلي (المتوفّى ٧٩٥ هـ) طبع الهند.

٦١. جامع مسانيد أبي حنيفة: محمد بن محمود الخوارزمي (٥٩٣ ـ ٦٦٥ هـ) دار الكتب العلمية، بيروت.

٦٢. جمع الفوائد من جامع الأُصول ومجمع الزوائد: محمد بن محمد بن سليمان المغربي (المتوفّى ١٠٩٤ هـ) مؤسسة علوم القرآن، بيروت.

٦٣. جواهر الكلام: محمد حسن النجفي (المـتوفّى ١٢٦٦ هـ) دار

الكتب الإسلامية، إيران ١٣٩٢ هـ.

## حرف الحاء

٦٤. حلية الأولياء: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الاصفهاني (المتوفّى ٤٣٠ هـ) دار الكتاب العربي، بيروت ـ ١٣٨٧ هـ.

## حرف الخاء

٦٥. الخراج: أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن خنيس الأنصاري البغدادي (١١٣ ـ ١٨٢ هـ) طبع بولاق ـ ١٣٠٢ هـ.

٦٦. الخصائص الكبرى: جلال الدين السيوطي (٨٤٩ـ ٩١١ هـ) دار الكتب العلمية، بيروت.

٦٧. الخصال: الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (المتوفّى ٣٨١ هـ) منشورات مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم ـ ١٤٠٣ هـ.

٦٨. خطط الشام: محمد كرد علي، مصر ـ ١٩٦٣ م.

٦٩. الخلاف: الشيخ الطوسي محمد بن الحسن (٣٨٥ـ ٤٦٠ هـ) دار الكتب العلمية، قم.

٧٠. الخوارج والشيعة: يوليوس فلهوزن، ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت.

## حرف الدال

٧١. الدر المنثور: جلال الدين السيوطي (٨٤٩ ـ ٩١١ هـ) دار الفكر، بيروت ـ ١٤٠٣ هـ.

٧٢. دعائم الإسلام: القاضي أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور التميمي المغربي (المتوفّى ٣٦٣ هـ) دار المعارف ـ ١٣٨٣ هـ.

٧٣. دلائل النبوة: أحمد بن الحسين البيهقي (٣٨٤ ـ ٤٥٨ هـ) دار الكتب العلمية، بيروت ـ ١٤٠٥ هـ.

## حرف الراء

٧٤. الرجال: النجاشي أحمد بن علي (٣٧٢ ـ ٤٥٠ هـ) دار الأضواء، بيروت ـ ١٤٠٩ هـ.

٧٥. الرحلة: ابن جبير (المتوفّى ٦١٤ هـ) دار صادر، بيروت .

٧٦. الرحلة: الإمام الشافعي: محمد بن إدريس (١٥٠ ـ ٢٠٤ هـ.

٧٧. الرسائل: الشريف المرتضى (المتوفّى ٤٣٦ هـ) تحقيق السيد أحمد الحسيني، منشورات مكتبة الشريف المرتضى العامّة، الكاظمية، العراق ـ ١٣٨٦ هـ.

٧٨. الرسائل: المفيد محمد بن محمد بن النعمان (٣٣٦ ـ ٤١٣ هـ) ضمن مصنفات الشيخ المفيد، قم ـ ١٤١٣ هـ.

٧٩. رسالة مختصرة في السدل: الدكتور عبد الحميد بن المبارك بن عبد اللطيف آل شيخ مبارك، دبي ـ ١٤١٤ هـ.

٨٠. روح المعاني: أبو الفضل شهاب الدين محمود البغدادي الآلوسي (المتوفّى ١٢٧٠ هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٨١. الروض الأنف: أبو القاسم عبد الرحمن السهيلي (٥٠٨ ـ ٥٨١ هـ).

٨٢. روض الجنان في شرح إرشاد الأذهان: الشهيد الثاني زين الدين العاملي (٩١١ ـ ٩٦٥ هـ) مؤسسة آل البيت عليهم السلام، الطبعة الحجرية، إيران.

٨٣. روضة الواعظين: محمد بن علي الفتّال النيسابوري (من علماء القرن السادس الهجري) منشورات الرضي، قم المقدسة.

حرف الزاء

٨٤. زاد المعاد: ابن قيم الجوزية (المتوفّى ٧٥١ هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت.

حرف السين

٨٥. سبل السلام في شرح بلوغ المرام: محمد بن إسماعيل الكحلاني الصنعاني المعروف بالأمير (١٠٩٩ ـ ١١٨٢ هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ ١٣٧٩ هـ.

٨٦. سعد السعود: علي بن موسى بن جعفر بن طاووس (المتوفّى ٦٦٤ هـ) المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف ـ ١٣٦٩ هـ.

٨٧. السنن: ابن ماجة محمد بن يزيد القزويني (٢٠٧ ـ ٢٧٥ هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ ١٣٩٥ هـ.

٨٨. السنن: أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٠٢ ـ ٢٧٥ هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت .

٨٩. السنن: الترمذي محمد بن عيسى بن سورة (٢٠٩ ـ ٢٧٩ هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت .

٩٠. السنن: الدارقطني علي بن عمر (٣٠٦ ـ ٣٨٥ هـ) دار المحاسن، القاهرة .

٩١. السنن: الدارمي عبد الله بن عبد الرحمن (١٨١ ـ ٢٥٥ هـ) دار إحياء السنّة النبوية.

٩٢. السنن: النسائي أحمد بن شعيب (٢١٥ ـ ٣٠٣ هـ) دار الفكر، بيروت ـ ١٣٤٨ هـ.

٩٣. السنن الكبرى: أحمد بن الحسين البيهقي (المتوفّى ٤٥٨ هـ) دار المعرفة، بيروت ـ ١٤٠٦ هـ.

٩٤. السلفية مرحلة زمنية لا مذهب إسلامي: محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، دمشق ـ ١٤١٧ هـ.

٩٥. السيرة الحلبية: علي بن إبراهيم الحلبي (المتوفّى ١٠٤٤ هـ) المكتبة الإسلامية، بيروت .

٩٦. السيرة النبوية: عبد الملك بن أيوب بن هشام الحميري (المتوفّى ٢١٣ أو ٢١٨ هـ) دار التراث العربي، بيروت .

٩٧. سيرتنا وسنتنا: العلّامة عبد الحسين الأميني (١٣٢٠ ـ ١٣٩٠ هـ) المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف .

## حرف الشين

٩٨. شرح التجريد: علاء الدين القوشجي، طبعة حجر، تبريز .

٩٩. شرح النووي على صحيح مسلم: أبو زكريا يحيى بن شرف (٦٣١ ـ ٦٧٦ هـ) دار القلم، بيروت ـ ١٤٠٧ هـ.

١٠٠. شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد المعتزلي (المتوفّى ٦٥٥ هـ) دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ـ ١٣٧٨ هـ.

١٠١. شعب الإيمان: أحمد بن الحسين البيهقي (٣٨٤ ـ ٤٥٨ هـ) دار الكتب العلمية، بيروت.

١٠٢. شفاء السقام في زيارة خير الأنام: علي بن عبد الكافي السبكي (٦٨٣ ـ ٧٥٦ هـ) مصر، الطبعة الرابعة ـ ١٤١٩ هـ.

## حرف الصاد

١٠٣. الصحيح: البخاري محمد بن إسماعيل (المتوفّى ٢٥٦ هـ) مكتبة عبد الحميد أحمد حنفي، مصر ـ ١٣١٤ هـ.

١٠٤. الصحيح: مسلم بن الحجاج القشيري (المتوفّى ٢٦١ هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٠٥. الصراط المستقيم: زين الدين أبو محمد علي بن يونس العاملي (المتوفّى ٨٧٧ هـ) نشر المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية.

١٠٦. صلح الإخوان: داود بن سليمان البغدادي النقشبندي الخالدي (المتوفّى ١٢٩٩ هـ) طبع بمبي.

١٠٧. الصواعق المحرقة: أحمد بن حجر الهيتمي (المتوفّى ٩٧٤ هـ) مكتبة القاهرة، مصر ـ ١٣٨٥ هـ.

## حرف الطاء

١٠٨. الطبقات الكبرى: محمد بن سعد (المتوفّى ٢٣٠ هـ) دار صادر، بيروت ـ ١٣٨٠ هـ.

## حرف العين

١٠٩. عدة الأُصول: الشيخ محمد بن الحسن الطوسي (٣٨٥ـ ٤٦٠ هـ) مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم المقدسة.

١١٠ . العروة الوثقى: السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي (المتوفّى ١٣٣٧ هـ) دار الكتب الإسلامية، طهران ـ ١٣٨٨ هـ.

١١١ . علل الشرائع: الشيخ الصدوق (المتوفّى ٣٨١ هـ) مؤسسة الأعلمي، بيروت ـ ١٤٠٨ هـ.

١١٢ . عون المعبود في شرح سنن أبي داود: محمد شمس الحق العظيم آبادي تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر، بيروت .

١١٣ . العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٠٠ ـ ١٧٥ هـ) مؤسسة دار الهجرة، إيران ـ ١٤٠٩ هـ.

١١٤ . عيون الأثر (المعروف بالسيرة النبوية): محمد بن عبد الله بن يحيى (المتوفّى ٧٣٤ هـ) دار الحضارة للطباعة والنشر ـ ١٤٠٦ هـ.

١١٥ . عيون أخبار الرضا: الشيخ الصدوق (المتوفّى ٣٨١هـ) مؤسسة الأعلمي، بيروت ـ ١٤٠٤ هـ.

## حرف الغين

١١٦ . غاية المرام: السيد هاشم البحراني (المتوفّى ١١٠٧ هـ) طبعة حجر، إيران.

١١٧ . الغدير: العلّامة عبد الحسين أحمد الأميني (١٣٢٠ ـ ١٣٩٠ هـ) دار الكتاب العربي، بيروت ـ ١٣٨٧ هـ.

١١٨ . غرر الحكم ودرر الكلم: عبد الواحد الآمدي التميمي (من علماء القرن الخامس الهجري) مؤسسة الأعلمي، بيروت ـ ١٤٠٧ هـ.

١١٩ . الغيبة: محمد بن الحسن الطوسي (٣٨٥ ـ ٤٦٠ هـ) مؤسسة المعارف الإسلامية، قم المقدسة.

## حرف الفاء

١٢٠ . الفتاوى الكبرى: ابن تيمية (المتوفّى ٧٢٨هـ) دار القلم، بيروت ـ ١٤٠٧ هـ.

١٢١ . فتح الباري في شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣ ـ ٨٥٢ هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت .

١٢٢ . الفتنة الكبرى: طه حسين، القاهرة ـ ١٩٥١ م .

١٢٣ . فتوح البلدان: أبو الحسن البلاذري (المتوفّى ٢٧٩ هـ) المكتبة التجارية، مصر ـ ١٩٥٩ م.

١٢٤ . الفتوحات المكية: محيي الدين ابن العربي (المتوفّى ٦٣٨ هـ) دار الإحياء، بيروت .

١٢٥ . فرق الشيعة: الحسن بن موسى النوبختي (من أعلام القرن الثالث الهجري) دار الأضواء، بيروت ـ ١٤٠٤ هـ.

١٢٦ . فرقان القرآن: سلامة القضاعي العزامي الشافعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت .

١٢٧ . **الفصول المهمة**: ابن الصباغ المالكي (المتوفّى ٨٥٥هـ) المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف ـ ١٣٨١ هـ.

١٢٨ . **الفقه الإسلامي وأدلّته**: الدكتور وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق ـ ١٤١٧ هـ.

١٢٩ . **فقه الشيعة الإمامية ومواضع الخلاف بينه وبين المذاهب الأربعة**: علي السالوس، مكتبة ابن تيمية، الكويت ـ ١٣٩٨ هـ.

١٣٠ . **الفقه على المذاهب الأربعة**: عبد الرحمن الجزيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت .

١٣١ . **الفقه على المذاهب الخمسة**: محمد جواد مغنية (المتوفّى ١٤٠٠هـ) دار العلم للملايين، بيروت ـ ١٩٧٩ م.

١٣٢ . **الفهرست**: ابن النديم محمد بن إسحاق (٢٩٦ ـ ٣٨٥ هـ) القاهرة ـ ١٣٤٨ هـ.

١٣٣ . **في رحاب أئمة أهل البيت** عليهم السلام : السيد محسن الأمين العاملي (المتوفّى ١٣٧١ هـ) دار التعارف، بيروت ـ ١٤٠٠ هـ.

## حرف القاف

١٣٤ . **القاموس المحيط**: محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (٧٢٩ ـ ٨١٧هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ ١٤١٢ هـ.

## حرف الكاف

١٣٥. الكافي: محمد بن يعقوب الكليني (المتوفّى ٣٢٩هـ) دار الكتب الإسلامية، طهران ـ ١٣٩٧ هـ.

١٣٦. الكامل في التاريخ: ابن الأثير الجزري محمد بن محمد (المتوفّى ٦٣٠ هـ) دار صادر، بيروت .

١٣٧. الكشاف: محمود بن عمر الزمخشري (المتوفّى ٥٣٨ هـ) مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ـ ١٣٦٧ هـ.

١٣٨. كشف الارتياب: السيد محسن الأمين العاملي (المتوفّى ١٣٧١ هـ) منشورات مكتبة الحرمين، قم ـ ١٣٨٢ هـ.

١٣٩. كفاية المهتدي في معرفة المهدي: محمد بن محمد مير لوحي الحسيني الموسوي المشهور بالنقيبي (من أعلام القرن الثاني عشر الهجري).

١٤٠. كمال الدين: الشيخ الصدوق (المتوفّى ٣٨١ هـ) طهران ـ ١٤٠٥هـ.

١٤١. كنز العمال: المتقي الهندي (المتوفّى ٩٧٥هـ) مؤسسة الرسالة، بيروت ـ ١٤٠٥ هـ.

## حرف اللام

١٤٢ . لسان العرب: العلّامة ابن منظور محمد بن مكرم (المتوفّى ٧١١هـ) قم ـ ١٤٠٥ هـ.

١٤٣ . لسان الميزان: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (المتوفّى ٨٥٢ هـ) مؤسسة الأعلمي، بيروت .

## حرف الميم

١٤٤ . المبسوط: محمد بن أحمد السرخسي (المتوفّى ٤٨٣ هـ) دار المعرفة، بيروت ـ ١٤٠٦ هـ.

١٤٥ . مجمع البيان: الفضل بن الحسن الطبرسي (٤٧١ ـ ٥٤٨ هـ) دار المعرفة، بيروت ـ ١٤٠٨ هـ.

١٤٦ . مجمع الزوائد: علي بن أبي بكر الهيثمي (٧٣٥ ـ ٨٠٧ هـ) دار الكتاب العربي، بيروت ـ ١٤٠٢ هـ.

١٤٧ . مجمع الفائدة والبرهان في شرح إرشاد الأذهان: المقدس أحمد الأردبيلي (المتوفّى ٩٩٣ هـ) مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم .

١٤٨ . المجموع شرح المهذب للشيرازي: أبو زكريا محيي الدين بن شرف النووي (٦٣١ ـ ٦٧٦ هـ) مكتبة الإرشاد، جدّة.

١٤٩. محاسن التأويل: جمال الدين القاسمي (المتوفّى ١٣٣٢هـ) دار الفكر، بيروت ـ ١٣٩٨ هـ.

١٥٠. المحلّى: ابن حزم الأندلسي محمد علي بن أحمد (المتوفّى ٤٥٦هـ) دار الآفاق الجديدة، بيروت.

١٥١. المراجعات: السيد عبد الحسين شرف الدين العاملي (١٢٩٠ـ ١٣٧٧ هـ) طبع مصر.

١٥٢. مروج الذهب: علي بن الحسين المسعودي (المتوفّى ٣٤٥هـ) منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت ـ ١٩٦٥ م.

١٥٣. المستدرك: الحاكم النيسابوري محمد بن عبد الله (المتوفّى ٤٠٥هـ) دار المعرفة، بيروت.

١٥٤. مستدرك الوسائل: المحدّث الحسين بن محمد تقي النوري (١٢٥٤ ـ ١٣٢٠ هـ) مؤسسة آل البيت، قم ـ ١٤٠٧ هـ.

١٥٥. المستصفى في علم الأصول: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (المتوفّى ٥٠٥ هـ) دار الكتب العلمية، بيروت.

١٥٦. المسند: أحمد بن حنبل (المتوفّى ٢٤١ هـ) دار الفكر، بيروت.

١٥٧. المسند: البزار: أحمد بن عمرو (المتوفّى ٢٩٢ هـ).

١٥٨. المسند: الشافعي: محمد بن إدريس (١٥٠ ـ ٢٠٤ هـ) دار الكتب العلمية، بيروت.

١٥٩. المصنّف: أبو بكر بن أبي شيبة (المتوفّى ٢٣٥ هـ) دار الفكر، بيروت ـ ١٤٠٩ هـ.

١٦٠. المصنّف: عبد الرزاق بن همام الصنعاني (١٢٦ ـ ٢١١ هـ) دار الكتب السلفية، القاهرة.

١٦١. معالم السنن: أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي البستي (المتوفّى ٣٨٨ هـ) المكتبة العلمية، بيروت.

١٦٢. معاني الآثار: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي (٢٣٩ ـ ٣٢١ هـ) دار الكتب العلمية، بيروت.

١٦٣. معاني القرآن وإعرابه: يحيى بن زياد الفرّاء (المتوفّى ٢٠٧ هـ) طهران.

١٦٤. المعجم الأوسط: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٢٦٠ ـ ٣٦٠ هـ) دار الكتب العلمية، بيروت ـ ١٤٢٠ هـ.

١٦٥. المعجم الصغير: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٢٦٠ ـ ٣٦٠ هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ ١٤٠٩ هـ.

١٦٦. المعجم الكبير: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٢٦٠ ـ ٣٦٠ هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ ١٤٠٤ هـ.

١٦٧. المغني: عبد الله بن قدامة (٥٤١ ـ ٦٢٠ هـ) مطبعة الإمام، مصر.

١٦٨ . مغني اللبيب: ابن هشام: عبد الله بن يوسف الأنصاري (المتوفّى ٧٦١ هـ) بيروت ـ ١٩٧٩ م .

١٦٩ . مفاهيم القرآن: جعفر السبحاني (تولد ١٣٤٧ هـ مؤلف هذا الكتاب) مؤسسة الإمام الصادق، قم المقدسة.

١٧٠ . المفردات: الحسين بن محمد الراغب الاصفهاني (المتوفّى ٥٠٢ هـ) المكتبة المرتضوية، طهران.

١٧١ . مقاتل الطالبيين: أبو الفرج الإصفهاني (٢٨٤ ـ ٣٥٦ هـ) النجف الأشرف .

١٧٢ . مقالات الإسلاميين: علي بن إسماعيل الأشعري (المتوفّى ٣٢٤ هـ) الطبعة الثالثة ـ ١٤٠٠ هـ.

١٧٣ . مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا (المتوفّى ٣٩٥هـ) دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ـ ١٣٦٦ هـ.

١٧٤ . الملل والنحل: الشهرستاني محمد بن عبد الكريم (٤٧٩ ـ ٥٤٨ هـ) دار المعرفة، بيروت ـ ١٤٠٢ هـ.

١٧٥ . مناقب ابن شهر آشوب: محمد بن علي السروي المازندراني (٤٨٨ ـ ٥٨٨ هـ) المطبعة العلمية، قم .

١٧٦ . منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر: لطف الله الصافي

الگلپايگاني، مركز نشر كتاب، طهران ـ ١٣٧٣ هـ.

١٧٧ . منتخب كنز العمال (المطبوع في هامش مسند أحمد): المتقي الهندي (المتوفّى ٩٧٥ هـ) دار الفكر.

١٧٨ . من لا يحضره الفقيه: الشيخ الصدوق (المتوفّى ٣٨١هـ) مؤسسة النشر الإسلامي، قم .

١٧٩ . الموطأ: مالك بن أنس (المتوفّى ١٧٩ هـ) دار الآفاق الجديدة، بيروت ـ ١٤٠٣ هـ.

١٨٠ . الموسوعة الفقهية الكويتية: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت ـ ١٤١٤ هـ.

١٨١ . ميزان الاعتدال: محمد بن أحمد الذهبي (المتوفّى ٧٤٨هـ) دار المعرفة، بيروت .

## حرف النون

١٨٢ . نزهة الناظر وتنبيه الخاطر: الحسين بن محمد بن الحسن بن نصر الحلواني (من أعلام القرن الخامس الهجري) مؤسسة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، قم ـ ١٤٠٨ هـ.

١٨٣ . نظرية الإمامة: أحمد محمود صبحي، دار المعارف، مصر.

١٨٤ . النهاية: ابن الأثير الجزري مبارك بن محمد (المتوفّى ٦٠٦ هـ)

مؤسسة إسماعيليان، قم ـ ١٤٠٥ هـ.

١٨٥. نهج البلاغة: جمع الشريف الرضي (٣٥٩ ـ ٤٠٦ هـ) بيروت ـ ١٣٨٧ هـ.

١٨٦. نور الثقلين: عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي (المتوفّى ١١١٢ هـ) مؤسسة إسماعيليان، قم ـ ١٤١٢ هـ.

١٨٧. نيل الأوطار: محمد بن علي بن محمد (١١٧٢ ـ ١٢٥٥ هـ) دار الكتب العلمية، بيروت.

## حرف الواو

١٨٨. الوثائق السياسية: محمد حميد الله، دار النفائس؛ بيروت ـ ١٤٠٧هـ.

١٨٩. وسائل الشيعة: الحر العاملي محمد بن الحسن (١٠٣٣ ـ ١١٠٤هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ ١٤٠٣ هـ.

١٩٠. وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى: علي بن أحمد السمهودي (المتوفّى ٩١١هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ ١٤٠١ هـ.

١٩١. وفيات الأعيان: أحمد بن محمد بن خلّكان (٦٠٨ ـ ٦٨١ هـ) منشورات الشريف الرضي، قم ـ ١٣٦٤ هـ.

## حرف الياء

١٩٢. **ينابيع المودة**: سليمان بن إبراهيم البلخي القندوزي (المتوفّى ١٢٩٤ هـ) مطبعة اختر، إسلامبول ـ ١٣٠١ هـ.

١٩٣. **اليواقيت والجواهر في عقائد الأكابر**: عبد الوهاب بن أحمد بن علي الأنصاري المغربي المعروف بالشعراني (من أعيان القرن العاشر الهجري) مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر ـ ١٣٧٨ هـ.




مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

# فهرس المحتويات

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |
| **الفصل الثاني** | |
| **الأصول الاعتقادية** | |

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|

## الفصل السابع
## الإمام المهدي المنتظر ﷺ



## الفصل الثامن
## البدعة في الكتاب والسنة

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|

الصف والإخراج الفني: مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام ـ السيد محسن البطاط